الدكتور أحمد مطلوب



ساعدت جامعة بغداد على نشره

الناشر
وكالة المطبوعات
٢٧ شارع فهد السالم - الكويت

الدكتور أحمد مطلوب



ساعدت جامعة بغداد على نشره

تسلسل ٣٣ لسنة ٧٢ ـ ١٩٧٣

الناشر
وكالة المطبوعات
٢٧ شارع فهد السالم ـ الكويت

الطبعة الاولى
١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م
بيروت

الإهداء

إلى

استاذتي الجليلة الدكتورة سهير القلماوي

واستاذي الجليل الدكتور جميل سعيد

أقدم هذا الكتاب

تحية

وفاء

ومودة

وإكبار ...

الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

الرَّحمنِ الرَّحيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ .

إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعينُ .

آهْدِنا الصِّراطَ المستقيمَ .

صِراطَ الّذينَ أنْعَمْتَ عليهم

غَيْرِ المغْضُوبِ عليهم

ولا الضَّالينَ .

المقدمة

كانت البلاغة العربية في القرن الماضي متونا تحفظ وشروحا تدرس ، وحينما أطل فجر النهضة الحديثة واتصل العرب بالغرب ورأوا ما عندهم من مناهج أدبية التفتوا إلى تراثهم يحيون ما فيه النفع ويأخذون عن الغرب ما فيه إنارة السبيل . ولم تمض سنوات حتى بدأ الازهر الشريف يعيد النظر في مناهجه، وأخذت المعاهد والجامعات تقيم دراساتها على أسس علمية قويمة ، وكان للبلاغة نصيب مما حدث للحياة الفكرية من تطور وتقدم فظهرت دراسات جديدة وضعت المعالم في الطريق . وقد تحدثت هذه الدراسات عن نشأة البلاغة وتطورها ورسمت صورة واضحة لها ، ولكنها تكاد تتفق في أمرين :

الاول : اتخاذها المنهج التأريخي سبيلاً لتصوير حياة البلاغة .

والآخر : اهمالها بعض البلاغيين الذين كانوا يصلون بين جيل وجيل أو مذهب ومذهب ، وعدم التفصيل في البلاغة الحديثة التي يسعى اليها المجددون .

وحينما كان طلبة الدراسات العليا في قسم اللغة العربية بجامعتي بغداد والكويت يدرسون البلاغة وتطورها ، ظهرت فكرة كتاب « مناهج بلاغية » ، وهو محاضرات ألقيت عليهم لترسم السبيل أمامهم ولتكمل ما بدأه الآخرون.

ولم يتخذ هذا الكتاب منهج السابقين وانما اتخذ من العوامل المؤثرة في البلاغة طريقا توصل إلى تلك المناهج وتحدد أهدافها . وقد حصرت تلك العوامل البحث في ثمانية فصول :

الاول : النشأة والاهداف ، وهو رصد لما كان عند العرب قبل عهد التدوين من التفاتات نقدية ونظرات بلاغية ، وتبيان للاهداف التي سعى اليها العرب عندما ألفوا في البلاغة وهي أهداف تجلّت في الاغراض الدينية والتعليمية والنقدية .

والثاني : المفسرون والأصوليون ، وهم الذين خدموا القرآن الكريم وتحدثوا عن إعجازه وبينوا ما فيه من بلاغة . وكانت كتب الاعجاز كلها وكتبا بلاغية وجهت الفن الادبي ووضعت قواعده وأصوله ، وكانت كتب التفسير وأصول الفقه منابع ثرّة أمدت البلاغة بروح أكسبتها الحياة . وهذه الكتب تشترك جميعا في أنها نظرت إلى فن القول نظرة دينية وأظهرت روعة البلاغة وتأثيرها من خلال تفسير الآيات واستنباط الاحكام . وقد ظلت العلاقة بينها وبين البلاغة تتوطد حتى أصبحت جزءً منها أو أصلا من أصولها .

والثالث : اللغويون والنحاة ، وهم الذين وقفوا منذ عهد مبكر يجمعون اللغة ويستنبطون منها القواعد ويدافعون عنها ما وسعتهم القدرة حتى وقف الادباء بوجههم وسخروا منهم ، ولكنهم لم يرتدوا ، وظلوا يصونون اللغة ويحفظون التراث . ولا تختلف كتب اللغة والنحو في معالجة فنون البلاغة عن كتب التفسير والفقه ، ولذلك وقفوا منها موقف الذائد وكانت نظراتهم البيانية أساسا لمن خلفهم ، ويكفيهم فخراً أن عبد القاهر الجرجاني كان واحداً منهم وقد استطاع بثاقب فكره ان يوجه البلاغة وجهة جديدة في كتابيه « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » .

والرابع : الشعراء والكتاب ، وهم منبع البلاغة الذين ازدهرت على أيديهم قواعدها وأصولها واتضحت معالمها وفنونها ، وكانوا أقرب الناس إلى

فن القول وألصقهم بروحه . واذا كان غيرهم قد وقف من العربية موقف الذائد ، فانهم ذادوا عنها واندفعوا يبحثون ويؤلفون ويضعون الأسس ويعرضون الآراء ويناقشون حتى كاد كل واحد منهم ينفرد بمنهج يختص به ويدل عليه ويكشف عن ثقافته وذوقه . ولكنهم إلى جانب ذلك يتسمون جميعا بأنهم وقفوا من النصوص الادبية وقفة أملتها نزعتهم الادبية فجاءت كتبهم تنم على تلك النزعة المشتركة في التحديد ورسم القواعد والاصول وتحليل النصوص .

والخامس : الفلاسفة والمتكلمون ، وهم الذين تأثروا بمنطق ارسطو وبلاغته ، ونظروا إلى البلاغة نظرة عقلية . وقد بدأ تأثيرهم منذ عهد مبكر ، ولكنه سيطر على البلاغة حينما خبت روح الادب واتجه البلاغيون إلى الشرح والتلخيص . ويتفق هؤلاء في أنهم اتخذوا من المنطق وأساليب الفلسفة طريقا في عرض البلاغة وتحديد مصطلحاتها وتعريفاتها . وقد أحالوها قواعد ثابتة لا تنطق الا بالتعريف الجامع المانع والتقسيمات والأدلة العقلية .

والسادس : الشراح والملخصون ، وهم الذين وقفوا عند « مفتاح العلوم » يلخصونه ويشرحونه ، أو عند « تلخيصه » ينظمونه ويشرحونه ويضعون الحواشي والتقريرات . وقد وصل الامر بهم إلى افساد البلاغة بما أقحموا فيها من قضايا لا تمت اليها بصلة ولا تخدم فن القول .

والسابع : البديعيون ، وهم أصحاب القصائد التي ابتعدوا فيها عن منهج الشراح واتخذوا فنون البديع سبيلا ، وقد اتفقوا جميعا في بديعياتهم وشروحها ، ولا يكاد المتأخر يخرج عن المتقدم الا قليلا . ولقي هذا المنهج عناية كبيرة في الفترة المتأخرة وصار الشعراء يتسابقون في عرض موضوعات البلاغة ، ويفرّعون من الفن الواحد فنونا حتى أوصلوها إلى أكثر من مائة وخمسين .

والثامن : المحدثون والمجددون ، وهم الذين عنوا بالبلاغة في هذا العصر ورسموا مناهجها الجديدة . وتبدو في آرائهم اتجاهات كثيرة وتيارات مختلفة ، فمنهم من رجع بالبلاغة إلى منابعها الاصيلة ، ومنهم من استعان بالثقافات

فن القول وألصقهم بروحه . واذا كان غيرهم قد وقف من العربية موقف الذائد ، فانهم ذادوا عنها واندفعوا يبحثون ويؤلفون ويضعون الأسس ويعرضون الآراء ويناقشون حتى كاد كل واحد منهم ينفرد بمنهج يختص به ويدل عليه ويكشف عن ثقافته وذوقه . ولكنهم إلى جانب ذلك يتسمون جميعا بأنهم وقفوا من النصوص الادبية وقفة أملتها نزعتهم الادبية فجاءت كتبهم تنم على تلك النزعة المشتركة في التحديد ورسم القواعد والاصول وتحليل النصوص .

والخامس : الفلاسفة والمتكلمون ، وهم الذين تأثروا بمنطق ارسطو وبلاغته ، ونظروا إلى البلاغة نظرة عقلية . وقد بدأ تأثيرهم منذ عهد مبكر ، ولكنه سيطر على البلاغة حينما خبت روح الادب واتجه البلاغيون إلى الشرح والتلخيص . ويتفق هؤلاء في أنهم اتخذوا من المنطق وأساليب الفلسفة طريقا في عرض البلاغة وتحديد مصطلحاتها وتعريفاتها . وقد أحالوها قواعد ثابتة لا تنطق الا بالتعريف الجامع المانع والتقسيمات والأدلة العقلية .

والسادس : الشراح والملخصون ، وهم الذين وقفوا عند « مفتاح العلوم » يلخصونه ويشرحونه ، أو عند « تلخيصه » ينظمونه ويشرحونه ويضعون الحواشي والتقريرات. وقد وصل الامر بهم إلى افساد البلاغة بما أقحموا فيها من قضايا لا تمت اليها بصلة ولا تخدم فن القول .

والسابع : البديعيون ، وهم أصحاب القصائد التي ابتعدوا فيها عن منهج الشراح واتخذوا فنون البديع سبيلا ، وقد اتفقوا جميعا في بديعياتهم وشروحها ، ولا يكاد المتأخر يخرج عن المتقدم الا قليلا . ولقي هذا المنهج عناية كبيرة في الفترة المتأخرة وصار الشعراء يتسابقون في عرض موضوعات البلاغة ، ويفرّعون من الفن الواحد فنونا حتى أوصلوها إلى أكثر من مائة وخمسين .

والثامن : المحدثون والمجددون ، وهم الذين عنوا بالبلاغة في هذا العصر ورسموا مناهجها الجديدة . وتبدو في آرائهم اتجاهات كثيرة وتيارات مختلفة ، فمنهم من رجع بالبلاغة إلى منابعها الاصيلة ، ومنهم من استعان بالثقافات

الدخيلة ، ومنهم من دعا إلى هدم البلاغة العربية لأنها أثر من آثار التخلف ، ومنهم من اتخذ علم النفس والرمز والايحاء أساساً في دراسته . ولم يكن إزاء هذه الاتجاهات الا ان تعرض البلاغة كما صورها البلاغيون المتأخرون وتناقش في ضوء الدراسات الحديثة ليأخذ المجددون ما فيه النفع وانارة السبيل ، وليتركوا ما حشدته بلاغة المتأخرين من أصول وفلسفة ومنطق وعلوم . وكان المنهج التكاملي أساس هذا الفصل ، لان النظرات الجزئية لا توصل في كثير من الاحيان إلى ما يسعى إليه المجدد .

ولعل كتاب « مناهج بلاغية » بهذه الفصول الثمانية يرسم صورة واضحة للبلاغة العربية وتطور البحث فيها ، ويعطي فكرة شاملة للتيارات التي تظافرت على إرساء قواعدها وأصولها . واذا كانت هذه الفصول لم تضع حدوداً فاصلة ، فلأن البلاغيين كانوا جميعا يرجعون إلى أصول واحدة ، فتداخلت مناهجهم وتقاربت آراؤهم ، ولكنهم مع ذلك احتفظوا بالسمات العامة التي ميزتهم ، وظلت ثقافتهم تطبع مؤلفاتهم ، فكانت بلاغتهم ومناهجهم التي صورها هذا الكتاب .

الكويت أول رمضان ١٣٩٢ هـ
١٩٧٢/١٠/٨ م

الدكتور أحمد مطلوب
أستاذ البلاغة والنقد في جامعتي
بغداد والكويت

النشأة والأهداف

الفصل الأول

النشأة

البلاغة علم من علوم اللغة ، بها وبالنقد يقاس الأدب ويميز حسنه من رديئه، وجميله من قبيحه . او هي كما قال المرحوم الأستاذ أمين الخولي:

« روح الادب ، والادب مادتها تعلم صنعه وتبصر بنقده »[1] .

والبلاغة عندنا من العلوم العربية والاسلامية ، وقد خدمت اللغة خدمة عظيمة وأبرزت ما في القرآن الكريم من وجوه الجمال وأوضحت سر الاعجاز ، وذلك بالبحث في أسلوبه وطريقة أدائه المعاني ، وبمقارنته بأساليب العرب البليغة .

والبلاغة ليست مقصورة على العرب ولا على أمة دون أمة ، انما هي سمة عظيمة القدر في اللغات التي بلغت درجة كبيرة في التطور والارتقاء . وقد عبر العرب عن ذلك فقالوا : «البلاغة ليست مقصورة على امة دون امة، ولا على ملك دون سوقة ، ولا على لسان دون لسان ، بل هي مقسومة على أكثر الألسنة . فهم فيها مشتركون ، وهي موجودة في كلام اليونان وكلام العجم وكلام الهند وغيرهم ، ولكنها في العرب أكثر لكثرة تصرفها في النثر والنظم والخطب والكتب والسجع والمزدوج والرجز . وهم أيضا متفاوتون فيها ،

(١) البلاغة وعلم النفس ص ١٤٥ ، ومناهج تجديد ص ١٨٠ .

يكون العبد بليغا ولا يكون سيده ، وتكون الأمة بليغة ولا تكون ربّتُها ، فالبلاغة قد تكون في أعراب البادية دون ملوكها ، وقد يحسنها الصبي والمرأة »[1]

البلاغة عند الأمم :

في البيان والتبيين للجاحظ أشارات إلى ما كان عند الامم من بلاغة عرفتها وتدارستها ، فقد قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل . وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الاقسام واختيار الكلام . وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة[2] .

واهتمت الامم بتدوين بلاغتها وأصولها لتكون عوناً للدارسين والناقدين . العل اليونانيين كانوا أول من عني بتدوينها والبحث في قواعدها ، فقد أهتم ارسطوطاليس بها في كتابيه « الشعر » و « الخطابة » وفي كتابه « المنطق » .

عرض في « الشعر » لبعض الموضوعات البلاغية كالأمر والرجاء والاستفهام والمجاز ، وقال عن بعض ما أدخله العرب في علم المعاني : « وفيما يتصل بالقول ، هناك مسألة يمكن أن تكون موضوعا للبحث وهي ضروب القول ، بيد أن معرفتها من شأن فن الممثل والمتخصص في أمثال هذه الأمور . مثل ان نعرف ما هو الامر ؟ وما هو الرجاء والقصص والتهديد — التحذير — والاستفهام والجواب ، وكل ما يدخل في هذا الباب ؟ »[3] .

(١) رسالة التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ص ٢١٣ .
(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٨٨ .
(٣) فن الشعر ص ٥٤ .

ولم يدخل هذه الموضوعات في فن الشعر ولم يعتبرها من شأنه ، وانما هي أمور تتعلق بالممثل والخطيب ، ولأجل ذلك رأى أنه لا قيمة حقيقية للنقد الذي يوجه إلى الشاعر بأنه يعرف او يجهل هذه الموضوعات . قال : « اذ كيف نسلم باللوم الذي وجهه فروتاغوراس إلى هوميروس بأنه ساق العبارة في صيغة الامر ، وهو يعتقد انه رجاء حين قال : « انشدي أيتها الربّة في غضبة » اذ قال فروتاغوراس : ان القول بفعل كذا أو عدم فعله هو أمر ، ولهذا يجب علينا ان نطرح هذه المسألة جانبا ، لانها من شأن علم آخر ، وليست من شأن فن الشعر »[1] .

وأعطى المجاز أهمية عظيمة وقال عنه انه : « نقل اسم يدل على شيء إلى شيء آخر » . والنقل يتم اما من جنس إلى نوع ، وأما من نوع إلى جنس ، او من نوع إلى نوع ، او بحسب التمثيل . وقال شارحاً هذه العبارة : « وأعني بقولي : « من جنس إلى نوع » ما مثاله : « هنا توقفت سفينتي » ، لأن الإرساء ضرب من التوقف ، وأما من النوع إلى الجنس فمثاله : « أجل لقد قام اودوسوس بآلاف من الاعمال المجيدة » ، لان « آلاف » معناها : كثير ، والشاعر يستعملها مكان « كثير » . ومثال المجاز من النوع إلى النوع قوله : « انتزع الحياة بسيف من نحاس » ، و « عندما قطع بكأس متين من نحاس » ، لان « انتزع » ههنا معناها : قطع ، و « قطع » معناها : انتزع . وكلا القولين يدل على تصرم الاجل .

وأعني بقولي : « بحسب التمثيل » . جميع الاحوال التي فيها تكون نسبة الحد الثاني إلى الحد الاول كنسبة الرابع إلى الثالث ، لان الشاعر سيستعمل الرابع بدلاً من الثاني ، والثاني بدلا من الرابع . وفي بعض الاحيان يضاف الحد الذي تتعلق به الكلمة المبدل بها المجاز .

ولايضاح ما أعني بالأمثلة أقول : ان النسبة بين الكأس وديونوسس هي

---

(١) فن الشعر ص ٥٤ .

نفس النسبة بين الترس وارِس ، ولهذا يقول الشاعر عن الكأس انها « ترس ديونوسس » ، وعن الترس : « إنه كأس أرس » — وكذلك النسبة بين الشيخوخة والحياة هي بعينها النسبة بين العشية والنهار ، ولهذا يقول الشاعر عن العشية ما قاله انبادقليس : « انها شيخوخة النهار » وعن الشيخوخة « انها عشية الحياة » او « غروب العيش » .

وفي بعض أحوال التمثيل لا يوجد اسم ، ولكن يعبر عن النسبة ، فمثلاً نثر الحب يسمى « البذر » ، ولكن للتعبير عن فعل الشمس وهي تنثر أشعتها لا يوجد لفظ ، ومع ذلك فان نسبة هذا الفعل إلى أشعة الشمس هي بعينها نسبة البذر إلى الحب ، ولهذا يقال : « تبذر نوراً إلهياً » .

ويمكن ايضا استعمال هذا الضرب من المجاز بطريقة اخرى ، فبعد الدلالة على شيء باسم يدل على اخر ننكر صفة من الصفات الخاصة بهذا الاخير . فمثلاً بدلا من أن نقول عن الترس انه « كأس أرس » نقول عنه انه « كأس بلا خمر » [1] .

وتحدث عن حسن استعمال ضروب التعبير وقال : « فمن المهم اذن حسن استخدام كل ضرب من ضروب التعبير التي تحدثنا عنها من أسماء مضاعفة مثلا او كلمات غريبة . وأهم من هذا كله البراعة في المجازات، لانها ليست مما نتلقاه عن الغير بل هي آية المواهب الطبيعية ، لان الاجادة في المجازات معناها الاجادة في ادراك الاشباه » [2] .

وتحدث في المقالة الثالثة من كتاب « الخطابة » عن الألفاظ المفردة والمركبة ، والباردة ، والكناية ، والايجاز والاطناب ، والاسلوب المفصل ، والتكرار ، والتشبيه ، والاستعارة ، وغيرها من موضوعات البلاغة .

---

(١) فن الشعر ص ٥٨ — ٥٩ .
(٢) فن الشعر ص ٦٤ .

وعرض لأساليب الخبر والطلب في كتبه المنطقية . ففي كتاب « المقولات » ذكر ان الجمل الموجبة او السالبة هي المحتملة للصدق والكذب ، وأما الألفاظ غير المؤلفة فليس شيء منها صادقا ولا كاذبا ك « أبيض » و « يحضر » و « يظفر » .

وفي كتاب « العبارة » ذكر أنه ليس كل كلام بجازم ، وإنما الجازم القول الذي وجد فيه الصدق أو الكذب ، وليس ذلك بموجود في الاقاويل كلها ، ومثال ذلك الدعاء فانه قول ما لكنه ليس بصادق ولا كاذب [1] .

وتحدث هوراس في « فن الشعر » عن الألفاظ والعروض والدراما والتراجيديا والفن والالهام ووظيفة الشعر ، ولكنه لم يضع لها قواعد كما فعل ارسطو ، لان هدفه لم يكن كذلك في هذا الكتاب .

وعرفت الهند البلاغة ، وقال بعض أهلها : « جماع البلاغة : البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة . ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ان تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها اذا كان الافصاح أوعر طريقة ، وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحق بالظفر » [2] .

وذكر الجاحظ الصحيفة الهندية وقال : « قال معمر أبو الاشعث : قلت لبهلة الهندي : ما البلاغة عند الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ، ولكن لا أحسن ترجمتها ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها . قال أبو الأشعث : فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فاذا فيها :

أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك ان يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام

---

(١) منطق أرسطو ج ١ ص ٦ ، ٦٣ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٨٨ .

الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ، ولا يصفيها كل التصفية ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً أو فيلسوفا عليماً ومن قد تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الألفاظ ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفح وعلى وجه الاستطراف والتطرف .

قال : ومن علم حق المعنى ان يكون الاسم له طبقاً ، وتلك الحال له وفقا ، ويكون الاسم له لا فاضلاً ولا مفضولا ، ولا مقصراً ولا مشتركا ولا مضمنا ، ويكون مع ذلك ذاكراً لما عقد عليه أول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده ، ويكون لفظه مونقا ولهول تلك المقامات معاودا . ومدار الامر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، وأن تواتيه آلاته وتتصرف معه أداته ، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً وفي حسن الظن بها مقتصدا فانه ان تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها فأودعها ذلة المظلومين وان تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها آمنها فأودعها تهاون الآمنين . ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل » (١) .

وأشار إلى بعض كتب الهنود والفرس واليونان في البلاغة والخطابة ، وقال : « قالوا : ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ، ويعرف الغريب ، ويتبحر في اللغة ، فليقرأ كتاب « كاروند » — الصناعة — ومن احتاج إلى العقل والادب والعلم بالمراتب والعبر والمثلات — العقوبة والتنكيل — والالفاظ الكريمة والمعاني الشريفة فلينظر في سير الملوك . فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها ، وهذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها ، وهذه كتبها في

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٩٢ — ٩٣ ، وزهر الاداب ج ١ ص ١١٣ ، وينظر تحليلها في كتاب البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٧ .

المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة والخطأ من الصواب . وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسيرها وعللها . فمن قرأ هذه الكتب وعرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم عرف أين البيان والبلاغة ، وأين تكاملت تلك الصناعة » [١] .

لقد عرف العرب بعد ان اتصلوا بالثقافات الاجنبية ان للامم بلاغة وتفنناً في القول،وفيما تقدم ما يعطي فكرة واضحة عن الجهود العظيمة التي بذلها الاقدمون في إرساء قواعد الشعر واصول الخطابة .

ولم يكن العرب بأقل من غيرهم منزلة ورفعة بعد ظهور الاسلام ، فقد دونوا علومهم وضبطوا لغتهم ، وكانت البلاغة من أوائل ما اهتموا به بعد ان استقروا وبدأوا يخرجون على العالم بكتبهم وآرائهم في مختلف العلوم والفنون .

البـــذور الاولى :

ان الباحث حينما يتلمس البذور الاولى للبلاغة والنقد قبل عهد التدوين والتأليف يجد أن العرب عرفوا كثيراً من الاحكام النقدية التي أعانتهم على تفهم الشعر وتذوقه ونقده . والامة التي أنجبت الشعراء الفحول والخطباء المصاقع لا بد ان تعرف المعالم التي يختطها الشعراء ويترسمها الخطباء . واذا كان كثير من الاحكام النقدية في العصر الجاهلي لم يصل الينا مع ما وصل من شعر وخطب، فان بعض تلك الاحكام تناقلتها الالسن وتداولتها الكتب . وقد وصف القرآن الكريم العرب في الجاهلية بأنهم أصحاب بيان ، فقال سبحانه وتعالى : « الرحمن عَلّمَ القرآنَ . خَلَقَ الانسانَ . علّمه البيانَ » [٢] . وقال عن حسن كلامهم

---

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٤ .
(٢) سورة الرحمن ، الايات ١ — ٤ .

وشدة أسره وتأثيره في النفوس : « ومن الناسِ من يُعْجِبُكَ قولُه في الحياةِ الدُّنيا »[1] .

ووصف الوليد بن المغيرة القرآن وقال : « والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وان اعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق »[2] .

ويمكن أن يستدل الباحث على ان العرب عرفوا كثيراً من الاحكام النقدية في العصر الجاهلي بأمرين :

الأول : عقلي لا يمكن انكاره ، وهو انه لا يصدق ان الشعر وصل إلى ما وصل اليه في تلك الفترة ، وان الخطابة بلغت ذروتها ، وان اللغة أخذت صورتها ، من غير ان يكون هناك عقل مدبر لكل ذلك ، ومن غير ان تكون هناك أصول عامة تعارف عليها الشعراء والمتكلمون ، وساروا عليها فيما نظموا أو قالوا . ومهما تحدث الباحثون عن السليقة العربية الصافية والذوق السليم ومهما وصفوهم بالفطنة والذكاء ، فان العقل لينكر أن يكون ما كان من غير ثقافة ودربة ، وقواعد تضيء لهم الطريق وتفتح أمامهم سبل القول .

الثاني : نقلي وهو ما أثر عنهم وما جاء عن خطبائهم ووصف خطبهم . وقد كان الخطباء يعتزون ببيانهم ويفخرون بأنفسهم ، ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه للذي رأى من دمامته وقصره وقلته ، فقال النعمان : « تسمع بالمعيدي لا ان تراه » . فقال : « أبيت اللعن ان الرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالميزان ، وليستْ بمسوك تستقى وانما

---

(١) سورة البقرة ، الاية ٢٠٤ .

(٢) في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ : « والله ان لقوله لحلاوة ، وان اصله لغدق وان فرعه لجناة » .

المرء بأصغريه : بقلبه ولسانه ، ان صال صال بجنان ، وان قال قال ببيان »[1] .
وكان ضمرة خطيباً فارساً شاعراً شريفاً سيدا ، وكان يحكم وينفر بالاسجاع .
قال الجاحظ : « ان ضمرة بن ضمرة وهرم بن قطبة والاقرع بن حابس ونفيل ابن عبد العزى كانوا يحكمون وينفرون بالاسجاع وكذلك ربيعة بن حذار »[2] .

واستدل الجاحظ من ألفاظ (العي) و (البكيء) و (الحصر) و (المفحم) و (الخطل) و (المسهب) على ان العرب في الجاهلية عرفوا كثيرا من عيوب البلاغة والخطابة ، وقال : « وكلام الناس في طبقات كما ان الناس أنفسهم في طبقات ، فمن الكلام : الجزل والسخيف ، والمليح والحسن ، والقبيح والسمج ، والخفيف والثقيل ، وكله عربي ، وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا . فان زعم زاعم انه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم ذكروا العي والبكيء ، والحصِر والمفحم ، والخطل والمسهب ، والمتشدق والمتفيهق، والمهمار والثرثار ، والمكثار والهِمّار ؟ ولم ذكروا الهجر والهذر ، والهذيان والتخليط ، وقالوا تلقاعة ، وفلان يتلهيع في خطبته[3] ، وقالوا : فلان يخطىء في جوابه ويحيل في كلامه ويناقض في خبره ؟ ولولا ان هذه الامور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمّى ذلك البعضُ البعضَ الآخر بهذه الأسماء »[4] .

ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب وكالحلل والمعاطف والديباج والوشي وأشباه ذلك[5] .

ووصفوا شعراءهم وأضفوا عليهم ألقابا ، ولأمر يتعلق بمكانتهم أطلقوا

---

(١) البيان ج ١ ص ١٧١ ، ٢٣٧ .
(٢) البيان ج ١ ص ٢٩٠ .
(٣) الخطل : ذو الخطل ، وهو الكلام الفاسد الكثير . المسهب : الكثير الكلام . رجل مهمار : كثير الكلام . التلقاعة والتلقاع : الكثير الكلام .
(٤) البيان ج ١ ص ١٤٤ — ١٤٥ .
(٥) البيان ج ١ ص ٢٢٢ .

عليهم تلك الالقاب كالمهلهل والمرقش والمثقب والمنخل والمتنخل والأفوه والنابغة . وهذه الاوصاف تتصل بأحكامهم النقدية وبذوقهم الذي ميزوا به بين شاعر وشاعر .

وكان بعض الشعراء في الجاهلية يعنون بأشعارهم وينقحونها قبل أن يذيعوها بين الناس ، وقد اشتهر زهير بن أبي سلمى بالحوليات ، وتبعه في ذلك الحطيئة وغيره ممن اهتموا بتنقيح الشعر وتجويده . وكان الحطيئة يقول : « خير الشعر الحولي المحكك » . وقال الأصمعي : « زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين[1] ». وقال الجاحظ : « وكذلك كل من جوّد في جميع شعره ووقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة »[2] . وقال واصفاً هؤلاء الشعراء : « ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتا — تاما — وزمنا طويلا، ويردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره ، اشفاقا على أدبه واحرازا لما خوّله الله تعالى من نعمته . وكانوا يسمون تلك القصائد : الحوليات ، والمقلدات ، والمنقحات ، والمحكمات ، ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعرا مفلقا »[3] . وقال : « ومن تكسب بشعره والتمس به صلات الاشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة في قصائد السماطين وبالطوال التي تنشد يوم الحفل لم يجد بُدّاً من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما . فاذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود. ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد في صنعة طوال الخطب ، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب، اقتداراً عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه . وكانوا مع ذلك اذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير

(١) الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٨ .
(٢) البيان ج ٢ ص ١٣ .
(٣) البيان ج ٢ ص ٩ .

ومهمات الامور ميثوه – ذللوه – في صدورهم وقيدوه على أنفسهم فاذا قوّمه الثقاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محككاً منقحا ، ومصفى من الادناس مهذبا » [1] .

ان وقوف الشعراء عند قصائدهم لينقحوها ويعيدوا النظر فيها يدل على الروح النقدية التي كان الشاعر نفسه يمارسها قبل ان ينقده السامعون . ومما يؤيد النزعة النقدية في تلك الحقبة من تأريخ العرب ما أشار اليه المعاصرون من مدارس شعرية كمدرسة زهير التي كانت تجمع إلى الشعر روايته ، وتبدأ بأوس بن حجر التميمي الذي تلقى عنه الشعر زهير ولقنه بدوره ابنه كعباً والحطيئة ، ولقنه الحطيئة هدبة بن الخشرم ، ولقنه هدبة جميل بن معمر ، وعنه تلقنه كثير عزة . وهذه المدرسة « لم تكن تمضي في نظم الشعر عفو الخاطر ، بل كانت تتأنى فيما تنظم منه ، وتنظر فيه ، وتعيد النظر مهذبة منقحة » [2] .

وقد وصف الدكتور شوقي ضيف ما كان عليه زهير في تعليم الشعر فقال : « فنحن بإزاء شاعر اتصل الشعر في بيته اتصالا لم يعرف لشاعر جاهلي ممن عاصروه ، وليس هذا فحسب فانه عاش للشعر يعلمه ابنيه بجيراً وكعباً من جهة واناساً آخرين من غير بيته ، أشهرهم الحطيئة فهو تلميذه وخريجه . وفي أخباره مع ابنه كعب ما يدل على الطريقة التي كان يخرج بها الشعراء ، فقد كان يلقنهم شعره ويروونه عنه ، وما يزالون يتلقونه حتى تنطبع في أنفسهم طريقة نظم الشعر وصوغه ، وهو في أثناء ذلك يمتحن قدرتهم بما يلقي عليهم من أبيات يطلب اليهم ان يجيزوها بنظم بيت على غرار البيت الذي ينشده في الوزن والقافية » [3] .

---

(١) البيان ج ٢ ص ١٣ – ١٤ .
(٢) البلاغة تطور وتأريخ ص ١٢ .
(٣) تأريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي ص ٣٠٣ ، وينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٢٤ وما بعدها .

وكانت لشعراء هذه المدرسة سمات لخصها الدكتور طه حسين بقوله : « انهم جميعا قد ذهبوا مذهب استاذهم في الاعتماد على هذا النحو من التشبيه والتصوير المادي الدقيق ، على أنهم لم يكتفوا بتقليده واقتفاء أثره ، بل استعاروا منه طائفة من المعاني والألفاظ استعارة ظاهرة لا تحتمل شكاً حتى لكأن هذه المعاني والألفاظ كانت قد أصبحت حظاً شائعاً للمدرسة كلها »(١) .

ومما يتصل بالنقد في العصر الجاهلي ما كان شائعا من أحكام يتناقلها الشعراء، وما كان يدور في أسواق العرب . وفي كتب الادب والنقد كثير منها يتصل بالمعاني واللغة والقافية .

فمن الاول ما روي عن حكومة أم جندب الطائية بين امرىء القيس وعلقمة الفحل ، فقد فضلت علقمة حينما قال في وصف فرسه :

فأدركهنَّ ثانيـــاً من عِنانـــه يمرّ كمرِّ الرائحِ المتحلّبِ (٢)

على زوجها امرىء القيس الذي قال :

فللزجر ألهوبٌ وللســـاقِ درَّةٌ وللسوط منه وقع أخرجَ مهذبِ(٣)

وقد سأل امرؤ القيس أم جندب : بمَ فضلته عليَّ ؟ فقالت : فرس عبدة أجود من فرسك . قال : وبماذا ؟ قالت : انك زجرت وحركت ساقيك وضربت بسوطك ، أما علقمة فقد أدرك فرسه ثانياً من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه (٤) .

وما جرى بين النابغة الذبياني وحسان بن ثابت والخنساء ، فقد روي أنهم

---

(١) في الادب الجاهلي ص ٣١٢ .
(٢) الرائح : السحاب . المتحلب : السائل عرقه .
(٣) أخرج : ذكر النعام . مهذب : مسرع .
(٤) الموشح ص ٢٨ – ٢٩ ، وبيان اعجاز القرآن – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٥٣ .

كانوا يضربون للنابغة قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء وتعرض عليه أشعارها . وكان أول من أنشده ذات يوم الاعشى قال قصيدته التي مطلعها :

ما بكـــاءُ الكبيرِ بالاطـــلالِ وسؤالي ومـــا تردُّ سؤالـــي

ثم أنشده حسان بن ثابت :

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعْنَ بالضحى وأسيافنا يقطرْنَ من نجدةٍ دما
ولدنا بني العنقاءِ وابني محـــرِّقٍ فاكرم بنا خالاً وأكرمْ بنا ابنُما

فقال النابغة : انت شاعر ، ولكنك اقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن أنجبك »[1] .

وانشدته الخنساء في هذا المجلس قصيدتها :

قـــذى بعينيك أم بالعين عـــوّارُ ؟ أم أقفرتْ مذ خلَتْ من أهلها الدارُ

فقال لها النابغة : « والله ، لولا ان سبقك أبو بصير ، أنشدني آنفا ، لقلت : إنك اشعر الجن والانس » . فقال حسان : « والله ، لأنا اشعر منك ومن أبيك ومن جدك » . فقبض النابغة على يده ثم قال : يا ابن أخي ، انك لا تحسن ان تقول مثل قولي :

فانّك كالليلِ الذي هـــو مُدْرِكي وإنْ خِلْتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

ثم قال للخنساء : أنشديه . فانشدته ، فقال : « واللهِ ، ما رأيت أنثى أشعر منك » . فقالت له الخنساء : « واللهِ ، ولا رجلاً »[2] .

ومما يتصل باللغة كلمة « الصيعرية » في بيت المسيَّب بن علس :

---

(١) الموشح ص ٨٢ ، والمصون في الادب ص ٣ .
(٢) الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٤٤ .

وقد أتناسى الهمَّ عند ادّكارِهِ بناجٍ عليه الصيعرية مكـــدمِ

فلما سمع طرفة هذا البيت قال : « استنوق الجمل » ، لأن « الصيعرية » سمة في عنق الناقة لا البعير [1] .

ومما يتعلق بالقوافي ما ذكروه عن النابغة ، فقد قالوا : إنه لم يُقْوِ أحد من شعراء الطبقة الأولى إلا هو في قوله :

من آلِ ميّــةَ رائحٌ أو مغتَدِ عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مــزوّدِ

زعم البوارحُ أنّ رحلتنا غداً وبذاك خبّرنا الغــرابُ الاسودُ

وفي قوله :

سَقَطَ النصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطـــه فتناولته، واتقتنـــا باليـــدِ

بمخضبٍ رخصٍ كأنّ بنانَـــه عَنَمٌ يكاد من اللطافة يُعْقَدُ

فقدم المدينة ، فعيب عليه ولم يأبه ، وجعلوا يخبرونه وهو لا يفهم مـا يريدون ، فقالوا لجارية : إذا صرت إلى القافية فرتلي . فلما قالت : « الغرابُ الاسودُ » و « يُعْقَدُ » و « باليدِ » و «مزوَّدِ» علم ، فانتبه فلم يعد اليه ، وقال : « قدمت الحجاز وفي شعري ضَعة ، ورحلت عنها وانا أشعر الناس » [2] .

وقال عمرو بن العلاء : « فحلان من الشعراء كانا يقويان : النابغة وبشر ابن أبي خازم، فأما النابغة فدخل يثرب فغُنّي بشعره ففطن فلم يعد للاقواء، وأما بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سوادة : إنك تقوي . قال : وما الاقواء ؟ قال : قولك :

ألم ترَ أنّ طولَ الدهر يُسْــلي ويُنْسي مثلما نُسيت جُـــذامُ

---

(١) الموشح ص ١١١ ، ١٣٣ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٢ وما بعدها .

(٢) الموشح ص ٤٥ — ٤٦ ، وينظر جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ — ٦٤ .

ثم قلت :

وكانوا قومنا فبغَوا علينا　　　فسقناهم إلى البَلَدِ الشآمِ

فقال : تبينت خطئي ، ولست بعائد [1] .

وذكر أبو هلال العسكري ان القدماء اشاروا إلى الفصل والوصل في الكلام ، قال « وكان أكثم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتّابه : افصلوا بين كل معنى منقضٍ ، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض . وكان الحارث بن أبي شمر الغساني يقول لكاتبه المرقش : إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبيعته من الالفاظ ، فانك إذا حذفت ألفاظك بغير ما يحسن ان تحذف به نفرت القلوب عن وعيها ، وملّته الاسماع ، واستثقلته الرواة » [2] .

وشك بعض الباحثين في هذه الروايات فقال الدكتور جميل سعيد : « ونحن نستبعد ان يكون عند العرب هذا النوع من النقد الذي يرويه الرواة ، لأنا لا نعرف لهم شبيهاً به في ذلك العصر . وقد رأينا نقدهم للقرآن الكريم فما رأينا فيه مثيلا له ، ونرجح أن يكون هذا من اضافات النقاد في القرن الثالث الهجري أو نحوه ، يوم نما النقد ونمت بذور البلاغة » [3] .

ولكننا – مع هذا الشك – نقرر أن هذه الروايات تعكس جانبا من فهم العرب للنقد في مرحلة التدوين الاولى . وليس بعيداً أن تصدر مثل هذه الاحكام

---

(١) الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٧٠ ، والموشح ص ٨٠ ، وينظر دراسات في نقد الادب العربي لطبانة ص ٥١ وما بعدها ، وتأريخ النقد العربي من الجاهلية حتّى القرن الثالث الهجري للدكتور سلوم ص ٩ والنقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف ص ٢٠ وما بعدها ، ودراسات في النقد الادبي للأستاذ العبيدي ج ١ ص ٥٨ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ٤٤٠ .

(٣) دروس في البلاغة وتطورها ص ١٠ ، وينظر تأريخ النقد الادبي عند العرب للمرحوم طه احمد ابراهيم ص ١٩ وما بعدها .

في الجاهلية بعدما رأينا كثيراً من الدلائل التي تؤيد ما ذهبنا اليه . يضاف إلى ذلك ان هذه الروايات ليس فيها التعليل القائم على النظرة العلميـة لكي ننكرها ، وانما هي أحكام عابرة أطلقها الشعراء والمحكّمون ، معتمدين على الذوق الفطري الذي عرف به العرب ، « وليس في تلك اللمحات النقدية شيء غريب عن البيئة التي قيلت فيها ، بل انها اشبه ما تكون بطبيعة الجاهليين الذين لم يكن لديهم من اسباب الحضارة والوان الثقافة ما يسمح لهم بمحاولة تأييد الرأي بالعلة المعقولة والدليل الواضح الذي يؤيدها » (١) .

وكان شعراء اليونان بعد ان انتهى عصر الملاحم وازدهر الشعر الغنائي في القرن السادس قبل الميلاد يصدرون بعض الاحكام النقدية التي تعبّر عن رأي ذاتي أبعد ما يكون عن القاعدة العلمية (٢) . ومعنى ذلك ان الشعراء شاركوا في حركة النقد منذ القديم ، فلمَ لا ينطبق ذلك على العرب في الجاهلية وهم أهل ذوق رفيع واصحاب شعر بديع ؟

ومهما قيل في صحة هذه الروايات فان الراجح ما ذهبنا اليه ، وهو فهم العرب للشعر ومقدرتهم على التمييز بين جيده ورديئه وحسنه وأحسنه . يقول الدكتور زكي مبارك: « وفي أمثال هذه الكلمات دليل على أنّ الرواة نقلوا عن الجاهليين أحكاما في صناعة الكلام ، وفي ذلك ما يصلح للاستئناس به في هذا الموضوع . وليشك من شاء في صحة هذه النصوص فهي على كل حال صورة لفهم نقاد العرب لبعض ما كان عليه أهل الجاهلية » (٣) . وفي هذا ما يشجع الباحث على تلمس البذور الاولى للنقد في العصر الجاهلي وما تلاه من عصور .

واذا ما انتقلنا إلى العصر الاسلامي رأينا إيمان العربي بالقرآن واعتناقـه

---

(١) دراسات في نقد الادب العربي لطبانة ص ١٧٢ ، وينظر في تأريخ النقد والمذاهب الأدبية للحاجري ص ٤٠ وما بعدها .

(٢) ينظر النقد الأدبي عند اليونان للدكتور صقر خفاجة ص ١٧ .

(٣) النثر الفني ج ١ ص ٤٨ هامش (١) .

الاسلام كان حكماً نقدياً أدركه بذوقه السليم وفطرته الصافية ، يقول المرحوم أمين الخولي : « كانت الدعوة الاسلامية عملاً بلاغيا قوياً أو شطراً واضحا من هذا العمل ، اذ اعتمدت على حكم نقدي وقامت على رأي في هذا الفن القولي تنتهي به إلى أن هذا الصنف من الكلام العربي مثال لا يحتذى وغاية لا تنال ، فضلته وهو من صنف كلامهم على سائر ما عندهم، وجاهرتهم بما جاهرتهم به من عجزهم المطبق عن ان يأتوا بمثله ولو ظاهرتهم الجن وآزرهم اهل عبقر ممن نحلوهم كل فاخر باهر . واذا كان الامر كذلك فالعربي حين يدعى إلى هذا ويواجه به فيؤمن ويستيقن لا يكون اعتناقه للاسلام في جليته إلا حكماً نقديا وتقريرا أدبيا بدين الله فيه بانه قد وجد صدق هذه الدعوى في نفسه وأحس تفوق هذا الاسلوب الالهي بقلبه فآمن انه مما لا يد للناس بمثله ، وانما هو طراز إلهي من القول العربي ومعجزة سماوية لاخيه القرشي الأمي »[(1)] .

ورأينا الرسول الكريم محمداً (ص) يعنى عناية عظيمة بأحاديثه وخطبه ، وقد أثر عنه انه كان يقول : « لا يقولن أحدكم : خبثت نفسي ، ولكن ليقل : لقست نفسي » ، كراهية ان يضيف المسلم الخبث إلى نفسه[(2)] . وكان يستمع إلى الشعر ويقول : « ان من البيان لسحرا » .

وأثر عن الخلفاء الراشدين والصحابة انهم كانوا يستمعون إلى الشعر ويبدون رأيهم فيه ، وكان عمر بن الخطاب (رضي) يقول عن زهير بن أبي سلمى انه « لا يتبع حوشي الكلام » وانه « كان لا يعاظل بين الكلام »[(3)] .

واذا ما انتقلنا إلى العصر الأموي رأينا الحياة الادبية تزدهر ، وكان الخلفاء يعقدون المجالس ويستمعون إلى الشعراء ويعلقون على بعض ما يسمعونه ، من

---

(1) مناهج تجديد ص ٩٧ .

(2) الحيوان ج ١ ص ٣٣٥ .

(3) طبقات فحول الشعراء ص ٥٢ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٥٧ ، ونقد الشعر ص ١٩٦ ، ٢٠١ ، وتنظر اراء عمر (رضي) في البيان والتبين ج ١ ص ٢٣٩ وما بعدها .

ذلك ان قيس بن الرقيات أنشد عبد الملك بن مروان قصيدته التي يقول فيها :

يأتلِقُ التـاجُ فوق مفرقـه على جبينٍ كأنـه الذّهَـبُ

فلما سمع عبد الملك ذلك غضب وقال له : قد قلت في مصعب بن الزبير :

إنّما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّتْ عن وجهِه الظّلماءُ

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم ، واعطيتني من المدح ما لا فخر فيه ، وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب ،في النضارة » [1] .

ولعل هذه الملاحظة الدقيقة هي التي ألهمت قدامة بن جعفر فكرة ان المديح ينبغي أن يكون بالفضائل النفسية ، لا باوصاف الجسم وما يتصل بها من الحسن والبهاء والزينة [2] .

وانشد كثيّر عزة عبدَ الملك قوله فيه :

على ابْنِ أبي العاصي دلاصٌ حصينةٌ أجاد المسدّي سردَها وأذالهـا
يؤود ضعيفَ القوم حملُ قتيرهـا ويستظلع القرمُ الأشم احتمالها [3]

فقال له عبد الملك : « قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحسن من قولك ، حيث يقول له :

واذا تجيءُ كتيبـةٌ ملمومـةٌ شهباءُ يخشى الذائدونَ نهالَهـا
كنتَ المقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنّـةٍ بالسيفِ تضربُ معلماً أبطالَها [4]

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٩٨ ، وينظر نقد الشعر ص ٢١٤ .
(٢) نقد الشعر ص ٢١٤ ، والبلاغة تطور وتأريخ ص ١٨ .
(٣) دلاص : دروع . أذالها : أطال ذيلها . القتير : رؤوس المسامير في الدرع . يستظلع : يضطلع ، أي يقوى على حملها . القرم الاشم : الرجل العظيم ذو المكانة العالية .
(٤) الكتيبة : الجيش او جماعة الخيل اذا غارت . شهباء : عظيمة كثيرة السلاح . الجنة : كل ما يقي . معلما ابطالها : أي معلمهم من أثر ضربات السيوف .

فقال : يا امير المؤمنين : وصفتك بالحزم والعزم ، ووصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق .

قال قدامة : « والذي عندي في ذلك ان عبد الملك أصح نظراً من كثيّر إلاّ أنْ يكون كثيّر غالط واعتذر بما يعتقد خلافه »[1] .

وكان المؤدبون يقومون بدور عظيم في تعليم اللغة وأدبها ورسم القواعد العامة التي تفضي إلى اتقان اللغة وتذوقها . وكان هؤلاء المؤدبون يخوضون في موضوعات كثيرة ، وليس من شك ان الفصاحة والبلاغة كانت إحدى تلك الموضوعات .

وشهد القرن الثاني للهجرة حركة أدبية واسعة ، وكانت الحواضر تتمخض عن نهضة علمية واسعة ، ورأى هذا القرن بعض الآثار البلاغية ككتاب « المعاني »[2] لمؤرج السدوسي (— ١٩٥ هـ) وكتاب « الفصاحة » لأبي حاتم السجستاني (— ٢٠٠ هـ) ، وعرف كثيرا من الاحكام اللغوية والنحوية والعروضية . وبلغت حركة التدوين والتأليف ذروتها في العصر العباسي الاول ، وظهرت كتب التفسير واللغة والادب والتأريخ تحمل تراثاً ضخماً حافلاً بكل طريف ، وكانت البلاغة أحد العلوم التي اهتم بها العرب منذ عهد مبكر ، وقد دفعتهم إلى العناية بها أسباب واهداف كثيرة .

---

(١) نقد الشعر ص ٧٤ .

(٢) ينظر فهرست ابن النديم ص ٥١ ، ٧٧ .

الاهـداف

ان الحياة الجديدة التي عاشها العرب بعد ان خرجوا من جزيرتهم دفعتهم الى العناية باللغة والادب وايامهم ، لأنهم وجدوا تحديات كثيرة تعرضت لها العربية بعد ان دخل في الاسلام قوم أرادوا هدمه وتقويض دولة العرب . وكانت الجهود العظيمة التي بذلها المخلصون إيذانا بظهور علوم اللغة التي اخذت تتطور جيلاً بعد جيل حتى اصبحت سامقة لا تقدر عليها هوج الاعاصير .

وقد تظافرت أسباب واهداف كثيرة دفعت العرب الى الخوض في الدراسات البلاغية ، ويمكن تلخيصها في :

١ – **الغرض الديني** : وهو خدمة القرآن الكريم الذي كان معجزة تحدى الانس والجن . ولكي يبرهنوا على إعجازه ويفهموا آياته واسلوبه ليستنبطوا الاحكام منه ، اتجهوا الى البلاغة باحثين فنونها موضحين اقسامها لتكون لهم عوناً على فهم القرآن . وكان هذا الغرض من اهم الاهداف التي دفعتهم الى البحث والتأليف فيها . وقد أشار ابو هلال العسكري الى هذا الهدف السامي بقوله : « اعلم – علمك الله الخير ودلّك عليه وقيّضه لك وجعلك من أهله – أنّ أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله – جل ثناؤه – علم البـلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرَف اعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق ، الهادي الى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت أعلام

الحق وأقامت منار الدين ، وازالت شبه الكفر ببراهينها ، وهتكت حجب الشك بيقينهـا .

وقد علمنا أن الانسان اذا أغفل علم العربية وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ، وما شحنه من الايجاز البديع والاختصار اللطيف ، وضمنه من الحلاوة ، وجلّله من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها ، الى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها .

وانما يعرف اعجازه من جهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلوغ غايته في حسنه وبراعته وسلاسته ونصاعته وكمال معانيه وصفاء ألفاظه . وقبيح لعمري بالفقيه المؤتمّ به ، والقارىء المهتدى بهديه ، والمتكلم المشار اليه في حسن مناظرته وتمام آلته في مجادلته وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب والقرشي الصريح ان لا يعرف اعجاز كتاب الله — تعالى — الا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي ، او ان يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبي .

فينبغي من هذه الجهة ان يقدّم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله — تعالى — ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده إذْ كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل اسمه »[1] .

٢ — **الغرض التعليمي** : وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة اساليبها بعد ان اتصل العرب بأمم شتى ، وأدّى ذلك الاتصال الى فساد اللغة ودخول اللحن فيها . يضاف الى ذلك أن كثيرا من المسلمين كانوا بحاجة الى تعلم العربية وبلاغتها ليفهموا القرآن الكريم ، وليعيشوا في ظل دولة لغتها العربية .

وكانت المقدرة الكتابية في كثير من الاحيان السبيل الموصل الى المناصب الرفيعة وكان على من يسعى الى تسنمها أنْ يكون كاتباً له في الأدب وفنونه يد

---

(١) كتاب الصناعتين ص ١ — ٢ .

طولى ، وله اسلوب رفيع . وقد نال آل وهب وغيرهم في العصر العباسي بفضل الكتابة ارفع المناصب وتقلدوا الوزارة وتدبير الدولة ، وتسنم ضياء الدين ابن الأثير الوزارة في عهد بني أيوب .

فلكي يتعلم العربي الناشىء في بيئة امتزجت فيها اللغات لغته، ويصبح قادرا على التعبير الحسن والنظم الرائق وانشاء الرسائل ، ولكي يتعلم المسلم لغة دينه ولغة الدولة التي يعيش في ظلها، ولكي يصل الناس الى أرقى المناصب واعلى الرتب ــ كان عليهم جميعا ان يتقنوا العربية ، ولا يتم ذلك الاتقان الا بمعرفة الفاظها وتراكيبها ومعانيها وأساليبها ، والبلاغة احدى السبل التي توصل الى هذه الغاية وتخدمها .

٣ ــ **الغرض النقدي** : وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل . والبلاغة تعين الناقد كثيرا ، لأنها تقدم له الآلة التي تعينه على الفهم والحكم ، ولذلك نجد القدماء يعنون عناية كبيرة بها ويؤلفون الكتب فيها . وقد أشار العسكري الى الهدفين التعليمي والنقدي بقوله : « ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب معروفة ، منها ان صاحب العربية إذا أخلّ بطلبه وفرّط في التماسه ففاتته فضيلته وعلقت به رذيلة فوته ، عفّى على جميع محاسنه وعمّى سائر فضائله ، لأنه اذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر رديء ولفظ حسن وآخر قبيح ، وشعر نادر وآخر بارد ، بان جهله وظهر نقصه .

وهو ايضا اذا اراد ان يصنع قصيدة أو ينشىء رسالة وقد فاته هذا العلم مزج الصفو بالكدر وخلط الغرر بالعرر ، واستعمل الوحشي العكر ، فجعل نفسه مهزأة للجاهل وعبرة للعاقل كما فعل ابن جحدر في قوله :

حلفتُ بمـــــا أرقلت حَوْلَـــه ... همرجلــةٌ خلقهـــــا شيظمُ

ومــا شبرقت مــــن تنوفيةٍ بها من وحى الجن زيزيَمُ [1]

وانشده ابن الأعرابي فقال : إن كنت كاذباً فالله حسيبك .

وكما ترجم بعضهم كتابه الى بعض الرؤساء : « مكركسة تربوتا ومحبوسة بسريتا » فدلّ على سخافة عقله ، واستحكام جهله ، وضرّه الغريب الذي اتقنه ولم ينفعه ، وحطّه ولم يرفعه ، لما فاته هذا العلم وتخلف عن هذا الفن . واذا اراد ايضا تصنيف كلام منثور أو تأليف شعر منظوم ، وتخطّى هذا العلم ساء اختياره له ، وقبحت آثاره فيه ، فأخذ الرديء المرذول وترك الجيد المقبول ، فدلّ على قصور فَهْمه وتأخر معرفته وعلمه » [2] .

ويتصل بهذا الغرض رواية الادب ومعرفة الجيد الذي يروى والرديء الذي ينبغي ان يطرح ، وقد أشار اليه العسكري بقوله : « وقد قيل : اختيار الرجل قطعةٌ من عقله ، كما ان شعره قطعة من علمه . وما اكثر من وقع من علماء العربية في هذه الرذيلة ، منهم الاصمعي في اختياره قصيدة المرقش :

هــل بالديارِ أنْ تجيبَ صَمَمْ لو أنَّ حيــاً ناطقــاً كلـــم

ولا أعرف على أي وجه صرف اختياره اليها ، وما هي بمستقيمة الوزن ، ولا مونقة الروي ، ولا سلسة اللفظ ، ولا جيدة السبك ، ولا متلائمة النسج . وكان المفضل يختار من الشعر ما يقل تداول الرواة له ويكثر الغريب فيه ، وهذا خطأ من الاختيار ، لان الغريب لم يكثر في كلامٍ إلاّ أفسده ، وفيه دلالـــة الاستكراه والتكلف » [3] .

---

(١) ارقلت : أسرعت . المرجلة : الناقة . الشيظم : الطويل الجسيم الفتي من الابل والخيل والناس . شبرقت : الشبرقة عدو الدابة وخدا . التنوفية : المفازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف . الوحى : الصوت الخفي . زيزيم : صوت الجن .

(٢) كتاب الصناعتين ص ٢ — ٣ .

(٣) كتاب الصناعتين ص ٣ .

كانت هذه الأهداف وغيرها دافعاً قويا حفزهم الى الخوض في دراسة البلاغة والتأليف فيهـــا ، وكانت هذه الاهداف غرض المؤلفين جميعا ، ولا نكاد نجد كتاباً من كتب البلاغة واعجاز القرآن يخلو من الاشارة اليها . ولعل ما نقلناه من مقدمة « كتاب الصناعتين » يوضح الغرض ويخدم الفكرة ويعين على تصور الدوافع الكثيرة التي كان لها الفضل الكبير في ظهور كتب البلاغة والنقد .

وقد تظافرت جهود كثيرة على وضع أسس البلاغة وأصولها ، ويمكن ان نتلمس ذلك في المفسرين والاصوليين ، واللغويين والنحاة ، والشعراء والكتّاب ، والفلاسفة والمتكلمين ، والملخصين والشراح ، واصحاب البديعيات . وكانت كل طبقة من هؤلاء تتفق في كثير من الاسس وتلتقي في أهداف واضحة المعالم ، ان كان رجالها يختلفون في تصورهم للبلاغة أحيانا .

المفسِّرُونَ وَالأُصُولِيُّون

الفصل الثاني

اعجاز القرآن

نزل القرآن الكريم فكان حجة بلاغية كبرى ومعجزة أدبية عظمى وقف العرب أمامها مبهورين لا يعرفون لذلك سبباً ولا يستطيعون لتأثيره ردّا . ولم يكن إزاء هذه المعجزة الا ان يرجعوا الى انفسهم لعلهم يجدون مخرجا ، ولكن الحجة أعيتهم ووقفت السنتهم واحتبست اصواتهم وهم يستمعون الى النبي العظيم محمد(ص) يبلغ الناس قوله تعالى :« وان كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فاتوا بسورةٍ من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون اللهِ إنْ كُنْتُم صادقينَ . فان لم تفعلواً ولن تفعلوا ، فاتقوا النارَ التي وَقُودُها الناسُ والحجارةُ أُعدّتْ للكافرينَ » [1] . وقوله تعالى : « أمْ يقولون افتراه ، قل فاتوا بعَشْرِ سُوَرٍ مثله مفتريات ، وادعوا مَن استطعتم من دونِ اللهِ إنْ كنتم صادقينَ . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما انزلَ بعلمِ اللهِ ، وأنْ لا إلهَ إلاّ هو ، فهل أنتم مسلمونَ » [2] . وقوله : « قُلْ لئنِ اجتمعتِ الانسُ والجنُ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلِه ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهيرا » [3] .

وعجزوا عن ان يأتوا بمثل هذا القرآن وهم أصحاب لَسن وبلاغة فقالوا :

---

(١) سورة البقرة ، الايتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة هود ، الايتان ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة الاسراء ، الاية ٨٨ .

اعجاز القرآن

نزل القرآن الكريم فكان حجة بلاغية كبرى ومعجزة أدبية عظمى وقف العرب أمامها مبهورين لا يعرفون لذلك سبباً ولا يستطيعون لتأثيره ردّا . ولم يكن إزاء هذه المعجزة الا ان يرجعوا الى انفسهم لعلهم يجدون مخرجا ، ولكن الحجة أعيتهم ووقفت السنتهم واحتبست اصواتهم وهم يستمعون الى النبي العظيم محمد(ص) يبلغ الناس قوله تعالى : « وان كنتم في ريبٍ مما نزّلنا على عبدنا فاتوا بسورةٍ من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إنْ كُنْتُم صادقينَ . فان لم تفعلواْ ولن تفعلوا ، فاتقوا النارَ التي وَقودُها الناسُ والحجارةُ أعدّتْ للكافرينَ »[1] . وقوله تعالى : « أمْ يقولون افتراه ، قل فاتوا بعَشْرِ سُوَرٍ مثله مفتريات ، وادعوا مَن استطعتم من دونِ الله إنْ كنتم صادقينَ . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما انزلَ بعلمِ اللهِ ، وأنْ لا إلهَ إلاّ هو ، فهل أنتم مسلمونَ »[2] . وقوله : « قلْ لئنِ اجتمعتِ الانسُ والجنُ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلِهِ ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهيرا »[3] .

وعجزوا عن ان يأتوا بمثل هذا القرآن وهم أصحاب لَسَن وبلاغة فقالوا :

---

(١) سورة البقرة ، الايتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة هود ، الايتان ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة الاسراء ، الاية ٨٨ .

« ما هذا الا سِحْرٌ مُفْتَرى ، وما سَمِعْنا بهذا في آبائِنا الاولين » [1] ، واخذوا يفرّون من سماع القرآن خوفا من ان يؤثر في نفوسهم ويهديهم الى سواء السبيل كما هدى من قبلُ طليعة المسلمين ، وصاروا يحولون دون الاستماع اليه لئلا تلين القلوب. وفي سيرة ابن هشام ان الطفيل بن عمرو الدوسي قدم مكة ورسول الله ـ (ص) ـ بها فمشى اليه رجال قريش ، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً ، فقالوا له : « يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا قد اعضل بنا ، وقد فرّق جماعتنا وشتت أمرنا ، وانما قوله كالسحر يفرّقُ بين الرجل وبين زوجه ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنّه ولا تسمعن منه شيئا » . قال : « فواللهِ ما زالوا بي حتّى أجمعت ان لا اسمع منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا [2] فَرَقا من ان يبلغني شيء من قوله ، وانا لا أريد ان أسمعه . فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله ـ (ص) ـ قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت منه قريبا فأبَى الله الا ان يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاما حسنا ، فقلت في نفسي : واثكل امي ، واللهِ إني لرجلٌ لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني ان اسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي حسناً قبلته ، وان كان قبيحا تركته » .

ومكث الطفيل حتّى انصرف الرسول (ص) الى بيته فاتبعه حتّى اذا دخل بيته دخل عليه وقال : « يا محمد ، إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا ، للذي قالوا ، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتّى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبَى الله الا ان يسمعني قولك ، فسمعته قولاً حسناً ، فاعرض عليّ أمرك » .

وعرض الرسول (ص) الاسلام عليه وتلا القرآن ، فأسلم ، قال : « فلا

---

(١) سورة القصص ، الاية ٣٦ .
(٢) الكرسف : القطن .

والله ، ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق » [1] .

وقال الوليد بن المغيرة وقد سمع النبي (ص) يتلو آيات القرآن : « والله ، ان لقوله لحلاوة ، وان اصله لعذق ، وان فرعه لجناة » [2] .

وشغل الناس بالقرآن بعد ان انتشر الاسلام ، وأخذوا يتدارسونه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتراكيبه وما فيه من فنون وقف العرب أمامها مبهورين . وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها « أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ — بعد المعرفة بالله جل ثناؤه — » ، لان «الانسان اذا اغفل علم البلاغة واخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شحنه به من الايجاز البديع » [3] .

وذهبوا ابعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد عن البلاغة إنها « ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصّرك بمواقع رشدك وعواقب غيك » [4] .

وكان تأثير القرآن واضحاً في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرفيع . وكانت احدى آياته مدعاة الى ان يؤلف ابو عبيدة « مجاز القرآن » ، يقول : « ارسل اليّ الفضل بن الربيع الى البصرة في الخروج اليه سنة ١٨٨ ، فقدمت الى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي ، فدخلت عليه وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه ، وفي صدره فرش عالية لا يرتقى اليها إلاّ على كرسي وهو جالس عليها ، فسلّمت عليه بالوزارة ، فرد وضحك اليّ واستدعاني حتى جلست اليه على فرشه ، ثم سألني

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٢ .
(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ .
(٣) كتاب الصناعتين ص ١ .
(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٤ ، والعقد الفريد ج ١ ص ٢٨٥ .

وألطفني وباسطني وقال : أنشدني ، فأنشدته فطرب وضحك : وزاد نشاطه . ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة فأجلسه الى جانبي وقال له : اتعرف هذا ؟ قال: لا . قال: هذا أبو عبيدة علاّمة أهل البصرة، أقدمناه لنستفيد من علمه . فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا ، وقال لي : اني كنت اليك مشتاقا ، وقد سألت عن مسألة ، افتأذن لي ان اعرفك اياها ؟ فقلت : هات . قال : قال الله ــ عز وجل ــ « طَلْعُها كأنّه رؤوسُ الشياطين » (١) ، وانما يقع الوعد والايعاد بما عُرف مثله وهذا لم يعرف . فقلت : انما كلّم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرىء القيس :

أيقتلني والمشرفيُّ مُضاجعي ومسنّونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغوالِ

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به . فاستحسن الفضلُ ذلك واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك اليوم ان اضع كتابا في القرآن في مثل هذا واشباهه وما يحتاج اليه من علمه . فلما رجعت الى البصرة عملت كتابي الذي سميته « المجاز » (٢) .

وانتهى ابن خلدون الى ان ثمرة علم البلاغة « انما هي في فهم الإعجاز من القرآن ، لأنّ اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالالفاظ في انتقائها وجودة رصفها . وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن ادراكه » (٣) .

وكان لمسألة الاعجاز اثر كبير في تطور البلاغة العربية ، وكان المتكلمون اول من بحثوا في اعجاز القرآن وبلاغته وقالت المعتزلة ــ الا النظّام وهشاما الفوطي وعبّاد بن سليمان ــ : « تأليف القرآن ونظمه معجز محال وقوعه منهم

---

(١) سورة الصافات ، الاية ٦٥ .
(٢) معجم الادباء ج ٧ ص ١٦٦ — ١٦٧ ، ونزهة الالباء ص ٧٠ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

كاستحالة احياء الموتى منهم ، وانه علم لرسول الله . وقال النظام : الآية والاعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أنْ يقدر عليه العباد لولا ان الله منعهم بمنع وعجز احدثهما فيهم .

وقال هشام وعباد : لا نقول ان شيئا من الاعراض يدل على الله ــ سبحانه وتعالى ــ ولا نقول أيضاً ان عرضا يدل على نبوة النبي ــ(ص)ــ ولم يجعلا القرآن علما للنبي ــ (ص) ــ وزعما ان القرآن اعراض » [1] .

واختلفت وجهات النظر في الاعجاز ، وتشعبت سبل القول ، لأن الوصول الى ذلك صعب ، وتحديد البلاغة في القرآن أصعب . قال الخطّابي : « ولذلك صاروا اذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن الفائقة في وصفها سائر البلاغات ، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة قالوا : انه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم منه مباينة القرآن غيره من الكلام ، وإنما يعرفه العالمون منه عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده . واحالوا على سائر اجناس الكلام الذي يقع فيه التفاضل فتقع في نفوس العلماء به عند سماعه معرفة ذلك ويتميز في افهام قبيل الفاضل من المفضول منه . قالوا : وقد يخفى سببه عند البحث ويظهر أثره في النفس حتّى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة به . قالوا : وقد توجد لبعض الكلام عذوبة في السمع وهشاشة في النفس لا يوجد مثلهما لغيره منه ، والكلامان معا فصيحان ثم لا يوقف لشيء من ذلك على علة » [2] .

ولم يثنهم ذلك عن عزمهم ومضوا يتلمسون بلاغة القرآن ويبينون اعجازه ، فكانت دراساتهم احسن مصدر للبلاغة واجلّ مورد لمن اراد ان يتذوق القرآن ويفهم البيان .

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٢) بيان اعجاز القرآن ــ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٢٢ .

ومن اشهر الذين عنوا باعجاز القرآن وبلاغته :

الواسطي :

ألّف أبو عبدالله محمد بن يزيد الواسطي (– ٣٠٦ هـ) كتابا في اعجاز القرآن هو « اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه » [١] ، ولا نعرف الفكرة التي بنى عليها كتابه والموضوعات التي عالجها ، لانه لم يصل الينا . قال المرحوم مصطفى صادق الرافعي انه بنى رأيه على ما ابتدأه الجاحظ ، [٢] ويبدو من اهتمام عبد القاهر الجرجاني بهذا الكتاب وشرحه مرتين انه كان على جانب عظيم من الاهمية . ويرى الدكتور محمد زغلول سلام انه لا يبعد ان يكون قد تأثر به في كتابه « دلائل الاعجاز » [٣] .

الرماني :

وألف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (– ٣٨٦ هـ) رسالة « النكت في اعجاز القرآن » وذهب الى ان القرآن معجز ببلاغته ، وهو اعلى طبقات الكلام . وليست البلاغة افهام المعنى ، لانه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيي ، وليست بتحقيق اللفظ على المعنى لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف ، وانما هي : « ايصال المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ » [٤] . وأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن .

والبلاغة على عشرة أقسام : الايجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ،

---

(١) فهرست ابن النديم ص ٦٣ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٩٩ ، وكشف الظنون ج ١ ص ٩٤ .
(٢) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٥٣ .
(٣) اثر القرآن في تطور النقد العربي ص ٢٣٢ ، وتأريخ فكرة اعجاز القرآن ص ٥٩ .
(٤) النكت في اعجاز القرآن – ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٦٩ .

ومن اشهر الذين عنوا باعجاز القرآن وبلاغته :

الواسطي :

ألـف أبو عبدالله محمد بن يزيد الواسطي (— ٣٠٦ هـ) كتابا في اعجاز القرآن هو « اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه » [١] ، ولا نعرف الفكرة التي بنى عليها كتابه والموضوعات التي عالجها ، لانه لم يصل الينا . قال المرحوم مصطفى صادق الرافعي انه بنى رأيه على ما ابتدأه الجاحظ ، [٢] ويبدو من اهتمام عبد القاهر الجرجاني بهذا الكتاب وشرحه مرتين انه كان على جانب عظيم من الاهمية . ويرى الدكتور محمد زغلول سلام انه لا يبعد ان يكون قد تأثر به في كتابه « دلائل الاعجاز » [٣] .

الرماني :

وألف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (— ٣٨٦ هـ) رسالة « النكت في اعجاز القرآن » وذهب الى ان القرآن معجز ببلاغته ، وهو اعلى طبقات الكلام . وليست البلاغة افهام المعنى ، لانه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيي ، وليست بتحقيق اللفظ على المعنى لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهوغث مستكره ونافر متكلف ، وانما هي : « ايصال المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ » [٤] . وأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن .

والبلاغة على عشرة أقسام : الايجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ،

---

(١) فهرست ابن النديم ص ٦٣ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٩٩ ، وكشف الظنون ج ١ ص ٩٤ .
(٢) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٥٣ .
(٣) اثر القرآن في تطور النقد العربي ص ٢٣٢ ، وتأريخ فكرة اعجاز القرآن ص ٥٩ .
(٤) النكت في اعجاز القرآن — ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٦٩ .

والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان . ولعل بحثه في الايجاز من احسن الفصول التي عقدها ، فقد فصّل القول فيــه تفصيلا ، وقال عنه : « الايجاز : تقليل الكلام من غير اخلال بالمعنى ، واذا كان المعنى يمكن ان يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن ان يعبر عنه بألفاظ قليلة ، فالالفاظ القليلة ايجاز »[1] .

والايجاز على وجهين : حذف وقصر ، فالحذف اسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال او فحوى الكلام . والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف . وهذا التقسيم هو الذي بنى عليه البلاغيون مباحثهم في الايجاز .

وتحدث عن الموضوعات الاخرى بهذا الاسلوب ، اي انه كان يعرّف الفن ثم يقسمه ويذكر اجزاءه ويمثل له بكلام الله تعالى وأشعار العرب . فهو مثلا يقول في تعريف الاستعارة : « الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وُضعت له في اصل اللغة على جهة النقل للابانة »[2] . وفرق بينها وبين التشبيه وقال إنّ ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على اصله لم يغير عنه في الاستعمال، وليس كذلك الاستعارة ، لان مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له اصل اللغة . وكل استعارة لا بد فيها من اشياء : مستعار ومستعار له ومستعار منه ، وكل استعارة لا بد لها من حقيقة ، ولا بد من بيان لا يفهم بالحقيقة ، وهي ابلغ منها . ولا تخرج الاستعارة في كتب البلاغيين عن هذه الاصول التي وضعها الرماني .

وكانت دراسته للاقسام العشرة بداية الاخذ بالتعريفات المنطقية والتقسيمات الدقيقة التي كانت سمة الكتب بعده .

---

(١) المصدر السابق ص ٧٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٩ .

الخطابي :

وضع أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (ــ ٣٨٨ هـ) رسالة « بيان اعجاز القرآن » ورأى ان البلاغة ترجع الى جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه وتأثيره في النفوس . قال : « واعلم ان القرآن انما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الالفاظ في احسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني » [1] .

واشار الى تأثير القرآن فقال : « قلت في اعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس » [2] .

ولم يبحث موضوعات البلاغة كما بحثها الرماني ، وانما اشار الى فنونها في اثناء كلامه على الآيات القرآنية وما فيها من بلاغة أعجزت العالمين . وتتضح في رسالته الموازنة والاستفادة من النصوص الشعرية والملاحظات البيانية في الحديث عن اسلوب القرآن الذي قال عنه : « ان اجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة ، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية . فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز الطلق الرسل ، وهذه اقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة .

فالقسم الاول أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثاني أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث أدناه وأقربه . فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الاقسام حصة ، واخذت من كل نوع من انواعها شعبة ، فانتظم لها بامتزاج هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة ، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين ، لان العذوبة نتاج السهولة ، والجزالة والمتانة في الكلام

(١) بيان اعجاز القرآن ــ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٢٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٤ .

تعالجان نوعا من الوعورة : فكان اجتماع الامرين في نظمه مع نبوّ كل منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن »[1] .

وتكلم على عناصر الاسلوب وهي : اللفظ والمعنى والنظم الذي يجمع بين الاثنين ، وقال : « وانما يقوم الكلام بهذه الاشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم . واذا تأملت القرآن وجدت هذه الامور منه في غاية الشرف والفضيلة حتّى لا ترى شيئا من الالفاظ أفصح ولا اجزل ولا اعذب من الفاظه ، ولا ترى نظماً احسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه . وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل انها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها الى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها .

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في انواع الكلام ، فأما ان توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد الا في كلام العليم القدير »[2] .

الباقلاني :

وألّف أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاّني (ـ ٤٠٣ هـ) كتاب « اعجاز القرآن » وذهب الى ان كتاب الله معجز ، لانه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، ولذلك رأى ان البديع ليس من الوجوه التي يعلل بها الاعجاز . يقول : « لا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن من البديع الذي ادعّوه في الشعر ووصفوه فيه ، وذلك ان هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحذق في البلاغة . وله طريق يُسلك ، ووجه يقصد ، وسلم يرتقى فيه اليه ، ومثال قد يقع طالبه عليه ... فأما شأو

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣ — ٢٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ، ولا امام يقتدى به ، ولا يصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الفذ الغريب والشيء القليل العجيب » (١) .

ومعنى ذلك انه يرى ان القرآن معجز بأسلوبه ونظمه البديع والفاظه وبأثره في النفوس لا بما فيه من محسنات بلاغية . ولكنه تحدث عن فنون البديع ، لان ذلك « باب من ابواب البراعة وجنس من اجناس البلاغة ، وانه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم ولا وجه من وجوه فصاحتهم ، واذا أورد هذا المورد ووضع هذا الموضع كان جديرا . وانما لم نطلق القول اطلاقا لانّا لا نجعل الاعجاز متعلقاً بهذه الوجوه الخاصة موقوفا عليها ومضافا اليها ، وان صح ان تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة آخذة بحظها من الحسن والبهجة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشَع والتعمل المستشنع » (٢) .

وتحدث عن موضوعات بلاغية كالتشبيه والتمثيل والاستعارة البليغة والغلو والمطابقة والتجنيس والمقابلة وصحة التقسيم والالتفات والاستطراد والتكرار والمبالغة . ومنهجه في هذه الفنون يقوم على تعريف الفن والاستشهاد بالآيات الكريمة وكلام العرب . ولا يكتفي بذكر الامثلة وانما يصب اهتمامه على التعبير القرآني ويقارنه بأساليب العرب ، وبذلك جمع في هذه الدراسة الطريفة البلاغة بما فيها التعريف والتقسيم والنقد والتحليل .

قال في التكميل والتتميم : « وهو ان يأتي بالمعنى الذي بدأ به بجميع المعاني المصححة المتممة لصحته المكملة لجودته من غير ان يخل ببعضها ولا ان يغادر شيئاً منها كقول القائل : « وما عسيت ان اشكرك عليه من مواعيد لم تُشَن بمطل ، ومرافد لم تشب بمَن ، وبشر لم يمازجه مَلَق ولم يخالطه مذق » وكقول نافع بن خليفة :

---

(١) اعجاز القرآن ص ١٦٨ وما بعدها .

(٢) اعجاز القرآن ص ١٧٠ .

رجالٌ اذا لم يقبلوا الحق منهم ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع

وانما تمّ جودة المعنى بقوله « ويعطوه » ، وذلك كقول الله — عز وجل — : « إنّ اللهَ عنده علمُ السّاعةِ » الى آخر الآية ، ثم قال : « إنّ اللهَ عليمٌ خبير »[1] .

ويقول في نقد الشعر والكلام : « فأما قول البحتري بعد ذلك :

مــن غادةٍ منعت وتمنع نيلها فلو آنها بذلت لنـا لم تبذلِ
كالبدرِ غير مخيل والغصن غير مميل ، والدعص غير مهيّلِ

فالبيت الاول — على ما تكلف فيه من المطابقة وتجشم الصنعة — الفاظه اوفر من معانيه، وكلماته اكثر من فوائده . وتعلم ان القصد وضع العبارات في مثله . ولو قال : « هي ممنوعة مانعة » كان ينوب عن تطويله وتكثيره في الكلام وتهويله ، ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان .

واما البيت الثاني ، فأنت تعلم ان التشبيه بالبدر والغصن والدعص امر منقول متداول ولا فضيلة في التشبيه بنحو ذلك . وانما يبقى تشبيهه ثلاثة اشياء بثلاثة اشياء في البيت ، وهذا ايضا قريب ، لان المعنى مكرر .

ويبقى له بعد ذلك شيء آخر ، وهو تعمله للترصيع في البيت كله ، الا ان هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف ، لأن التشبيه بالغصن كاف ، فاذا زاد فقال : « كالغصن غير معوج » كان ذلك من باب التكلف خللا ، وكان ذلك زيادة يستغنى عنها . وكذلك قوله : « كالدعص غير مهيل » ، لانه اذا انهال خرج عن ان يكون مطلق التشبيه مصروفاً اليه ، فلا يكون لتقييده معنى »[2] .

---

(١) اعجاز القرآن ص ١٤٣ — ١٤٤ .
(٢) اعجاز القرآن ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .

القاضي عبد الجبار :

وألّف القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي (– ٤١٥ هـ) في اعجاز القرآن ، وكان الجزء السادس عشر من كتابه « المغني في أبواب التوحيد والعدل » خاصاً بهذه المسألة . ورأيه ان الفصاحة والبلاغة تقومان على ضمّ الكلمات وتقارنها ، وهي الفكرة التي تبناها عبد القاهر الجرجاني وسماها «النظم» . قال بعد ان عرض رأي أستاذه أبي هاشم الجبّائي : « اعلم ان الفصاحة لا تظهر في افراد الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولا بدّ مع الضم من ان يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز في هذه الصفة ان تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ، وقد تكون بالاعراب الذي له مدخل فيه ، وقد تكون بالموقع . وليس لهذه الاقسام الثلاثة رابع ، لانه اما ان تعتبر فيه الكلمة او حركاتها او موقعها ، ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة . ثم لا بد من اعتبار مثله في الكلمات اذا انضم بعضها الى بعض ، لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة وكذلك لكيفية اعرابها وحركاتها وموقعها . فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه انما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها . فان قال : فقد قلتم ان في جملة ما يدخل في الفصاحة حُسن المعنى فهلا اعتبرتموه ؟ قيل له : ان المعاني وان كان لا بد منها فلا تظهر فيها المزية ، ولذلك تجد المعبرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما افصح من الآخر والمعنى متفق ، على انا نعلم ان المعاني لا يقع فيها تزايد ، فاذن يجب ان يكون الذي يعتبر التزايد عنده الالفاظ التي يعبر بها عنها . فاذا صحت هذه الجملة فالذي تظهر به المزية ليس الا الإبدال – الاختيار – الذي به تختص الكلمات ، او التقدم والتأخر الذي يختص الموقع ، او الحركات التي تختص الاعراب فبذلك تقع المباينة . ولا بد في الكلامين اللذين أحدهما أفصح من الآخر ان يكون انما زاد عليه بكل ذلك أو ببعضه ، ولا يمتنع في اللفظة الواحدة ان تكون اذا استعملت في معنى تكون افصح منها اذا استعملت في غيره ، وكذلك فيها اذا تغيرت حركاتها ، وكذلك

القول في جملة من الكلام » . ثم قال : « وهذا يبين ان المعتبر في المزية ليس بنية اللفظ وان المعتبر فيه ما ذكرناه من الوجوه ، فأما حسن النغم وعذوبة القول فمما يزيد الكلام حسناً على السمع لا انه يوجد فضلا في الفصاحة » (١) .

ان عبد الجبار بهذه الفكرة يكون قد وضع الاسس التي بنى عليها عبد القاهر نظرية النظم التي قام عليها علم المعاني . وقد ذهب عبد القاهر الى ان الكلمة لا قيمة لها من حيث هي لفظة مفردة ، وكثيراً ما تستعمل في موضع فتكون حلوة الجرس جميلة ، وتستعمل في موضع آخر فتفقد تلك المزية وذلك الحسن ، وانما كان ذلك « لأن المزية التي من اجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح ، مزية تحدث بعد ان تكون ، وتظهر في العلم من بعد ان يدخلها النظم . وهذا شيء ان أنت طلبته وقد جئت بها افرادا لم تَرُمْ فيها نظماً ولم تحدث لها تأليفاً طلبت محالا ، وإذا كان كذلك وجب ان تعلم قطعا ان تلك المزية في المعنى دون اللفظ » (٢) . فالألفاظ عنده لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة ، وانما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما اشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ . وهذه الفكرة مستوحاة من فكرة عبد الجبار ، ولكن عبد القاهر لم يعترف بذلك وحمل عليه .

ولعبد القاهر دراسة في إعجاز القرآن ورأي سيتضح عند الكلام عليه .

هذه أهم دراسات اعجاز القرآن ألممنا بها إلماماً لنكشف عن جهود مؤلفيها في البلاغة وتطورها ، ولنؤيد ما ذهب اليه القدماء من ان القرآن الكريم كان الدافع الاول الى التأليف فيها (٣) .

---

(١) المغني ج ١٦ ص ١٩٩ وما بعدها .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٠٧ — ٣٠٨ .

(٣) للتفصيل في هذه الموضوعات ينظر كتابنا « اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة » .

المفسرون

المفسرون هم الذين ينظرون في كتاب الله تعالى فيفسرون الفاظه ويوضحون معانيه ، ويبينون مقاصده واهدافه ، ويشرحون ما فيه من قيم رفيعة ونظرات عميقة، ويظهرون فنون القول فيه وروعة البيان، وعجز العرب ووقوفهم أمام عظمته مبهورين. ولكي يستطيع المفسر ان يقوم بهذا كله لا بدّ من ان يطلع على علوم اللغة العربية لينفذ إلى اسرار القرآن ويغوص على معانيه . والبلاغة احدى الوسائل المهمة التي تكشف أسرار الاعجاز وتوجّه الآيات التي لا يمكن حملها على الظاهر .

وقد شعر المفسرون بهذا العبء العظيم فأخذوا يضعون لدراساتهم القرآنية مقدمات بلاغية او يخوضون في مباحثها حينما يتحدثون عن الآيات وبلاغتها ، وصاروا ينبهون إلى أهمية ذلك . قال الطبري : « بيّنٌ أنّ الرسول عربي ، وان القرآن نزل بلسانه فالواجب ان تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد (ص) لمعاني كلام العرب موافقة ، وظاهره لظاهر كلامهم ملائما . فاذا كان ذلك كذلك فبيّن اذ كان موجودا في كلام العرب الايجاز والاختصار ، والاجتزاء من الاخفاء بالاظهار ، وبالقلة من الاكثار في بعض الاحوال واستعمال الاطالة والاكثار والترداد والتكرار ، واظهار المعاني بالاسماء دون الكناية عنها ، والإسرار في بعض الاوقات والخبر عن الخاص في المراد بالعام

وعن العام في المراد بالخاص الظاهر ، وعن الكناية والمراد منه المصرح ، وعن الصفة والمراد الموصوف ، وعن الموصوف والمراد الصفة ، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر ، وتأخير ما هو في المعنى مقدم ، والاكتفاء ببعض من بعض وبما يظهر عما يحذف واظهار ما حظه الحذف ان يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد (ص) من ذلك في كل ذلك له نظيراً وله مثلا وشبيها . ونحن مبينو جميع ذلك في اماكنه ان شاء الله ذلك وأمدّ منه بعون »[1] .

وقال جار الله الزمخشري : « أن أملأ العلوم بما يغمر القرائح ، وانهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتابه « نظم القرآن » . فالفقيه وان برّز على الأقران في علم الفتاوى والاحكام ، والمتكلم وان بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القريّة أحفظ ، والواعظ وان كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحوي وان كان أنحى من سيبويه ، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه ، لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما : علم المعاني وعلم البيان ، وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله »[2] .

وقال عبد القاهر الجرجاني : « ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم ان يتوهموا أبداً في الالفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل انها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ، ويبطلوا الغرض ، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بمواضع البلاغة وبمكان الشرف . وناهيك بهم اذا هم أخذوا في ذكر الوجوه،

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٦ .
(٢) الكشاف ج ١ ص : ك .

وجعلوا يكثرون في غير طائل . هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قدْ قدحوا به »[1] .

ورأى السكاكي ان دراسة البلاغة واجبة على المفسر ، قال : « الواقف على تمام مراد الحكيم — تعالى وتقدس — من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين — المعاني والبيان — كل الافتقار ، فالويل كل الويل لمن يتعاطى التفسير وهو فيهما راجل »[2] .

ومتى اتقن المفسر البلاغة وتفهمها استطاع التسلق للعثور على السبب في إنزال الله — سبحانه وتعالى — قرآنه المجيد على هذه المناهج ، اذ « لا علم في باب التفسير بعد علم الاصول أقرأ منهما — المعاني والبيان — على المرء لمراد الله تعالى من كلامه ، ولا أعون على تعاطي تأويل مشتبهاته ، ولا انفع في درك لطائف نكته واسراره ، ولا اكشف للقناع عن وجه اعجازه . هو الذي يوفي كلام رب العزة في البلاغة حقه ، ويصون له في مظان التأويل ماءه ورونقه . ولكم آية من آيات القرآن تراها قد ضيمت حقها واستلبت ماءها ورونقها ان وقعت إلى من ليسوا من أهل هذا العلم فاخذوا بها في مآخذ مردودة ، وحملوها على محامل غير مقصودة ، وهم لا يدرون انهم لا يدرون . فتلك الآي من مآخذهم في عويل ومن محاملهم في ويل طويل ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا »[3] .

واصبحت كتب البلاغة سبيلاً تفضي إلى رحاب القرآن ، ومعالم يهتدي بها الدارسون ، ويستعين بما فيها من ومضات مشرقة ولمحات بديعة المفسرون . ومن هنا كانت البلاغة مقدمة لدراسة كتاب الله وتفسيره وادراك فصاحته وبلاغته ، وصار الشيوخ لا يقدمون على تدريس كتب التفسير الا

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٣٦ .
(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ .
(٣) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

بعد ان يلم طلابهم بطرف من البلاغة وفنونها كما فعل أمير المؤمنين يحيى بن حمزة العلوي حينما ألف كتابه « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » ليكون عوناً لمن شرع في قراءة تفسير « الكشاف » عليه قال : « ثم ان الباعث على تأليف هذا الكتاب هو ان جماعة من الاخوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب الكشاف تفسير الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري فانه أسسه على قواعد هذا العلم فاتضح عند ذلك وجه الاعجاز من التنزيل، وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل ، وتحققوا انه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن الا بادراكه والوقوف على أسراره وأغواره .

ومن اجل هذا الوجه كان متميزاً عن سائر التفاسير ، لأني لم أعلم تفسيراً مؤسسا على علمي المعاني والبيان سواه ، فسألني بعضهم ان أملي فيه كتابا يشتمل على التهذيب والتحقيق »[1] .

وكتب التفسير كلها تخدم هذه الفكرة ، وليس من اليسير ان يلم الباحث بها جميعا ، ولعل الحديث عن بعضها يكشف جوانب مهمة منها ويصور منهجها . ومن أقدم ما وصل الينا كتاب « معاني القرآن » لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ــ ٢٠٧ هـ) وكتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ــ ٢٠٨ هـ) وهما من كتب التفسير الاولى ، وسنتحدث عنهما في اللغويين والنحاة ، لأن الفراء كان نحوياً كبيراً ، ولأن أبا عبيدة كان لغوياً قديراً ، وهما في المنهج يمثلان هذين التيارين أكثر من تمثيلهما لمنهج المفسرين والأصوليين.

ابن قتيبة :

ألف أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ــ ٢٧٦هـ) « تأويل مشكل القرآن»

---

(١) الطراز ج ١ ص ٥ .

وليس هذا تفسيراً للقرآن بمعناه المعروف ، وانما هو عرض لما خفي عن العامة الذين لا يعرفون الا اللفظ وظاهر دلالته على معناه [1] . وانما ادخلناه في كتب التفسير لانه يعالج الموضوع بما يقربه من المفسرين وان لم يتخذ منهجهم سبيلا .

وقد أولى البلاغة عناية كبيرة ، لانه صنفه للرد على الملحدين الذين يطعنون على القرآن الكريم ويقولون إنّ فيه تناقضاً وفساداً في النظم واضطرابا في الاعراب ، وهو طعن يرجع إلى جهلهم بأساليب العرب . قال : « وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير ، والحذف والتكرار ، والاخفاء والاظهار ، والتعريض والافصاح ، والكناية والايضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشيـــاء كثيرة ستّراها في أبواب المجاز » [2] .

وردّ قول من يرى ان المجاز كذب وقال : « واما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا انه كذب ، لان الجدار لا يريد والقرية لا تسأل ، وهذا من أشنع جهالاتهم وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم . ولو كان المجاز كذبا ، وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلا — كان اكثر كلامنا فاسدا ، لأنا نقول : « نبت البقل » و « طالت الشجرة » و « أينعت الثمرة » و « أقام الجبل » و « رخص السعر » . وتقول : « كان هذا الفعل منك في وقت كـــذا وكذا » والفعل لم يكن وانما كوّن . وتقول : « كان الله » و « كان » بمعنى حدث ، والله — جل وعز — قبل كل شيء بلا غاية لم يحدث فيكون بعد أن لم يكن . والله تعالى يقول : « فاذا عزم الامر » وانما يعزم عليه ، ويقول تعالى : « فما رِبحَتْ تجارتُهم » وانما يُربح فيها ، ويقول : « وجاءوا على قميصه

---

(١) البيان العربي لطبانه ص ٢٩ .
(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٥ .

وليس هذا تفسيراً للقرآن بمعناه المعروف ، وانما هو عرض لما خفي عن العامة الذين لا يعرفون الا اللفظ وظاهر دلالته على معناه [1] . وانما ادخلناه في كتب التفسير لانه يعالج الموضوع بما يقربه من المفسرين وان لم يتخذ منهجهم سبيلا .

وقد أولى البلاغة عناية كبيرة ، لانه صنفه للرد على الملحدين الذين يطعنون على القرآن الكريم ويقولون إنّ فيه تناقضاً وفساداً في النظم واضطرابا في الاعراب ، وهو طعن يرجع إلى جهلهم بأساليب العرب . قال : « وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير ، والحذف والتكرار ، والاخفاء والاظهار ، والتعريض والافصاح ، والكناية والايضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشيـــاء كثيرة ستراها في أبواب المجاز » [2] .

وردّ قول من يرى ان المجاز كذب وقال : « واما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا انه كذب ، لان الجدار لا يريد والقرية لا تسأل ، وهذا من أشنع جهالاتهم وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم . ولو كان المجاز كذبا ، وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلا — كان اكثر كلامنا فاسدا ، لأنا نقول : « نبت البقل » و « طالت الشجرة » و « أينعت الثمرة » و « أقام الجبل » و « رخص السعر » . وتقول : « كان هذا الفعل منك في وقت كــذا وكذا » والفعل لم يكن وانما كوّن . وتقول : « كان الله » و « كان » بمعنى حدث ، والله — جل وعز — قبل كل شيء بلا غاية لم يحدث فيكون بعد أن لم يكن . والله تعالى يقول : « فاذا عزم الامر » وانما يعزم عليه ، ويقول تعالى : « فما ربِحَتْ تجارتُهم » وانما يُربح فيها ، ويقول : « وجاءوا على قميصه

(١) البيان العربي لطبانه ص ٢٩ .
(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٥ .

بدم كَذِب » وانما كُذّب به . ولو قلنا للمنكر لقوله : « جداراً يريد ان ينقض » كيف كنت انت قائلا في جدار رأيته على شفا انهيار : رأيت جدارا ماذا ؟ لم يجد بدا من ان يقول : جدارا يهمّ ان ينقض او يكاد ان ينقض او يقارب ان ينقض . وأيّاً ما قال فقد جعله فاعلا ، ولا أحسبه يصل إلى هـذا المعنى في شيء من لغات العجم الا بمثل هذه الالفاظ »[1] .

تحدث ابن قتيبة في هذا الكتاب عن كثير من فنون البلاغة وعقد لها أبواباً هي : القول في المجاز ، والاستعارة ، والمقلوب ، والحذف والاختصار ، وتكرار الكلام والزيادة فيه ، والكناية والتعريض ، ومخالفة ظاهر اللفظ معناه . ولا نجد في الكتب المتقدمة هذا المنهج في دراسة البلاغة ، وهذه الابواب الواضحة المعالم ، وبذلك يعدّ ابن قتيبة من أوائل الذين فتحوا باب التأليف في هذا الفن لا ابن المعتز الذي قال عنه توري : « وكتابه الذي يعد فتحاً جديدا هو كتاب البديع »[2] .

ومنهج ابن قتيبة يقوم على تعريف الفن البلاغي وضرب الأمثلة من القرآن الكريم وبليغ كلام العرب وشعرهم . قال عن الاستعارة : « فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة اذا كان المسمى بها بسبب من الاخرى أو مجاوراً لها أو مشاكلاً ، فيقولون للنبات : « نوء » ، لانه يكون عن النوء عندهم ، قال رؤبة بن العجاج : « وجفّ أنواء السحاب المرتزق » أي : جف البقل . ويقولون للمطر : « سماء » لانه من السماء ينزل ، فيقال : « ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم » ، قال الشاعر :

إذا سقط السماءُ بأرض قـوم رعيناه وإنْ كانوا غضابـا

ثم قال : « فمن الاستعارة في كتاب الله قوله — عز وجل — : « يوم يُكْشَفُ عن ساقٍ » أي عن شدة من الامر ، كذلك قال قتادة ، وقال

(١) المصدر السابق ص ٩٩ — ١٠٠ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج ١ ص ٢٠٨ .

ابراهيم : عن امر عظيم . وأصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج إلى معاناته والجد فيه شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدة، وقال دريد ابن الصمـّـة :

كميشُ الإزار خارجٌ نصفُ ساقِـه صَبورٌ على الجلاّء طلاّع أنجـدِ

وقال الهذلي :

وكنت إذا جاري دعـا لمضوفـةٍ أشمـّرُ حتى ينصف الساقَ مئزري[1]

وليست الاستعارة في هذا الفصل كما عرفها المتأخرون وانما هي الوان مختلفة من المجاز . وهذه طبيعة البحث في المرحلة الاولى التي كان فيها ابن قتيبة رائداً من رواد البحث البلاغي ، وقد استفاد منه الكثيرون في المنهج وعرض الامثلة كثعلب وابن المعتز ، وبذلك خرجت البلاغة عما كانت عليه في « معاني القرآن » و « مجاز القرآن » وغيرهما من الكتب التي لم تفرد فصولا أو ابوابـاً للموضوعات ، ولم تضع لها تعريفات وتقسيمات .

ولابن قتيبة التفاتات بلاغية في كتبه الأخرى ومواقف نقدية كان لها اكبر الأثر في توجيه النقد في القرن الثالث للهجرة وما بعده ، لا مجال لذكرها في هذا الفصل لانها تخرج عن منهج المفسرين والأصوليين .

الزمخشري :

وكان جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ـــ ٥٢٨ هـ) من أكثر المفسرين عناية بالبلاغة ، وقد نثر في « الكشاف » مسائلها واستعان بها في تفسير القرآن الكريم . وعلما المعاني والبيان عنده من الوسائل المهمة في التفسير ، قال : « ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلاّ رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٠٢ وما بعدها .

وهما : علم المعاني وعلم البيان »[1] .

والزمخشري حينما يفسر الآيات يطبق اصول البلاغة عليها وينبه إلى ما فيها من أسرار الفصاحة والبلاغة حتّى قال ابن خلدون عن تفسيره : « وهو كله مبنيّ على هذا الفن، وهو أصله »[2] . ومن هنـــا كان دارسه بحاجة إلى ثقافة بلاغية واسعة . وقد شعر القدماء بذلك فكانوا اذا ما أقدموا على دراسته تزودوا بثقافة بلاغية ، ووضعوا الكتب لتعلمها كما فعل يحيى بن حمزة العلوي حينما شرع بعض طلابه يقرأون عليه الكشاف .

والموضوعات التي عالجها الزمخشري في أثناء تفسيره كلام الله كثيرة منها : القصر ، والوصل والفصل ، والتقديم والتأخير ، والحذف ، والالتفات ، والتشبيه ، والتمثيل ، والمجاز ، والاستعارة ، والجناس ، والطباق ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، واللف والنشر ، والمشاكلة ، والاستطراد ، والتوجيه ، التجريد .

وكانت عنايته بفنون المعاني والبيان عظيمة ، لانه يرى ان القرآن مختص بعلمين هما : المعاني والبيان ، أما عنايته بالبديع فلم تكن كبيرة ، ولكن لا وكما قال الصاوي الجويني الذي ذكر ثلاثة فنون بديعية هي : الجناس ، والمشاكلة ، واسلوب اللف ، وقال انها كل ما اهتم به الزمخشري[3] لأن في « الكشاف » ضروباً لم يلتفت اليها ، وهي مما لم يطلق عليها الزمخشري مصطلحات أو انه سماها بغير اسمائها المعروفة في كتب البلاغة المتأخرة .

لقد أشار الزمخشري إلى الجناس في قوله تعالى : « وجئتك من سبأ بنبــأ يقين » . والطباق في قوله : « ألا انهم هم السفهاءُ ولكنْ لا يعلمون » . وتأكيد المدح بما يشبه الذم في قوله : « وما نقموا منهم إلاّ أنْ يؤمنوا باللهِ العزيز

(١) الكشاف ج ١ ص : ك .
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .
(٣) منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه ص ٢٥٦ – ٢٥٩ .

الحميد » . واللف والنشر في قوله : « شَهْرُ رمضانَ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ » والمشاركة في قوله : « ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » ، وفي قوله : « تعلم ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسك » . والاستطراد في قوله : « ذلك خيرٌ لكم ، ذلك من آياتِ الله لعلهم يذكرون ». والتوجيه ويسميه « ذا الوجهين » في قوله تعالى : « ويقولون سمعنا وعصينا ، واسمعْ غيْرَ مسمع ، وراعنا ليّا بألسنتهم » . والتجريد في قوله : « ذلك جزاءُ أعداءِ الله لهم فيها دارُ الخلد » (١) .

ان هذه العناية بفنون البلاغة تعطي فكرة واضحة عن عمل الزمخشري ومدى افادته منها في تفسير القرآن الكريم . وقد خدم الدراسات القرآنية والبلاغية خدمة جلّى في هذا التفسير وان لم يصل إلى كنه الاعجاز واسراره العجيبة ، لأنه يرى ان أدراك ذلك كله أمر لا يرقى اليه البشر . قال مصوراً اعجاز النظم القرآني وبلاغته : « كلما ذهبت بفكرك في بلاغته التي حصرتْ دونها البلغاء حتى سخرت من فصاحتهم البيغاء ، ونظرت في سلامة سبكه المستغرب وسلاسة مائة المستعذب ورصانة نظمه المرصّف ومتانة نسجه المفوف ، وغرابة كنايته ومجازه ، وندرة اشباعه وايجازه ، وروعة اظهاره واضماره ، وبهجة حذفه وتكراره ، واصابة تعريفه وتنكيره ، وافادة تقديمه وتأخيره ، ودلالة ايضاحه وتصريحه ، ودقة تعريضه وتلويحه، وطلاوة مباديه ومقاطعه ، وفصوله ووصوله وما تناصر فيه من فروع البيان واصوله — ارتد فهمك وغراره كهامٌ ومدراره جهام ، حيرةً في أسلوبه الذي يكاد يسلب بحسنه العاقل فطنته ، وافتنانه الذي يكاد يفتن الناظر فيه وهو يميط عنه الفتنة » (٢) .

وللزمخشري في تفسيره آراء بلاغية ذات قيمة كبيرة اخذها عنه السكاكي

---

(١) ينظر الكشاف ج ٢ ص ١٤٢ ، ج ١ ص ٢٧ ، ج ٢ ص ٥٣٥ ، ج ١ ص ٨٩ ، ج ١ ص ٤٥ ، ج ١ ص ٢٨١ ، ج ٢ ص ٧٦ ، ج ٣ ص ٥٨ .

(٢) مقامات الزمخشري ص ١٥٦ — ١٥٨ ، النظم القرآني في كشاف الزمخشري ص ٢٤٩ .

والقزويني واصحاب الشروح والتلخيصات. وكان ما ذكره في الكشاف خاتمة الدراسات البلاغية الاصيلة وزبدة البحوث الجليلة ، فقد استطاع ان يطبق قواعد البلاغة واصولها على آي الذكر الحكيم ، وتمكن ان يتمثل نظرات عبد القاهر وآراءه ، وينساق في شرحها وايضاحها مما افاد البلاغة واكسبها جدة وطرافة ورونقاً ورواءً .

ومما أضافه إلى دراسة علم المعاني : التقديم والتأخير وما يتصل به من تعريف المسند اليه وتنكيره ، وتقييد الفعل بالشرط بعد « اذا » و « ان » و « لو » ومواقعها في التعبير ، والقصر ، والمعاني المجازية لاساليب الانشاء .

ومما أمد به علم البيان : استكمال صور الاستعارة وللمجاز المرسل والمجاز العقلي والكناية . يقول الدكتور شوقي : « يمكن ان يقال ان قواعد علم البيان قد كملت عنده كما كملت قواعد علم المعاني . وكل ما هناك انه بقي من يستقصيها ويتتبعها عنده وعند عبد القاهر وينظمها في مصنف يجمع متفرقها ويضم منثورها . والطريف ان الزمخشري وضعها في تضاعيف آي الذكر الحكيم فهي دائماً مقرونة بالمثال الذي يوضحها ويكشف عن دقائقها »[1] .

ولكي يتضح منهجه في تفسير الفن البلاغي نذكر مثالا يتصل باسلوب الالتفات . قال في تفسير « إيّاكَ نعبد وإياك نستعين » . « فان قلت : لمَ عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يُسمى الالتفات في علم البيان ، وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى : « حتى إذا كنتُمْ في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بهم » ، وقوله تعالى : « والله الذي أرْسَلَ الرياحَ فتثيرُ سحاباً فسقناه » .

وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات :

تطاول ليلُكَ بالإثمد ونام الخليُّ ولم ترْقُدِ

(١) البلاغة تطور وتأريخ ص ٢٦٥ .

وباتَ وباتَتْ لــه ليلـــةٌ كليلةِ ذي العائر الارْمَـــدِ
وذلـــك من نبـــأ جاءني وخُبِرته عن أبي الاسْـــوَدِ

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ، ولان الكلام اذا نقل من اسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظاً للإصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد » (١) .

وتحدث عن فنون البلاغة الاخرى بهذا الاسلوب ، وبذلك كانت دراسته تطبيقية تعتمد على التحليل والموازنة والتفصيل، لا على ذكر القواعد والتقسيمات والامثلة .

وللزمخشري رسالة « الدر الدائر المنتخب من كنايات واستعارات وتشبيهات العرب » قسم العربية فيها إلى قسمين : الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ولا يحتمل غير ظاهره ، والمشتمل على الكنايات والاشارات والتجوز . وهذا القسم هو المستحلى عند العرب ، وان كان القرآن قد نزل بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله (٢) .

وتحدث في هذه الرسالة عن التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والالتفات ، وتكرار الكلام ، والتقديم والتأخير ، والعام والخاص . وكان حديثه عنها يعتمد على الامثلة لا التعريفات والقواعد ، وبذلك لم تتضح آراؤه فيها كما اتضحت في تفسير الكشاف .

وللزمخشري — أيضا — « اساس البلاغة » تخير فيه ما وقع في عبارات المبدعين من التراكيب التي تملُح وتحسن ، وافرد المجاز عن الحقيقة ، والكناية عن التصريح . ومنهجه فيه يقوم على شرح المعاني الحقيقية للكلمات واضافة الاستعمالات المجازية، وذكر تصاريف الكلمات ومشتقاتها وجموعها ومعاني

---

(١) الكشاف ج ١ ص ١١ — ١٢ .
(٢) الدر الدائر المنتخب ص ٩ .

كل منها . وبذلك جمع هذا المعجم المفردات ومعانيها الحقيقية والمجازية وكثيرا من النصوص البليغة .

ومن أمثلة ذلك قوله في مادة « أ ب د » : « لا أفعله أبد الآباد وأبد الأبيد وأبد الآبدين . وتقول : رزقك الله عمراً طويل الآباد بعيد الآماد . وأبدت الدواب وتأبدت : توحشت ، وهي أوابد ومتأبدات . وفرس قيد الأوابد : وهي نفر الوحوش . وقد تأبد المنزل : سكنته الأوابد . وتأبد فلان : توحش . وطيور أوابد : خلاف القواطع » . ثم يقول : « ومن المجاز : فلان مولع بأوابد الكلام وهي غرائبه ، وبأوابد الشعر وهي التي لا تشاكَل جودة قال الفرزدق :

لن تدركوا كرمي بلؤمِ أبيكم وأوابدي بتنحّلِ الاشعارِ

قال النابغة :

نبئتُ زرعةَ والسفاهة كاسمها يهدي إليّ أوابدَ الاشعارِ [1]

وشرح الكلمات بهذا الاسلوب الذي يبين معنى الكلمة الحقيقي ، ثم معناها المجازي واستعمالاتها .

(١) أساس البلاغة ص ١ .

الاصوليون

أثّر الاصوليون والفقهاء في البلاغة ، وفي كتب أصول الفقه بحوث مستفيضة عن الخبر والانشاء ، والحقيقة والمجاز ، وهي بحوث تدل على استئثار علم اصول الفقه بها . قال السكاكي : « بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ؟ ومن يتولاها ؟ » [1] . واشار بهاءُ الدين السبكي إلى الصلة الوثيقة بين علمي المعاني واصول الفقه ، وقال : « واعلم ان علمي اصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فان الخبر والانشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الاصول ، وان كل ما يتكلم عليه الاصولي من كون الامر للوجوب والنهي للتحريم ، ومسائل الإخبار والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد والاجمال والتفصيل والتراجيح — كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني. وليس في اصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره الا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة » [2] .

ويرى ابن خلدون ان معرفة اركان علوم اللسان وهي : اللغة والنحو والبيان والادب، « ضرورية على أهل الشريعة، اذ مأخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي لغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

(٢) عروس الافراح — شروح التلخيص ج ١ ص ٥٣ .

مشكلاتها من لغاتهم فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن اراد علم الشريعة »[1] .

الشافعـــي :

وحينما نرجع إلى كتاب « الرسالة » للإمام محمد بن ادريس الشافعي (ــ ٢٠٤ هـ) نجد كثيرا من هذه الفنون ، ونراه يعرف البيان بقوله : « البيان : اسم جامع لمعانٍ مجتمعة الاصول متشعبة الفروع »[2] . ولا يريد به البيان الذي عرفه البلاغيون ، ولكنه ما يتعلق بالقرآن الكريم وطرق فهمه واستنباط الاحكام منه ، ولذلك يوجب على « كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به ان لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك »[3] . ثم يقول : « ان القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ، لانه لا يعلم من ايضاح جمل علم الكتاب احد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومَن علَمه انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهـــل لسانها »[4] .

واشار إلى ما في القرآن من اساليب العرب وقال : « فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها . وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها ، وان فطرته ان يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهرا يراد به العام الظاهر ، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره ، وعاماً ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه ، وعاماً ظاهرا يراد به الخاص ،

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .
(٢) الرسالة ص ٢١ .
(٣) الرسالة ص ٤٨ .
(٤) الرسالة ص ٥٠ .

مشكلاتها من لغاتهم فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن اراد علم الشريعة » [1] .

الشافعــي :

وحينما نرجع إلى كتاب « الرسالة » للإمام محمد بن ادريس الشافعي (ـ ٢٠٤ هـ) نجد كثيرا من هذه الفنون ، ونراه يعرف البيان بقوله : « البيان : اسم جامع لمعانٍ مجتمعة الاصول متشعبة الفروع » [2] . ولا يريد به البيان الذي عرفه البلاغيون ، ولكنه ما يتعلق بالقرآن الكريم وطرق فهمه واستنباط الاحكام منه ، ولذلك يوجب على « كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به ان لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك » [3] . ثم يقول : « ان القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ، لانه لا يعلم من ايضاح جمل علم الكتاب احد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومَن علمه انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهــل لسانها » [4] .

واشار إلى ما في القرآن من اساليب العرب وقال : « فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها . وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها ، وان فطرته ان يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهرا يراد به العام الظاهر ، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره ، وعاماً ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه ، وعاماً ظاهرا يراد به الخاص ،

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .
(٢) الرسالة ص ٢١ .
(٣) الرسالة ص ٤٨ .
(٤) الرسالة ص ٥٠ .

وظاهرا يعرف في سياقه انه يراد به غير ظاهره . فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره . وتبتدىء الشيء من كلامها يبيّن أول لفظها فيه عن آخره وتبتدىء الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله . وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الايضاح باللفظ كما تعرف الاشارة ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد اهل علمها به دون أهل جهالتها . وتسمي الشيء الواحد بالاسماء الكثيرة ، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة »(1) .

وهذه بعض الموضوعات التي تحدث عنها البلاغيون فيما بعد ، وبحثوها مستقلة عن الموضوعات الاخرى ، أما الامام الشافعي فقد اتخذها مقدمة لدراسة اصول الفقه وعقد لها ابوابا مثل : « باب ما نزل من الكتاب عاماً يراد به العام ويدخله الخصوص » كقوله تعالى : « القرية الظالم أهلها » لان كل اهل القرية لم يكن ظالما (2) . ومثل : « باب بيان ما انزل من الكتاب عام الظاهر وهو يجمع العام والخصوص » كقوله تعالى : « إنّا خلقناكم من ذكرٍ وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم » . قال الامام : « فاما العموم منهما ففي قول الله : « انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا » فكل نفس خوطبت بهذا في زمان رسول الله وقبله وبعده مخلوقة من ذكر وأنثى ، وكلها شعوب وقبائل . والخاص منها في قول الله : « إنّ اكرمكم عند الله أتقاكم » ، لان التقوى انما تكون على من عقلها وكان من أهلها البالغين من بني آدم دون المخلوقين من الدواب سواهم ، ودون المغلوبين على عقولهم منهم ، والاطفال الذين لم يبلغوا وعقل التقوى منهم »(3) .

و « باب بيان ما نزل من الكتاب عام الظاهر يراد به كله الخاص » كقوله تعالى : « ثم أفيضوا من حيث أفاضَ الناسُ » قال الشافعي : « فالعلم يحيط

---

(1) الرسالة ص ٥١ — ٥٢ .
(2) الرسالة ص ٥٥ .
(3) الرسالة ص ٥٧ .

ـ ان شاء الله ـ ان الناس كلهم لم يحضروا عرفة في زمان رسول الله ، ورسول الله المخاطب بهذا ومن معه ، ولكن صحيحاً من كلام العرب ان يقال : «أفيضوا من حيث أفاضى الناس » يعني : بعض الناس »[١] .

و « الصنف الذي يبين سياقه معناه » كقوله تعالى : « واسْألهم عن القريةِ التي كانَتْ حاضِرةَ البَحْرِ، إذْ يَعْدُونَ في السَّبْتِ ، إذْ تأتيهم حيتانُهم يوم سَبْتهم شُرَّعاً ويوم لا يَسْبِتُونَ لا تأتيهم ، كذلك نبلوهُم بما كانوا يَفْسُقُونَ »، قال : « فابتدأ جل ثناؤه ذكر الامر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر ، فلما قال : « إذ يَعْدُون في السبت » الآية .... دَلَّ على انه انما أراد أهل القرية ، لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره ، وانه انما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون »[٢] .

وتتجلى في هذه الابواب معرفة الشافعي بأساليب العرب واطلاعه على اللغة وقدرته على فهم حقيقتها ومجازها وعامها وخاصها واستنباط الاحكام والاصول . وكانت دراسته هذه مدعاة لخوض الأصوليين والفقهاء في البلاغة وادخالها في كتبهم . وبنوا على ذلك طريقة الاجتهاد البياني ، وصار العلماء عندما يقفون أمام نص ليفهموه يستعينون بهذا الاسلوب . وهم يقسمون النص إلى الفاظ ومعان ، ثم يقسمون الالفاظ اربعة أقسام هي : وجوه النظم صيغة ولغة ، ووجوه البيان، بذلك النظم والوجوه التي تقابل وجوه القسم الثاني من حيث خفاء المعنى المقصود، ووجوه استعمال ذلك النظم . اما المعاني فيقسمونها اربعة : ما كان يوقف عليها بعبارة النص، وباشارته، وبدلالته، وباقتضائه[٣] .

ولو مضينا نتلمس هذا الجانب لرأيناه في كتب أصول الفقه كلها ، وسنقف قليلاً عند بعضها لنوضح هذا الجانب .

---

(١) الرسالة ص ٦١ .

(٢) الرسالة ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٣) ينظر المدخل إلى علم أصول الفقه للدواليبي ص ٤٢٤ وما بعدها .

البصري المعتزلي :

لأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي (— ٤٣٦ هـ) كتاب « المعتمد في أصول الفقه » ضمّ كثيراً من بحوث البلاغة كحقيقة الكلام واثبات الحقيقة والمجاز واحكامها ، والأوامر والنواهي والعموم والخصوص والمجمل والمبيّن . وقد قال المعتزلي متحدثا عن ابواب الأصول : « إعلم انه لما كانت اصول الفقه هي طرق الفقه وكيفية الاستدلال بها وما يتبع كيفية الاستدلال بها ، وكان الامر والنهي والعموم من طرق الفقه ، وكان الفصل بين الحقيقة والمجاز تفتقر اليــه معرفتنا بان الامر والنهي والعموم الذي يفيد على الحقيقة وعلى المجاز — وجب تقديم أقسام الكلام، وذكر الحقيقة منه والمجاز واحكامهما وما يفصل به بينها على الاوامر والنواهي ليصح ان نتكلم في ان الامر اذا استعمل في الوجوب كان حقيقة ، ثم الحروف لانه قد يجري ذكر بعضها في ابواب الامر ، فلذلك قدمت عليها . ثم نقدم الأوامر والنواهي على باقي الخطاب لانه ينبغي ان يعرف فائدة الخطاب في نفسه ، ثم نتكلم في شمول تلك الفائدة وخصوصها وفي إجمالها وتفصيلها ، ونقدم الامر على النهي لتقديم الاثبات على النفي ، ثم نقدم الخصوص والعموم على المجمل والمبين ، لأن الكلام في الظاهر اولى بالتقديم من الخفي ، ثم نقدم المجمل والمبين على الافعال لانهما من قبيل الخطاب ، ولان المجمل كالعموم في انه يدل على ضرب من الإجمال فجعل معه »[1] .

ان البصري قدّم هذه البحوث على موضوعات الفقه واصوله ، لانهــا الخطوة الاولى لدراسته ، والسبيل الموصل الى فهم القرآن والسنة واستنباط الاحكام ، ولأن الامر والنهي والعموم والحقيقة والمجاز من طرق الفقه .

---

(١) المعتمد في أصول الفقه ج ١ ص ١٣ .

الغـزالي :

وللفقيه الشافعي الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ـ ٥٠٥ هـ) آراء في البلاغة ، وفي كتابه « المستصفى من علوم الاصول » فصول كثيرة عنها ، فقد خص القطب الثالث لمباحثها وتكلم على مبدأ اللغات والأسماء العرفية والاسماء الشرعية وعقد الفصل السابع في الحقيقة والمجاز ، وقال عن المجاز انه : « ما استعملته العرب في غير موضوعه » [١] ، وهو ثلاثة أنواع :

الاول : ما استعير للشيء بسبب المشابهة في خاصية مشهورة .

والثاني : الزيادة .

والثالث : النقصان .

وتحدث بعد ذلك عن المجمل والمبيّن والظاهر ، والمؤول ، والأمـر والنهي ، والعام والخاص ، وقال ان هذا القطب « عمدة علم الأصول : لأنه ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الاحكام من أصولها واجتنائها من أغصانها» [٢] .

ومن ذلك ما رواه ابن الأثير قال : « وكنت اطلعت في كتاب مـن مصنفات ابي حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ ألفه في اصول الفقه ، ووجدته قد ذكر الحقيقة والمجاز ، وقسم المجاز الى أربعة عشر قسما ، وتلك الاربعة عشر ترجع الى الثلاثة التي اشرت اليها وهي : التوسع والتشبيه والاستعارة ، ولا تخرج عنها [٣]» . وذكر ابن الاثير هذه الاقسام وهي : ما جعل للشيء بسبب المشاركة في خاصة ، وتسمية الشيء باسم ما يؤول اليه ، وتسمية الشيء باسم فرعه ، وتسمية الشيء باسم اصله ، وتسمية الشيء بدواعيه ، وتسمية الشيء

---

(١) المستصفى ج ١ ص ٣٤١ .

(٢) المستصفى ج ١ ص ٣١٥ .

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٣٦٨ وما بعدها .

باسم مكانه ، وتسمية الشيء باسم مجاوره ، وتسمية الشيء باسم جزئه ، وتسمية الشيء باسم ضده ، وتسمية الشيء بفعله ، وتسمية الشيء بكله ، والزيادة في الكلام لغير فائدة ، وتسمية الشيء بحكمه ، والنقصان الذي لا يبطل به المعنى .

ورد ابن الاثير هذه الاقسام الكثيرة التي اخذ بها المتأخرون من علماء البلاغة حينما تحدثوا عن المجاز المرسل ، ورأى انها ترجع الى التوسع والتشبيه والاستعارة . ومهما كان هذا الرأي فان الامام الغزالي تحدث عن المجاز وقسمه هذا التقسيم الذي كان عمدة البلاغيين المتأخرين ، وهذا دليل على ان علماء الفقه واصوله خاضوا في البلاغة وتعمقوا في فنونها واتخذوها سبيلا يوصل الى فهم القرآن الكريم واستنباط الاحكام الشرعية . ومن هنا كانت لهم يد طولى في هذا العلم الذي تظافرت على إرساء قواعده جهود كثيرة .

الآمدي :

ولأبي الحسن علي بن ابي علي سيف الدين الآمدي (— ٦٣١ هـ) كتاب « الإحكام في اصول الأحكام » تحدث فيه عن المبادىء اللغوية وانواع اللفظ وحقيقته ، والاسم والفعل واقسامه ، والحرف واصنافه ، وحقيقة الخبر وانقسامه الى صادق وكاذب ، ودلالات النظم وهي تسعة : الامر ، والنهي ، والعام ، والخاص ، وتخصيص العموم ، وادلة تخصيص العموم ، والمطلق ، والمقيد ، والمجمل ، والبيان والمبين ، والظاهر وتأويله (١) .

وتحدث عن هذه الموضوعات ايضا في كتابه « منتهى السول في علم الاصول » وهي من الفنون التي عنيت بها كتب البلاغة .

---

(١) الاحكام في أصول الاحكام ج ١ ص ١٦ – ١١٢ ، ج ٢ ص ٢ – ٢٠ ، ١٨٨ وما بعدها ، ج ٣ ص ٢ وما بعدها .

وألف بعض الفقهاء وعلماء أصول الشريعة كتبا في البلاغة منهم :

ابن عبد السلام :

ألّف الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (— ٦٦٠ هـ) كتاب « الاشارة الى الايجاز في بعض انواع المجاز » . ولم يكتب له مقدمة يوضح فيها منهجه ومصادره واكتفى بقوله : « الحمد لله الذي بعث نبينا بجوامع الكلم واختصر له الحديث اختصارا ليكون اسرع الى فهم الفاهمين وضبط الضابطين وتناول المتناولين ، فكل كلمة يسيرة جمعت معاني كثيرة فهي من جوامع الكلم والاختصار هو الاقتصار على ما يدل على الغرض مع حذف او اضمار ، والعرب لا يحذفون ما لا دلالة عليه ولا صلة اليه ، لان حذف ما لا دلالة عليه مناف لغرض وضع الكلام من الافادة والافهام ، وفائدة الحذف تقليل الكلام وتقريب معانيه الى الافهام »[1] .

والكتاب في بابين ، الاول : انواع الحذف ، تحدّث فيه عن تسعة عشر نوعا ، وتدخل كلها في باب النحو : كحذف المضافات او اجوبة الشروط او حذف المبتدأ او الخبر او حذف الجملة . والمؤلف في هذا الباب يذكر الآيات التي تدخل في كل نوع من هذه الانواع ويعلق تعليقا يسيرا ، ففي قوله تعالى : « حَرَّمنا عليهم طيباتٍ أُحلّتْ لهم » قال : « اي : حرمنا عليهم اكل طيبات أُحل لهم اكلها او تناولها . وتقدير التناول أولَى ليدخل فيه شرب ألبان الابل فانها من جماعة ما حرم عليهم »[2] .

وليس في هذه الانواع حديث عن البلاغة أو فنونها ، ولكن الاقسام التي

---

(١) الاشارة إلى الايجاز في بعض أنواع المجاز ص ٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٧ .

تحدث عنها في هذا الباب ادخلها البلاغيون المتأخرون في موضوع الايجاز والاطناب .

والباب الثاني في المجاز ، وقد عرفه بقوله : « المجاز فرع للحقيقة ، لأن الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع دالاً عليه أولاً ، والمجاز استعمال لفظ فيما وضع دالاً عليه ثانياً لنسبة وعلاقة بين مدلولي الحقيقة والمجاز ، فلا يصح التجوز الا بنسبة بين مدلولي الحقيقة والمجاز ، وتلك النسبة متنوعة ، فإذا قوي التعلق بين محلي الحقيقة والمجاز فهو المجاز الظاهر الواضح ، واذا ضعف التعلق بينهما الى حدّ لم تستعمل العرب مثله ولا نظيره في المجاز فهو مجاز التعقيد، فلا يحمل عليه شيء من الكتاب والسنة ولا ينطق به فصيح »[1] .

ولم يقسم المجاز الى انواعه المعروفة ، وانما تحدث عنه حديثا عاما وجمع بين اضربه وعلاقاته وذكر أنواعا من التعلقات المصححات للمجاز كتجوز العرب بلفظ العلم عن المعلوم وبلفظ المعلوم عن العلم وبلفظ القدرة عن المقدور وبلفظ المقدور عن القدرة ، وهذا لا نجده في كتب البلاغة وانما هو من بحوث الفقهاء الذين يعنيهم فهم كتاب الله العزيز .

وأشار الى تجوز العرب في الاسماء والحروف والافعال ، وأدخل في هذا البحث خروج الحروف عن معانيها الاصلية ، والتجوز بالماضي عن المستقبل ، والتعبير بالمستقبل عن الماضي . وذكر خروج الخبر والامر والنهي عن معانيها الحقيقية . ثم تحدث عن انواع كثيرة من المجاز لم يتعرض لها البلاغيون كالتجوز بلفظ البشر عن المبشر به ، والتعبير بلفظ البعض عن الكل ومجاز التضمين . وأدخل في هذه الانواع كثيراً مما يتصل بالمجاز المرسل ، ولكنه لم يسمّه بهذا المصطلح المعروف وانما اكتفى بالاشارة الى علاقاته وامثلته .

وتكلم على مجاز التشبيه ، وهو ما حذفت فيه اداة التشبيه ، وقال : والعرب

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨ .

شبهوا جرماً بجرم او معنى بمعنى او معنى بجرم، فان أتوا بأداة التشبيه كان ذلك تشبيهاً حقيقيا ، وان اسقطوا اداة التشبيه كان ذلك تشبيها مجازيا ، ولذلك أمثلة منها قوله : « وازواجه أمهاتُهم » ، اي مثل امهاتهم في الحرمة وتحريم النكاح »[1] .

وذكر أنواعه ، وهي ليست ما تحدث عنه البلاغيون وانما هي التجوز بلفظ الصراط او مدح الاقوال والافعال والتجوز بالروح عن الوحي ووصف الكتاب وكأنه يريد بذلك ما ورد من تشبيهات في القرآن الكريم. وقد ادخل فيها الامثال وهي بمعنى الصفات والقصص والاهوال ، وقال : « لما كان المثل السائر مستغرباً مستعجباً منه شبهت به كل صفة عجيبة مستغربة لمشاركتهن المثل السائر في الاستغراب ، وهي كثيرة في القرآن . فاذا قلت : « مَثَلُهم كَمَثَلِ الذي استوقَدَ ناراً » كان المعنى : حالتهم المستغربة العجيبة في الاستغراب كحال الذي استوقد نارا »[2] . وذكر بعد ذلك امثلة من حذف المضافات بحسب ترتيب السور والآيات ، وختم كتابه بنبذ من مقاصد القرآن وفائدة اسمائه وتقسيم سوره وانقسام التفسير ، ومن قال في القرآن برأيه .

ان عز الدين بن عبد السلام كان بعيداً عن البلاغة بأسلوبها الذي ورثه عن الاوائل ، لانه اتجه الى تبيان ما في القرآن من إيجاز ومجاز ، غير ملتفت الى التعريفات والتقسيمات . وكان جل همه ان يخدم كتاب الله ويوضح مجازاته ، ومن هنا اختلف كتابه عن كتب البلاغة وكان اقرب الى الدراسات القرآنية التي اتخذت من البلاغة سلّما ترقى به الى كشف الاعجاز .

ابن قيم الجوزية :

وألّف الإمام شمس الدين أبو عبدالله محمد المعروف بابن قيم الجوزية

(١) المصدر السابق ص ٨٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢١ .

(ـ ٧٥١ هـ) كتاب « الفوائد ـ المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » ليبيّن ما تضمنه القرآن الكريم من أنواع البيان وأصناف البديع وفنون البلاغة وعيون الفصاحة واجناس التجنيس. وقد اوضح انه لا يمكن ان يعرف فضل الكتاب العزيز الا من عرف كلام العرب وبلاغتهم وبيانهم وضروب فصاحتهم ، ولأجل ذلك بحث في البلاغة لتكون عوناً لمن يريد دراسة القرآن .

ذكر في المقدمة انه لم يجمع هذه الفوائد الا بعد ان اطلع على كتب المتقدمين والمتأخرين كالبديع لابن المعتز ، والحالي والعاطل وحلية المحاضرة للحاتمي ، وكتاب الصناعتين للعسكري ، واللمع للعجمي ، والمثل السائر والجامع الكبير لابن الاثير ، والبديع في نقد الشعر لابن منقذ ، والعمدة ونظم القرآن للزنجاني ، ونهاية التأميل في كشف أسرار التنزيل لابن الزملكاني ، وبديع القرآن لابن أبي الاصبع المصري . واضاف الى ذلك كله فوائد مستعذبة وفرائد حسنة المساق مستغربة نقلها عن الائمة والاعلام والاكابر وما تفضل الله به ومنح من مهمل ابانه ومجمل فصّله وشارد قيده .

وهذه دعوى عريضة أطلقها ، لانه لم يضف الى البلاغة شيئاً مهماً الا بعض الجزئيات التي هي في الحقيقة امثلة وليست مسائل مستقلة ، والا بعض التقسيمات. غير انه يرجّح احياناً رأياً او يقبل ما يوحيه ذوقه ويمليه وجدانه . قال بعد ان ذكر اقوالا في تعريف البلاغة : « ويجوز عندي ان يكون الكلام البليغ الذي بلغ جودة الالفاظ وعذوبة المعاني الى غاية لا يبلغ الى مثلها الا مثله »[1] .

وقسم كتابه الى اثنين وثلاثين ومائة قسم منها اربعة وعشرون في المجاز ، واربعة وثمانون فيما يخص المعاني ، واربعة وعشرون فيما يتعلق باللفظ . ويبدو في الكتاب تقسيمان واضحان للبلاغة ، فقد بحث في القسم الاول الفصاحة والاستعارة والتشبيه والمجاز والتقديم والتأخير والايجاز والاختصار . وتكلم في

(١) الفوائد ص ٩ .

الثاني على ما يختص بالمعاني وذكر فيه الكناية والتعريض والموضوعات التي اعتبرها السكاكي محسنات لفظية ومعنوية . وقد أولع بالتقسيمات والتعريفات وشعّب المسألة الواحدة عدة شُعَب .

وانفرد عن غيره من علماء البلاغة في عصره بناحية ، وذلك انه وضع منهجاً لكل موضوع ، ثم شرع بعد ذلك يتحدث عن كل مسألة ذكرها في اول الفصل المعقود من اجله . قال في بحث الاستعارة : « واذا تقرر هذا الكلام ، فالكلام في الاستعارة على وجوه :

الاول : هل هي من أنواع المجاز ؟

الثاني : في حدّها .

الثالث : في أقسامها .

الرابع : في اشتقاقها .

الخامس : فيما تتهيأ به الاستعارة وما لا تتهيأ .

السادس : في الاستعارة التخييلية .

السابع : في الاستعارة المجردة .

الثامن : في الاستعارة المرشحة .

التاسع : في الاستعارة الحسنة .

العاشر : في الاستعارة القبيحة .

الحادي عشر : في بيان ما يظن انه استعارة وليس باستعارة .

الثاني عشر : في الاستعارة بالكناية .

الثالث عشر : فيما تتنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة [1] .

ثم قال : « أما الاول ... وأما الثاني ... » ومضى يتحدث عن كل قسم ،

---

(١) الفوائد ص ٤٣ .

وهو في ذلك صاحب منهج واضح يضع الخطة والهيكل العام ثم يأخذ في تطبيق الخطة وبناء الهيكل .

ويلاحظ انه توسّع في بحث المجاز وادخل فيه التشبيه والمجاز بأنواعه والايجاز والاختصار والحذف والتقديم والتأخير . وهذا ما لا نجده عند غيره ، ولعله نظر الى كتاب عز الدين بن عبد السلام السابق ، واستوحى منه هذا المعنى الواسع للمجاز .

وعقد باباً تحدث فيه عن أربعة وثمانين موضوعاً أدخل المتأخرون بعضها في المحسنات المعنوية وأدخلوا بعضها الآخر في علم البيان .

وعقد الفن الثاني من فنون الكتاب لبحث ما يتعلق بالالفاظ من الفصاحة ، وقال عن الموضوعات التي ذكرها في هذا الفن : « وهذا الفن يسمى ايضا البديع ، والبديع علم يبحث فيه عن احوال اللفظ المؤلف من حيث لا يمكن ان يؤتى به الا بحسن النظام »[1] . وتكلم فيه على موضوعات كثيرة أدخل المتأخرون بعضها في البديع كالاشتقاق والتسجيع والترصيع والتوشيح ولزوم ما لا يلزم، ورد العجز على الصدر ، كما تكلم على موضوعات لم يدخلوها في البديع كالتهذيب والانسجام والجزالة والرذالة والسهل الممتنع والرشاقة والجهامة . وبذلك يكون هذا الفن عنده اوسع افقاً من البديع الذي وضع السكاكي خطوطه العامة وأرسى القزويني قواعده واصوله .

وختم الكتاب بفصل في ذكر ما اشتق منه القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وبيان معانيها ، وأردفه بفصول في ذكر إعجاز القرآن الكريم وأوجهه وانتهى الى ان « الاقرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيف والتحريف والزيادة والنقصان فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن » .

---

(١) الفوائد ص ٢١٨ .

هذا منهج ابن قيم الجوزية في كتابه « الفوائد » وهو يختلف كل الاختلاف عما عرف في عهده . ولعل تأثره بابن الاثير وابن أبي الاصبع المصري ابعده عن منهج السكاكي والقزويني ، وان كان مولعاً بالتحديد والتقسيم .

ومما يحمد له اشارته الى موضوعات تحدث عنها النقاد ولم يتحدث عنها البلاغيون المتأخرون كالجزالـــة والرذالة ، والسهل الممتنع ، والرشاقة والجهامة .

ومن فصول كتابه الطريفة بحث التكرار الذي أحسن فيه واجاد، وذكر الفائدة التي يؤتى به من أجلها ، وما يتهيأ فيه التكرار الحسن منه والقبيح .

وأجاد في بحث الكناية وأدخل فيها الإرداف ، لأنها عنده أربعة اقسام : التمثيل والإرداف والمجاورة وغير هذه الأنواع الثلاثة . وهو يتابع في تقسيمها ابن الاثير في كتابه « الجامع الكبير » ، وقد اعترف بهذا الاخذ ورأى ان ما ذكره ابن الاثير آثر ما ذُكر [1] . وبحث الاشارة في باب مستقل وفصلها عن الكناية مع ان الامثلة التي ذكرها جعلها المتأخرون من الكناية مثل : « فلان طويل النجاد ، رفيع العماد ، كثير الرماد » . وتكلم على الايماء ، وادخل في الاشارة المعميات والالغاز والتورية ، وفرّق بين الاشارة والكناية وهي عنده في الحسن اما الكناية ففي القبيح [2] . وافرد التعريض وعقد له فصلاً بينما تكلم عليه المتأخرون في بحث الكناية . وخالف ما تعارف عليه المتأخرون في بحث تجاهُـــل العارف ، فقد تكلم عليه في فصل الاستفهام بينما ادخله البلاغيون في البديـــع .

وفرّق بين المقابلة والمطابقة بقوله : « فالفرق بين المقابلة والطباق مـــن وجهين :

الاول : ان الطباق لا يكون الا ضدين غالباً مثل قوله تعالى : « هو الذي

---

(1) الفوائد ص ١٢٧ .
(2) الفوائد ص ١٢٦ .

أحياكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم » واشباه ذلك . والمقابلة تكون غالباً بالجمع من أربعة اضداد : ضدين في صدر الكلام ، وضدين في عجزه وتبلغ الى الجمع من عشرة اضداد ، خمسة في الصدر وخمسة في العجز .

الثاني : لا يكون الطباق الا بالاضداد ، والمقابلة تكون بالاضداد وغيرها»[1]

وهذا ليس قليلا من رجل عاش في فترة كسد فيها الأدب وخبا نجم النقد وأفل . ويكفيه انه كان حر التفكير قوي التعبير لم يتقيد بموازين عصره ومناهج بحثه وانما اختط لنفسه سبيلا حلّق بها في أجواء الادب ورحابه . ولو أتاحت له الايام حياة هانئة مستقرة لأتى بكل رائع ، ولكنه كان يسعى وراء الحق فناله من ذلك أذىً عظيم .

هذا ما كان من امر القديم. ولو نظرنا في كتب اصول الفقه الحديثة لرأيناها لا تخرج عما اختطه الامام الشافعي والاصوليون ، ووجدنا العناية كبيرة بموضوعات البلاغة وفنونها كالخاص والعام والامر والنهي والحقيقة والمجاز والتصريح والكناية .

ان اهتمام علماء أصول الفقه بالمباحث البلاغية التي وشحوا بها كتبهم واعتبروها من طرق الفقه دفع البلاغة الى وضع القواعد الواضحة والتقسيمات الدقيقة لحاجتهم اليها في استنباط الاصول والاحكام .

* * *

---

(١) الفوائد ص ١٤٨ .

اللغويون والنحاة

الفصل الثالث

اللغــويون

للغويين يد طولى في نشأة البلاغة وتطورها ، وقد ظل دورهم مشهودا منذ عهد التدوين واستطاعوا ان يسيطروا على مناهج الدرس ويرفعوا لواء المحافظة على اللغة ويردوا المحدثين وما ذهبوا اليه . وأخبار الخصومة بين الشعراء واللغويين والنحاة مستفيضة ، من ذلك ان ابن ابي اسحاق اعترض على الفرزدق لرفع « مجلف » في قوله :

وعضّ زمانٌ يا ابنَ مروانَ لم يَدَعْ ... مـن المـال إلاّ مسحتاً أو مجلّفُ

فقال : علام رفعت « مجلفُ » ؟ فردّ الفرزدق : على ما يسوؤك وينوؤك علينا ان نقول وعليكم ان تتأولوا .

وانه قال للفرزدق أيضا : إنك أسأت في قولك :

مستقبلينَ شمالَ الشـامِ تضربُهم ... بحاصبٍ كنديف القطن منثورِ

عـلى عمائمنـا تُلْقَى وأرحلِنا ... على زواحفَ تزجى مخهـا ريرِ

وانما هو « ريرٌ » وكذلك قياس النحو في هذا الموضع .

وكان يكثر الرد عليه حتى قال فيه :

فلو كان عبدُالله مولـىً هجوته ... ولكنّ عبدَ الله مولَى مواليـا

فرد عليه قائلا : إنها « مَوْلى موالٍ » [1] .

وكان الخليل بن احمد يقول لابن مناذر : « إنما انتم معشر الشعراء تبع لي وانا سكان السفينة ، ان قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم والا كسدتم » فقال ابن مناذر : « والله لاقولَنّ في الخليفة قصيدة امتدحه بها ولا أحتاج اليك فيها عنده ولا إلى غيرك » [2] .

وكانوا يستهينون بالنحاة ولا يقبلون أحكامهم ، قال أبو أحمد العسكري : « أخبرنا ابو بكر محمد بن يحيى قال : حدثني علي بن العباس قال : رآني البحتري ومعي دفتر فقال : ما هذا ؟ فقلت : شعر الشنفرى . قال : وإلى أين تمضي ؟ قلت : أقرأه على أبي العباس أحمد بن يحيى . قال : رأيت ابا عباسكم هذا منذ أيام فلم أرَ له علماً بالشعر مرضياً ولا نقداً له ورأيته ينشد أبياتاً صالحة ويعيدها إلاّ انها لا تستوجب الترديد والاعجاب بها » [3] . ووقف بعض البلاغيين بوجه اللغويين والنحاة ايضا وسخروا منهم كابن الاثير الذي قال وهو يتحدث عن ابن جني : « لكنّ فنّ الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والاعراب » [4] .

ان هذا الصراع بين اللغويين والنحاة والشعراء أفاد الادب ودفع الجميع الى البحث والتفكير فكانت الكتب العظيمة والآراء السديدة . واذا كان موقف الشعراء يتسم بالمغالاة ، فان اللغويين والنحاة أثروا في نشأة البلاغة وتطورها ، وكانت لهم وقفات محمودة والتفاتات بارعة دخلت كتب البلاغة فيما بعد . ومن أقدم الذين اهتموا باللغة وشواردها والنظر في الشعر :

---

(١) ينظر طبقات فحول الشعراء ص ١٦ ، والموشح ص ١٥٦ ، وتأريخ النقد الادبي عند العرب لطه ابراهيم ص ٥٢ ، والنقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي ص ١٩ ، وتأريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٨٤ ، والتركيب اللغوي للأدب ص ٨ – ٩ .

(٢) الاغاني (ط الهيئة المصرية ١٩٧٠) ج ١٨ ص ١٨٤ .

(٣) المصون في الادب ص ٤ .

(٤) المثل السائر ج ١ ص ٣٨٣ ، وينظر الاستدراك ص ١٣ وما بعدها .

أبو عبيدة :

معمر بن المثنى (— ٢٠٨ هـ) الذي ألف كتاب « مجاز القرآن » من اجل مسألة تتصل بالتشبيه وكون المشبه به معلوما أو مجهولا في قوله تعالى : « طَلْعُهَا كأنّه رؤوسُ الشّياطين » ، وقول امرىء القيس :

أيقتلنـــي والمشرفيُّ مضاجعـــي ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغوال

و « مجاز القرآن » ليس كتاباً بلاغيا بالمعنى المعروف ، وانما هو في تفسير الآيات القرآنية وايضاح ما فيها من غريب اللغة ووجوه نظم القرآن التي لهـا نظائر في كلام العرب . فهو من كتب التفسير وكان حقه ان يكون في باب المفسرين لولا ان صاحبه عرف باللغة والرواية . والعجيب ان الباحثين اختلفوا في هذا الكتاب فعده بعضهم من كتب « المجاز » بمعناه البلاغي لاسيما اصحاب اصول الفقه حينما يتحدثون في مقدماتهم اللغوية . فهذا أبو إسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي الشافعي (— ٤٧٦ هـ) يقول في كتابه « اللمع في اصول الفقه » في باب الحقيقة والمجاز : « ويعرف المجاز من الحقيقة بوجوه : منها أن يصرحوا بأنه مجاز ، وقد بيّن أهل اللغة ذلك ، وصنف أبو عبيدة كتاب المجاز في القرآن وبيّن جميع ما فيه من المجاز »[1] .

وذهب الدكتور طه حسين الى انه كتاب في اللغة وقـال : « فأما ان أبا عبيدة معمر بن المثنى قد ألف كتابا سماه « مجاز القرآن » فليس يدل على أنّ أبا عبيدة قد كان يعرف علم البيان بحدوده واصوله.وانما كان لفظ « المجاز » عند أبي عبيدة لفظاً مبهماً غير محدود ، وقد قرأنا قطعة من هذا الكتاب مخطوطة بدار الكتب الملكية فاذا هو كتاب في اللغة توخى فيه أبو عبيدة ان يجمع الالفاظ التي اريد بها غير معناها الوضعي من غير ان يفرق بين أنواع المجاز ولا ان يلاحظ شرائطه وقيوده . ولقد سئل مرة عن قول الله — عز وجل — : «طَلْعُهَا

---

(١) اللمع في أصول الفقه ص ٥ ، وينظر مناهج تجديد ص ١٠٧ .

كأنّه رؤوسُ الشّياطينِ » فقال : هو مجاز كقول امرىء القيس : « ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغوال » . ولو انه سئل عن تفصيل هذا المجاز وبيان نوعه وقرينته لما وجد الى الاجابة من سبيل ، لان هذا العلم لم يكن في أيامه معروفا » [١] .

ورأى المرحوم ابراهيم مصطفى ان كلمة « المجاز » عند أبي عبيدة «مناظرة لكلمة «النحو» في عبارة غيره من علماء العربية فانهم سمّوا بحثهم النحو أي سبيل العرب في القول ، واقتصروا منه على ما يمس آخر الكلمة . وسمى بحثه المجاز ، أي طريق التعبير ، وتناول غير الاعراب من قوانين العبارة العربية ، ولم يكثر ما اكثر سيبويه وجماعته ، ولم يتعمق ما تعمقوا ، ولا أحاط إحاطتهم ، ولكنه دل على سبيل تبصرة انصرف الناس عنها غافلين » [٢] .

وكان المرحوم امين الخولي اكثرهم توفيقاً واقربهم الى الحقيقة حينما وصفه بأنه كتاب تفسير ، قال : « ويبدو ان اقرب الجامعيين الى الصواب في وصف « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ، هو الدكتور طه حسين بقوله عما قرأه منه : «توخى فيه ابو عبيدة ان يجمع الالفاظ التي اريد بها غير معناها الوضعي ، من غير ان يفرق بين انواع المجاز ولا ان يلاحظ شرائطه وقيوده » . وان لم يصح قوله : ان كتاب المجاز كتاب في اللغة .... واما عدّه كتاب نحو فضرب من التكلف يكفي في بيانه ما سنورده من وصف الكتاب قريبا » . ثم قال : « ونستطيع الاطمئنان الى وصف كتاب ابي عبيدة بأنه كتاب تفسير » [٣] .

وبيان أبي عبيدة في هذا الكتاب يؤيد ما قاله ابن تيمية : « وأول من عرف انه تكلم بلفظ المجاز ابو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ، ولم يَعْنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة ، وانما عنى بمجاز الآية ما يعبّر به عن الآية » [٤] .

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ص ٩٧ .
(٢) احياء النحو ص ١٢ .
(٣) مناهج تجديد ص ١١٣ .
(٤) كتاب الايمان ص ٣٥ .

وكتاب « مجاز القرآن » يُعنَى بالغريب والمجاز ، ويفسر القرآن بحسب ترتيب السور ، ومنهج مؤلفه فيه منهج اللغويين الذين لم يتأثروا بعلماء الكلام واستعمال أقيستهم، فهو يذكر الآية ويفسرها مستعينا بما يحفظ من غريب اللغة متخذاً من ذلك شواهد على صحة فهمه وبصره بأساليب العرب البلغاء .

وفي الكتاب كثير من الاشارات الى فنون البلاغة كالتشبيه والاستعارة والكناية والتقديم والتأخير والايجاز والالتفات والاستفهام وخروجه الى التحقيق والتقرير ، وخروج الخبر مخرج الاستفهام . قال ابو عبيدة : « ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني ، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر ومجاز ما حذف، ومجاز ما كفّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع ، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين ، ومجاز ما جاء لفظ خبر الجميع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد اذا اشرك بينه وبين آخر فرد ، ومجاز ما خبر عن اثنين او عن أكثر من ذلك فجعل الخبر للواحد أو للجميع ، وكف عن خبر الآخر ، ومجاز ما خبر عن اثنين او اكثر من ذلك فجعل الخبر للاول منهما ، ومجاز ما خبر عن اثنين او عن اكثر من ذلك فجعل الخبر للآخر منهما ، ومجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس ، والحيوان كل ما أكل من غير الناس وهي الدواب كلها، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناه مخاطبة الشاهد ، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته الى مخاطبة الغائب ، ومجاز ما يزاد من حروف الزوائد ويقع مجاز الكلام على الغائهن ، ومجاز المضمر استغناء عن اظهاره ، ومجاز المكرر للتوكيد ، ومجاز المجمل استغناء عن كثرة التكرير ، ومجاز المقدم والمؤخر ، ومجاز ما يحول من خبره الى خبر غيره بعد ان يكون من سببه فيجعل خبره للذي من سببه ويترك هو . وكل هذا جائز قد تكلموا به »[1] .

وهذه هي موضوعات البلاغة التي أولاها المتأخرون عناية كبيرة ، وكان

---

(١) مجاز القرآن ج ١ ص ١٨ – ١٩ .

لأبي عبيدة ، وامثاله من اللغويين والرواة الفضل الكبير في تطورها ووصولها الى علم واضح الاهداف مستقيم الاصول .

الأصمعي :

ومن اللغويين والرواة الذين أثروا في نشأة البلاغة والنقد أبو سعيد عبد الملك ابن قريب الاصمعي (-٢١٦هـ). وقد كانت له آراء نقدية تمثل ذوقه والفترة التي عاش فيها ، ومن كتبه النقدية « فحولة الشعراء » وهو كتاب جمع آراءه في بعض الشعراء الفحول ، وليس فيه مادة بلاغية تستحق الاهتمام، وليس فيما أثر عنه ما يصور عمله ومنهجه . ولكن الاشارات العابرة التي ذكرت عنه ترسم صورة لعصره الذي كان يتمخض عن ميلاد علوم لها قواعدها واصولها . ومن تلك الموضوعات اشارته الى مصطلح « الفصاحة » من غير ان يعرفه او يشرح معناه ، فهو يقول عن القحيف العامري : « ليس بفصيح ولا حجة » ، وعن عبد بني الحسحاس : « هو فصيح » ، وعن ابي دلامة : « هو صالح الفصاحة »[1]

وأشار الى السرقات التي كانت من أهم موضوعات النقد والبلاغة [2] ، وذكر الخبر حينما تحدث عن عمر بن أبي ربيعة وقال : « عمر بن أبي ربيعة حجة في العربية ولم يؤخذ عليه الا قوله :

ثُمَّ قالوا : تحبُّها ؟ قُلْتُ بَهْراً عَدَدَ الرملِ والحَصَى والترابِ

وله في ذلك مخرج ، اذ قد أتى به على سبيل الاخبار . قال : ومن الناس من يزعم انه انما قال : « قيل لي : هل تحبُّها ؟ قُلْتُ بَهْراً » [3] .

وذكر البديع أيضا حينما قال عن بشار بن برد : « وهو اكثر تصرفاً وفنون

(١) فحولة الشعراء ص ٣١ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٨ .
(٣) الأغاني (ط دار الكتب) ج ١ ص ٧٩ .

شعر ، واغزر وأوسع بديعا »[1] .

ونحدث عن تشبيهات بعض الشعراء في مجلس الرشيد[2] ، وحديثه اقرب الى الانطباع من وضع القواعد والتقسيمات ، وهذه سمة عصره الذي لم تتضح فيه المعالم وتستقر العلوم .

وألف كتاب «الاجناس» الذي اشار اليه ابن المعتز بقوله : « التجنيس هو ان تجيء الكلمة تجانس اخرى في بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها ان تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الاصمعي كتاب الاجناس عليها »[3] .

وذكر المطابقة بمعناها الاصطلاحي ، قال ابن رشيق : « ذكر الاصمعي المطابقة في الشعر فقال : اصلها وضع الرجل في موضع اليد في مشي ذوات الأربع وأنشد لنابغة بني جعدة :

وخيـــل يطابِقْـــنَ بالدارعين   طباقَ الكلابِ يَطَأْنَ الهراسا

ثم قال : أحسن بيت قيل لزهير في ذلك :

ليث بعثّرَ يصطـــادُ الرجـــالَ إذا   ما اللّيثُ كَذّبَ عن أقرانه صَدَقا[4]

وعرف الالتفات ، قال أبو هلال العسكري : « أخبرنا أبو أحمد قال : اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : قال الاصمعي : أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت : لا ، فما هي ؟ قال :

أتنسى إذْ تودّعنا سُليمَـــى   بعودِ بشامةٍ سُقي البشـــامُ

ألا تراه مقبلاً على شعره ثم التفت الى البشام فدعا له : وقوله :

---

(١) الاغاني ج ٣ ص ١٤٧ ، وينظر الموشح ص ٣٩٢ .
(٢) ينظر ملحق فحولة الشعراء ص ٥٤ وما بعدها .
(٣) البديع ص ٢٥ ، وينظر معالم الكتابة ص ٧٣ .
(٤) العمدة ج ٢ ص ٦ ، وينظر البلاغة تطور وتأريخ ص ٣٠ .

طَرِبَ الحَمامُ بذي الأراكِ فشاقني   لا زلتَ في عللٍ وأيْكٍ ناضِرِ

فالتفت الى الحمام فدعا له » [1] .

وذكر الايغال وان لم يسمه ، قال أبو هلال العسكري : « وأخبرنا أبو أحمد، قال : أخبرنا الصولي عن المبرد عن التّوزي، قال: قلت للاصمعي: مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : من يأتي بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا ، أو الكبير فيجعله بلفظه خسيسا ، أو ينقضي كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى . قال : قلت : نحو من ؟ قال : قول ذي الرمة حيث يقول :

قِفِ العيسَ في أطلالِ ميّةَ فاسْألِ   رسوماً كأخلاقِ الرداءِ المُسَلْسَلِ

فتمّ كلامه بالرداء قبل المسلسل ، ثم قال المسلسل ، فزاد شيئا بالمسلسل. ثم قال :

أظنُّ الذي يجدي عليك سؤالها   دموعاً كتبذيرِ الجُمانِ المفَصّلِ

فتم كلامه بالجمان ، ثم قال : المفصل ، فزاد شيئا .

قلت : ونحو من ؟ قال : الاعشى حيث يقول :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليفلقها   فلم يضرْها وأوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

فتم كلامه بـ « يضرها » فلما احتاج الى القافية قال : « وأوهى قرنه الوعلُ » فزاد معنى » [2] .

وفي هذه الالتفاتات التي ذكرها الاصمعي ما يؤيد ان ابن المعتز وغيره أخذوا مصطلحاتهم من اوائل اللغويين والنقاد ، واتخذوا من امثلتهم شواهد اوضحوا بها قواعدهم وفنونهم البلاغية .

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٣٩٢ ، وينظر البلاغة تطور وتاريخ ص ٣١ .
(٢) كتاب الصناعتين ص ٣٨٠ ، وينظر نقد الشعر ص ١٩٤ .

المُبَرِّد :

ومن اللغويين أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (— ٢٨٥ ه) ، وله رسالة « البلاغة » أجاب بها عن رسالة احمد بن الواثق الذي سأله : « أي البلاغتين أبلغ ؟ ابلاغة الشعر ام بلاغة الخطب والكلام المنثور والسجع ؟ وأيتهما عندك — اعزك الله — ابلغ » ؟ واجاب المبرد : « ان حق البلاغة احاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظم حتّى تكون الكلمة مقاربة اختها ومعاضدة شكلها، وان يقرب بها البعيد ويحذف منها الفضول . فان استوى هذا في الكلام المنثور والكلام المرصوف المسمى شعراً فلم يفضل احد القسمين صاحبه ، فصاحب الكلام المرصوف أحمد لأنه أتى بمثل ما اتى به صاحبه وزناً وقافية ، والوزن يحمل على الضرورة والقافية تضطر الى الحيلة ، وبقيت بينهما واحدة ليست مما توجد عند استماع الكلام منهما ، ولكن يُرجع اليهما عند قولهما فينظر ايهما اشد على الكلام اقتداراً واكثر تسمحاً واقل معاناة وأبطأ معاسرة فيعلم انـه المقدم »[1] .

واشار الى فصاحة الخطيب ، وما في الكلام من إطناب أو إيجاز أو وضوح أو فخامة وجزالة .

ونثر في كتابه « الكامل » كثيراً من فنون البلاغة ، وتحدث عن اقرب البلاغة ، وهي — كما نقلها عن العتابي — : « ان لا يؤتى السامع من سوء افهام القائل ، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع »[2] .

وتكلم على الاختصار المفهم والاطناب المفخم ، فقد يقع الايماء الى الشيء فيغني عند ذوي الالباب عن كشفه كما قيل : « لمحة دالة » وقد يضطر الشاعر المفلق والخطيب المصقع والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق

---

(١) البلاغة ص ٥٩ — ٦٠ .

(٢) الكامل ج ٣ ص ١٢٨٩ .

واللفظ المستكره ، فان انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره وسترتا من شينه . ومن الفاظ العرب البيّنة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف ، قول الحطيئة :

وذاكَ فَتَىً إنْ تأتِهِ في صَنيعةٍ ... الى ماله لا تَأْتِــه بشفيــعِ

ومما وقع كالايماء قول الفرزدق :

ضَرَبَتْ عليه العنكبوتُ بنسْجِهــا ... وقَضَى عليك بهِ الكتابُ المُنْزَلُ

ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني قول الفرزدق :

وما مِثْلُــه في النّاسِ إلاّ مُمَلّكاً ... أبو أمّــه حيٌّ أبــوه يقارِبُــهْ

قال المبرد : « مدح بهذا الشعر ابراهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام بن عبد الملك فقال : وما مثله في الناس الا مملكا ، يعني بالمملّك هشاما ، أبو أم ذلك المملّك أبو هذا الممدوح. ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحا ، وكان يكون اذا وضع الكلام في موضعه ان يقول : وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح . فدلّ على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجّنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير » (١) . وأدخل البلاغيون هذا البحث في التعقيد المعنوي الذي يخل بفصاحة الكلام .

وتحدث عن الاستعانة ، وهي الجملة الاعتراضية التي أدخلها البلاغيون في الاطناب ، وقال : « واما ما ذكرناه من الاستعانة ، فهو ان يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح به نظماً او وزنا ان كان في شعر ، او ليتذكر به ما بعده ان كان في كلام منثور » (٢) .

وكان للحذف وصحة المعنى والاستفهام المقصود به التوبيخ نصيب في

---

(١) الكامل ج ١ ص ٢٨ .

(٢) الكامل ج ١ ص ٣٠ .

الكتاب [1] ، واشار الى تنوع أضرب الخبر والمعنى واحد . قال عبد القاهر : « روي عن ابن الانباري انه قال : ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشوا . فقال ابو العباس [2] : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : « عبدالله قائم » ثم يقولون : « إنّ عبد الله قائم » ثم يقولون : « إنّ عبدالله لقائم » ، فالالفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال ابو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ ، فقولهم : « عبدالله قائم » إخبار عن قيامه ، وقولهم : « إنّ عبدالله قائم » جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : « إنّ عبدالله لقائم » جواب عن انكار منكر قيامه . فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني » [3] .

وهذا ما أدخله البلاغيون في علم المعاني ، وسموه أضرب الخبر : الابتدائي والطلبي والانكاري .

وكانت الكناية والتشبيه من الموضوعات التي شغلت المبرد، فقد قسم الكناية إلى ثلاثة أضرب :

الاول : التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدي :

أكنّي بغير اسمها وقد علم اللهُ خفياتِ كلِ مكتتم

الثاني : الرغبة عن اللفظ الخسيسِ المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره ، وهذا أحسنها كقوله تعالى : « أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيامِ الرفثُ إلى نسائِكم » .

الثالث : التفخيم والتعظيم ، ومنه اشتقت الكنية ، وهو ان يعظم الرجل ان

---

(١) الكامل ج ١ ص ٣٢ ، ٤٣ ، ١٨٣ .

(٢) أبو العباس كنية ثعلب والمبرد ، وكانا متعاصرين . ولم ينص عبد القاهر على واحد منهما ، ولكن ابن الزملكاني قال في كتابه « البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن » : « فقال أبو العباس المبرد : بل المعاني متكثرة » . فدل على ان المقصود هو المبرد .

(٣) دلائل الاعجاز ص ٢٤٢ .

يدعى باسمه ، ووقعت في الكلام على ضربين : في الصبي على جهة التفاؤل بان يكون له ولد يدعى بولده كناية عن اسمه ، وفي الكبير ان ينادى باسم ولده صيانة لاسمه [1] .

وكان المبرد من اوائل الذين درسوا التشبيه وكتبوا فيه بحثا مستفيضا ، وقرر ان هذا الفن جارٍ كثيرٌ في كلام العرب حتّى لو قال قائل : هو اكثر كلامهم لم يبعد [2] . قال : « وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع وهو بعض ما مرّ للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم » [3] .

واشار إلى تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين في بيت امرىء القيس :

كأنَّ قلوبَ الطير رطبــاً ويــابساً لدَى وكرِها العنّابُ والحَشَفُ البالي

وذكر ان للتشبيه حداً ، فالاشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه ، وانما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع فإذا شبه الوجه بالشمس فانما يراد الضياء والرونق ولا يراد به العِظم والاحراق . والعرب تشبه النساء ببيض النعام تريد نقاءه ونعومة لونه . وتشبه المرأة بالشمس والقمر والغصن والكثيب والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدرة والبيضة ، وانما تقصد من كل شيء إلى شيء [4] . وفي هذا اشارة إلى وجه الشبه او الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به . والعرب تشبه على اربعة أضرب : تشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو اخشن الكلام [5] .

وكان المبرد أول من قسم التشبيه هذا التقسيم ومثّل لانواعه، ولكن الحدود

(١) الكامل ج ٢ ص ٦٧٤ وما بعدها .
(٢) الكامل ج ٣ ص ٨١٨ .
(٣) الكامل ج ٢ ص ٧٤٠ .
(٤) الكامل ج ٢ ص ٧٦٦ .
(٥) الكامل ج ٣ ص ٨٥٣ .

لم تكن واضحة بين لون وآخر ، وكان استحسانه يقوم على الفهم اللغوي وما تعارف عليه الناس .

وفي كتابه « المقتضب » ملاحظات بلاغية كالخبر بمعنى الأمر ، والخبر للدعاء ، والدعاء يجري مجرى الامر ، والامر يراد به الوعيد والتهديد [1] . وقد تحدث عن الاتساع في قوله تعالى : « بل مَكْرُ الليلِ والنهارِ » وقول الشاعر :

لقد لمتِني يا أمَّ غيلانَ في السُّرى ونمتِ وما ليلُ المطيِّ بنائمِ

وقوله : « فنام ليلي وتجلّى همي » [2] . وهذا هو المجاز العقلي عند المتأخرين . ان المبرد اللغوي النحوي لم تشغله صنعته عن تذوق النصوص القرآنية الرفيعة والشعر العربي فمضى في كتبه يتحدث عما فيها من لمحات فنية . وإذا ضاقت به المصطلحات او لم تتضح في كتابه « المقتضب » فانها لم تضق في كتابه « الكامل » وانما اتضحت وكانت سبيلاً موصلا إلى دراسات اكثر نضجا عند الشعراء والكتاب .

ابن فارس :

ومن اللغويين الذين عنوا عناية فائقة بالبلاغة أبو الحسين أحمد بن فارس (– ٣٩٥ هـ) وكتابه « الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها » من اهم الكتب التي اعتمد عليها البلاغيون في مباحث « علم المعاني » لا سيما فصل « معاني الكلام » الذي لم يكن جديدا كل الجدة ، ولكنه جمع اجزاءه ونسقها تنسيقاً بديعا لا نجده في كتب البلاغة المتقدمة ، وهي عشرة: خبر واستخبار ،

---

(١) المقتضب ج ٢ ص ٣٢٥ ، ج ٤ ص ١٧٥ ، ٣٨٣ ، ج ٢ ص ١٣٢ ، ج ٣ ص ٢٧٣ ج ٢ ص ٨٦ .

(٢) المقتضب ج ٣ ص ١٠٥ ، ج ٤ ص ٣٣١ .

وأمر ونهي ، ودعاء وطلب ، وعرض وتحضيض ، وتمن وتعجب [1] .

وعرّف الخبر بأنه ما جاز تصديق قائله او تكذيبه ، ويخرج إلى التعجب والتمني والانكار والنفي والأمر والنهي والتعظيم والدعاء والوعد والوعيد والإنكار والتبكيت .

والاستخبار هو الاستفهام ويخرج إلى التعجب والتفخيم والتفجع والتبكيت والتقرير والتسوية والارشاد والانكار والعرض والافهام والنفي والاخبار .
والامر يكون بلفظ « أفعل » و « ليفعل » ، ويحتمل كثيراً من المعاني المجازية كالمسألة والوعيد والتسليم والتكوين والندب والتعجيز والتعجب والتمني والتلهيف والتحسير والخبر .

والنهي يكون بـ « لا تفعل » ولم يتحدث ابن فارس عن اغراضه المجازية .
والدعاء والطلب يكون لمن فوق الداعي والطالب ، والعرض والتحضيض متقاربان إلا ان العرض أرفق والتحضيض أعزم ، والحث والتحضيض كالأمر .

والتمني مختلف فيه ، فمنهم من يقول انه من الاخبار ، وآخرون يقولون لو كان خبراً لجاز تصديق قائله أو تكذيبه .

والتعجب هو تفضيل شخص من الاشخاص أو غيره على أضرابه .

وقد بنى البلاغيون مباحث الخبر والانشاء على ما بدأه ابن فارس وإن لم يصرحوا به . وبالمقارنة السريعة بين ما ذكره وما دونوه يتضح انهم اطلعوا على كتاب « الصاحبي » وترسموا اصوله . ويرى الدكتور طبانه ان البلاغيين نسوا هذا الكتاب وأهملوه اهمالا شنيعاً،حتى لقد يسبق إلى الظن انهم لم يقفوا عليه ولم يقرأوه مع شهرة صاحبه بين العلماء والادباء [2] . وليس الامر كذلك ،

---

(١) الصاحبي ص ١٧٩ وما بعدها .
(٢) البيان العربي ص ١٧٠ .

لان بعض البلاغيين اخذوا منه واعتملوا عليه وإن لم يشيروا اليه كالسكاكي الذي اغفل مصادره [١] .

وعقد ابن فارس باباً سماه « سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز » وقال عن الحقيقة إنها من قولنا : « حقّ الشيء » ، إذا وجب ، و « الحقيقة : الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير » أما المجاز فمأخوذ من « جاز يجوز » اذا استّن ماضيا . وفسره قائلا : « فقولنا : مجاز ، أي ان الكلام الحقيقي يمضي لسننه لا يعترض عليه ، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه ، الا ان فيه من تشبيه واستعارة وكفّ ما ليس من الاول » [٢] .

وتحدث بعد ذلك عن مخالفة ظاهر اللفظ معناه، واجناس الكلام في الاتفاق والافتراق ، والقلب والابدال ، ثم انتقل إلى الاستعارة وهي « أنْ يضعوا الكلمة للشيء مستعارة في موضع آخر » [٣] . كقولهم : « انشقت عصاهم » و « كشفت عن ساقها الحرب » .

وتحدث عن الحذف والاختصار ، والزيادة والتكرار ، والعموم والخصوص واضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل في الحقيقة ، والواحد يراد به الجمع ، والجمع يراد به واحد واثنان ، ومخاطبة الواحد بلفظ الجميع ، وتحويل الخطاب من الغائب إلى الشاهد ، ومخاطبة المخاطب ثم يجعل الخطاب لغيره ، او يخبر عن شيء ثم يجعل الخبر المتصل به لغيره ، والفعل يأتي بلفظ الماضي وهو راهن أو مستقبل ، وبلفظ المستقبل وهو ماض ، والمفعول يأتي بلفظ الفاعل . وهذه الموضوعات تدخل في باب الالتفات عند البلاغيين .

وذكر التقديم والتأخير ، والاعتراض ، والإيماء ، والتهكم ، والكناية ،

---

(١) ينظر كتابنا : البلاغة عند السكاكي ص ٢٠٢ .
(٢) الصاحبي ص ١٩٦ – ١٩٨ .
(٣) الصاحبي ص ٢٠٤ .

واخراج الشيء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك – وهو المدح بما يشبه الذم – والافراط ، والاستطراد ، والإتباع ، والتأكيد .

وهذه الموضوعات وغيرها تمثل البلاغة بعلومها الثلاثة ، ويكاد تصنيف ابن فارس لها يقرب من عمل السكاكي ومنهجه لولا أنه أدخل بين الاقسام فنوناً اخرجها البلاغيون منها وضموها إلى علم آخر .

ان الفنون التي ذكرها ، وان تعريفاتها وتقسيماتها لا تخرج عما اختطه المتأخرون .. وبذلك يكون قد خطا بالبلاغة خطوة جريئة أوحت إلى السكاكي ما قام به من وضع اسسها وقواعدها .

ويمكن ان نضيف إلى هذه الكتب المعاجمَ اللغوية التي اهتمت بالاساليب كأساس البلاغة للزمخشري الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق ، ولكنها لم تصنف موضوعات البلاغة تصنيفاً علميا ، وانما تعرضت لها في أثناء الكلام على المادة اللغوية .

٤

النحاة

كان للنحاة أثر لا ينكر في نشأة البلاغة وتطورها ، وعلى رأسهم :

سيبويه :

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (— ١٨٠ هـ) الذي ذكر في كتابه الشهير [١] بعض المسائل التي أدخلها المتأخرون في علم المعاني كالمسند والمسند اليه الذي أطال الحديث عنهما عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » وبنى عليهما السكاكي تقسيم فنون علم المعاني . ذكر سيبويه في مطلع كتابه « باب المسند والمسند اليه » وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا . [٢] ، و « باب الاخبار عن النكرة بالنكرة » والاستفهام ، والامر والنهي [٣] ، وقال : « وانما قيل : دعاء ، لانه استعظم ان يقال أمر أو نهي ، وذلك قولك : « اللهم زيداً فاغفر ذنبه » و « زيداً فأصلح شأنه » و « عمراً ليجزه الله خيرا » وتقول : « زيداً قطع الله يده » و « زيداً أمَرَّ اللهُ عليه العيش »

(١) الكثير من الآراء التي ذكرها هي لاستاذه العبقري الخليل بن أحمد الفراهيدي وغيره من النحاة ، والحديث هنا ليس عن سيبويه وحده وانما عن كتابه وما جاء فيه من آراء قد تكون له او لغيره .

(٢) الكتاب ج ١ ص ٧ .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٢٦ ، ٦٤ ، ٦٩ .

لأن معناه معنى « زيداً ليقطع الله يده »[1] . ثم ذكر الايجاز والاختصار والنـــداء[2] .

وفي كتابه إشارة إلى بعض الفنون التي اصبحت من علم البيان كالتشبيه والمجاز العقلي ، قال : « ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى : « واسألِ القريةَ التي كنّا فيها والعيرَ التي أقبلنا فيها » انما يريد أهل القريـــة فاختصر ، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الاهل لو كان ههنا .

ومثله : « بل مَكْرُ الليلِ والنهارِ » وانما المعنى : بلْ مكركم في الليل والنهار . وقال تعالى : « ولكنَّ البرَّ من آمَنَ باللهِ » انما هو : ولكن البرَّ برُّ مَنْ آمن بالله . ومثله في الاتساع قوله – عز وجل – : « ومثلُ الذين كفروا كمثَلِ الذي ينعق بما لا يسمعُ إلاّ دعاء أو نداء » فلم يشبهوا بما ينعق وانما شبهوا بالمنعوق به ، وانما المعنى : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى . ومثل ذلك من كلامهم : « بنو فلان يطؤهم الطريقُ » وانما يطؤهم أهل الطريق . وقالوا : « صدنا قنوين » وانما يريد : صدنا بقنوين ، او صدنا وحش قنوين ، وانما قنوان اسم أرض . ومثله في السعة : « انت اكرم عليَّ من أنْ اضربك » او « انت انكد من ان تتركه » انما تريد : انت اكرم عليَّ من صاحب الضرب ، وانت أنكد من صاحب تركه ، لأن قولك : ان اضربك وان تتركه هو الضرب والترك ، لان « ان » اسم و « تتركه » و « أضربك » من صلته ، كما تقول : « يسوءني أنْ أضربك » أي : يسوءني ضربك . وليس يريد اكرم عليَّ من الضرب ولكن اكرم عليَّ من الذي أوقع به الضرب. وقال الجعدي :

---

(١) الكتاب ج ١ ص ٧١ .

(٢) الكتاب ج ١ ص ١٠٨ ، ١٤١ ، ٣٠٣ .

كأنَّ عذيرَهم بجُنوبِ سِلّى نعامٌ قَاقَ في بلَــدٍ قِفارِ

وقال عامر بن الطفيل :

ولأبغينكمُ قنــاً وعوارضــاً ولأقبلَنَّ الخيل لابةَ ضَرْغَدِ

انما يريد : بقنا ، ولكنه حذف وأوصل الفعل . ومن ذلك قول ساعدة :

لَدْنٌ بهزِّ الكفِ يعسُلُ متنُه فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ

يريد : في الطريق . ومن ذلك قولهم : « أكلت بلدة كذا وكذا » و « اكلت أرض كذا وكذا » انما يريد : انه اكل من ذلك وشرب واصاب من خيرها . وهذا اكثر من أن يحصى . ومنه قولهم : « هذه الظهر او العصر او المغرب » انما يريد صلاة هذا الوقت . و « اجتمع القيظ » يريد اجتمع الناس في القيظ . وقال الحطيئة :

وشَرُّ المنايا مَيّتٌ وسط أهْلِه كَهُلْك الفتى قد أسلم الحيَّ حاضرُه

يريد : منيّة ميت . وقال الجعدي :

وكيف تواصِلُ من أصبحــت خُلالتهُ كــأبي مَرْحَــبِ

يريد كخلالة أبي مرحب »(١) .

وفي هذه الفقرات إشارة إلى التشبيه ومجاز الحذف والمجاز المرسل والمجاز العقلي . وقد قال في الاخير أيضا وان لم يسمه : « ومن ذلك قول الخنساء :

تَرْتَعُ ما رتَعَتْ حتى إذا ادّكرتْ فإنمــا هي إقبالٌ وإدبــارُ

فجعلها الاقبال والادبار فجاز على سعة الكلام ، كقولك : « نهارك صائم وليلك قائم »(٢) .

لقد ذكر سيبويه في كتابه بعض فنون البلاغة ، ولكنه لم يسمّها بلاغة او

---

(١) الكتاب ج ١ ص ١٠٨ – ١٠٩ .

(٢) الكتاب ج ١ ص ١٦٩ .

بحدها ، وإنما هي لون من ألوان التعبير عني بها العرب في أساليبهم . وتطرّق المرحوم احمد مصطفى المراغي وعدّه واضعَ علمي المعاني والبيان مستنداً إلى الاشارات المتناثرة في الكتاب (١) . وليس الامر كذلك ، لأن سيبويه لم يكن الا واحدا من الذين ذكروا بعض مسائل البلاغة بصورتها الاولى ، ولعله حينما نثر هذه المسائل القليلة لم يقصد إلى علم غير النحو ، ولم ير علماً خاصاً هو علم البلاغة أو أحد فنونها الثلاثة .

الفـــرّاء :

ابو زكريا يحيي بن زياد الفراء (ـــ ٢٠٧ هـ) أحد النحاة الاعلام ، له كتب كثيرة منها « معاني القرآن » ، وهو كتاب عني بالتراكيب اللغوية والإعراب والاساليب العربية .

ويقوم هذا الكتاب على تفسير القرآن بحسب ترتيب سوره ، وشرح الغريب والاعراب والقراءات ، وفيه اشارات كثيرة إلى بعض الفنون البلاغية كالتشبيه والمثل والاستعارة والمجاز والكناية ، والاستفهام وخروجه عن معناه الحقيقي ، والانتقال من مخاطبة الشاهد إلى الغائب ـــ وهو الالتفات ـــ والتقديم والتأخير ، والاخبار عن الواحد بالاثنين او الجمع واستعمال اللفظ في معنى الضد ، او قيام الفاعل مقام المفعول ، والحذف .

وهذه الاشارات البلاغية ذات قيمة عظيمة ، لانها كانت البذور الأولى التي نمت وتطورت على مدى الاجيال والقرون .

ثعلـــب :

ومن النحاة الذين وضعوا كتباً في النقد والبلاغة منذ عهد مبكر أبو العباس

(١) تأريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها للمراغي ص ٤٣ – ٥٧ .

احمد بن يحيى ثعلب (— ٢٩١ هـ) وكتابه « قواعد الشعر » كان الخطوة الأولى التي أتمها ابن المعتز ومن جاء بعده .

تحدث ثعلب في « قواعد الشعر » عن الشعر وأركانه وفنونه وأقسامه ، وهي عنده أربعة : أمر ونهي وخبر واستخبار . وهذه الاصول تتفرع إلى مدح وهجاء ، ومراثٍ ، واعتذار ، وتشبيب ، وتشبيه ، واقتصاص أخبار .

وفنون البلاغة التي ذكرها : التشبيه الجيد ، والافراط ، والغلو في المعنى ـ وهو المبالغة ـ ولطافة المعنى وهو الدلالة بالتعريض على التصريح والاستعارة ، وحسن الخروج ، ومجاورة الاضداد — وهو الطباق — والمطابق — وهو الجناس —

أما الموضوعات الاخرى التي ذكرها فتتصل بالشعر ونقده كجيد المدح والجزالة واتساق النظم وأبلغ الشعر والأبيات الغر ، والابيات المحجّلة والموضحة والمرجلة .

ومنهجه في الكتاب لا يعدو ذكر الفن البلاغي مع تعريف موجز يتبعه بأمثلة شعرية . ومن ذلك بحثه في الاستعارة ، وهي : « ان يستعار للشيء اسم غيره او معنى سواه » كقول امرىء القيس في وصف الليل فاستعار وصف جمل :

فقلْتُ له لمـــا تمطـّــى بصلبه   وأردفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ

وقال زهير :

فشدَّ ولم ينظر بيوتـــاً كثـــيرةً   لدى حيثُ ألقَتْ رحلها أمُّ قشعم

ولا رحل للمنية . وقال تأبط شراً في شمس بن مالك :

إذا هزَّه في عظم قِرْنٍ تهلّلتْ   نواجذُ أفواه المنايا الضواحك

ولا نواجذ للمنية ولا فم . وقال أيضا :

فظل يناجي الارض لم يكدح ـ الصفا
به كدحةٌ والموتُ خزيانُ ينظرُ

ولا عين للموت . وقال أبو ذؤيب الهذلي :

واذا المنيةُ أنشبت أظفارَهـــا ألفيتَ كُـــلَّ تميمـــةٍ لا تنفعُ

ولا ظُفر للمنية . [1]

وليس في الكتاب تحليل وتعليل وايضاح لما في الكلام من صور أدبية جميلة وايحاءات بديعة ، وقد قال الدكتور محمد مندور عنه : « ان الناظر في هذا الكتاب لا يجد الا تقاسيم وتعاريف كتلك التي عهدها النحويون أمثال ثعلب ، وأما الذوق الذي ينقد ويلتمس التعليل لما ينقده — فذلك ما لا وجود له في الكتاب » [2] .

ولا تخص موضوعات الكتاب الشعر وحده وانما هي عامة ، ولعل عناية العرب بهذا الفن دفعته إلى الاهتمام بقواعده وتسمية هذا الكتاب بهذا الاسم[3].

عبد القاهر الجرجاني :

وكان عبد القاهر الجرجاني [4] (— ٤٧١ هـ — أو ٤٧٤ هـ) أعظم النحاة الذين أثروا في البلاغة ووجهوها ، فقد ألف فيها كتابين هما « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » . ومنهجه يقوم على دراسة الكلام المؤلف لا على الكلمة المفردة ، فليس للجزئيات عنده كبير أثر ، وانما الكل هو الذي يستدعي الجزء . وبذلك كان ينظر إلى البلاغة نظرة تعرف الكل نظماً مستوي الاجزاء وتنكر

(١) قواعد الشعر ص ٤٧ — ٤٩ .
(٢) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٧٢ .
(٣) ينظر البيان العربي ص ١٢٧ ، ودراسات في نقد الادب العربي ص ٢٤٦ .
(٤) ينظر كتابنا « عبد القاهر الجرجاني — بلاغته ونقده » .

الجزء انكارا واضحا [1] . وقد صرح بذلك قائلا : « ان الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة ، وان الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها من ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ » [2] .

وبرهن على ذلك بأن الكلمة تكون في موضع جميلة رائعة وفي موضع آخر ثقيلة نابية ، وضرب مثلا بلفظة « الأخدع » فهي حسنة جميلة في بيت الحماسة :

تلفّتُ نحو الحي حتى وجدتـــني وجعتُ من الاصغاء ليتاً وأخدعا

وبيت البحتري :

واني وإنْ بلّغتني شَرَفَ الغـــنى وأعتقتَ من رِقّ المطامعِ أخدعي

ولكنها قبيحة في قول أبي تمام :

يا دهرُ قَـــوّمْ من أخدعيك فقـــد أضججْتَ هذا الانامَ من خُرُقِكْ

وعلق عليها بقوله : « فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة والايناس والبهجة ... فلو كانت الكلمة اذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ واذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون ان يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم — لما اختلف بها الحال، ولكانت اما ان تحسن ابدا او لا تحسن أبدا » [3] .

ومن أعجب ذلك لفظة « الشيء » فأنك تراها مقبولة حسنة في موضع

---

(١) ينظر البيان العربي لطبانه ص ٢١٤ .
(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٨ .
(٣) دلائل الاعجاز ص ٣٩ — ٤٠ .

وضعيفة مستكرهة في موضع ، وان أردت ان تعرف ذلك فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

ومن مالىءٍ عينيه مـن شيءٍ غيرهِ   اذا راحَ نحو الجمرة البيضُ كالدُّمَى

وإلى قول أبي حية النميري :

اذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ   تقاضاه شيءٌ لا يَمَلُّ التقاضيا

فانك تعرف حسنها ومكانها من القبول ، ثم انظر اليها في بيت المتنبي :

لو الفلكُ الدَّوارُ أبغضتَ سعيَه   لعوَّقَه شيءٌ عـن الدَّورانِ

فانك تراها تقل وتضؤل بحسب نبلها وحسنها [1] .

ومن سر هذا الباب انك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع ، ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحة لا تجدها في الباقي . مثال ذلك ان تنظر إلى لفظة « الجسر » في قول أبي تمام :

لا يطمع المرءُ أنْ يجتاب لجتّه   بالقولِ ما لم يكن جسراً له العملُ

وقوله :

بصرتَ بالراحةِ العظمى فلم ترَها   تُنال إلاّ على جِسْرٍ من التَّعَبِ

فترى لها في الثاني حسناً لا تراه في الاول ، ثم تنظر اليها في قول ربيعة الرقّي :

قولي : نَعَمْ ، ونَعَمْ إنْ قلتِ واجبةٌ   قالت : عَسَى وعَسَى جِسْرٌ إلى نَعَمِ

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٩ .

فترى لها لطفا وخلابة وحسنا ليس الفضل فيه بقليل [1] .

وقد بنى على ذلك نظرية النظم التي شرحها وبسط القول فيها في كتابه « دلائـــل الاعجاز » بعد ان كانت ومضات عند السابقين كابن المقفع وعبد الجبار القاضي ومناظرة السيرافي لمتى بن يونس . والنظم عند عبد القاهر ليس « سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض » ،[2] وليس الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها [3] .

فالنظم عنده ليس الا توخي معاني النحو وأحكامه بين الكلم ، وهو لا يقصد بالنحو معناه الضيق الذي فهمه المتأخرون ، وانما يريد المعاني الاضافية التي يصورها النحو لا الاعراب وحده ، « لأنا لسنا في ذكر تقويم اللسان والتحرز من اللحن وزيغ الاعراب فنعتدّ بمثل هذا الصواب ، وانما نحن في أمور تدرك بالفكر اللطيفة ودقائق يوصل اليها بثاقب الفهم»[4] . ومن ههنا لم يجز اذا عدت الوجوه التي تظهر بها المزية ان يعد فيها الاعراب وذلك « ان العلم بالاعراب مشترك بين العرب كلهم وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية ، فليس أحدهم بأن اعراب الفاعل الرفع او المفعول النصب والمضاف اليه الجر بأعلم من غيره ، ولا ذاك المفعول به مما يحتاجون فيه إلى حدة ذهن وقوة خاطر ، انما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء اذا كان ايجابها من طريق المجاز كقوله تعالى : « فما رَبِحَتْ تجارتُهم » وكقول الفرزدق « سقتها خروقٌ في المسامع » وأشباه ذلك مما يجعل الشيء فيه فاعلا على تأويلٍ يدق ومن طريق تلطف ، وليس يكون هذا علما

(١) دلائل الاعجاز ص ٦٢ .
(٢) دلائل الاعجاز ص : ف .
(٣) دلائل الاعجاز ص ٦٤ .
(٤) دلائل الاعجاز ص ٧٧ .

بالاعراب ولكن الوصف الموجب للاعراب . ومن ثم لا يجوز لنا ان نعتد في شأننا هذا بأن يكون المتكلم قد استعمل من اللغتين في الشيء ما يقال انه أفصحهما ، وبأن يكون قد تحفظ مما تخطىء فيه العامة ، ولا بأن يكون قد استعمل الغريب ، لأن العلم بجميع ذلك لا يعدو ان يكون علماً باللغة وبأنفس الكلم المفردة وبما طريقه طريق الحفظ دون ما يستعان عليه بالنظر ويوصل اليه بأعمال الفكر » .[1] وبذلك رسم عبد القاهر في كتابه « دلائل الاعجاز » طريقا جديدا للبحث النحوي تجاوز أواخر الكلمات وعلامات الاعراب ، وبيّن ان للكلام نظماً وان رعاية هذا النظم واتباع قوانينه هي السبيل إلى الابانة والافهام[2] . وبرهن على أهمية النظم ورجوع مزية الكلام اليه بقوله : « فلو انك عمدت إلى بيت شعر او فصل نثر فعددت كلماته عدّاً كيف جاء واتفق وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بُني وافرغ المعنى واجري وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد وبنسقه المخصوص ابان المراد نحو ان تقول في « قفا نبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ » : « منزل قفا ذكرى من نبك حبيب » أخرجته من كمال البيان إلى محال الهذيان »[3] .

وكان عبدالقاهر من أوائل الذين حللوا الكلام تحليلاً يعتمد على نظرية النظم، ومنهجه منهج النقد اللغوي ، لأنه اهتم بالنحو بمعناه الواسع ، يقول الدكتور محمد مندور عن هذا المنهج « انه يستند إلى نظرية في اللغة ، أرى فيها ويرى معي كل من يمعن النظر انها تماشي ما وصل اليه علم اللسان الحديث من آراء . ونقطة البدء تجدها في آخر « دلائل الاعجاز » حيث يقرر المؤلف مـــا قرره علماء اليوم من ان اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات Système des rapports

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .
(٢) ينظر احياء النحو ص ١٦ .
(٣) أسرار البلاغة ص ٨ .

وعلى هذا الاساس العام بني عبد القاهر كل تفكيره اللغوي الفني »[1] .

ويقول : « مذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل اليه علم اللغة في اوربة لأيامنا هذه ، هو مذهب العالم السويسري الثبت فردناند دي سوسير Ferdinand de Saussure الذي توفي سنة ١٩١٣ م) »[2] .

ونظرية النظم هي التي بنى عليها السكاكي علم المعاني ، وقد حددها عبد القاهر بقوله : « واعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها ، وذلك انا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير ان ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : « زيد منطلق » و « زيد ينطلق » و « ينطلق زيد » و « منطلق زيد » و « زيد المنطلق » و « المنطلق زيد » و « زيد هو المنطلق » و « زيد هو منطلق » . وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : « إن تخرجْ أخرج » و « إنْ خرجتَ خرجتُ » و « ان تخرج فأنا خارج » و « انا خارج ان خرجتَ » و « انا ان خرجتَ خارج » . وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعا » و « جاءني يسرع » و « جاءني وهو مسرع » او « هو يسرع » و « جاءني قد أسرع » او « جاءني وقد أسرع » فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويجيء به حيث ينبغي له . وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلاً من ذلك في خاص معناه نحو ان يجيء بـ « ما » في نفي الحال وبـ « لا » اذا أراد نفي الاستقبال ، وبـ « ان » فيما يترجح بين ان يكون وان لا يكون ، وبـ « اذا » فيما علم انه كائن . وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع

---

(١) في الميزان الجديد ص ١٤٧ .

(٢) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٢٦ .

الفاء ، وموضع الفاء من موضع « ثمّ » وموضع « أو » من موضع « أم » وموضع « لكنْ » من موضع « بلْ » . ويتصرف في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله . وفي الحذف والتكرار ، والاضمار والإظهار ، فيضع كلاّ من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له .

هذا هو السبيل فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه ان كان صوابا وخطؤه ان كان خطأ إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه ، او عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده ، او وصف بمزية وفضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه »[1] .

فالنظم عنده يشمل الخبر وأركان الجملة وما يحدث فيها من تقديم وتأخير ، وكون المسند اسماً او فعلا ، وما يتعلق بالمسند والمسند اليه من شرط وحال ، ويشمل الفصل والوصل ومعرفة مواضعهما ، ومعاني الواو والفاء و « ثمّ » و « بلْ » و « لكنْ » وغيرها من أدوات العطف ، ويشمل التعريف والتنكير ، والحذف ، والتكرار ، والاضمار والاظهار . وليست هذه الموضوعات الا مباحث علم المعاني الذي حدد السكاكي معالمه وهذّب مسائله .

وربط عبد القاهر فنون الكلام كلها بالنظم ، ورأى أنّ في الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا بعد العلم به والوقوف على حقيقته ، قال معلقاً على قول الشاعر :

سالتْ عليه شعابُ الحيّ حين دعا أنصـارَه بوجوهٍ كالدنانيرِ

« فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها انما تمّ لها الحسن وانتهى

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٦٤ — ٦٥ .

إلى حيث انتهى بما توخي في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها . وان شككت فاعمد إلى الجارين والظرف فأزل كلا منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل : « سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا انصاره » ، ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة ، وكيف تعدم أريحيتك التي كانت وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها »[1] .

واهتم بالتصوير الادبي الذي لا يكون الا بترتيب الألفاظ والتأليف بينها ، قال : « وانما سبيل هذه المعاني سبيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما انك ترى الرجل قد تهدّى في الاصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الاصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه اياها إلى ما لم يتهدّ اليه صاحبه فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب ، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت انها محصول النظم »[2] . وقال : «ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وان سبيل المعنى الذي يعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم او سوار ، فكما ان محالاً اذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته ان تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة او الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة .. كذلك محال اذا أردت ان تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام ان تنظر في مجرد معناه . وكما انا لو فضلنا خاتماً على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود او فصّه أنفس لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه ان لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام . وهذا قاطع فاعرفه »[3] .

(١) دلائل الاعجاز ص ٧٨ .
(٢) دلائل الاعجاز ص ٧٠ .
(٣) دلائل الاعجاز ص ١٩٦ – ١٩٧ .

فعبد القاهر يرى ان للتصوير الادبي قيمة كبيرة ، ولذلك أطال الكلام على الوسائل والأساليب التي تجعل الصورة حسنة مقبولة بعد مراعاة النظم او توخي معاني النحو . وكان له الفضل الكبير في إرساء قواعد نظرية النظم وأصولها وبسطها هذا البسط الواضح الدقيق في « دلائل الاعجاز » بعد ان كانت اشارات عابرة عند ابن المقفع والجاحظ والواسطي والسيرافي وعبد الجبار القاضي . وقد قضت هذه النظرية على كثير من الآراء الخاطئة التي سادت قبله ، وأضافت ما أعطى البلاغة حياة وأكسبها رواءا .

وتكلم عبد القاهر إلى جانب نظرية النظم على الفصاحة والبلاغة ، والكناية ، والمجاز ، وإعجاز القرآن ــ وهو الهدف الذي أقام نظريته من أجله ــ وخاض في بحوث البلاغة المختلفة .

وتكلم في كتابه الآخر « أسرار البلاغة » على بعض فنون البديع ومباحث علم البيان . ولم يكن أمامه حين ألف هذا الكتاب فكرة المتأخرين كالسكاكي الذي حصر البلاغة في علمي المعاني والبيان، وانما كان يرمي إلى أبعد من ذلك ويرى ان هناك علماً واحداً غاية دارسه ان يستثير الأسرار التي ترفع من قدرة الكلام وتمنحه رتبة الشرف وتحله ذروة الفصاحة .

تحدث في مطلع هذا الكتاب عن الجناس والسجع كما تحدث عنهما في خاتمة « دلائل الاعجاز » ، وأرجع جمالهما إلى المعنى لا إلى جرس الحروف وظاهر الوضع اللغوي .

قال : « اما التجنيس فانك لا تستحسن اللفظتين الا اذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا . ألا تراكَ استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذَهَبَتْ بمذهبِهِ السماحــةُ والتوتْ ... فيه الظنونُ أَمُذْهَبٌ أمْ مَذْهَبُ

واستحسنت تجنيس القائل : « حتى نجا من خوفه وما نجا » . وقول المحدث :

ناظراهُ فيمـا جَنَى نـاظراهُ أوْ دَعاني أمُتْ بما أوْدعاني

لأمر يرجع إلى اللفظ ام لانك رأيت الفائدة ضعفت عن الاول وقويت في الثاني ؟ ورأيتك لم يزدك بمُذْهَب ومَذْهَب على أن اسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنّه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنّه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها . فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفي منه المتفق في الصورة من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع .

فقد تبين لك ان ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم الا بنصرة المعنى ، اذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ، ولما وجد فيه الا معيب مستهجن ولذلك ذمّ الاستكثار منه والولوع به . وذلك ان المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس اليه، اذ الالفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقة طاعتها . فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة الاستكراه وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين . ولهذه الحالة كان كلام المتقدمين الذين تركوا فضل العناية بالسجع ولزموا سجية الطبع ، أمكن في العقول وأبعد من القلق، وأوضح للمراد عند ذوي التحصيل ، وأسلم من التفاوت ، وأكشف عن الاغراض وانصر للجهة التي تنحو نحو العقل وأبعد من التعمل الذي هو ضرب من الخداع بالترويق » [1] .

وأشار إلى المتأخرين الذين حملهم فرط شغفهم بأمور ترجع إلى ما له اسم في البديع إلى ان ينسى انه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ، ويخيل اليه انه اذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير ان يقع ما عناه في عمياء وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء . وكان لا بدّ ان يذهب إلى هذا المذهب لانه لا يؤمن

---

(١) أسرار البلاغة ص ١١ – ١٣ ، وينظر دلائل الاعجاز ص ٤٠١ – ٤٠٣ .

بما في اللفظة المفردة من جمال وانما يظهر جمالها وميزتها عند انضمامها إلى الكلمات وتكوينها جملاً وعبارات .

وقد أثرت هذه النظرة فيمن جاء بعده كالزمخشري الذي لم يحفل كثيراً بفنون البديع في تفسيره ، والسكاكي الذي لم يجعل البديع قسما ثالثاً للبلاغة وانما هو وجوه يؤتى بها لتحسين الكلام .

وبهذه النظرة القائمة على الإدراك والاخذ بجانب المعنى بحث عبد القاهر فنون البلاغة في كتابه « أسرار البلاغة » وتكلم على التشبيه والمجاز وأطال الوقوف عندهما، وكان أول من ميز أقسامهما وهذب مسائلهما وأوضح ما بين التشبيه والتمثيل من فروق . وتعتبر دراسته لهذا الفن من أوسع ما عرفت كتب البلاغة ومن أكثرها دقة في العرض والتحليل وكأنه لم يؤلف « أسرار البلاغة » إلا من أجل التشبيه .

لقد تحدث بعد كلامه على الجناس والسجع والحشو عن الاستعارة ، وكان عليه ان يبدأ القول في الحقيقة والمجاز ولكنه عدل عن ذلك قائلا : « واعلم ان الذي يوجبه ظاهر الامر وما يسبق اليه الفكر ان نبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز ونتبع ذلك القول في التشبيه والتمثيل ثم ننسق ذكر الاستعارة عليهما ونأتي بها في أثرهما. وذلك ان المجاز اعم من الاستعارة والواجب في قضايا المراتب ان نبدأ بالعام قبل الخاص والتشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيهة بالفرع له او صورة مقتضبة من صوره . الا ان ههنا أموراً اقتضت ان تقع البداية بالاستعارة وبيان ما صدر منها والتنبيه على طريقة الانقسام فيها حتى اذا عرف بعض ما يكشف عن حالها ويقف على سعة مجالها عطف عنان الشرح إلى الفصلين الآخرين فوفي حقوقهما وبين فروقهما ، ثم نصرف إلى استقصاء القول في الاستعارة » [1] .

---

(١) أسرار البلاغة ص ٣٥ .

وهذا المنهج الذي رسمه ولم يطبقه أخذه السكاكي وبنى عليه تقسيم موضوعات علم البيان حين بدأ بالتشبيه والتمثيل والمجاز ثم الكناية .

وشرع عبد القاهر بعد هذا المنهج المحدد بالحديث عن الاستعارة والأثر النفسي الذي تحدثه في السامع ، وعن الاستعارة في الفعل والجامع بين طرفيها ، ثم انتقل إلى التشبيه والتمثيل وبسط القول فيهما ، وفرّق بينهما ووضع أقسامهما وحدد معالمهما . وانتقل إلى السرقات وتكلم على المعاني وقسمها قسمين : قسماً عقليا وآخر تخييلياً ، ثم عرج بعد ذلك على تناسي التشبيه في الاستعارة وقرينتها ، وعاد إلى السرقات واتفاق الشاعرين في معنى من المعاني . وبعد ذلك انتقل إلى الحقيقة والمجاز وحدّهما في المفرد ، وحدّ الجملة فيهما ، وأشار إلى فنون المجاز وأساليبه ، وختم البحث بما سماه البلاغيون مجاز الحذف .

ان دراسة عبد القاهر لفنون علم البيان كانت من أروع ما كتب ، وكانت التفاتاته وتقسيماته الصورة البديعة لهذا الفن . ان الناظر في « أسرار البلاغة » ليجد جميع أنواع التشبيهات والمجازات ، ولكنه لم يضع لها المصطلحات الاخيرة وانما تركها لمن جاء بعده كالسكاكي والقزويني وشراح التلخيص الذين أخذت المصطلحات والتقسيمات على أيديهم شكلها الاخير .

لقد كان كتابا « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » قمة البلاغة العربية ، تجلت فيهما العقلية التي تقدر العلم وترعى الذوق الرفيع ، وبدا التبويب والتقسيم حتى عدّه الباحثون واضع علمي المعاني والبيان بمفهومهما الاخير (١) . والواقع ان مؤلفهما لم يكن واضع هذين العلمين ، لأن البلاغيين بحثوا موضوعاتهما منذ عهد مبكر وتكلموا على المجاز والاستعارة والتشبيه والتقديم والتأخير والذكر والحذف والاطناب وغيرها . ولم يأتِ عبد القاهر بموضوعات جديدة

---

(١) ينظر هامش ص ت ، ث من كتاب دلائل الاعجاز ، وهامش ص ٤٦٩ ج ١ من دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) مادة (بديع) ، وامالي علي عبد الرازق في علم البيان وتأريخه ص ٢٣ .

الا ما كان من تهذيب وتبويب وتحليل للنصوص الادبية الرائعة . ولم يفرّق بين أقسام البلاغة كما فعل المتأخرون ، وكان ذلك مدعاة نقــده ممن سيطرت عليهم نظرة تقسيم البلاغة كالتفتازاني الذي قال عن كتبه : « كأنها عقد قد انفصم فتناثرت لآليه »[1] .

ومن أجل ذلك لا نعتبره واضع علمي المعاني والبيان وان كان قد وضع نظرية النظم التي أقام البلاغيون عليها مباحثهم في علم المعاني ، ونظرية البيان التي بنوا عليها فنون علم البيان ، لأسباب منها :

١ ـ ان موضوعات هذين العلمين بحثت قبله ، وكان للغويين والشعراء والكتاب دور لا ينكر .

٢ ـ انه لم يفصل بين الموضوعات ويقسمها إلى المعاني والبيان ، وان كان « دلائل الاعجاز » يوحي بأنه في علم المعاني ، و « أسرار البلاغة » في علم البيان .

٣ ـ انه لم يفرق بين مصطلحات البلاغة الأساسية ، فالفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان كلها بمعنى واحد ، وليس للفصاحة بمفهومها الاخير أي أثر عنده .

٤ ـ انه لم يحدد أقسام الفنون تحديداً تاما ، ولم يضع المصطلحات لكثير من فنون البيان وانما فعل ذلك المتأخرون كالسكاكي والقزويني وشراح التلخيص . ويمكن القول إنه مهد السبيل إلى ذلك ، وانه وضع أسس المنهج التحليلي في دراسة البيان .

ولعبد القاهر « الرسالة الشافية » وضعها ليثبت حقيقة الاعجاز لا ليبين أسراره كما فعل في « دلائل الاعجاز » . قال : « وهذه جمل من القول في

(١) المطول على التلخيص ص ١٠ .

بيان عجز العرب حين تحدوا إلى معارضة القرآن واذعانهم وعلمهم ان الذي سمعوه فائت للقوى البشرية ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين ، وفيما يتصل بذلك مما له اختصاص بعلم أحوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم وبعلم الادب جملة ، قد تحريت فيها الايضاح والتبيين وحذوت الكلام حذواً هو بعرف علماء العربية أشبه وفي طريقهم اذهب وإلى الافهام جملة أقرب » [1] .

وفي الرسالة حديث عن تفاوت الشعراء في أقدارهم واشتمال كلامهم على البليغ وغير البليغ ، وتفنيد لرأي القائلين بالصرفة ، وكلام على الذوق الذي يرجع اليه فهم الكلام والبيان .

وأثرّ عبد القاهر في البلاغة وكان الزمخشري أول من طبّق قواعده وأصوله في تفسيره للقرآن ، وتبعه الرازي في كتابه « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » والسكاكي في « مفتاح العلوم » وابن الزملكاني في « التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن » . وقد تحدثنا عن الزمخشري ، أما الرازي والسكاكي فستتكلم عليهما في بحث الفلاسفة والمتكلمين ، وأما ابن الزملكاني فهو أقرب إلى هذا الاتجاه لانه اتخذ من مباحث النحو سبيلاً إلى البلاغة كما اتخذها عبد القاهر ، ولأنه بنى بلاغته على كتاب « دلائل الإعجاز » بعد ان اختصره وهذبه .

ابن الزملكاني :

ألّف كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الانصاري السماكي المعروف بابن الزملكاني (ـــ ٦٥١ هـ) كتاب « التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن » بعد ان رأى كتاب « دلائل الاعجاز » غير مهذب فأراد ان يرتب مسائله ويجمعها ليكون قريب التناول سهل التداول . قال وهو يتحدث عن الفصاحة : « وعلم البيان آخذ بزمامها مدعو بإمامها ، يريك البدائع

(١) الرسالة الشافية – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٠٧ .

والغرائب ، ويهديك المناقب والعجائب لغموضه ودقة رموزه . استولت عليه بد النسيان وألحقه قصور الهمم بخبر كان ، ولم أجد من المصنفات فيه الا القليل مع انها مشحونة بالقال والقيل وأجمعها كتاب « دلائل الاعجاز » للامام العالم النحرير علّم المحققين عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – فانه جمع فأوعى وقال فاوعى ، فلقد فكّ قيد الغرائب بالتقييد وهدم سور المعضلات بالتسوير المشيد حتّى عاد أسهل من النفس واصحبَ للفهم من الضوء لشهاب القبس في الغلس فجزاه الله خير الجزاء وجعل نصيبه من أوفر الاجزاء ، غير انه واسع الخطو كثيرا ما يكرر الضبط ، فقيد للتبويب ، طريد من الترتيب ، يمل الناظر ويعشي الناظر . وقد سهل الله – تعالى – جمع مقاصده وقواعده وضبط جوامحه وطوارده مع فرائد سمح بها الخاطر وزوائد نقلت من الكتب والدفاتر»(١)

وألّفه في أيام قلائل مع كثرة العوائق والشواغل وقدمه لوزير الشام أبي الحسن علي الأمين ورتبه على سوابق ومقاصد ولواحق ، وجعل من السوابق مقدمات ثلاثاً :

اولها : في فضل علم البيان .

وثانيها : في حصر مواقع الغلط في اللفظ .

وثالثها : في حصر طريقة تحصيله .

والمقاصد ثلاثة أركان :

الاول : في الدلالات الافرادية ، ويشمل الكلام على الحقيقة والمجاز وأقسامه من كناية واستعارة وتمثيل ، والفرق بين الاثبات بالاسم والفعل ، والمعرفة والنكرة ، وفي مفردات شذت عن الضوابط .

الثاني : في مراعاة أحوال التأليف ، وقد قسمه إلى فنون هي : تقديم الاسم

---

(١) التبيان في علم البيان ص ٢٩ – ٣٠ .

على الفعل وتأخيره، خبر المبتدأ ، تقديم بعض الاسماء على بعض ، المجاز الإسنادي ، التشبيه ، الايجاز ، التأكيد ، الحذف ، المنصوبات ، معرفة الفصل والوصل ، معرفة أسباب التقديم والتأخير ، قوانين كلية .

الثالث : في معرفة أحوال اللفظ وأسماء أصنافه في علم البديع ، وفيه مقدمة وأصناف . وتشتمل المقدمة على بحث كلي يتعلق بمخارج الحروف ، وفي الاصناف ستة وعشرون فناً بديعيا هي : التجنيس ، الترصيع ، الاشتقاق ، التطبيق ، لزوم ما لا يلزم ، التضمين المزدوج ، الالتفات ، الاعتراض ، التفسير ، اللف والنشر ، التعديد ، التخييل ، التسجيع ، رد العجز على الصدر ، المساواة ، العكس والتبديل ، الاستدراك والرجوع ، الاستطراد ، الاستهلال ، التخليص ، الترديد ، التتميم ، التفويف ، التجاهل ، الهزل الذي يراد به الجد ، التنبيه . وأهمل انواعاً كثيرة من فنون البديع التي ذكرها المتقدمون ، وقال : « وما أهمل ذكره في هذا الركن فمعلوم مما ذكر فيه او مستغنى عن ذكره لاشتمال الركنين السابقين عليه ، وانه ليس متعلق غرضنا في هذا العلم » [1] .

وتكلم في اللواحق على بيان الجهة التي تحصل بها البلاغة واعجاز القرآن ، وعرض خمسة آراء للاعجاز فند أربعة منها وتمسك برأي واحد رآه الصواب الذي لا يأتيه الباطل ، وهو ان يكون الاعجاز راجعاً إلى توخي معاني النحو وأحكامه في النظم [2] .

ويغلب على كتاب « التبيان » الطابع النحوي ، ولا عجب ، فابن الزملكاني مؤمن بالنحو والنظم الذي بسطه عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » . والكتاب – وان كان عرضاً لآراء عبد القاهر وترديداً لامثلته – يمتاز بالتبويب والتنسيق وجمع المسائل المتفرقة في أبواب وفصول . وقد أشار مؤلفه إلى ذلك في المقدمة وحدد هدفه ومنهجه وغايته . ولم يقف عند « دلائل الاعجاز » وانما تجاوزه

---

(١) التبيان في علم البيان ص ١٦٩ .
(٢) التبيان في علم البيان ص ١٩٥ .

إلى كتب بلاغية اخرى لم يشر اليها واستفاد منها في بحث فنون البديع التي لم يتحدث عنها عبد القاهر الا قليلا ، ولم يذكرها الا عرضاً في خاتمة « دلائل الاعجاز » ومقدمة « أسرار البلاغة » . وأغلب الظن ان ابن الزملكاني استفاد من كتاب « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » للرازي وكتاب « مفتاح العلوم » للسكاكي ومما كُتب في البديع ككتاب « البديع في نقد الشعر » لابن منقذ ، وكتب ضياء الدين بن الاثير .

ولم يَبْقَ « التبيان » في البيئة الشامية بل سار في الاقاليم الاخرى كمصر والمغرب واليمن ، وكان من المصادر الاربعة التي اعتمد عليها يحيى بن حمزة العلوي (— ٧٤٩ ﻫ) في تأليف كتابه « الطراز » ، وسار على خطاه في تقسيماته وتفريعاته وإكثاره من الاشارات والتنبيهات . ونقل عنه بهاء الدين السبكي في كتابه « عروس الافراح » ، وأبو حيان الاندلسي في تفسيره « البحر المحيط » والسيوطي في « الاشباه والنظائر » و « همع الهوامع » .

وألف ابو المطرف بن عميرة احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي (— ٦٥٨ ﻫ) ، (١٢٦٠ م) كتاباً رَدَّ فيه على ابن الزملكاني في كتابه « التبيان » سماه « التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات » (١) .

ولابن الزملكاني كتاب آخر قريب من هذا المؤلف هو « البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن » ولا يختلف عنه كثيراً في عرض موضوعات البلاغة وتقسيمها ومعالجتها ، وان كان أكثر منه تفصيلاً ومناقشة للآراء ، لانه — كما يبدو من تأريخ تأليفه — من أواخر ما كتب ابن الزملكاني (٢) .

---

(١) ينظر نفح الطيب ج ١ ص ٢٩٣ ، وكشف الظنون ج ١ ص ٣٤١ ، وتأريخ الادب العربي لبروكلمان (الطبعة الالمانية ج ١ ص ٥٢٨) ، ومقدمة التبيان بتحقيقنا .

(٢) تنظر الموازنة بين الكتابين في مقدمة كتاب البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن .

الشّعراءُ والكُتّابُ

الفصلُ الرابع

الشعراء

كان الشعراء منذ الجاهلية يعنون بالقول ويجوّدون أشعارهم وينقحونها ، وقد دلّت الملاحظات البيانية على انهم كانوا أصحاب ذوق ومعرفة بجيد الشعر ورديئه . ونما شعورهم وذوقهم حينما تقدم بهم الزمن وكثرت ملاحظاتهم حتى اذا ما جاء العصر العباسي ودخل العرب حياة جديدة ، تطورت نظرتهم إلى الشعر وإدراكهم لما فيه من روعة وجمال او تصنع وتطبع . وفي كتاب الاغاني (١) ان بشاراً كان ينقد الشعر ويشير إلى جيده ورديئه ، وأنشد قول الشاعر :

وقد جعَل الاعداءُ ينتقصوننا ... وتطمعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ
ألا إنّما ليلى عصا خيزرانةٍ ... إذا غمزوها بالاكفّ تلينُ

فقال : والله لو زعم انها عصا مخ أو عصا زبد ، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد ان جعلها عصا ، الا قال كما قلت :

ودعجاء المحاجرِ من معَدٍّ ... كأنّ حديثها ثمَرُ الجنانِ
إذا قامت لمشيتهَا تثنّتْ ... كأنّ عظامَها من خيْزرانِ

---

(١) الاغاني ج ٣ ص ١٥٤ .

وقال : « لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول :

كأنّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العنّابُ والحشَفُ البالي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد حتّى قلت :

كأنّ مثارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه [1]

وفي كتب الأدب كثير من هذه الاحكام التي تدل على مكانة الشعراء في العصر العباسي وتوجيههم النقد والبيان . قال ابن المعتز : « البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو » [2] . وقال ابن رشيق : « أهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك . ولو كانوا دونهم بدرجات ، وكيف وان قاربوهم او كانوا منهم بسبب ! وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر حلبة هذه الصناعة ، أعني النقد ، ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها واجادته لها » [3] .

وكان الشعراء ينقدون شعرهم ويتفقدونه قبل ان يعرضوه على الناس ، وكان أبو نواس ينظم القصيدة ثم يتركها أياماً ثم يعرضها على نفسه فيسقط منها ويترك صافيها ولا يسره كل ما يقذف خاطره ، قال ابن رشيق : « ولا يكون الشاعر حاذقاً مجوّداً حتّى يتفقد شعره ويعيد فيه نظره فيسقط رديئه ويثبت

---

(١) الاغاني ج ٣ ص ١٩٦ .
(٢) البديع ص ٥٨ .
(٣) العمدة ج ١ ص ١١٧ .

جيده ، ويكون سمحاً بالركيك منه مطرحاً له راغبا عنه ، فإن بيتاً جيداً يقاوم ألفي رديء ...

ويقال إنّ أبا نواس كان يفعل هذا الفعل فينفي الدني ويبقي الجيد »[1] . وقال عن مسلم بن الوليد انه « اول من تكلف البديع من المولدين وأخذ نفسه بالصنعة وأكثر منها . ولم يكن في الاشعار المحدثة قبل مسلم صريع الغواني الا النبذ اليسيرة ، وهو زهير المولدين كان يبطيء في صنعته ويجيدها »[2] .

ومن الشعراء الذين كان لهم السبق في الدراسات البلاغية :

ابـــن المعتـــز :

استفاد الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز (ـ ٢٩٦ هـ) من جهود الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وثعلب فألّف كتاب « البديع » الذي كان خطوة جديدة خطتها البلاغة نحو التطور والنضج . وظن بعض الباحثين ان هذا الكتاب كان أول مؤلف يتناول الادب تناولاً فنيا ، قال الدكتور طبانة : « انه أول كتاب يتناول الادب تناولا فنيا »[3] . وقال توري عن ابن المعتز : « وكتابه الذي يعد فتحاً جديدا هو كتاب البديع »[4] .

والواقع ان كتاب « البديع » لم يكن فتحا جديدا في البلاغة وانما كان خطوة في سبيل تقدمها وتطورها ، فقد سبقه الجاحظ ، وابن قتيبة الذي بحث قسماً كبيراً من فنون البلاغة في كتابه « تأويل مشكل القرآن » ، وبحث استاذه ثعلب البلاغة بطريقة لا تختلف عن طريقته كثيرا . ولعل عدم اطلاع بعض

---

(١) العمدة ج ١ ص ٢٠٠ ، وينظر (أخبار أبي نواس) لابن منظور ص ٥١ .
(٢) العمدة ج ١ ص ١٣١ .
(٣) دراسات في نقد الأدب العربي ص ٢٦٧ ، وقدامة بن جعفر ص ٢١ .
(٤) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) مادة ابن المعتز ج ١ ص ٢٨٠ .

الباحثين على كتابي ابن قتيبة وثعلب مظنة هذا القول . ويمكن ان نعدّ عبارة الدكتور طبانة « وأول كتاب في البلاغة العربية بالمعنى الصحيح هو كتاب البديع » [1] ، او قول الدكتور محمد زغلول سلام : « وكان اول من وضع هذه الفنون بين دفتي كتاب تحت اسم البديع ، لا أول من وضع ذلك العلم كما يقول بعض البلاغيين » [2] ، أكثر دقة وأقرب إلى واقع الامر .

وذهب الدكتور طه حسين إلى ان ابن المعتز تأثر بالفصل الثالث من كتاب « الخطابة » لأرسطو حينما وضع كتابه « البديع » ، قال : « لم أطلع على كتاب البديع هذا ، ولكن الذين نقلوا عنه أكثروا من ذكره كثرة تمكننا من تصوره . فهو عبارة عن تعداد لانواع البديع مع الاستشهاد لكل نوع منها بشواهد من كلام القدماء والمعاصرين لابن المعتز ، مع الموازنة بين هذه الشواهد بعضها ببعض . وهم يقولون ان ابن المعتز أحصى في كتابه ثمانية عشر نوعا من أنواع البديع من يدرسها في كتاب معاصره قدامة بن جعفر وفي كتب الذين جاؤا بعده يلحظ فيها لا محالة أثراً بيّناً للفصل الثالث من كتاب « الخطابة » ، وبعبارة أدق للقسم الاول من الفصل الثالث ، وهو الذي يبحث في العبارة » [3] .

وقال الدكتور نجيب البهبيتي : ان مقدمة «البديع» كأنما ترجمت ترجمة صحيحة من كلام ارسطو في اصطناع الاستعارات والصيغ المنحوتة ، وان كتابي ارسطو كانا معروفين ، وان ابن المعتز والجاحظ حين ألفا كتابيهما « البديع » و « البيان والتبيين » لاحظا ما قال ارسطو ، وان نهج ابن المعتز في تأليف كتابه يقارب نهج ارسطو في تأليف كتابيه . وذهب إلى أبعد من ذلك وقال ان هناك مؤامرة مقصودة من أبناء ذلك العصر على كتمان آثار البلاغة اليونانية

---

(١) البيان العربي لطبانة ص ١٢٧ .

(٢) تأريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٢٦ ، وينظر اثر القرآن في تطور النقد العربي ص ٢٢٢ ، والنثر الفني ج ١ ص ٥٦ .

(٣) مقدمة نقد النثر ص ١٢ .

في البلاغة العربية ، وربما نشأ ذلك عن المعنى الديني الذي يحوط اللغة العربية منذ نزل بها القرآن ، لذلك تحرجوا في التصريح عن البلاغة اليونانية التي هي لغة أدب وثني ولم يتحرجوا بالنقل عن الفلسفة اليونانية والطب اليوناني (١) .

ونظرة عابرة في كتاب « البديع » تردّ هذه الآراء وتنقضها ، فكل ما فيه عربي صميم ، وليس في « الخطابة » ما يلتقي بموضوعاته ويتصل بمنهجه الا من بعيد ، وقد ألفه ابن المعتز رداً لمن يلتمسون قواعد البلاغة في كتب اليونان ودفاعاً عن الادب العربي القديم وتفنيداً لدعوى الشعوبيين ومن أراد النيل من العرب وتراثهم ، وممن يزعمون ان البديع فن طرأ على الأدب العربي بعد القرن الأول للهجرة جاء به الشعراء كبشار وأبي نواس ومسلم . قال ابن المعتز متحديا :

« وقَدْ قدّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ، ليُعلم ان بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثُر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه »(٢) وقال : « غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس ان المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع » (٣) .

وقد سعى ابن المعتز في كتابه إلى هدفين :

الأول : نقدي للشعراء يوازن بين ما قالوه ويستحسن ما يرى ويرفض ما لا يرى ويرجعهم عن صلفهم بان ما اخترعوه من اللطيف او البديع انما كان من لطيف حسن الأقدمين وبديع تصورهم .

---

(١) ابو تمام الطائي — حياته — وحياة شعره — ص ١٩٦ — ١٩٩ .
(٢) البديع ص ١ .
(٣) البديع ص ٣ .

الثاني : تقنيني قاعدي ، فقد جمع صنوف البديع المعروفة وزاد عليها ووضع لها تسميتها وأغرى من أتى بعده ليحذو حذوه ويسلك سبيله .

قال : « ولعل من قصر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته فيسمي فناً من فنون البديع بغير ما سميناه به او يزيد في الباب من ابوابه كلاماً منثوراً او يفسر شعراً لم نفسره او يذكر شعراً قد تركناه ولم نذكره ، إما لأن بعض ذلك لم يبلغ في الباب مبلغ غيره فالقيناه ، او لأن فيما ذكرنا كافياً ومغنياً ، وليس من كتاب الا وهذا ممكن فيه لمن اراده » . (١)

ويقوم منهجه على تقسيم الكتاب إلى البديع وهو : الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي ، وإلى محاسن الكلام وهي ثلاثة عشر : الالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتأكيد المدح وتجاهل العارف والهزل يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والافراط في الصفة وحسن التشبيه ولزوم ما لا يلزم وحسن الابتداء .

ويرى الدكتور سلامة ان السر في هذا التقسيم يرجع إلى كثرة النوع الاول في الشعر، واشتراك الشعر والنثر في الثاني ، وإلى ان الاصناف الخمسة الاولى عرفها الشعراء وعرفها الجاحظ قبله، فليس في العثور عليها من فضل إلا ردّها إلى الشعر القديم ليرد دعوى الشعراء المجددين. اما فنون الثاني فمن اختراعه وحده وقف عليها لما تتبع أشعار القدامى والمحدثين ودونها قبل ان يدونها غيره، وأطلق عليها اسماء لم تكن معروفة قبله في مصطلحات البلاغيين. لذلك فصل بين القسمين ليقول : هذا لكم وهذا لي ، وهذا منكم وهذا مني . (٢) .

وما ذكره الدكتور سلامة لا يقنع الباحث ، لان اللونين يأتيان في الشعر

---

(١) البديع ص ٢ – ٣ ، وينظر بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ١٤٧ وما بعدها .

(٢) بلاغة ارسطو ص ١٣٤ وما بعدها .

والنثر ، ولا نستطيع ان نقرر ان هذا اللون اكثر استعمالا وذلك اقل شيوعاً الا بعد استقراء واسع . ونظرة إلى الشواهد التي ذكرها ابن المعتز في القسمين لا تؤيد ما ذهب اليه الدكتور . اما الشطر الثاني من التعليل فهو كالأول لا يمكن التسليم به لان المحسنات التي ذكرها ابن المعتز لم تكن كلها من اختراعه.. فقد ذكر بعضها ابن قتيبة والمبرد كالتشبيه والالتفات ، وذكر استاذه ثعلب حسن الخروج والافراط والغلو في المعنى . وما ذهب اليه الدكتور طبانة [1] اقرب ، لان ابن المعتز ألف كتابه على مرحلتين ، احصى في الاولى الفنون الخمسة المذكورة في البديع وذكر الفنون الأخرى بعد ذلك . ويؤيد ذلك كلام ابن المعتز نفسه حيث قال : « وقد قدمنا أبواب البديع الخمسة . وكمل عندنا ، وكأني بالمعاند المغرم بالاعتراض على الفضائل قد قال البديعُ اكثر من هذا ، وقال البديع باب أو بابان من الفنون الخمسة التي قدمناها فيقل من يحكم عليه ، لان البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو . وما جمع فنون البديع ولا سبقني اليه أحد ، وألفته سنة اربع وسبعين ومائتين ، وأول من نسخه مني علي بن هارون بن يحيى بن ابي المنصور المنجم .

ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم ان يدعي الاحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره . وأحببنا لذلك ان تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر انا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة . فمن احب ان يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ومن اضاف من هـذه المحاسن او غيرها شيئاً إلى البديـع أو لم يـأبَ غير رأينا فله اختياره » . [2]

---

(١) ينظر البيان العربي ص ١٣١ ، ودراسات في نقد الادب العربي ص ٢٥٨ .

(٢) البديع ص ٥٧ — ٥٨ .

ويمكن ان نضيف إلى ذلك سبباً آخر وهو ان الفنون الخمسة الاولى كانت مثار النقد والخصومة التي حمل لواءها الشعراء المحدثون وانصارهم ، ومن اجل ذلك اولاها ابن المعتز عناية كبيرة وقدمها على الفنون الاخرى وسماها البديع .

ان ابن المعتز لم يكن الا مبوباً لما تناثر في كتب الفراء وابي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة والمبرد وثعلب ، ولكنه امتاز عنهم بنظرة نقدية تعتمد على الذوق والمعرفة الواسعة . وتقوم طريقته في معالجة الفنون على تعريف الفن تعريفاً لغوياً ليس فيه التحديد الدقيق والنظرة الكلية ، او كما يقول اهل المنطق ليس جامعاً مانعاً . قال في الاستعارة انها « استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها » . [1] وقال في التجنيس : « هو ان تجيء الكلمة تجانس اخرى في بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها ان تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الاجناس عليها . وقال الخليل : الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو » . [2] ويذكر بعد التعريف امثلة جيدة ، ثم يتبعها بأمثلة ليس فيها روعة وجمال ليظهر ما بين الجيد والرديء من اختلاف ، وبذلك ابتعد عن السابقين الذين سيطرت النزعة النحوية واللغوية على كتبهم ، وسار في طريق الشعر ، لانه كان شاعرا يهزه الكلام البليغ الجميل ويبعث فيه حب الشعر ونقده .

وأثر كتاب « البديع » في الكتب التي جاءت بعده كنقد الشعر لقدامة بن جعفر ،وكتاب الصناعتين للعسكري ، والموازنة بين الطائيين للآمدي ، والعمدة لابن رشيق ، وبديع القرآن وتحرير التحبير لابن ابي الاصبع المصري وغيرها .

ولابن المعتز رسالة في محاسن شعر ابي تمام ومساويه أشار فيها إلى بعض

---

(١) البديع ص ٢ .
(٢) البديع ص ٢٥ .

الفنون البديعية وكانت تطبيقاً لما عرضه في كتابه « البديع »[1] .

وله آراء واقوال في كتب الادب منها قوله في البلاغة « البلاغة : البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام »[2] . وقوله في البيان : « البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول ومجلي الشبهة وموجب الحجة والحاكم عند اختصام الظنون والمفرق بين الشك واليقين . وهو من سلطان الرجل الذي انقاد به المصعب واستقام الأصيّد وبهت الكافر وسلم الممتنع حتى اشب الحق بانصاره وخلا ربع الباطل من عُماره . وخير البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ليسرع إلى الفهم تلقيه وموجزاً ليخف على اللفظ تعاطيه »[3] وقوله في صلة اللفظ بالمعنى : « والعاقل يكسو المعاني وشي الكلام في قلبه ، ثم يبديها بالفاظ كواس في احسن زينة ، والجاهل يستعجل باظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها »[4] .

وهذه الآراء والاقوال تكشف عن نظرة ابن المعتز إلى البلاغة ، وتوضح نزعته في النقد وفهم الكلام .

الشريف الرضي :

ألّف أبو الحسن محمد بن أبي الحسين الشريف الرضي (ــ ٤٠٦ هـ) كتابين يتصلان بالبلاغة ، اولهما « تلخيص البيان في مجازات القرآن » اوضح فيه ما اشتمل عليه كتاب الله العزيز من مجازات وتوسع في الكلام . وقد سار على منهج ابي عبيدة في العرض والتفسير ، وتحدث عما في القرآن من استعارات

---

(١) ينظر الموشح ص ٤٧٠ وما بعدها .
(٢) زهر الاداب ج ١ ص ١٢٧ .
(٣) زهر الاداب ج ١ ص ١٠٨ .
(٤) زهر الادب ج ١ ص ١١٨ .

ومجازات على ترتيب السور . وأوضح منهجه في المقدمة التي قال فيها . « أما بعد ، فإن بعض الاخوان جاراني وذكر ما يشتمل عليه القرآن من عجائب الاستعارات وغرائب المجازات التي هي احسن من الحقائق معرضاً وانقع للغلة معنى ولفظاً . وان اللفظة التي وقعت مستعارة لو اوقعت في موقعها لفظة الحقيقة لكان موضعها نابياً بها ، ونصابها خلقاً بمركبها ، اذ كان الحكيم – سبحانه – لم يورد الفاظ المجازات لضيق العبارة عليه ولكن لانها أجلى في أسماع السامعين واشبه بلغة المخاطبين . وسألني ان اجرد جميع ما في القرآن في ذلك على ترتيب السور ليكون اجتماعه أجل موقعاً وأعم نفعاً ، وليكون في ذلك ايضاً فائدة اخرى وهو ان الخطيب البليغ والشاعر المطبوع اذا رأى ما في هذا الكتاب العزيز الذي شال ميزان كل كلام وخرج من مقدورات الانام عن الاستعارات العجيبة والاشارات اللطيفة شجّع على استعمال مثل ذلك فيما يسمعه وجعله سلفاً يتبعه » . (١)

وأشار إلى انه اول من قام بهذه المهمة ولم يجد أحداً ممن تقدم رمى إلى هذا الغرض وأجرى إلى هذا الأمد ، بل هو ذروة ما افترع .

ومن امثلة نظراته البلاغية قوله في تفسير قوله تعالى : « خَتَمَ اللهُ على قلوبِهم وعلى سَمْعِهِم ». « وهذه استعارة ، لأنّ الختم الحقيقي لا يتأتى في القلوب وانما المعنى : انه تعالى وسم قلوبهم بسمة تفرّق بها الملائكة بين الكافر والمؤمن والمصرّ والمقلع فيذمون العاصي لمعصيته ويمدحون الطائع لطاعته » . (٢) .
وقال في تفسير قوله تعالى : « في قلوبهم مَرَض فزادَهم اللهُ مرضاً » : « فالمرض في الاجسام حقيقة وفي القلوب استعارة » . (٣) .

واستمر في تفسير المجاز بهذا الاسلوب وذكر بعد كل آية عبارة « وهذه

(١) تلخيص البيان ص ١ .
(٢) تلخيص البيان ص ٣ .
(٣) تلخيص البيان ص ٤ .

استعارة » وشرح الاستعارة او المجاز فيها . ويلاحظ انه استعمل الاستعارة اكثر من المجاز . وحينما يمر بما يسميه البلاغيون «المجاز العقلي» لا يطلق عليه هذا المصطلح بل يفسر الكلام ويوضحه . قال في قوله تعالى : « بلْ مَكْرُ الليل والنهار » : « والمراد بمكر الليل والنهار ما وقع من مكرهم في الليل والنهار ، فاضاف – تعالى – المكر اليهما لوقوعه فيهما » . [1]

وليس في الكتاب اشارة إلى فنون البلاغة الاخرى او تعريف لها او حديث عن اقسامها ، لأن ذلك ليس من اهدافه حينما وضع الكتاب .

وثانيهما « المجازات النبوية » الذي ألفه بعد الكتاب الاول وسار فيه على طريقته . ولم يحدد المصطلحات وانما ذكر المجاز والاستعارة بالمعنى اللغوي الواسع حينما كان يشرح الاحاديث . ومن امثلة ذلك قوله في الحديث النبوي الشريف : « هذا جبل يُحبنا ونحبه » : « وهذا القول محمول على المجاز ، لان الجبل على الحقيقة لا يصح ان يُحِبَّ ولا يُحَبَّ اذ محبة الانسان لغيره انما هي كناية عن ارادة النفع له او التعظيم المختص به » . [2]

وقرن الاستعارة بالمجاز في كثير من الاحيان ، فقال مثلا : « فقوله – عليه الصلاة والسلام : – « وهم يَدٌ على مَنْ سواهم » استعارة ومجاز » . [3]

ان الشريف الرضي لم يهدف في هذين الكتابين إلى وضع قواعد واصول للبلاغة وانما سعى إلى تبيان ما في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من مجازات او استعارات ، وقد جاء كلامه تطبيقاً لهذه الفنون لا بحثا في قواعدها واصولها .

---

(١) تلخيص البيان ص ١٩٤ .

(٢) المجازات النبوية ص ٢٣ .

(٣) المجازات النبوية ص ٢٥ .

ابن رشيق :

ومن الشعراء الذين ألفوا في البلاغة والنقد أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ــ ٤٦٣ هـ) الذي ترك كتابين مهمين هما : « العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده » و « قراضة الذهب » . ويعتبر كتابه الاول من أهم كتب البلاغة والنقد في القرن الخامس « وقد جرى كثير من اهل افريقية والاندلس على منحاه »(١) .

جمع في هذا الكتاب كثيراً من اخبار الادب وموضوعات النقد والبلاغة ، ولكن لم يتضح له فيه منهج خاص ، وانما هو تلخيص لما في كتب المتقدمين . وقد قال في المقدمة : « فقد وجدت الشعر اكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب وأحرى ان تقبل شهادته وتمتثل ارادته لقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إنَّ من الشعر لحكماً » وروي « لحكمة » وقول عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : « نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل امام حاجته فيستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم » . مع ما للشعر من عظيم المزية وشرف الأبية وعز الأنفة وسلطان القدرة . ووجدت الناس مختلفين فيه متخلفين عن كثير منه ، يقدمون ويؤخرون ويقلون ويكثرون قد بوبوه أبواباً مبهمة ولقبوه القاباً متهمة ، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه وشاهد دعواه ، فجمعتُ أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتاب ليكون « العمدة في محاسن الشعر وآدابه » ان شاء الله تعالى(٢) » .

وعول في اكثره على قريحته ونتيجة خاطره خوف التكرار الا ما تعلق بالخبر وضبطته الرواية فانه لا سبيل إلى تغيير شيء من لفظه ومعناه ليؤتى بالأمر

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(٢) العمدة ج ١ ص ١٦ .

على وجهه ، قال : « فكل ما لم أسنده إلى رجل معروف باسمه ولا أحلت فيه على كتاب بعينه فهو من ذلك الا ان يكون متداولاً بين العلماء لا يختص به واحد منهم دون الآخر . وربما نحلته احد العرب وبعض أهل الادب تستراً بينهم ووقوعا دونهم بعد ان قرنت كل شكل بشكله ورددت كل فرع إلى أصله وبينت للناشيء المبتدىء وجه الصواب فيه وكشفت عنه لبس الارتياب به حتى اعرف باطله من حقه واميز كذبه من صدقه » [1] .

وعرض الموضوعات في مائة باب ، وهذه الكثرة من الابواب تدل على انه لم ينظر في صناعة الشعر ونقده نظرة عامة شاملة ، وانما نظر نظرات جزئية تقوم على الجمع واجمال ما في الكتب السابقة.[2] وهو في بحثه للبلاغة لا يخرج عن المتقدمين فقد اهتم بالبديع وأولاه عناية كبيرة ، واطلقه على فنون البلاغة المختلفة كابن المعتز وغيره من السابقين . قال عن البديع : « واما البديع فهو الجديد ، وأصله في الحبال ، وذلك ان يفتل الحبل جديداً ليس من قوى حبل نقضت ثم فتلت فتلاً آخر . والبديع ضروب كثيرة وانواع مختلفة ، انا اذكر منها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة » [3] .

وذكر المجاز أول ما ذكر ثم الاستعارة ، والتمثيل ، والمثل السائر ، والتشبيه ، والاشارة ، والتتبيع وغيرها من الفنون التي ادخلها المتأخرون في علم البديع .

ولعل اهم ما في الكتاب بحث اللفظ والمعنى الذي قرر فيه انهما متلازمان لا ينفصلان ، لأن اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته ، فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه ، وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ

---

(١) العمدة ج ١ ص ١٧ .
(٢) ينظر النقد لشوقي ص ٩٨ .
(٣) العمدة ج ١ ص ٢٦٥ .

من ذلك أوفر حظ ، فان اختل المعنى كله فسد وبقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه .[1] وكان العتابي قد ذكر ان الالفاظ اجساد والمعاني ارواح ، وانما تراها بعيون القلوب ، فاذا قدمت منها مؤخراً او اخرت منها مقدماً افسدت الصورة وغيرت المعنى كما لو حول رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية .[2] ولو ان هذه الفكرة لقيت العناية وتبلورت لكان من الجائز ان تقضي على الثنائية التي شاعت بين اللفظ والمعنى أمداً طويلاً ، « ولكن ابن رشيق لم يعالج هذه القضية في كتابه على اسس منهجية ذوقية كما فعل عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم » .[3]

وبحث التوليد ، وهو ان يستخرج الشاعر معنى شاعر تقدمه او يزيد فيه زيادة ولذلك سمي التوليد وليس باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره ، ولا يقال له سرقة اذا كان ليس أخذاً على وجهه ، مثال ذلك قول امرىء القيس :

سَموتُ اليها بعدما نامَ أهلُها   سموَّ حباب الماءِ حالاً على حالِ

فقال عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة ، وقيل وضاح اليماني :

فاسقط علينا كسقوطِ الندى   ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجر

فولّد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرىء القيس دون ان يشركه في شيء من لفظه او ينحو نحوه الا في المحصول ، وهو لطف الوصول إلى الحاجة في خفيــة .

وفرق بين الاختراع والابداع ، وهما — وان كان معناهما في العربية واحدا — غير ان الاختراع خلق المعاني التي لم يسبق اليها ، والاتيان بما لم يكن منها قط ، والابداع اتيان الشاعر بالمعنى المستطرف الذي لم تَجْرِ العادة بمثله

---

(١) العمدة ج ١ ص ١٢٤ .
(٢) كتاب الصناعتين ص ١٦١ .
(٣) قضايا النقد الادبي والبلاغة للشماوي ص ٢٩٤ .

ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع ، وان كثر وتكرر ، فصار الاختراع للمعنى والابداع للفظ ، فاذا تم للشاعر ان يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الامر وحاز قصب السبق .[1] .

وهذا مما ابدع فيه ابن رشيق وأجاد ، وان سبقه كثير من العلماء وانتبهوا إلى دراسته كالقاضي الجرجاني وأبي هلال العسكري .

وميزة كتاب « العمدة » إلى جانب ما فيه من موضوعات بلاغية ونظرات نقدية انه ضم كثيراً من آراء البلاغيين المتقدمين ممن وصلت كتبهم او لم تصل ، وفي هذا فائدة عظيمة ، لأنه يعطينا فكرة واضحة عن تطور مصطلحات البلاغة وما طرأ عليها . قال في التسهيم : « وقدامة يسميه التوشيح ، وقيل : إن الذي سماه تسهيماً علي بن هارون المنجم ، واما ابن وكيع فسماه المطمع . وهو انواع منه ما يشبه المقابلة ، وهو الذي اختاره الحاتمي » .[2] ثم ذكر تعليلا لبعض هذه المصطلحات وقال : « وما اظن هذه التسمية الا من تسهيم البرود ، وهو ان ترى ترتيب الالوان فتعلم اذا اتى أحدها ما يكون بعده . واما تسميته توشيحاً فمن تعطف أثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه ، ويمكن ان يكون من وشاح اللؤلؤ والخرز ، وله فواصل معروفة الاماكن ، فلعلهم شبهوا هذا به . ولا شك ان الموشحات من ترسيل البديع وغيره انما هي من هذا . وبعض الناس يقول : انه التوشيج — بالجيم — فان صح ذلك فانما يجيء من « وشجت العروق » اذا اشتبكت فكأن الشاعر شبك بعض الكلام ببعض . فاما تسميته المطمع فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف فاذا حوول امتنع وبعد مرامه » .[3].

---

(١) العمدة ج ١ ص ٢٦٢ — ٢٦٥ .

(٢) العمدة ج ٢ ص ٣١ .

(٣) العمدة ج ٢ ص ٣٤ .

وفي مثل ذلك فائدة كبيرة لمن يدرس تأريخ البلاغة العربية وتطور مصطلحاتها ومناهجها .

اما كتابه « قراضة الذهب » فهو في السرقات ، وقد جاء تطبيقاً لما تحدث عنه في «العمدة» . وذكر أنواع السرقات وحدد مصطلحاتها وحصر أمثلتها وفنونها . ويمتاز ابن رشيق في هذا البحث بتحديده مصطلحات هذا الفن ووضعها وضعاً وقف عنده البلاغيون .

ولم يتحدث عن هذه الأقسام في القراضة وانما طبق قواعده على السرقات وحصرها في الانواع البديعية وقال : « السرقة انما تقع في البديع النادر والخارج عن العادة ، وذلك في العبارات التي هي الالفاظ »(١) . وجعل المطابقة والتجنيس افضح سرقة من غيرها ، لأن التشبيه وما شاكل يتسع فيه القول ، والمجانسة والمطابقة يضيق فيما تناوله اللفظ .(٢) . ثم ذكر انواع السرقات البديعية كالإيغال والتتبيع والمبالغة والتتميم والالتفات .

واذا ما أردنا ان نقارن بين العمدة والقراضة في بحث السرقات نجـــد ان ابن رشيق سار في الاول سيرة علماء البلاغة وأولع بالتحديد والتقسيم وتعدد المصطلحات، بينما نحا في الثاني منحى نقديا وكان لملكته الادبية وذوقه الرفيع أثر واضح فيه .

ابن شرف :

ويقترن بابن رشيق علَم من اعلام القيروان هو أبو عبدالله محمد بن شرف القيرواني (ـ ٤٦٠ هـ) الذي وضع احاديث مختلفة الانواع وعزاها إلى ابي الريان بن الصلت ، وسماها « اعلام الكلام » . وليس هذا الكتاب في البلاغة وانما هو نقد للشعراء وتبيان ما في الشعر من عيوب . قال : « ومن عيوب الشعر السَّرَق ، وهو كثير الاجناس في شعر الناس فمنها سرقة الفاظ ومنها

(١) قراضة الذهب ص ١٤ .
(٢) قراضة الذهب ص ١٨ .

سرقة معان . وسرقة المعاني اكثر لانها أخفى من الالفاظ ، ومنها سرقة المعنى كله ومنها سرقة البعض ، ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى وهو احسن السرقات . ومنها مسروق بزيادة الفاظ وقصور عن المعنى وهو اقبحها ، ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص ، فالفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسارق » . [1] .

وفي الكتاب نظرات نقدية تدل على ذوق رفيع واطلاع واسع ، وكم كان عظيماً لو سار أبن شرف في طريق ابن رشيق وألف كتابا ضخماً ككتاب العمدة.

ابـــن ســـان :

ألّفَ أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (– ٤٦٦ هـ) كتاب « سر الفصاحة » . وكان يرى ان للالفاظ قيمة كبيرة في التعبير ، بينما كان معاصره عبد القاهر يرى ان ميزة الكلام وروعته في النظم وان الالفاظ أوعية للمعاني ، ولذلك بدأ دراسته بالبحث في الجزئيات التي يتكون منها الكلام وهي الاصوات والكلمات .

والكتاب من أنفس كتب البلاغة والنقد التي خلفها القرن الخامس ؛ لأنه جمع بين التعليل والتحليل والعلم والذوق . وكان الدافع إلى تأليفه اختلاف الناس في ماهية الفصاحة وحقيقتها ، وقد اراد مؤلفه ان يجلوها ويعرضها عرضاً حسناً سليما ، لأنه يؤمن بان للفصاحة أثراً عظيماً في نظم الكلام على اختلاف تأليفه ونقده ومعرفة ما يختار منه عما يكره ، وكلا الامرين متعلق بالفصاحة بل هو مقصور على المعرفة بها فلا غنى لمنتحل الأدب عن دراسة الفصاحة على النحو الذي ذكره في الكتاب، وهي اوسع مـــا عرفته كتب البلاغة واهمها .

(١) أعلام الكلام ص ٤٢ .

اقام ابن سنان كتابه على اساس الفرق بين الفصاحة والبلاغة ، وذكر ان « الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفاً للالفاظ مع المعاني . لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وان قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً كالذي يقع فيه الاسهاب في غير موضعه »[1] .

وقسمه إلى قسمين كبيرين :

الاول : في الفصاحة ، تكلم فيه على الفصاحة وشروط فصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المركبة . قال : « ان الفصاحة على ما قدمنا نعت للالفاظ إن وجدت على شروط عدة ، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الالفاظ ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف ، وبوجود اضدادها تستحق الاطراح والذم . وتلك الشروط تنقسم إلى قسمين :

فالاول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير ان يضم إليها شيء من الالفاظ وتؤلف معه .

والقسم الثاني يوجد في الالفاظ المنظومة بعضها مع بعض »[2] .

فاما الذي يوجد في اللفظة الواحدة فثمانية أشياء :

الاول : ان يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج . وعلة هذا واضحة ، وهي ان الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الالوان من البصر ، ولا شك في ان الالوان المتباينة اذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الالوان المتقاربة ، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة لقرب ما بينه وبين الأصفر وبعد ما بينه وبين الاسود .

---

(١) سر الفصاحة ص ٦٠ .

(٢) سر الفصاحة ص ٦٥ — ٦٦ .

الثاني : ان تجد لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها ، وان تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة ، كما انك تجد لبعض النغم والالوان حسنا يتصور في النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره من جنسه ، كل ذلك لوجه يقع التأليف عليه .

الثالث : ان تكون الكلمة كما قال أبو عثمان الجاحظ غير متوعرة وحشية .

الرابع : ان تكون الكلمة غير ساقطة عامية .

الخامس : ان تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة ، ويدخل في هذا القسم كل ما ينكره اهل اللغة ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة .

السادس : ان لا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ، فاذا اوردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت وان كملت فيها الصفات السابقة .

السابع : ان تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف ، فانها متى زادت على الامثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة .

الثامن : ان تكون الكلمة مصغرة في موضع عبّر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك .

اما القسم الثاني من الفصاحة فهو صفات توجد في التأليف ، وقد اعتبر ما يتفق فيه من الاقسام الثمانية المذكورة في اللفظة المفردة ، وقال ان الاول منها ان يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج وهذا بعينه في التأليف ، وبيانه ان يجتنب الناظم تكرر الحروف المتقاربة في تأليف الكلام ، بل هذا في التأليف اقبح ، وذلك ان اللفظة المفردة لا يستمر فيها من تكرار الحرف الواحد او تقارب الحرف مثل ما يستمر في الكلام المؤلف اذا طال .

واما القسم الثاني من الثمانية فانما يكون في التأليف اذا ترادفت الكلمات المختارة فيوجد الحسن فيه اكثر وتزيد طلاوته على ما لا يجمع من تلك الكلمات

الا القليل . وهذا انما يرجع إلى اللفظة بانفرادها وليس للتأليف فيه الا ما اثاره التواتر والترادف .

وكذلك الثالث والرابع من الاقسام ، لأن هذين القسمين لا علقة للتأليف بهما وانما يقبح اذا كثر فيه الكلام الوحشي او العامي .

واما الخامس فللتأليف به علقة وكيدة ، لان إعراب اللفظة تبع لتأليفها من الكلام وعلى حكم الموضع الذي وردت فيه .

واما السادس فللتأليف فيه تعلق بحسب اضافة الكلمة إلى غيرها فان القبح يختلف بحسب ذلك .

واما السابع فلا علقة للتأليف به ، الا ان ظهور قبحه أجلى اذا ترادفت فيه الكلمات الطوال .

واما الثامن وهو التصغير ، فلا علاقة للتأليف به اذ كان لا يتعدى الكلمة بانفرادها ، وان تكرار التصغير والترخيم والنعت والعطف والتوكيد وغير ذلك من الأقسام والإسهاب في ايرادها معدود في جملة التكرار ويجب التوسط فيه ، فان لكل شيء حداً ومقداراً لا يحسن تجاوزه ولا يحمد تعديه .

والقسم الثاني من الكتاب يختص بالتأليف ، وهو وضع الالفاظ حقيقة أو مجازاً وضعاً لا ينكره الاستعمال . ومن وضع الالفاظ موضعها ان لا يكون في الكلام تقديم وتأخير يفسد المعنى ، وإن لا يكون الكلام مقلوباً فيفسد المعنى ويصرفه عن وجهه ، ومنه حسن الاستعارة وان لا تقع الكلمة حشواً او يكون الكلام شديد المداخلة .

وقد تحدث ابن سنان في هذا القسم عن التوشيح او التسهيم ، والكناية ، وعما يجب ان يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح . ومن صفات الكلام ان لا يستعمل في الشعر والرسائل والخطاب ألفاظ المتكلمين والنحويين وأشباههم . ومنه المناسبة بين اللفظين من طريق الصيغة وذكر السجع والازدواج

والقوافي وعيوبها والابتداء في القصائد والتصريع والجناس والطباق والايجاز والمساواة والاطناب والوضوح والارداف في التمثيل . وتكلم في باب المعاني على الصحة في التقسيم ، والاستحالة والتناقض ، وصحة التشبيه ، والاوصاف ، والمقابلة في المعاني ، وصحة النسق والنظم بحسن التخلص من معنى إلى معنى ، وصحة التفسير والمبالغة والغلو والاحتراس بالتعليل .

وكان لهذا المنهج أثر فيمن جاء بعده كابن الاثير الذي استفاد منه في كتابيه « المثل السائر » و « الجامع الكبير » وان انكر فضل الكتاب فقال : « فلم أجد ما ينتفع به في ذلك الا كتاب الموازنة لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وكتاب سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي . غير ان كتاب الموازنة أجمع أصولاً وأجدى محصولا ، وكتاب سر الفصاحة – وان نبه فيه على نكت كثيرة – فانه قد أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الاصوات والحروف والكلام عليها ، ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لا حاجة إلى أكثره ، ومن الكلام في مواضع شذ عنه الصواب فيها ... على ان كلا الكتابين قد أهملا من هذا العلم أبواباً ولربما ذكرا في بعض المواضع قشورا وتركا لبابا » . (١)

وليت المتأخرين استفادوا من « سر الفصاحة » في بحث البلاغة ، ورتبوها على هذا الاساس ولكنهم اسرفوا في التقسيمات وادخال الدلالات الوضعية والعقلية في مباحثها .

وبعد ان انتهى ابن سنان من تقسيماته عقد فصلاً في الاقوال الفاسدة من التفضيل بين المتقدمين والمحدثين ، وعقد فصلا آخر في الفرق بين المنظوم والمنثور وما يقال في تفضيل احدهما على الآخر . وهذا هو الفصل الذي اعتمد عليه ابن الاثير في التفضيل بين الشعر والنثر (٢) . وختم الكتاب بفصل فيما

---

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣ – ٤ .
(٢) ينظر سر الفصاحة ص ٣٣٧ ، والمثل السائر ج ٢ ص ٤١٢ .

يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفته ، وانتهى إلى أن « مؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم واطلع على كل صناعة لأثر ذلك في تأليفه ومعانيه وألفاظه ، لانه يدفع إلى أشياء يصنعها فاذا خبر كل شيء وتحققه كان وصفه له أسهل ونعته أمكن »[1] . وهذا ما أشار إليه ابن الاثير وتحدث عنه في « المثل السائر » و « الجامع الكبير » ، وما تكلم عليه شهاب الدين الحلبي في كتابه « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » وغيرهما من البلاغيين والنقاد .

وكان من الخير لو ألحق ابن سنان بكتابه قطعا مختارة من النظم والنثر ليتدرب بالوقوف عليها في فهم ما ذكر من أحكام البلاغة . وقد كان هذا هدفه الا انه عدل عنه وقال : « واذ قد انتهى بنا القول إلى هذا الموضع ، فالواجب ان نختم الكتاب لأنّا قد وفّينا بجميع ما شرطناه في اوله . وكنا قد عزمنا على ان نصله بقطعة مختارة من النظم والنثر يتدرب بالوقوف عليها في فهم ما ذكرناه من أحكام البلاغة وكشفناه من أسرار الفصاحة ، لكن فرقنا من الاطالة والتثقيل على الناظر فيه بالملل والسآمة فعدلنا إلى وضع ذلك في كتاب مفرد »[2] . ولم نعثر على الكتاب الذي وعد بافراده لهذا الغرض ، ولا ندري هل سنحت له الفرصة فوضع الكتاب او شغلته عنه الحياة ونفسه المتوثبة الطموح ؟

وقد رأى الاستاذ عبد المتعال الصعيدي ان في كتاب ابن سنان عيباً كبيراً في الأساس الذي قام عليه وخللاً ظاهرا في ترتيب أبوابه وخطأ ملموساً في توزيع موضوعاته .

وقد يكون هذا صحيحا اذا طبقنا عليه منهج السكاكي والقزويني ،أما اذا نظرنا اليه نظرة اخرى فيكون الكتاب ذا قيمة علمية ومنهجية ، فلقد سبق

---

(١) سر الفصاحة ص ٣٤٣ .
(٢) سر الفصاحة ٣٤٣ .

مؤلفه عصر الشروح والتلخيصات وكان ذا ذوق رفيع وحس مرهف ، وكانت له طريقته ومنهجه وليس من الانصاف ان نطالبه بما لم يكن في عصره .

ومهما يكن من أمر فقد أحسن وأجاد ، وكان بحثه في اللفظة المفردة من أحسن ما كتب البلاغيون . ولم يقصر الكلام على ذلك بل تجاوزه إلى الكل الذي ينشأ من مجموع الكلمات . والادب عنده صناعة من الصناعات وكمالها بخمسة أشياء هي : الموضوع وهو الخشب في صناعة النجارة ، والصانع وهو النجار ، والصورة وهي كالتربيع المخصوص ان كان المصنوع كرسيا ، والآلة مثل المنشار والقدوم وما يجري مجراها ، والغرض وهو ان يقصد على هذا المثال ان يجلس فوق ما يصنعه . واذا كان الامر على هذا ولا تمكن المنازعة فيه ، وكان تأليف الكلام المخصوص صناعة وجب ان تعتبر فيها هذه الأقسام . فالموضوع هو الكلام المؤلف من الاصوات ، والصانع هو المؤلف الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض كالكاتب والشاعر وغيرهما ، والصورة هي كالفصل للكاتب والبيت للشاعر وما يجريه مجراهما ، والآلة أقرب ما قيل فيها انها طبع هذا الناظم والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك ، ولهذا لا يمكن أحداً أن يعلّم الشعر من لا طبع له وان جهد نفسه في ذلك ، لان الآلة التي يتوصل بها غير مقدورة من آلاتها . والغرض يكون بحسب الكلام المؤلف ، فان كان مدحاً كان الغرض به قولا ينبىء عن عظم حال الممدوح ، وان كان هجواً فبالضد وعلى هذا القياس كل ما يؤلف ، واذا تأملته وجدته كذلك [1] .

وظهرت روح ابن سنان النقدية في كتابه ، وناقش النقاد والبلاغيين وأبدى رأيه . ولم يكتف بعرض آرائه وانما عقد فصلا في ذكر الاقوال الفاسدة في نقد الكلام [2] . وناقش الآراء التي قيلت في تفضيل كلام على كلام ، وبيّن فساد رأي من يذهب إلى تفضيل المتقدمين في الزمن على المتأخرين ، وانتهى

(١) سر الفصاحة ص ١٠٢ .
(٢) سر الفصاحة ص ٣٢٧ .

إلى ان الطريق الذي يؤدي إلى المقصود من معرفة الالفاظ والمعاني ما ذكره في كتابه ونبّه اليه . ولم يقف عند نقد كلام العرب واظهار ما فيه من روعة وجمال ، وانما تجاوزه إلى البحث في إعجاز القرآن ، وذكر ان المعجز الدال على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو القرآن ، والخلاف فيما به كان معجزاً على قولين :

الاول : انه خرق العادة بفصاحته وجرى ذلك مجرى قلب العصا حية، وليس للذاهب إلى هذا المذهب مندوحة عن بيان الفصاحة التي وقع التزايد فيها موقعا خرج عن مقدور البشر .

الثاني : ان وجه الاعجاز في القرآن صرف العرب عن المعارضة مع ان فصاحة الكتاب العزيز كانت في مقدورهم لولا الصرف . وأمر القائل بهذا يجري مجرى الاول في الحاجة إلى تحقق الفصاحة ما هي ؟ فيقطع على انها كانت في مقدورهم من جنس فصاحتهم . ونعلم ان مسيلمة وغيره لم يأتِ بمعارضة على الحقيقة ، لان الكلام الذي أورده خال من الفصاحة التي وقع التحدي بها في الاسلوب المخصوص [1] .

وذهب إلى ان في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه ، قال : « ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية ، ومتى رجع الانسان إلى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه » [2] وانتهى إلى ان كتاب الله معجز بالصرفة ، اي ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ صرف هممهم ودواعيهم عن المعارضة ، وقال : « واذا عدنا إلى التحقيق وجدنا اعجاز القرآن صَرْفَ العرب عن معارضته بان سُلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك . واذا كان الامر على هذا فنحن بمعزل عن ادعاء ما ذهب اليه ـ الرماني ـ

(١) سر الفصاحة ص ٤ .
(٢) سر الفصاحة ص ١١٠ .

من أنّ بين تأليف حروف القرآن وبين غيره من كلام العرب كما بين المتنافر والمتلائم. ثم لو ذهبنا إلى ان وجه اعجاز القرآن الفصاحة وادعينا انه افصح من جميع كلام العرب بدرجة ما بين المعجز والممكن لم يفتقر في ذلك إلى ادعاء ما قاله من مخالفة تأليف حروفه لتأليف الحروف الواقعة في الفصيح من كلام العرب ، وذلك انه لم يكن بنفس هذا التأليف فقط فصيحاً . وانما الفصاحة لأمور عدة تقع في الكلام ، من جملتها التلاؤم في الحروف وغيره »[1]

وأثّر كتاب « سر الفصاحة » تأثيراً كبيرا واعتمد عليه النقاد والبلاغيون ، وكان ابن الاثير أهم من أشاد به وإن غمزه وفضل عليه الموازنة بين الطائيين . ويطول الكلام لو استقصينا المسائل التي ردّ فيها كلام ابن سنان او وافقه عليها . وقد شدد عليه في بحث الفصاحة وشروطها وفند آراءه ، ولم يوافقه على اكثاره من دراسة الاصوات الا في بعض المواضع . قال : « واعلم انه قد جاء من الكلام ما معه قرينة فأوجبت قبحه ولو لم تجيء القرينة معه لكان الامر في استقباحه سهلاً وذلك قول الشريف الرضي :

أعْزِزْ عليّ بأن أراكَ وقد خلا عن جانبيك مقاعدُ العوّادِ

فان أبا محمد بن سنان الخفاجي قد ذكر هذا البيت في كتابه فقال : ان ايراد هذه اللفظة ، أعني « مقاعد » في هذا الموضع صحيح ، الا انه موافق لما يُكره ذكره في مثل هذا الشعر لا سيما وقد اضافه إلى من يحتمل اضافته اليه وهو «العوّاد». ولو انفرد لكان الامر فيه سهلاً. فأما الاضافة إلى من ذكره ففيها قبح لا خفاء به . هذه حكاية كلام أبي محمد بن سنان الخفاجي ، وهو كلام مرضي واقع موقعه في هذا الباب »[2] .

ورد رأيه في باب الاستعارة رداً عنيفا . ورجّح كلام الآمدي في تفسير بيت امرىء القيس ونقده :

---

(١) سر الفصاحة ص ١١٠ .

(٢) الجامع الكبير ص ٥٣ ، وينظر المثل السائر ج ١ ص ١٨٦ ، وسر الفصاحة ص ٩٣ .

فقلْتُ له لمـــا تمطّى بصُلْبـــه   وأردفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ [1]

وهكذا خلق كتاب « سر الفصاحة » جواً من النقد ، وساهم في تطور البلاغة ووضع مقاييسها ووضوح مناهجها .

ابن منقـــذ :

ألّف ابو المظفر أسامة بن منقذ (ـــ ٥٨٤ هـ) كتاب « البديع في نقد الشعر » جمع فيه خمسة وتسعين نوعا من فنون البديع . وهذه الانواع ليست مرتبة كالترتيب الذي وصل الينا عن السكاكي وتلاميذه وانما كانت معروضة كعرض الاوائل الذين لم يعرفوا التقسيم الثلاثي .

والكتاب جَمْعٌ لما تفرق في كتب المتقدمين التي وقف عليها وهي : البديع لابن المعتز ، والحالي والعاطل ، وحلية المحاضرة للحاتمي ، وكتاب الصناعتين للعسكري ، واللمع للعجمي ، والعمدة لابن رشيق . وقد حاول أسامة ان يجمع من هذه الكتب أمتع ما فيها ليكون كتابه مغنياً عنها . ولم يدّعِ ابتداع فن مما أورده وقرر بصراحة ان لهؤلاء فضيلة الابتداع وله فضيلة الاتباع .

وطريقة ابن منقذ تختلف كل الاختلاف عن طريقة ابن سنان ، وهو أقرب إلى ابن المعتز في بديعه وأبي هلال في صناعتيه ، فهو يأخذ الموضوع الواحد وبعد ان يعرّفه يعرض الأمثلة ويميز الحسن من الرديء . وتكاد شخصيته تنعدم في كتابه الا ما كان من نقده لأبي هلال، قال في باب الركاكة « الركاكة هو ان يكون المعنى متناولاً واللفظ متداولا كالكلمات المستعملة والألفاظ المهملة فيكون الشعر ركيكاً والنسج ضعيفا كقول امرىء القيس :

---

(١) ينظر الجامع الكبير ص ٨٧ ، والمثل السائر ج ١ ص ٣٨ ، وسر الفصاحة ص ١٣٨ .

ألا إنّي بالٍ على جمل بـــالٍ يقود بنا بالٍ ويتبعنا بـــالِ

ومن العجب ان صاحب الصناعتين جعله من محاسن الشعر ولقبه بالتعطف . ولا خلف بين العالم والجاهل في ركاكته » [1] .

ومن التفاتاته النقدية ما ذكره عن أبيات لابن سنان أخذها عن مهيار ، وفيها تبدو مقدرته على العرض والتحليل واظهار ما في الكلام من روعة وجمال. قال في باب المساواة : « ومن ذلك لمهيار :

ظهورك آيــةٌ للهِ صَحّتْ بها الاديانُ واشتفتِ الصـــدورُ
رأوك وميّتُ الآمـــال حــيٌّ بجودك والنّدى الاعمى بصيرُ
فآمن بِالمسيحِ وآيتيـــــــه بأن نشأت من الطيرِ الطيورُ
وأيقن أنّ موسى شقّ بحــراً بأن شقت بكفيك البحورُ
وأبصرَ قبلَكَ الماضين مـــروا ولمّـــا تنتظمْ بهمُ الامورُ
صبا لمحمدٍ فــأساغ فيـــه وقال الرسل خيرهمْ الأخيرُ

فأخذه ابن سنان فوفى عليه وجاء بكل بيتين في بيت واحد ، فجاء أحلى منه كلاماً وأحسن نظاما الا انه غالى فيه ، تجاوز الله عنه ، فقال :

أعيا جزيل نداك يا ابن مقلـــدٍ شكري وقصّر عنه جهد ثنائي
وصفوا بياضَ يدِ الكريم بآيةٍ منه ، وكم لك من يدٍ بيضاءِ
وتعاظموا إحياءَ عيسى ميتـــا فرداً ، وجودك باعث الفقراءِ
ورأوا وقد صعد السماءَ محمدٌ عجباً ، وقدرُك فوق كلِ سماءِ [2]

وخالف البلاغيين في بعض المصطلحات فسمى الالتفات انصرافا وقال عنه : « هو ان يرجع من الخبر إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الخبر ، مثل

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٩٦ ، وينظر كتاب الصناعتين ص ٤٢٠ .
(٢) البديع في نقد الشعر ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

قوله تعالى : « حتى اذا كُنْتُم في الفُلْكِ وجرينَ بهم » . ولبعض العرب :

أتذكر إذْ تودعنــا سُليمـــى بعودِ أراكةٍ ، سُقِي البشامُ [1]

وخلط بين الكناية والتورية والتذييل والتتميم والمبالغة والتسهيم والترديد والتصدير والتشبيب ووضع فصولاً لمسائل بديهية ولأحكام عامة كما فعل في باب الظرافة والسهولة .

وأحس القدماء بما في كتاب ابن منقذ من خلط واضطراب فقال ابن أبي الاصبع المصري : « وبديع ابن منقذ على ما فيه من التوارد والتداخل وتسمية أقسام الباب الواحد أبواباً وضم أنواع المآخذ وأصناف العيوب إلى المحاسن والاعتداد بها في عدة أبواب ومخالفة الشواهد والتراجم إلى فنون من الزلل وضروب من الخلل يعرف صحتها من وقف على كتابه وأمعن النظر فيه وتدبر جملة معانيه » [2] وقال : « واذا وصلت إلى بديع ابن منقذ وصلت إلى الخبط والفساد العظيم والجمع من أشتات الخطأ وأنواعه من التوارد والتداخل وضم غير البديع والمحاسن إلى البديع كأنواع من العيوب وأصناف من السرقات ومخالفة الشواهد للتراجم وفنون من الزلل والخلل يعرف صحتها من وقف على كتابه وأنعم النظر فيه » [3] . وقال ابن حجة الحموي : « واذا وصلت إلى بديع ابن منقذ وصلت إلى الخبط والفساد والجمع بين أسباب الخطأ وأنواعه من التداخل والتبديل » [4] .

ومهما قيل في الكتاب فإنه يمثل وجهة نظر مؤلفه ويعكس صورة صادقة لثقافته وثقافة عصره ، ويوضح اتجاه البلاغة والنقد في تلك الحقبة . ويبقى

---

(١) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٠ .
(٢) بديع القرآن ص ١٣ .
(٣) تحرير التحبير ص ٩١ .
(٤) خزانة الادب ص ١٣٦ .

بعد هذا كله مصدراً مهماً لما فيه من نظرات نقدية واشارات إلى كتب اطلع عليها ونقل عنها .

المصـــري :

ألف ابو محمد زكي الدين عبد العظيم المعروف بابن أبي الاصبع العدواني المصري (ـ ٦٥٤ هـ) كتابين مهمين في البلاغة هما « تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن » و « بديع القرآن » . وقد ألف الأول ليدرس فيه الالوان البلاغية التي عرفت في زمانه ، وقسمه إلى ثلاثة أقسام . تكلم في الاول على الاصول وهي الابواب التي ذكرها ابن المعتز وقدامة بن جعفر ، وفي الثاني على الابواب التي عدها فروعا كالاحتراس والمواربة والتسهيم والتورية ، وفي الثالث على ما استخرجه بنفسه وهو ثلاثون فناً لم يسلم له منها الا أنواع قليلة . قال في مقدمة الكتاب : « وبعد فإني رأيت القاب محاسن الكلام التي نعتت بالبديع قد انتهت إلى عدد منه أصول وفروع . فأصوله ما أشار اليها ابن المعتز في بديعه وقدامة في نقده لانهما أول من عني بتأليف ذلك . أما ابن المعتز فهو الذي سماه البديع واقتصر في كتابه بهذه التسمية على خمسة أبواب ... وأما قدامة فضمن كتابه الموسوم بنقد الشعر عشرين بابا . وهذه أصول ما ساقه الناس في كتبهم من البديع . » ، ثم ذكر أنواع البديع الفروع وقال : « واضفت هذه الابواب الفروع إلى تلك الثلاثين الاصول فصارت الفذلكة تسعين بابا . ولما أمرني من لا محيد لي عن أمره ولا محيص عن رسمه سيد الفضلاء وقدوة البلغاء وملجأ الادباء ومحط رحال الغرباء وإمام الكرماء القاضي الأجل الفقيه الامام الورع الرضي جلال الدين المكرم أبي الحسن موسى بن الحسن بن سناء الملك ــ أمتعه الله بفضائله كما أمتع الفضلاء بفواضله ورحم سلفه كما رحم به من عرفه ــ بجمع ما في كتب الناس من ذلك على سبيل الاختصار من الشواهد وتجنب الإطالة بذكر كل الاشتقاق إلا ايضاح

مشكل او كشف غامض او زيادة بسط في الكلام على انه من كتاب الله – تعالى – او في بيت قد أهمل تقصي الكلام عليه – بادرت إلى امتثال أمره واستخرت الله – سبحانه وتعالى – حالة الشروع في مرسومه وسألت الاعانة على بلوغ غرضه والهداية إلى ما يترجح عنده »[1] .

وقد جمع مائة وخمسة وعشرين فناً بحثها بأسلوب أدبي ممتع ، وذكر الشواهد الرفيعة وعرض الآراء المختلفة والمصطلحات المتعددة . قال في باب التصريع : « التصريع على ضربين : عروضي وبديعي . فالعروضي عبارة عن استواء عروض البيت وضربه في الوزن والاعراب والتقفية بشرط ان يكون العروض قد غيرت عن أصلها لتلحق الضرب في زنته . والبديعي : استواء آخر جزء في الصدر ، وآخر جزء في العجز في الوزن والاعراب والتقفية ولا يعتبر بعد ذلك أمر آخر . وهو في الاشعار كثير لا سيما في أوائل القصائد ، وكثيراً ما يأتي في أثناء قصائد القدماء ، ويندر مجيئه في أثناء قصائد المحدثين . ووقوعه في الاشعار دليل على غزر مادة الشاعر ، وحكمه في الكثرة والقلة حكم بقية أنواع البديع ، اذ كل ضرب من البديع متى كَثُرَ في شعر سمج كما لا يحسن خلو الكلام منه غالبا . وكل ما جاء منه متوسطاً من غير تكلف فهو المستحسن »[2] .

وأفرد الكتاب الثاني « بديع القرآن » من كتابه « تحرير التحبير » ، وقال عنه : « كتاب بديع القرآن الذي هو تتمة الاعجاز المترجم ببيان البرهان افردته من كتاب هو وظيفة عمري وثمرة اشتغالي في ابان شبيبتي ومباحثي في أوان شيخوختي »[3] . وقسمه إلى ثلاثة أقسام كما فعل في التحرير ، ويبدو ان فكرة بديع القرآن كانت ردّ فعل لفكرة الباقلاني التي بسطها في كتابه « إعجاز

---

(١) تحرير التحبير ص ٨٣ وما بعدها .
(٢) تحرير التحبير ص ٣٠٥ .
(٣) بديع القرآن ص ٣ .

القرآن » التي ذهب فيها إلى ان الاعجاز لا يلتمس من ناحية ما اشتمل عليه كتاب الله من البديع[1] . فجاء ابن أبي الاصبع المصري ليظهر للناس ما في القرآن من بديع وما لهذا البديع من تأثير . قال في باب التورية : « واذا وصلت إلى ما وقع من التورية في الكتاب العزيز وصلت إلى الغاية القصوى »[2] .

وكتاب « بديع القرآن » — وان كان مفردا من تحرير التحبير — يختلف عنه في انه ضم مائة وتسعة أبواب ، بينما ضم الاخر مائة وخمسة وعشرين بابا . والابواب التي أهملها : الهزل الذي يراد به الجد ، ائتلاف اللفظ مع الوزن ، ائتلاف المعنى مع الوزن ، التجزئة ، الترصيع ، التشطير ، التطريز ، التوضيح ، الاغراق ، الغلو ، الاشتراك ، التفريع ، الابداع ، الاستعانة ، المشاكلة ، المواربة ، الحل ، العقد ، الاتفاق ، الهجاء في معرض المدح ، الإلغاز والتعمية . وسبب تركها ان القرآن يخلو منها وهي الصق بالشعر الذي أسرف المتأخرون في زخرفته وصنعته .

وذكر في هذا الكتاب أنواعاً لم يذكرها في الكتاب الاول وهي : التلفيف ، التفصيل ، الالجاء ، التنظير ، الزيادة التي تفيد اللفظ فصاحة وحسنا ، التفريق والجمع ، الرمز والايماء . وهي أثر من آثار متابعته البحث والتنقير في الكتب وإعمال الفكر .

وليس الكتابان سرداً لموضوعات البلاغة وذكراً لأنواع البديع فحسب بل هما دراسة نقدية تمتاز بالتحليل الرائع والذوق الرفيع . ولم يكن مقلدا وانما أضاف ثلاثين فناً نسبها إلى نفسه وسلم له أربعة عشر فنا هي ، التمزيج ، الهجاء في معرض المدح ، العنوان ، الايضاح ، الحيدة والانتقال ، الشماتة ، الإسجال بعد المغالطة ، التصرف ، التسليم ، الافتنان ، القول بالموجب ،

---

(١) ينظر اعجاز القرآن ص ١٦٨ .

(٢) تحرير التحبير ص ٢٧٠ .

حصر الجزئي والحاقه بالكلي ، الابداع ، الانفصال [١] . وليس هذا بقليل من رجل عاش في القرن السابع ، ولكن روحه المتحفزة وشاعريته المتفتحة وبحثه الدائب هدته إلى هذه الفنون .

وأثر الكتابان في شهاب الدين الحلبي (— ٧٢٥ هـ) صاحب « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » والنويري (— ٧٣٣ هـ) مؤلف « نهاية الأرب » والخطيب القزويني (— ٧٣٩ هـ) صاحب « التلخيص » و « الايضاح » وبهاء الدين السبكي (— ٧٧٣ هـ) صاحب « عروس الافراح » والسيوطي (— ٩١١هـ) صاحب « الإتقان » .

* * *

(٣) ينظر بديع القرآن ص ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ، وابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ص ٣٠٧—٣٢٥ ، والبيان العربي لطبانة ص ٣١٧ .

الكتاب

الكتاب الاوائل :

كان للكتّاب أثر واضح في البلاغة ، فقد صبغوا كثيرا من بحوثها بصبغة أدبية لما امتازوا به من أدب رفيع وذوق سليم . وهم الذين قال الجاحظ عنهم : « أما أنا فلم أرَ قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتّاب فإنهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً » (١) . وقال : « وقد جلست إلى أبي عبيدة والاصمعي ويحيى بن نجيم وأبي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحداً منهم قصد إلى شعر في النسيب فأنشده ، وكان خَلَفُ يجمع ذلك كله . ولم أرَ غاية النحويين إلا كلّ شعر فيه إعراب ، ولم أرَ غاية رواة الاشعار إلاّ كل شعر فيه غريب او معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج . ولم أرَ غاية رواة الاخبار إلاّ كل شعر فيه الشاهد والمثل . ورأيت عامتهم — فقد طالت مشاهدتي لهم — لا يقفون الا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى الالفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد ، وعلى كل كلام له ماء ورونق ، وعلى المعاني التي اذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧ .

الفساد القديم وفتحت للسان باب البلاغة ودلّت الاقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعاني . ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم وعلى ألسنة حذاق الشعراء أظهر . ولقد رأيت أبا عمرو الشيباني يكتب أشعاراً من أفواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ والتذاكر، وربما خيل إلي ان أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون ابدا أن يقولوا شعراً جيدا لمكان أعراقهم من أولئك الآباء . ولولا ان اكون عيّابا ثم للعلماء خاصة لصورت لك في هذا الكتاب ما سمعت من أبي عبيدة ، ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة »[1] .

وقال — كما لخصه ابن رشيق عنه — : « طلبت الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه فرجعت إلى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا يتقن الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والأنساب فلم أظفر بما أردت الا عند ادباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد ابن عبد الملك الزيات »[2] .

وقال ابن رشيق : « الكتاب أرقّ الناس في الشعر طبعاً وأملحهم تصنيفا وأحلاهم الفاظا ، وألطفهم معاني ، وأقدرهم على تصرف ، وأبعدهم من تكلف . وقد قيل : الكتاب دهاقين الكلام »[3] . وعلل الدكتور زكي مبارك تقدمهم على الرواة في فهم البلاغة بكلفهم وشغفهم بالوقوف على سر البيان ، لأنهم يزاولونها من طريق الأداء لا من طريق النقل ، والفرق بين الوجهتين بعيد[4] .

وأخذت الكتابة مكانة مرموقة منذ العصر الأموي ، وكان عبد الحميد

---

(١) البيان ج ٤ ص ٢٣ — ٢٤ .
(٢) العمدة ج ٢ ص ١٠٥ .
(٣) العمدة ج ٢ ص ١٠٦ .
(٤) الموازنة بين الشعراء لمبارك ص ٤٦ .

الكاتب (– ١٣٢ هـ) ممن انتهت اليهم رياسة الكتابة في ذلك العهد . وقد وصفه الجاحظ ببلاغة اللسان والقلم ، وعدّه من المقدمين في طبقة المعلمين [١] . واشتهر بطريقته في الكتابة ، وكان له أسلوب مؤثر حتّى ان ابا مسلم الخراساني حينما وصل اليه كتابه لم يقرأه خوفاً من ان يؤثر فيه ويثنيه عن رأيه ودعوته ، ودعا بنار فطرحه فيها إلاّ قدر ذراع كتب عليه :

محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ وانتحى
ليوث الوغى يَقْدِمْنَ من كل جانبِ
فإن يقدموا نعملْ سيوفاً شحيذةً
يهون عليها العتْبُ من كلِ عاتبِ [٢]

وأوصى عبد الحميد الكتّابَ في رسالته الموجهة اليهم بالاطلاع الواسع على الفنون المختلفة والأخذ منها بطرف . وقال عن الكاتب انه « قد نظر في كل فن من فنون العلم ، فأحكمه فان لم يحكمه أخذ منه بمقدار يكتفي به » . ثم قال : « فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدأوا بعلم كتاب الله – عز وجل – والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم. ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها [٣] .

وأثّر ابن المقفع (– ١٤٣ هـ) تأثيراً كبيراً في الكتابة وكان كاتباً مهيب الجانب عظيم الشأن ، ذا نظرات بيانية بديعة ، وقد أوصى طالبَ الادب ان يسلم من السقط بالحفظ ، وان يكون قادرا على بارع الصواب [٤] . وأشار إلى صياغة الكلام التي تحدث عنها الجاحظ وعبد القاهر الذي بنى عليها نظرية

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٨ ، ٢٥١ .
(٢) ينظر دروس في البلاغة وتطورها ص ٣٩ .
(٣) ينظر صبح الاعشى ج ١ ص ٨٥ – ٨٦ ، ورسائل البلغاء ص ٢٢٥ ، ونشأة الكتابة للدكتور نصار ص ١٢٨ .
(٤) الادب الكبير – آثار ابن المقفع ص ٢٨١ ، ورسائل البلغاء ص ٤٣ .

النظم ، وقال : « فاذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل وان يقولوا قولاً بديعا ، فليعلم الواصفون المخبرون ان أحدهم وإن أحسن وأبلغ ليس زائدا على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجدا ومرجانا فنظمه قلائدَ وسموطا وأكاليل ووضع كل فص موضعه وجمع إلى كل لون شبهه مما يزيده بذلك حسناً ، فسمي بذلك صائغاً رفيقا ... وكصاغة الذهب والفضة صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي والآنية ، وكالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً فصار ذلك شفاءً أو طعاما وشرابا منسوبا اليها مذكورا به أمرها وصنعتها ، فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه او يستحسن منه فلا يعجبن به اعجاب المخترع المبتدع فانه انما اجتباه كما وصفنا »[1] .

ولا يخرج كلام الجاحظ وعبد القاهر وأمثلتهما عما رسمه ابن المقفع ، وان فصّلا في القول تفصيلاً قامت عليه نظرية النظم التي أخذت طابعها الواضح ورسومها الثابتة في كتاب « دلائل الاعجاز » .

ولابن المقفع أقوال في البلاغة تدلّ على فهمه لهذا الفن منذ عهد مبكر ، وقد أعجب معاصروه بتعريفه للبلاغة فقال اسحاق بن حسان بن قوهي : « لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الاشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون ابتداءا ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعاً وخطبا ، ومنها ما يكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة إلى المعنى ، والايجاز هو البلاغة . فأما الخطب بين السماطين وفي إصلاح ذات البين فالإكثار في غير خطل والإطالة في

---

(٧) الادب الصغير – آثار ابن المقفع ص ٣١٩ ، ورسائل البلغاء ص ٥ – ٦ .

غير املال . وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير أبيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته .

فقيل له : فان مل السامع الاطالة التي ذكرت انها حق ذلك الموقف . قال : اذا اعطيت كل مقام حقه ، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانه لا يرضيهما شيء ، وأما الجاهل فلست منه وليس منك . ورضا جميع الناس شيء لا تناله ، وقد كان يقال : « رضا الناس شيء لا ينال » (١) .

لقد كان ابن المقفع كاتباً كبيرا يعرف سمات الكتابة وخصائصها ، ويفرق بين أنواعها ، ولا غرو اذا قال هذه الكلمات التي هي وصية للكتاب والشعراء الذين تعنيهم الاساليب الرائعة والعبارات البديعة . وفي هذه الوصية او الكلمة البليغة اشارة إلى كثير من فنون البيان التي بنى عليها البلاغيون دراستهم وهي : الايجاز والاطالة ، وحسن الابتداء ، ورد العجز على الصدر ، يضاف إلى ذلك كله مطابقة الكلام لمقتضى الحال الذي أصبح تعريفا للبلاغة .

ولعمرو بن عبيد (ـ ١٤٤ هـ) تعريف للبلاغة ، فقد سئل عنها فقال : « ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار ، وما بصّرك مواقع رشدك وعواقب غيك » فقال السائل : ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن ان يسكت لم يحسن ان يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « انا معشر الانبياء بكاء » أي قليلو الكلام ... قال السائل : ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنك انما تريد تخير اللفظ في حسن الإفهام . قال : نعم . قال : انك ان أوتيت تقرير حكمة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٥ - ١١٦ ، وينظر زهر الآداب ج ١ ص ١١٣ .

المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الاذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ـ كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستحققت على الله جزيل الثواب »[(١)] .

وتتجلى في هذه العبارات النزعة الدينية ، ولكن عمرو بن عبيد استطاع ان يصل إلى ما سعى اليه السائل ، وحدد بعض ما ينبغي ان يأخذ به البليغ من تزيين المعاني واختيار الالفاظ والابتعاد عن الهذر والاكثار في الكلام حيث لا تنبغي الاطالة والتفصيل .

ولشبيب بن شيبة (ـ ١٧٠ هـ) رأي في جودة الخاتمة وحسن الايجاز ، قال : « الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه ، وانا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه . وحظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت » . ثم قال : « فإن ابتليت بمقام لا بدّ لك فيه من الاطالة فقدّم أحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدم في أحكام البلوغ في شرف التجويد . واياك ان تعدل بالسلامة شيئاً ، فان قليلا كافيا خير من كثير غير شاف »[(٢)] .

ومن أوائل الكتاب ايضا سهل بن هارون (ـ ١٧٣ هـ) الذي قال : « بلاغة الانسان رفق والعي خرق »[(٣)] وقال : « لو ان رجلين خطبا او تحدثا او احتجا او وصفا وكان أحدهما جميلا بهياً ولباسا نبيلا ، وذا حسب شريفا ، وكان الآخر قليلا قميئا وباذّ الهيئة ذميماً وخامل الذكر مجهولا ، ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة وفي وزن واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع ، وعامتهم تقضي للقليل الدميم على النبيل الجسيم، وللباذّ الهيئة

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٤ ، وينظر العقد الفريد ج ١ ص ٢٨٥ ، وزهر الاداب ج ١ ص ١١١ ، والرسالة العذراء ـ رسائل البلغاء ص ٢٥٢ .
(٢) البيان ج ١ ص ١١٢ .
(٣) البيان ج ٢ ص ٤٣ .

على ذي الهيئة ، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه له ، ولصار التعجب منه سببا للعجب به، ولصار الاكثار في شأنه علة للاكثار في مدحه .. لان النفوس كانت له أحقر ومن بيانه أيأس ومن حسده ابعد . فاذا هجموا منه على ما لم يكونوا يحتسبونه وظهر منه خلاف ما قدروه تضاعف حسن كلامه في صدورهم وكبر في عيونهم لأن الشيء من غير معدنه أغرب ، وكلما كان أغرب كان ابعد في الوهم ، وكلما كان ابعد في الوهم كان أطرف ، وكلما كان اطرف كان أعجب وكلما كان اعجب كان ابدع »[1] .

واشتهر جعفر بن يحيى (– ١٨٧ ﻫ) بالبلاغة ، وكان أنطق الناس ، جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة وإفهاما يغنيه عن الاعادة . وكان لا يتحبس ولا يتوقف ولا يرتقب لفظا قد استدعاه من بُعد ، ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه ، أشد اقتداراً ولا أقل تكلفا. قال ثمامة بن أشرس : قلت لجعفر بن يحيى ما البيان ؟ قال : « ان يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه من الشِركة ولا تستعين عليه بالفكرة ، والذي لا بد له منه ان يكون سليماً من التكلف ، بعيدا من الصنعة ، بريئاً من التعقد ، غنياً عن التأويل »[2] .

وكان جعفر يميل إلى الايجاز في توقيعاته ويقول لكتابه : « ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا »[3] ولكنه كان يعرف ان لكل مقام مقالا ، ويقول : « متى كان الايجاز أبلغ كان الاكثار عيّاً ، ومتى كانت الكناية في موضع الاكثار كان الايجاز تقصيرا »[4] .

---

(١) البيان ج ١ ص ٨٩ .
(٢) البيان ج ١ ص ١٠٦ ، وينظر عيون الاخبار ج ٢ ص ١٧٣ ، وكتاب الصناعتين ص ٤٢ وزهر الاداب ج ١ ص ١١٨ .
(٣) البيان ج ١ ص ١١٥ ، وينظر كتاب الصناعتين ص ١٧٣ .
(٤) كتاب الصناعتين ص ١٩٠ ، وينظر قانون البلاغة – رسائل البلغاء ص ٤٠٥ .

ومنهم كلثوم بن عمرو العتّابي (ـ ٢٢٠ هـ) الشاعر الكاتب الذي أثّر في مدرسة البديع ، وقال عنه الجاحظ : « وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كمنصور النمري ومسلم بن الوليد الانصاري وأشباههما . وكان العتّابي يحتذي حذو بشّار في البديع » [١] .

وسُئل العتابي عن البلاغة فقال : « كل من أفهمك حاجته من غير اعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فان اردت اللسان الذي يروق الالسنة ويفوق كل خطيب فاظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق » . وقال له السائل : قد عرفت الاعادة والحبسة ، فما الاستعانة ؟ قال : « اما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : يا هناه ، ويا هذا ، ويا هيه ، واسمع مني ، واستمع إليّ ، وافهم عني ، أو لست تفهم ؟ أو لست تعقل ؟ فهذا كله وما اشبهه عيّ وفساد » [٢] .

ويريد العتابي بقوله : « كل من افهمك حاجته .... » افهام العرب الحاجة على مجاري كلام الفصحاء منهم لا معاشر المولدين والبلديين ، قال الجاحظ : « لم يَعْنِ ان كل من افهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف عن حقه انه محكوم له بالبلاغة كيف كان ..... وانما عنى العتابي افهامك العرب حاجتك على مجاري العرب الفصحاء » [٣] .

وتحدث العتابي عن ارتباط الالفاظ بالمعاني وقال : « الالفاظ أجساد والمعاني أرواح ، وانما تراها بعيون القلوب فاذا قدّمت منها مؤخراً او اخرت منها مقدما

---

(١) البيان ج ١ ص ٥١ .
(٢) البيان ج ١ ص ١١٣ ، وينظر ص ٢٢٠ وكتاب الصناعتين ص ١١ ، وزهر الاداب ج١ ص ١١٥ .
(٣) البيان ج ١ ص ١٦١ – ١٦٢ .

فسدت الصورة وغيرت المعنى كما لو حول راس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية » . [1] وعلق أبو هلال العسكري على هذه العبارة قائلاً : « وقد احسن في هذا التمثيل وأعلم به ان الذي ينبغي في صيغة الكلام وضع كل شيء منه في موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم » . [2]

ورأى ان اختيار الالفاظ ووضعها في موضعها يحتاج إلى دقة وعناية ، قال : « ما رأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم وجرينا فيه من صنوف الآداب شيئاً أصعب مراماً ولا اوعر مسلكاً ولا أدل على فضل الرجال ورجاحتهم واصالة الرأي وحسن التمييز منه واختياره من الصناعة التي خطبتها والمعنى الذي طلبته . وليس شيء اصعب من اختيار الالفاظ وقصدك بها إلى موضوعها ، لان اللفظة تكون اخت اللفظة وقسيمتها في الفصاحة والحسن ولا تحسن في مكان غيرها » . [3] .

هؤلاء أشهر الكتاب الذين سبقوا الجاحظ وكان لأقوالهم أثر في آرائه وفيما كتب، ولا سيما كتابه « البيان والتبيين » الذي جمع تلك الآراء وحفظها من الضياع .

الجاحظ :

كان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ـ ٢٥٥ هـ) أديبا متكلما ، ولشهرته بالادب سلكناه في الكتّاب ولم ندخله في بحث الفلاسفة والمتكلمين كما فعلنا ببشر بن المعتمر (ـ ٢١٠ هـ) الذي كان شيخ معتزلة بغداد ومن اصحاب الرأي الذين سيطرت عليهم النزعة الكلامية .

---

(١) كتاب الصناعتين ص ١٦١ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ١٦٢ .

(٣) الرسالة العذراء (ط دار الكتب) ص ٣١ ، وينظر رسائل البلغاء . ص ٢٤١ ، والبلاغة العربية في دور نشأتها ص ٩١ .

ألف الجاحظ كتباً كثيرة ، ولكن كتابيه « البيان والتبيين » و « الحيوان » زاخران بالبيان . وقد عده بعض الباحثين مؤسساً للبيان العربي ، وقال الدكتور سيد نوفل : « يعد الجاحظ في رأيي مؤسس علم البلاغة العربية » .[١] وقال الدكتور داود سلوم : « إني أرى ان الجاحظ هو المؤسس بحق لعلم البلاغة لأنه لم يكن جمّاعاً لآراء اصحاب البلاغة كما يسميهم في عصره بل كان ناقداً لها لم يأخذها على علاتها » .[٢] وفي ذلك كثير من الدقة وان كنا نرى ان رواية الاخبار ونقل الآراء والاقوال تغلب عليه ، وقد احتاط الدكتور طه حسين فقال : « ومع ذلك فالعرب لم يخطئوا حين عدوا الجاحظ مؤسس البيان العربي وليس ذلك لانه وصل بجهده الخاص إلى قاعدة بيانية بعينها ، فشخصيته القوية تكاد تكون معدومة في كتابه البيان والتبيين ، ولكن لانه جمع في هذا الكتاب طائفة من النصوص توضح توضيحاً حسنا كيف كان العرب يتصورون البيان في القرن الثاني والنصف الاول من القرن الثالث ، وتعطينا صورة مجملة لنشأة البيان العربي إن لم تسمح لنا بتأريخ هذه النشأة » .[٣] .

وطريقة الجاحظ في بحث فنون البلاغة ، لا تختلف كثيراً عن طريقة معاصريه ، فهو لم يفرد فصولاً لها كأبي هلال وعبد القاهر والسكاكي ، وانما نثر مسائلها نثراً في فصول كتبه المختلفة ولذلك لم يتضح له منهج في البلاغة ، ولم تكن له خطة يسير عليها في تبويب الفنون . وقد شعر القدماء بهذا فقال أبوهلال بعد ان اثنى على كتاب البيان والتبيين : «الا ان الابانة عن حدود البلاغة واقسام البيان والفصاحة مبثوثة لا توجد الا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير »[٤] . وقد يكون للجاحظ عذر ، لانه لم يؤلف « البيان والتبيين » او « الحيوان » لبحث البلاغة والتفصيل في موضوعاتها وانما ألفهما لأهداف اخرى ، يضاف

(١) البلاغة العربية في دور نشأتها ص ١٧٠ .
(٢) النقد المنهجي عند الجاحظ ص ٨٨ .
(٣) مقدمة نقد النثر ص ٣ .
(٤) كتاب الصناعتين ص ٥ .

إلى ذلك ان البلاغة في عهده لم تستقر بعد ولم توضع اصولها وتبوّب موضوعاتها . وقد جمع الدكتور سيد نوفل في كتابه « البلاغة العربية في دور نشأتها » فنون البلاغة المبثوثة في كتب الجاحظ وصنفها تصنيفاً جديداً فظهرت بلاغته واضحة جلية ، وبدا أثره للعيان . وسنشير هنا إلى اهم القضايا التي عرضها الجاحظ والفنون البلاغية التي ذكرها لنستطيع تصور بلاغته ومنهجه فيها .

واول ما يلقانا في « البيان والتبيين » تعريفات البلاغة عند العرب والأمم الاخرى ، ولكنه لا يعطي تعريفاً واضحا فيه حصر دقيق . وبتعبير آخر لم يَحُمْ أي تعريف منها حول ما ندركه اليوم وما استقرت عليه الدراسات المتأخرة . وكل ما قاله في تحديدها بعد ان ذكر الاقوال الكثيرة : « وقال بعضهم – وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوّناه – لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك اسبق من معناه إلى قلبك . [1] » .

ونقل البلاغيون هذه التعريفات وأداروها في كتبهم وعلقوا عليها ، وكان ابو هلال العسكري من أسبقهم إلى الاستعانة بها في تعريف البلاغة وتحديدها .

والبيان –عند الجاحظ– هو «الاسم الجامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتّى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل . لأن مدار الامر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع انما هو الفهم والافهام . فبأي شيء بلغت الإفهام واوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموقع » . [2]

وذكر البديع ، وهو عنده وصف للمعاني والصور الغريبة الظريفة كالاستعارة والتشبيه وفنون البلاغة الاخرى . وقصره على العرب وقال : « والبديع مقصور

---

(١) البيان ج ١ ص ١١٥ .
(٢) البيان ج ١ ص ٧٦ .

على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان » . [1] واطلقه على الاستعارة وقال معلقاً على ابيات الاشهب بن رميلة :

وإنّ الألى حانت بفلج دماؤهم
هُم القومُ كل القومِ يا أمّ خالدِ

هُمُ ساعدُ الدهرِ الذي يُتقى به
وما خيرُ كفٍ لا تنوءُ بساعدِ

أسودُ شَرًى لاقتْ أسوداً خفيةً
تساقوا على حَرْدٍ دماءَ الأساودِ

قوله : « هُم ساعد الدهر » انما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع » . [2]

وتحدث عن اصحاب البديع وقال : « ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتابي وكنيته ابو عمرو ، وعلى الفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمري ومسلم بن الوليد الانصاري واشباههما . وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع ، ولم يكن في المولدين اصوب بديعاً من بشار وابن هرمة » [3] . وقال : « والراعي كثير البديع في شعره وبشار حسن البديع ، والعتابي يذهب شعره في البديع » . [4]

ولم يذكر مصطلح « علم المعاني » لأنه لم يكن معروفاً في عهده وان اشار إلى بعض الفنون التي ادخلها المتأخرون فيه كالإيجاز والاطناب .

(١) البيان ج ٢ ص ٥٥ .
(٢) البيان ج ٤ ص ٥٥ .
(٣) البيان ج ١ ص ٥١ .
(٤) البيان ج ٤ ص ٥٦ .

واهتم بالفصاحة اهتماماً كبيراً لانه يرى ان العناية بالالفاظ جديرة بالرعاية ، وتعتبر دراسته للالفاظ من اوسع ما وصل الينا من تلك الفترة التي لم تكن البلاغة فيها قد استقرت واخذت شكلها الاخير . قال عن الالفاظ : « وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها ، وغيرها احق بذلك منها . الا ترى ان الله – تبارك وتعالى – لم يذكر في القرآن الجوع الا في موضع العقاب او في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر . لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا في موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث .

ولفظ القرآن الذي عليه نزل إنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع . واذا ذكر سبع سموات لم يقل الارضين . ألا تراه لا يجمع الارض أرضين ولا السمع اسماعا ، والجاري على افواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الالفاظ ما هو احق بالذكر وأولى بالاستعمال » . (١)

وتكلم على تنافر الحروف وقال : « فأما في اقتران الحروف فان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير . والزاى لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير . وهذا باب كبير ، وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي بها يجري » . (٢) وقال عن تنافر الالفاظ : « ومن الفاظ العرب الفاظ تتنافر وان كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها الا ببعض الاستكراه ، فمن ذلك قول الشاعر :

وقبـــرُ حربٍ بمكـــانٍ قَفْـــر   وليس قُرْبَ قبرِ حَرْبٍ قَبْرُ

---

(١) البيان ج ١ ص ٢٠ .
(٢) البيان ج ١ ص ٦٩ .

ولما رأى من لا علم له ان احداً لا يستطيع ان ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج وقيل لهم ان ذلك انما اعتراه ، اذ كان من اشعار الجن صدقوا ذلك .

ومن ذلك قول ابن يسير في أحمد بن يوسف حين استبطأه :

لم يَضرها والحمدُ للهِ شَـــيءٌ　　　وانثنتْ نحو عزفِ نفسٍ ذهولِ

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض الفاظه يتبرأ من بعض »[1] .

وينبغي ان تكون الالفاظ متماثلة كي لا يقع بينها التنافر فتصبح كأولاد علة وهم بنو رجل واحد من امهات شتى . قال : « وأنشدني أبو العاصي ، قال : انشدني خلف الأحمر في هذا المعنى :

وبعض قريض القوم أولاد علةٍ　　　يكد لسان الناطق المتحفــظ

وقال ابو العاصي : وانشدني في ذلك ابو البيداء الرياحي :

وشعر كبعرِ الكبش فرّق بينـــه　　　لسانُ دعيّ في القريض دخيل

وفسر هذين البيتين بقوله : « اما بيت خلف «وبعض قريض القوم اولاد علة» فانه يقول : اذا كان الشعر مستكرها وكانت الفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين اولاد العلات . واذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب اختها مرضيّا موافقاً كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤونة قال : واجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك انه قد أُفرغ افراغاً واحداً وسبك سبكا واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان .

وأما قوله : « كبعر الكبش » فانما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير

---

(١) البيان ج ١ ص ٦٥ – ٦٦ .

مؤتلف ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة . وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده ، والاخرى تراها سهلة لينة ورطبة مواتية سلسة النظام خفيفة على اللسان حتّى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة . وحتّى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد » [1] .

ورأى ان اللفظ كما لا ينبغي أن يكون عامياً وساقطاً سوقيا ، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشياً الا ان يكون المتكلم بدوياً أعرابيا ، فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي [2] .

ان الجاحظ يهتم اهتماما عظيما بالألفاظ ويوليها عناية كبيرة ، وقد دفعه هذا الاهتمام إلى ان يقول : « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك . فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير » [3] .

وظن بعضهم انه يميل إلى اللفظ كل الميل ، وانه يهمل المعنى كل الاهمال ، والحق انه عني بالمعنى والصورة الادبية كما عني باللفظ ، وقوله : « فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير » يوضح رأيه ونزعته . ولعل دفاعه عن اللفظ يعود إلى ما كان بين العنصرين العربي والاعجمي من صراع ، فقد تشيع الاعاجم للمعنى تشيعاً عظيماً واتجه العرب إلى اللفظ يعظمونه . وعُرف الجاحظ بكرهه للشعوبية الحاقدة ودفاعه عن العرب فقال يرد دعواهم : « ونحن — أبقاك الله — اذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والارجاز ومن المنثور والاسجاع ومن المزدوج وما لا يزدوج فمعنا العلم أن ذلك لهم

---

(١) البيان ج ١ ص ٦٦ — ٦٧ .

(٢) البيان ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ١٣١ — ١٣٢ .

شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان ان يقول مثل ذلك الا في اليسير والنبذ القليل .

ونحن لا نستطيع ان نعلم ان الرسائل التي بأيدي الناس للفرس انها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة اذ كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد وغيلان يستطيعون ان يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير . واخرى انك متى أخذت بيد الشعوبي فأدخلته بلاد الاعراب الخلّص ومعدن الفصاحة التامة ، ووقفته على شاعر مفلق او خطيب مصقع علم ان الذي قلت هو الحق وأبصر الشاهد عيانا . فهذا فرق ما بيننا وبينهم . فتفهم عني — فهمك الله — ما أنا قائل في هذا ، ثم اعلم انك لم تَرَ قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ولا أشد استهلاكا لعرضه ولا أطول نصباً ولا أقل غُنماً من أهل هذه النحلة . وقد عفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم وتوقد نار الشنآن في قلوبهم وغليان تلك المراجل الفائرة وتسعر تلك النيران المضطرمة . ولو عرفوا أخلاق أهل كل لغة وعللهم على اختلاف شاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهيئاتهم وما علة كل شيء من ذلك ، ولم اجتلبوه ولم تكلفوه — لأراحوا أنفسهم ولخفّت مؤونتهم على من خالطهم » [1] .

لقد كان هذا دافعا الى ان يسرف الجاحظ في تقدير الالفاظ مع انه يروي أن بعضهم لا يحفل الا بالمعنى كأبي عمرو الشيباني الذي يرى ان المعنى متى كان رائعا حسنا ظل كذلك في أية عبارة وضع فيها ، فالبيتان :

لا تحسبنَّ المــوتَ موتَ البلى فانما الموتُ سؤالُ الرجــال
كلاهمـــــا مَوْتٌ ولكنَّ ذا أفظع من ذاك لــذلِ السؤال

---

(١) البيان ج ٣ ص ٢٩ — ٣٠ .

استحسنهما أبو عمرو على حين ليست عليهما مسحة ادبية سوى الوزن . وعابه الجاحظ ورأى انه مسرف في تقديرهما وقال : « وانا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة ان كلف رجلاً حتى احضره دواة وقرطاساً حتى كتبهما له . وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً ابدا ، ولولا ان أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت ان ابنه لا يقول شعرا أبدا » (١) .

لقد اهتم الجاحظ باللفظ ولكنه لم يهمل المعنى ، ومن هنا لا نؤمن بما ذهب اليه بعضهم من انه من انصار اللفظ ولأجله خاض عبد القاهر غمار هذا البحث وتمسك بالمعنى واقام نظرية النظم . ورأى الدكتور مندور ان كل آراء عبد القاهر تنحصر في مسألتين :

الاولى : انكاره لما رآه الجاحظ من اهمية فصاحة الالفاظ باعتبار تلك الفصاحة صفة في اللفظ ذاته ثم ثورته على مذهب العسكري الذي رد جودة الكلام الى محسنات لفظية تقف عند الشكل .

الثانية : تعليقه جودة الكلام بخصائص في النظم (٢) .

وعبارة الجاحظ : « فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير » وما نقله عبد القاهر من اهتمامه بالصياغة خير دليل على ما نذهب اليه . يضاف الى ذلك ان الجاحظ كان يؤمن بأن القرآن معجز بنظمه ومن أجله ألّف كتابه « نظم القرآن » وكرر في كتبه ان كتاب الله العزيز بديع النظم لا يقدر على مثله البشر ، قال : « في كتابنا المنزل الذي يدلنا على انه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد » (٣) .

---

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٣١ .
(٢) في الميزان الجديد ص ١٤٩ .
(٣) الحيوان ج ٤ ص ٩٠ .

وتحدث الجاحظ عن موضوعات بلاغية كثيرة كالاستعارة والتشبيه والمجاز والكناية والايجاز والاطناب والتورية والسجع والاقتباس واسلوب الحكيم والمذهب الكلامي [1]. وعرف بعضها ومثل لها بأمثلة كثيرة تدل على اطلاعه الواسع وذوقه الرفيع وادراكه العميق للمعاني والاساليب. وقد ظلت بلاغته ومصطلحاته قريبة من محتواها اللغوي والأدبي الذي املته ثقافته وحياة عصره الفكرية.

والجاحظ – وان لم يكن مبوباً لمسائل البلاغة مهذباً لموضوعاتها – بنى بناءاً ضخما، واضاف الى من تقدمه فنونا جديدة. وأوضحُ ما اضافه كلامه على البلاغة والبيان والبديع والفصاحة، ومصطلحات كثيرة منها المذهب الكلامي الذي اشار اليه ابن المعتز بقوله: « وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي » [2]، واسلوب الحكيم. واعترف ابن المعتز ومن جاء بعده بهذه الجهود العظيمة ووقفوا من مصطلحاته وآرائه موقف الاكبار والتقدير.

قدامة:

ومن الكتّاب الذين اشتهروا في العصر العباسي وكانت لهم عناية بالفلسفة والمنطق ابو الفرج قدامة بن جعفر (– ٣٣٧ هـ) صاحب « نقد الشعر » الذي كان « اول كتاب في نقد الشعر العربي يقوم على منهج محدد المعالم، يعيّن اركان الفن الشعري وأجزاءه » [3]. وقد ألفه لما رأى الناس يخبطون في النقد منذ تفقهوا في العلم، فقليلا ما يصيبون. وقسم العلم بالشعر اقساما، فقسم ينسب الى علم عروضه ووزنه، وقسم ينسب الى علم قوافيه ومقاطعه وقسم ينسب

---

(١) البيان ج ١ ص ٣٤، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ١٤٤، ١٥٣، ٢٠١، ٢٦٣، وج ٢ ص ٧، ٢٧٨، وج ٤ ص ٥٥، وكتاب الحيوان ج ٢ ص ٢٨٢، وج ٤ ص ٢٥٠، ٣٥٣، ٣٥٤، وج ٥ ص ٢٥، وج ٦ ص ٦ – ٧.

(٢) البديع ص ٥٣.

(٣) قدامة بن جعفر والنقد الادبي ص ٢٧٢.

في علم غريبه ولغته . وقسم ينسب الى علم معانيه والمقصد منه ، وقسم ينسب الى علم جيده ورديئه . وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الاول وما يليه الى الرابع عناية تامة . فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقاطع وأمر الغريب والنحو . وتكلموا في المعاني الدالّ عليها الشعر وما الذي يريد الشاعر . ولم يجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا ، مجرَّد كتابه لذلك فيسد ما أهمله الناس وقصّروا فيه .

تحدث في الفصل الاول عن الشعر ، واول ما يحتاج اليه في العبارة عن هذا الفن معرفة حد الشعر الحائز له عما ليس بشعر . وقال : « ليس يوجد في العبارة عن ذلك ابلغ ولا اوجز – مع تمام الدلالة – من ان يقال فيه انه قول موزون مقفى يدل على معنى »[1] . وشرح هذا التعريف بطريقة المناطقة الذين يعنيهم ان يكون التعريف جامعاً مانعا .

ولما كانت عناصر الشعر التي احاط بها تعريفه اربعة هي اللفظ والمعنى والوزن والتقفية فإن نعوت الجودة تتصل بكل منها مفردة ومركبة مع غيرها من العناصر . غير انه وجد اللفظ والمعنى والوزن تأتلف فيحدث من ائتلاف بعضها الى بعض معان يتكلم فيها ولم يجد للقافية مع واحد من سائر الاسباب الأخر ائتلافاً الا انه نظر فيها فوجدها من جهة ما انها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه – ائتلاف مع معنى سائر البيت، فأما مع غيره فلا ، لان القافية انما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر ولها دلالة على معنى كما لذلك اللفظ ايضا . والوزن شيء واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى . فاذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الأخر ائتلاف القافية ايضا إذْ كانت لا تعدو انها لفظة كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع غيره . وبذلك تكون صفات الجودة ومثلها صفات الرداءة تدور مع العناصر مفردة ومع ائتلاف اللفظ والمعنى وائتلاف اللفظ والوزن وائتلاف المعنى والوزن وائتلاف القافية .

---

(١) نقد الشعر ص ١٥ .

وتكلم في الفصل الثاني على نعوت الجودة ووزعها على عناصر الشعر مفردة ومركبة ، وبدأ باللفظ وذكر ان نعت جودته « ان يكون سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة » . وان نعت الوزن « ان يكون سهل العروض من اشعار يوجد فيها ذلك وان خلت من اكثر نعوت الشعر » . ومن نعوت الوزن : الترصيع وهو « ان يتوخى فيه تصيير مقاطع الاجزاء في البيت على سجع او شبيه به او من جنس واحد في التصريف » .

وتحدث عن نعت القوافي وقال ينبغي « ان تكون عذبة الحرف سلسة المخرج وان يقصد لتصيير مقطع المصراع الاول في البيت الاول من القصيدة مثل قافيتها ، فان الفحول المجيدين من الشعراء والقدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه » .

ثم انتقل الى نعوت المعاني الدال عليها الشعر ، وجماع الوصف لذلك ان يكون المعنى مواجهاً للغرض المقصود غير عادل عن الأمر المطلوب . ولما كانت اقسام المعاني التي يحتاج فيها الى ان تكون على هذه الصفة مما لا نهاية لعدده ، اكتفى ببيان الاغراض المهمة وهي : المديح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والنسيب . وهذه الاغراض هي وجوه من جملة معاني الشعر ، اما ما يعم جميع المعاني الشعرية فهي : صحة التقسيم ، وصحة المقابلات ، وصحة التفسير ، ومن انواع نعوت المعاني : التتميم والمبالغة ، والتكافؤ ، والالتفات . وقد يضع الناس في باب اوصاف المعاني الاستغراب والطرفة ، وهو ان يكون المعنى مما لم يسبق اليه . وليس عنده ان هذا داخل في الاوصاف ، لان المعنى المستجاد إنما يكون مستجاداً اذا كان في ذاته جيدا ، فأما ان يقال له جيد ، اذا قاله شاعر من غير ان يكون تقدمه من قال مثله فهذا غير مستقيم .

وتحدث بعد ذلك عن ائتلاف اللفظ مع المعنى ، ومن انواعها : المساواة ، والاشارة والإرداف ، والتمثيل ، والمطابق ، والمجانس .

وتكلم على ائتلاف اللفظ والوزن وهو « ان تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر الأمر في الوزن الى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها . وان تكون اوضاع الاسماء والافعال والمؤلفة منها وهي الاقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن الى تأخير ما يجب تقديمه ولا الى تقديم ما يجب تأخيره منها ، ولا اضطر ايضا الى اضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها بل يكون الموصوف مقدما والصفة مقولة عليها » . ومن هذا الباب ايضا ان لا يكون الوزن قد اضطر الى ادخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجاً اليه حتى انه اذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه او اسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلاّ بـه .

ونعت ائتلاف المعنى والوزن ان تكون المعاني تامة مستوفاة لم يضطر الوزن الى نقصها عن الواجب ولا الى الزيادة فيها عليه ، وان تكون المعاني ايضا مواجهة للغرض لم تمتنع من ذلك ولم تعدل عنه من أجل اقامة الوزن والطلب لصحته . ونعت ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت ان تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملائمة لما مرّ فيه . ومن هذا النوع : التوشيح والايغال .

وتحدث في الفصل الثالث عن عيوب الشعر ووجوه رداءته ، وابتدأ الكلام على عيوب اللفظ وهو « ان يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة » ومن عيوبه : المعاظلة . ثم تحدث عن عيوب الوزن ، ومنها : الخروج عن العروض ، والتخليع ، والزحاف ، وعن عيوب القافية وهي : التجميع ، والاقواء ، والإيطاء ، والسناد .

وتكلم بعد ذلك على عيوب المعاني وهي : عيوب المديح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والغزل ، واعقبها بالحديث عن العيوب العامة للمعاني ومنها : فساد التقسيم ، وفساد المقابلات وفساد التفسير ، والاستحالة والتناقض ، وايقاع الممتنع ، ومخالفة العرف ، ونسبة الشيء إلى ما ليس منه .

ومن عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى : الاخلال ، ومن عيوب ائتلاف اللفظ والوزن : الحشو والتثليم ، والتذنيب ، والتفصيل . ومن عيوب ائتلاف المعنى والوزن معاً : المقلوب ، والمبتور ، ومن عيوب ائتلاف المعنى والقافية : التكلف في طلب القافية ، والاتيان بالقافية لتكون نظيرة لاخواتها في السجع .

هذا منهج قدامة في « نقد الشعر » وهو منهج عقلي او هو « بناء هيكل منطقي تصوره بعقله المجرد . ولقد جارى هذا العقل الشكلي إلى نهاية شوطه غير ناظر إلى حقائق الشعر ولا متقيد بها »[1] . ومن ذلك كلامه على فساد التفسير فقد دفعته القسمة العقلية إلى أن يضع موضوعاً ليست له امثلة ، او لم يستطع ان يجد له امثلة واضطر إلى أن يأتي بمثال واحد جاءه به بعض شعراء زمانه وهو يطلب مثالات في هذا الباب يستفتيه فيه وهو :

فيا أيُّها الحيرانُ في ظُلَـم الدّجى ومَنْ خافَ أنْ يلقاه بغيٌ من العدى
تعالَ اليه تَلْقَ مـن نورِ وجهـه ضياءً ومن كفيه بَحْراً من الندى

قال قدامة : « وقد كان هذا الرجل يسمعني كثيرا اخوض في أشياء من نقد الشعر فيعي بعض ذلك ويستجيد الطريق التي اوضحها له . فلما وقع هذان البيتان في قصيدة له ولاح له ما فيهما من العيب ولم يتحققه صار إلي فيهما ، وذكر انه عرضهما على جماعة من الشعراء وغيرهم ممن ظن ان عنده مفتاحا له وان بعضهم جوّزهما وبعضهم شعر بالعيب فيهما ولم يقدر على شرحه ، فذكرت له الحال فيه وأثبت البيتين في هذا الباب مثالا »[2] .

ولم ينجح في كتابه ومنهجه كل النجاح لانه أضفى عليه جفافاً لا يقبله الذوق العربي السليم ، ووضع حدودا ورسوما لا تلائم الشعر العربي كـل الملاءمة . وقد غالى كثير من الباحثين في تأثره بارسطو وكتابيه « الشعر »

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٦٢ .
(٢) نقد الشعر ص ٢٣٠ .

و « الخطابة » . والواقع انه استفاد من الثقافة الاجنبية واقتبس منها ما فيه النفع ، ونظر في كتب البلاغة والادب واستخلص منها ما افاده في تطبيق منهجه الذي اختطه والتقسيم الذي وضعه . وأوحت اليه الملاحظات البيانية كثيرا من الموضوعات ، وكان لما قاله عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في نعت المدح ، والوحشي الذي مدح زهيراً بمجانبته وتنكبه إياه ، وتجنبه المعاظلة في الكلام [1] . وما قاله عبد الملك بن مروان في شعر كثير عزة وترجيحه لهذا الرأي ، وما قاله لعبيد الله بن قيس الرقيات حيث عتب عليه في مدحه اياه بقوله :

يأتلقُ التاجُ فوق مَفْرِقِهِ على جبينٍ كأنّه الذهبُ [2] .

تأثير في كتابه . يضاف إلى ذلك ان ابن قتيبة وثعلب وابن المعتز سبقوه في تبويب بعض موضوعات البلاغة والنقد وتعريفها وذكر الامثلة والتعليق عليها .

ولم يخرج قدامة عن هؤلاء كثيراً في معالجة الموضوعات وان خالفهم في المنهج العقلي . ويقوم بحثه على تعريف الفن البلاغي والتمثيل له والوقوف على الشواهد وقفة لا تطول ، فهو في المبالغة مثلا يقول : « وهي ان يذكر الشاعر حالاً من الاحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده فلا يقف حتّى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون ابلغ فيما قصد له ، وذلك مثل قول عمير بن الايهم التغلبي :

ونُكرمُ جارَنا ما دام فينا ونتبعُه الكرامةَ حيثُ مالا

قال معلقا على هذا البيت : « فاكرامهم للجار ما دام فيهم من الاخلاق الجميلة الموصوفة وإتباعهم اياه الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل » [3] .

(١) نقد الشعر ص ٦٨ ، ١٩٦ ، ٢٠١ .
(٢) نقد الشعر ص ٧٤ ، ٢١٤ .
(٣) نقد الشعر ص ١٦٠ – ١٦٢ .

وليس في كتابه تقسيم لفنون البلاغة ، ومن هنا لا نكاد نرى الا صورة جديدة لكتاب « البديع » مع اضافة فنون كشفت عنها الايام وثقافة قدامة الواسعة المتصلة بالتراث العربي وما عرف في عهده من التقاء الحضارات .

وقد ارجع الدكتور بدوي طبانة القواعد والاصول التي تضمنها « نقد الشعر » إلى ثلاثة مصادر : قواعد أخذها من تقاليد الشعر العربي وآراء النقاد العرب ، وقواعد استفادها من مصادر غير عربية ، وقواعد استنبطها بفكره وذوقه الخاص [1] .

غير ان الجانب العربي والاستنباطي اكثر وضوحا من الأثر الاجنبي ، ولذلك قرر المستشرق (س . أ . بوتيباكر » محقق كتاب « نقد الشعر » عدم تأثر قدامة بأرسطو .

وتحدث قدامة عن البلاغة في مقدمة كتابه « جواهر الالفاظ » وذكر الوجوه التي يزدان بها الكلام وهي : الترصيع ، والسجع ، واتساق البناء ، واعتدال الوزن ، واشتقاق لفظ من لفظ ، وعكس ما نظم من بناء ، وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة ، وايراد الاقسام موفورة بالتمام ، وتصحيح المقابلة بمعان متعادلة ، وصحة التقسيم باتفاق النظوم ، وتلخيص الأوصاف بنفي الخلاف ، والمبالغة في الرصف بتكرير الوصف ، وتكافؤ المعاني في المقابلة والتوازي ، وإرداف اللواحق وتمثيل المعاني .

وتحدث عنها أيضا في المنزلة الثالثة من كتابه « الخراج وصناعة الكتابة » ولكن هذه المنزلة لم تصل مع ما وصل من هذا الكتاب ، وهي كما قال عنها في المنزلة الخامسة عند التكلم على ديوان الرسائل : « قد ذكرنا في المنزلة الثالثة من أمر البلاغة ووجه تعلمها وتعريف الوجوه المحمودة فيها والوجوه المذمومة منها ما إذا وُعي كان الكاتب واقفا به على ما يحتاج اليه » [2] . وقال ابو حيان

(١) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ص ١٤٣ و ما بعدها ، وينظر البلاغة تطور وتأريخ ص ٩٢ .
(٢) الخراج وصناعة الكتابة ص ١١ .

التوحيدي عنه : « وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير : عرض عليّ قدامة كتابه سنة عشرين وثلثمائة واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن، وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المجتبى والمعيب المجتنب »[1] .

ولم يكن قدامة مقلداً بل كان مبتدعاً لكثير من الفنون البلاغية . والفنون التي انفرد بها : صحة التقسيم . صحة المقابلات . صحة التفسير ، ائتلاف اللفظ مع المعنى . المساواة . الاشارة . الإرداف ، التمثيل ، ائتلاف اللفظ مع الوزن . ائتلاف المعنى مع الوزن . ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت ، التوشيح . الايغال . اعتدال الوزن . اشتقاق لفظ من لفظ ، تلخيص الاوصاف ، التوازي . المضارعة . عكس اللفظ او عكس ما نظم من بناء ، اتساق البناء والسجع[2] .

اما الموضوعات الاخرى التي تحدث عنها فهي مما نجده عند السابقين كالفراء وأبي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة والمبرد وثعلب وابن المعتز ، ولكنهم لم يضعوا منهجاً دقيقا كما فعل . وبذلك كان كتابه محاولة جديدة في نقد الشعر .

ابن وهب :

وكان يعاصر قدامة أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب صاحب كتاب « البرهان في وجوه البيان » وهو اصل كتاب « نقد النثر » المنسوب إلى قدامة بن جعفر .

---

(١) الامتاع والمؤانسة ج٢ ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٢) ينظر قدامة بن جعفر والنقد الادبي ص ٣٧٠ ، والبيان العربي ص ١٤٤ ، والبلاغة تطور وتأريخ ص ٩٢ والخيال في الشعر العربي ص ١٨٨ وما بعدها .

وكتاب « البرهان » خطوة جديدة في دراسة الادب وفنونه دراسة علميـة منظمة . وكان الجاحظ قد أثار حركة واسعة المدى ، وكان لما كتب في « البيان والتبيين » صدى عميق في الدراسات البيانية . وقد تحدث عن اصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ وهي خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : — اولها اللفظ ثم الاشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة . ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صور صاحبتها وحلية مخالفة لحلية اختها ، وهي التي تكشف عن اعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير وعن اجناسها واقدارها ، وعن خاصها وعامّها ، وعن طبقاتها في السار والضار وعما يكون منها لغواً بهرجا وساقطا مطرحا [1] .

وحركت هذه الدراسة صاحب « البرهان » فألف كتابه لينظمها ويجمع شملها في كتاب يأتي به على اصولها ومعانيها والفاظها . قال في مقدمة البرهان : « اما بعد فانك كنت ذكرت لي وقوفك على كتاب الجاحظ الذي سماه « كتاب البيان والتبيين » ، وانك وجدته انما ذكر فيه اخبارا منتخلة وخطباً منتخبة ، ولم يأتِ فيه بوظائف البيان ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان فكان عندك ما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب اليه . وسألتني أن أذكر لك جملا من اقسام البيان آتية على اكثر اصوله محيطة بجماهير فصوله يعرف بها المبتدىء معانيه ويستغني بها الناظر فيه . وان اختصر ذلك لئلا يطول به الكتاب فقد قيل : « ان الاطالة اكثر اسباب الملالة » فتثاقلت عن اجابتك إلى ما سألت لما حذرت منه الحكماء ونهت عنه العلماء من التعرض لوضع الكتب إذ كانت نتائج اللب وكان المتجاسر على تأليفها انما يبدي صفحة عقله ويبين عن مقدار علمه او جهله . ثم رأيت حق الصديق عند العلماء فوق حق الشقيق ، ووجدتهم يجعلون الاخوان من عُدد الزمان .... فلما تذكرت ذلك وتدبرته تحملت على تأليف ما أحببته ورسمته على علمٍ مني بان كتابي لا بدّ ان يقع في يد أحـد

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ .

وكتاب « البرهان » خطوة جديدة في دراسة الادب وفنونه دراسة علمية منظمة . وكان الجاحظ قد أثار حركة واسعة المدى ، وكان لما كتب في « البيان والتبيين » صدى عميق في الدراسات البيانية . وقد تحدث عن اصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ وهي خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : — اولها اللفظ ثم الاشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة . ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صور صاحبتها وحلية مخالفة لحلية اختها ، وهي التي تكشف عن اعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير وعن اجناسها واقدارها ، وعن خاصها وعامّها ، وعن طبقاتها في السار والضار وعما يكون منها لغواً بهرجا وساقطا مطرحا [1] .

وحركت هذه الدراسة صاحب « البرهان » فألف كتابه لينظمها ويجمع شملها في كتاب يأتي به على اصولها ومعانيها والفاظها . قال في مقدمة البرهان : « اما بعد فانك كنت ذكرت لي وقوفك على كتاب الجاحظ الذي سماه « كتاب البيان والتبيين » ، وانك وجدته انما ذكر فيه اخبارا منتخلة وخطباً منتخبة ، ولم يأتِ فيه بوظائف البيان ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان فكان عندك ما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب اليه . وسألتني أن أذكر لك جملا من اقسام البيان آتية على اكثر اصوله محيطة بجماهير فصوله يعرف بها المبتدىء معانيه ويستغني بها الناظر فيه . وان اختصر ذلك لئلا يطول به الكتاب فقد قيل : « ان الاطالة اكثر اسباب الملالة » فتثاقلت عن اجابتك إلى ما سألت لما حذرت منه الحكماء ونهت عنه العلماء من التعرض لوضع الكتب إذ كانت نتائج اللب وكان المتجاسر على تأليفها انما يبدي صفحة عقله ويبين عن مقدار علمه او جهله . ثم رأيت حق الصديق عند العلماء فوق حق الشقيق ، ووجدتهم يجعلون الاخوان من عُدد الزمان .... فلما تذكرت ذلك وتدبرته تحملت على تأليف ما أحببته ورسمته على علمٍ مني بان كتابي لا بدّ ان يقع في يد أحد

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ .

رجلين : اما عاقل يعلم ان الصواب قصدي والحق إرادتي .... واما جاهل احب الاشياء اليه عيبُ ذوي الادب والتسرع إلى تهجينهم وذكر مساويهم » . ثم قال : « وقد ذكرت في كتابي هذا جملا من أقسام البيان وفقراً من آداب حكماء أهل هذا اللسان لم أسبق المتقدمين اليها ، ولكني شرحت في بعض قولي ما أجملوه ، واختصرت في بعض ذلك ما أطالوه واوضحت في كثير منه ما أوعروه ، وجمعت في مواضع منه ما فرقوه ليخف بالاختصار حفظه ويقرب بالجمع والايضاح فهمه » [1] .

وتحدث بعد ذلك عن فضل الانسان على سائر الحيوان بالعقل والادراك ، وقسّم العقل قسمين : عقلاً موهوبا وعقلا مكسوبا ، واستشهد على بعض كلامه بالقرآن وما أثر عن الأئمة . وعقد فصلاً لوجوه البيان وهي اربعة : بيان الاشياء بذواتها وان لم تبن بلغاتها ، والبيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب ، والبيان باللسان ، والبيان بالكتاب وهو الذي يبلغ من بعد او غاب .

وهذه الأوجه قريبة مما ذكره الجاحظ في الدلالات . فان النصبة هي بيان الاعتبار ويمكن ان ندخل فيها بيان الاعتقاد لانه ثمرة بيان الاعتبار ونتيجته في القلب ، ودلالة اللفظ هي البيان الثالث ، ودلالة الخط هي البيان الرابع .

وقسم ابن وهب كتابه إلى أربعة أقسام واضحة المعالم هي :

البيان الأول : الاعتبار ، وبعضه ظاهر يدرك بالحس ولا يفتقر إلى برهان واستدلال ، وبعضه باطن لا يدرك إلا بالعقل ، والعقل انما يدركه بالقياس أو بالخبر . ولذلك عقد فصلا تحدث فيه عن القياس وحلله كما فعل أهل المنطق ، وكأنه بذلك يرى ان اهل الادب والبيان بحاجة إلى دراسة المنطق وعلم الكلام . ثم انتقل إلى بحث الخبر وقسمه إلى يقين وتصديق ، وجعل اليقين ثلاثة اقسام :

الاول : خبر التواتر المستفيض بين الناس .

---

(١) البرهان في وجوه البيان ص ٥١ وما بعدها .

الثاني : خبر الرسل .

الثالث : ما تواترت به أخبار الخاصة .

أما التصديق فهو الخبر الذي يأتي به الواحد او الآحاد ، وقد يستنبط علم باطن الأشياء بالظن الذي يحتاط فيه حتى يقع موقع اليقين .

البيان الثاني : الاعتقاد المبني على البيان الاول ، وهو ثلاثة أضرب : فمنه حق لا شبهة فيه ، ومنه علم مشتبه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه ، ومنه باطل لا شك فيه .

البيان الثالث : العبارة او البيان بالقول . وقد تحدث فيه عن خواص العبارة وأطال الوقوف عند الخبر والطلب والنسخ والمعارضة ، وهي من أقسام العبارة التي يتساوى اهل اللغات في العلم بها . اما العرب فلهم استعمالات أُخَر من الاشتقاق والتشبيه واللحن والرمز والوحي والاستعارة والامثال واللغز والحذف والصرف والمبالغة والقطع والعطف والتقديم والتأخير والاختراع .

وتحدث عن هذه الفنون ، وانتقل إلى باب تأليف العبارة وقسم الكلام إلى منظوم ومنثور ، وقصّد الشعر إلى قصيد ورجز ومسمط ومزدوج ، وعرض لبعض الضرورات الشعرية وموقف الاسلام من الشعر ومكانته عند العرب ، ولفنونه الكثيرة التي تجمعها في الاصل أصناف اربعة هي : المديح والهجاء والحكمة واللهو . وانتقل بعد ذلك إلى المنثور وقسمه إلى خطابة وترسل واحتجاج وحديث ، وذكر نعوت الخطابة وخصائص اساليبها متأثراً بما كتبه الجاحظ في « البيان والتبيين » . وانتقل إلى الترسل وعقد فصلاً في الجدل والمجادلة وأدب الجدل والحديث الذي يجري بين الناس في مخاطبتهم ومجالسهم ومناقلاتهم . وله وجوه كثيرة : الجد والهزل ، والسخف والجزل ، والحسن والقبيح ، والملحون والفصيح ، والخطأ والصواب ، والصدق والكذب ، والنافع والضار ، والحق والباطل ، والناقص والتام ، والمردود والمقبول ، والمهم والفضول ، والبليغ والعيي .

البيان الرابع : الكتاب ، وقد تحدث فيه عن كاتب الخط وما يحتاج المحرر إلى استعماله والخط وانواعه ، وكاتب اللفظ ، وكاتب العقد . وكاتب العامل ، وكاتب الجيش ، وكاتب الحكم ، ووجوه المال ، وحكم الارض فيما – يجتبي منها ، وصاحب الشرطة ، وكاتب التدبير والصدقة . وصاحب الخبر . والحاجب ، والتعمية .

هذا منهج « البرهان » وهو يختلف كل الاختلاف عن منهج قدامة في « نقد الشعر » ، ويبدو واضحا انه حاول أن تكون للادب وفنونه دراسة علمية تخضع للعقل والأدلة إلى جانب عنايتها بالنصوص وما فيها من قيمة بلاغية وأدبية ، والاخذ بما ترجم عن اليونان .

ويتضح أثر منطق ارسطو ومنهج المتكلمين وحججهم وأسلوب الفقهاء وآراؤهم في الكتاب . يقول الدكتور طه حسين : « لا جرم أنا هنا بإزاء بيان جديد كل الجدة ، بيان لا يستمد غذاءه من الادب العربي البحت وخطابة ارسطو وشعره فحسب ، ولكنه يستفيد في تكوين بنيته من منطق ارسطو وبخاصة كتابيه « انالوطيقا » و « طوبيقا » .. أي كتابي تحليل القياس والجدل – وهذا البيان الجديد يقصد في حقيقة الامر إلى تكوين الخطيب والشاعر والكاتب ، وذلك بان يجعل لكل منهم اولاً فكراً مستقيما ثم لساناً ناطقاً يحسن به التعبير عما يجول بخاطره ، ثم هو يهديه بعد ذلك إلى خير اساليب الأداء والإلقاء . ولسنا بحاجة إلى أن نقول ان حظ هذا البيان ذي الصفة الفلسفية المحضة لم يكن خيراً من حظ نقد الشعر لقدامة » [1] . ويقول : « وكتاب قدامة – وانا متحفظ في نسبته إلى قدامة – مؤلف بالضبط على طريقة ارسطاطاليس في كتابه « الخطابة » . فكما يبدأ أرسطاطاليس في نقد اصحاب البيان ويحاول ان يضع بياناً جديدا ملائما لحقيقة الادب وطبيعة الفن ، فكذلك قدامة يبدأ بنقد كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ويرى ان هذا الكتاب لا يشفي غلة من يريدون أن يعرفوا

---

(١) مقدمة نقد النثر ص ٢٣ .

نظريات البيان ويعد بوضع نظريات جديدة للبيان »[1] .

ويقول الدكتور شوقي ضيف : « وواضح ان المؤلف لم يكتفِ بالأخذ عن كتابي الخطابة والشعر لأرسطو ، فقد توسع في الأخذ عن كتابيه المنطق والجدل ، ومزج ذلك مزجاً واسعا بعقيدته الشيعية ومباحث المتكلمين ومسائل الفقهاء . وهو مزج بدا فيه الجفاف واضحا ، وبدا كأنّ البيان العربي عند ابن وهب يريد أن يستعجم . ونفس الوجوه البلاغية التي عرض لها والتي اقتبسها من ارسطو لم يحسن تطبيقها على نحو ما رأينا عند قدامة . وقد اقترح بعض القاب جديدة ، ولكن لم يكتب لها الشيوع على ألسنة البلاغيين كما كتب لالقاب قدامة وابن المعتز . ويظهر ان البلاغيين ضاقوا به ضيقاً شديدا ، وآية ذلك اننا لا نجد له أي ذكر في كتاباتهم بينما نراهم يذكرون قدامة وكتابه « نقد الشعر » في مباحثهم . وليس من شك في ان ذلك يرجع إلى أن ابن وهب أوغل في الاستعارة من التفكير اليوناني كما أوغل في ضغط الكلام بحيث سرى في الكتاب غير قليل من الغموض بل من الصعوبة والاستغلاق . ومن أجل ذلك انصرف البلاغيون عنه واعرضوا اعراضا »[2] .

ويقول الدكتور بدوي طبانة : « ويبدو لمن ينعم النظر في هذا الكتاب عقلية صاحبه الفقهية وان الكتاب بني على اساس قرآني ، فان كثيرا من فنون القول عنده لا تجد فيها موضوعاً للدراسة إلا آيات القرآن باعتباره صورة للبيان الرفيع » . ويقول : « ويطول بنا القول حين نريد الإلمام بالجهود التي بذلها صاحب « البرهان » ولكن الذي نريد ان ننبه اليه انه درس البيان كما درسه الجاحظ بمعناه الرحب الفسيح الذي يعالج الادب وفنونه واقسامه ومعانيه وعناصر الجمال فيه ، كما يعالج الاديب وما ينبغي له وما تكتمل به أداته البيانية ويعينه على الاجادة »[3] .

---

(١) من حديث الشعر والنثر ص ٧٧ — ٧٨ .
(٢) البلاغة تطور وتأريخ ص ١٠١ — ١٠٢ ، وينظر النقد للدكتور شوقي ص ٦٢ — ٦٣ .
(٣) البيان العربي ص ١١٦ — ١١٧ .

لقد اختلفت نظرة الدكتور طبانة عن نظرة سابقيه ، وهي نظرة لا تريد ان تسلب المؤلف حقه وقيمته . في حين تريد نظرة الدكتورين طه وشوقي اثبات التأثر بما كتب ارسطو في منطقه وخطابته وشعره .

ومهما قيل في الكتاب وصاحبه ، فانه عمل عظيم بني على اسس قويمة وكان لمنطق ارسطو ومنهج المتكلمين وحججهم وأساليب الفقهاء وآرائهم ونظرات البلاغيين وقواعدهم أثر فيه . وكانت للمؤلف شخصيته التي طبعت الكتاب بأسلوبه . ففي البيان الثالث الذي اوحى إلى الدكتور طه بانه متأثر فيه بأرسطو كل التأثر قال : « فأما البيان بالقول فهو العبارة ، وقد قلنا انه يختلف باختلاف اللغات وان كانت الاشياء المبين عنها غير مختلفة في ذواتها »[١] .

وتحدث عن خواص العبارة واطال الوقوف عند الخبر والطلب والنسخ والمعارضة ثم قال بعد ذلك : « فهذه أقسام العبارة التي يتساوى أهل اللغات في العلم بها ، فأما العرب فلهم استعمالات أخر من الاشتقاق والتشبيه واللحن والرمز والوحي والاستعارة والامثال واللغز والحذف والصرف والمبالغة والقطع والعطف والتقديم والتأخير والاختراع »[٢] . وهذا يدل على ان صاحب « البرهان » عرف ما للعرب وما لغيرهم ومضى يتحدث عن الفنون البلاغية بروح عربية لا تخضع للمقاييس اليونانية التي ربط الدكتور طه بينها وبين الكتاب .

وأضاف إلى ذلك كله دراسات طويلة فيما يحتاج اليه الكتّاب وهو ما يدخل في الاحكام السلطانية ، وليست هذه الدراسات يونانية او اجنبية وانما هي عربية تعتمد على الشريعة الاسلامية والقيم والنظم التي كانت توجه الحياة العربية . ومعنى ذلك انه كان يسعى إلى دراسة عملية ينتفع بها الكتاب ويستعين بها أولو الأمر من ولاة وعمال .

---

(١) البرهان ص ١١١ .
(٢) البرهان ص ١٢٢ .

العسكري :

وألف أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ـ ٣٩٥ هـ) « كتاب الصناعتين » وجمع فيه ما قاله ابن المعتز في « البديع » إلى جانب ما ذكره قدامة في « نقد الشعر » وبوبه تبويباً يقوم على التنظيم الدقيق الذي يدل على نضج وادراك عميقين ، وأضاف فنونا جديدة .

وأبو هلال من أوائل الكتاب الذين حاولوا ان يوجهوا النقد وجهة بلاغية تعتمد على التعريفات والتقسيمات مع العناية بالنصوص . ولذلك ذهب الدكتور زكي مبارك إلى أن كتاب الصناعتين كان كتاب أدب قبل ان يكون كتاب نقد ، فإن المؤلف ينتهز جميع الفرص ليعرض طرائف النثر الجيد والشعر البليغ [١] .

وكان الدافع إلى تأليفه خدمة القرآن الكريم وانشاء الادب ونقده بعد أن رأى الخلط في الكتب المتقدمة . قال : « فلما رأيت تخليط هؤلاء الاعلام فيما راموه من اختيار الكلام ، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ومكانه من الشرف والنبل ، ووجدت الحاجة اليه ماسة والكتب المصنفة فيه قليلة ، وكان اكبرها واشهرها كتاب « البيان والتبيين » لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو لعمري كثير الفوائد جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقر اللطيفة والخطب الرائعة والاخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونعوته المستحسنة إلا أن الابانة عن حدود البلاغة واقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الامثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير . فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يحتاج اليه في صنعة الكلام نثره ونظمه ، ويستعمل في محلوله ومعقوده من غير

---

(١) النثر الفني ج ٢ ص ١٠٤ .

تقصير واخلال واسهاب واهذار » [1] .

وجعله عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا تحدث فيها عن موضوعات بلاغية ونقدية مختلفة ، وخصص الباب التاسع للبديع وحصره في خمسة وثلاثين نوعا أولها الاستعارة والمجاز ، ثم المطابقة والتجنيس والمقابلة وصحة التقسيم وصحة التفسير والاشارة وغيرها . قال بعد ان ذكر أسماءها : « فهذه أنواع البديع التي ادعى من لا روية له ولا دراية عنده ان المحدثين ابتكروها وان القدماء لم يعرفوها وذلك لما اراد ان يفخّم امر المحدثين ، لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرىء من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة » [2] .

بدأ أبو هلال كتابه في الابانة عن موضوع البلاغة في اللغة وما يجري معه من تصرف لفظها والقول في الفصاحة وما يتشعب منه ، ونقل كثيراً من أقوال السابقين . وقال في البلاغة انها من قولهم : بلغت الغاية ، إذا انتهيت اليها ، وسميت البلاغة بلاغة ، لانها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه . ثم عرفها بعد ذلك بقوله : « البلاغة : كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن » [3] . وهذه حقيقتها عنده ، ولكنه ذكر تعريفات الآخرين لتكمل فائدة الكتاب .

وذكر في الفصاحة رأيين :

الأول : ان الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وان اختلف اصلاهما لان كل واحد منهما هو الابانة عن المعنى والاظهار له . وعلى هذا تكون الفصاحة كما قال : « انها من قولهم : أفصحَ عما في نفسه إذا اظهره » [4] .

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٤ — ٥ .
(٢) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧ .
(٣) كتاب الصناعتين ص ١٠ .
(٤) كتاب الصناعتين ص ٧ .

الثاني : انهما مختلفان ، وذلك ان الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ، لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى . والبلاغة انما هي انهاء المعنى إلى القلب ، فكأنها مقصورة على المعنى ، قال : « وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان ، فلهذا لا يجوز ان يسمى الله – تعالى – فصيحا ، إذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ، ولا يجوز على الله تعالى – الوصف بالآلة ، ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان . والدليل على ذلك ان الالثغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف . وقيل : زياد الاعجم ، لنقصان آلة نطقه عن اقامة الحروف ، وكان يعبر عن الحمار بالهمار فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه » . وأوضح المسألة بقوله : « ومن الدلالة على أن الفصاحة تتضمن اللفظ ، والبلاغة تتناول المعنى ان الببغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً اذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه . وقد يجوز مع هذا ان يسمى الكلام الواحد فصيحا إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج ولا متكلف وخم . ولا يمنعه من احد الاسمين شيء من ايضاح المعنى وتقويم الحروف » [١] .

وكتاب الصناعتين حافل بالموضوعات التي تحدث عنها أبو هلال بهذا الاسلوب . ومنهجه منهج المتكلمين في دراسة الادب ونقده وان ادعى نفوره من مذهبهم ، قال : « وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين ، وانما قصدت فيه مقصد صناع الكلام في هذا الفصل » [٢] . ولكن نزعته الأدبية أضعفت الجانب الكلامي فبدا الكتاب قريبا من مذهب الكتاب والشعراء . وهذا ما ذهب اليه المرحوم أمين الخولي حينما اعتبره يمثل طريقة الادباء خير تمثيل ، لأنه يسوق في المقام الواحد عشرات الامثلة والشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب ، ويعتمد في النقد على الذوق غير

(١) كتاب الصناعتين ص ٧ – ٨ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ٩ .

مكتف بالصحة العقلية والسلامة النظرية . وقد أشار الخولي ايضاً إلى انه كان يجاري المتكلمين ويخدم اغراضهم ولم تخلص الطريقة الادبية في أبي هلال أو لم يخلص أبو هلال للطريقة الأدبية ولم ينج من تأثير المتكلمين [1] .

وأخذ الدكتور طبانة بهذا المذهب ورأى ان أبا هلال لم يكن ناقداً أديباً فحسب بل كان خبيرا بمذهب الفلاسفة عارفا بآراء قدامة ، ولكن خبرتـه الشاملة واطلاعه الواسع على نصوص الكلام العربي الرفيع وكثرة استشهاده بالقرآن والحديث والشعر والنثر قد غشى على روح البحث العلمي والمنطق المجرد عنه . واستطاع ان يوهم الناس بأنه ظل ناقداً اديبا وانه سار على منهج الادباء الكبار . وعلل نفوره من المتكلمين بقوله : « ان ابا هلال من مدرسة الكلاميين وان صرح بانه لم ينهج منهجهم ، ولم يذهب مذهبهم ، فليس ذلك إلا ليخفي هذه الحقيقة حين رأى تلك الحملات القوية على مذهبهم في نقد الادب يعتمد على معرفة الحدود وجودة التقسيم واسلوب المناقشة والجدل . وحين رأى جماعة الادباء يتنكرون لمذهب قدامة ويؤلفون التآليف في نقده ، ورأى ما كتب ابن قتيبة في معرض السخرية اللاذعة من هذا المذهب الفلسفي » [2] . وكان الدكتور محمد مندور قد اشار إلى هذا المعنى حينما قال : « أخذ أبو هلال إذن عن النقاد الادباء ونفر من مذهب الكلاميين ، وفضل ابن المعتز ومن اعتمد آراءه على قدامة عندما تعارضوا . وفي هذا ما يوهم ان الرجل ظل ناقدا أديبا ، وانه سار على نهج أولئك الادباء الكبار أمثال الآمدي وعبد العزيز الجرجاني . ولكن هذا لسوء الحظ ليس صحيحا . واذا كان العسكري قد رفض أن يأخذ ببعض تعاريف قدامة فانه قد أخذ عنه كل ما عدا ذلك ، حتى ليخيل الينا انه لم يرفض ما رفض إلا محاكاة للسابقين الذين اجمعوا على خطأ

---

(١) البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ص ٢٠ — ٢٣ ، وينظر مناهج تجديد ص ١٦٠ — ١٦٢ .
(٢) ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية ص ١٠٦ .

صاحب نقد الشعر في تحديده للمعاظلة والطباق وما شاكل ذلك »[1] .

واعتنى أبو هلال بالتنظيم العلمي وحصر الاحكام النقدية والبلاغية بعد ان كانت مفرقة في كتب السابقين ، واتبع في بحثه اسلوباً تقريريا ، فهو يتناول التعريفات والتقسيمات أو يضع القاعدة ثم يشرحها ويمثل لها ويحلل بعض الامثلة . وهذه طريقة قدامة مع فرق واضح هو اهتمام أبي هلال بالتحليل والاكثار من الشواهد الرائعة ، وبذلك استطاع ان يغطي على المنهج العقلي الذي اتخذه سبيلاً لبحثه البلاغي. ولكي نوضح هذا المنهج نأخذ فصل الاستعارة[2] التي قال عنها انها « نقل العبارة عن موضع استعمالها في اصل اللغة إلى غيره لغرض . وذلك الغرض اما ان يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه ، او الاشارة اليه بالقليل من اللفظ ، او تحسين المعرض الذي يبرز فيه » . وبعد هذا التعريف وذكر الاهداف التي يتضمنها أسلوب الاستعارة، تحدث عن موقعها من الحقيقة وفضلها عليها ، والمعنى المشترك بين المستعار والمستعار منه وذكر أمثلة كثيرة من القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد (ص) والصحابة والأعراب . وبعد ان انتهى من هذه الامثلة عاد إلى الاستعارة في اشعار المتقدمين ثم اشعار المحدثين ، وبذلك جمع بين الشواهد القديمة والحديثة ، وهو اسلوب اختطه لنفسه وطبقه في الكتاب .

ولم يقف عند ما رسمه القدماء وما ذكروه من فنون بيانية ، وانما تجاوز ذلك وزاد ستة على ما أوردوه وهي : التشطير والمجاورة والتطريز والمضاعفة والاستشهاد والتلطف »[3] ثم اضاف اليها المشتق، وقال عنه: « وقد عرض لي بعد نظم هذه الانواع نوع آخر لم يذكره أحد وسميته المشتق »[4] .

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٣١٥ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ٢٦٨ وما بعدها .

(٣) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧ .

(٤) كتاب الصناعتين ص ٤٢٩ .

ويرى الدكتور ابراهيم سلامة ان هذه الانواع لم تسلم لأبي هلال ، فالتشطير يدخل في باب الازدواج ، والاستشهاد والاحتجاج يلحق بالمذهب الكلامي إذا توسعنا في معناه بحيث يشمل الدليل الخطابي كما يشمل عبارات الفلاسفة، والمضاعفة لا تصح ان تكون نوعا قائما بذاته،فإن تكثُّر المعاني يأتي من تعدد أوجه الشبه في الشيء الواحد ويأتي من التفاتات الاديب لاكثر من ناحية واحدة في وقت واحد ، والتطريز يضم إلى التشطير وموسيقى الجملة على العموم ، والتلطف اساس الخطابة عند ارسطو ولن يكون الخطيب خطيبا حتى يستطيع أن يتكلم في الدفاع وفي الاتهام او في الشيء وفي ضده . وانتهى إلى القول بان « ليس فيما زاده من هذه الصنوف البلاغية شيء يستحق ان يقال فيه انه جديد او مفيد في دراسة البلاغة ، اللهم إلا ما أغري به الادباء بعده من التزيد في أنواع لا طائل تحتها »[1] .

وحاول الدكتور طبانة ارجاعها اليه[2] ، وهو مصيب في ذلك وان كانت بعض الفنون القديمة قريبة منها . وبذلك كان ابو هلال مجدداً في البلاغة ومنهجها وفنونها ومصطلحاتها ، وهو الذي نقل النقد إلى بلاغة تعنى بالتحديد والتقسيم .

ابن ناقيـــا :

ومن الكتاب الذين امتازوا بترسلهم ورسائلهم البديعة الرئيس ابو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا البغدادي (ـ ٤٨٥ هـ) . وله كتاب فريد في بابه يتصل بالبلاغة اتصالاً وثيقا هو « الجمان في تشبيهات القرآن » الذي كان أول كتاب يختص بهذا الفن البلاغي في كتاب الله . قال السيوطي : « وقد افرد تشبيهات القرآن ابو القاسم بن البندار البغدادي في كتاب سماه « الجمان »[3] .

---

(١) بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ٢٨٨ ، ٢٩٠ .
(٢) ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية ص ٢١٧ وما بعدها .
(٣) الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤٢ .

وقال المؤلف نفسه عنه : « هذا ما أدى اليه الوسع من تأليف هذا الكتاب مع دثور الحفظ وتقسم الفكر وكلال الخاطر وعدم الروية لمقارعة صروف الزمان ومنازعة خطوب الايام ، وان كنا غير مسبوقين إلى إذاعة سره وافتضاضة عذره واجتناء ثمره على كثرة ما ألف السلف من الكتب في انواع علوم القرآن، ولم يفردوا لهذا النوع كتاباً ولم يفتحوا إلى القول فيه بابا . ورغبتنا إلى الله — عز وجل — مصروفة في الفوز لديه والزلفى عنده والصلاة على سيدنا محمد وآله وهو ولي الرغبة اليه بمنه وكرمه ورأفته ورحمته . وحسبنا الله ونعم الوكيل »[1] .

سار ابن ناقيا في كتابه على المنهج الذي رأيناه عند أبي عبيدة والشريف الرضي ، وبحث التشبيه على ترتيب السور وآياتها ، ووقف عند كل آية فيها هذا الفن مفسراً وموضحاً ومقارناً ومستشهدا باشعار العرب ونثرهم . قال في مطلع الكتاب : « التشبيهات نوع مستحسن من أنواع البلاغة ، وقد ورد في كتاب الله — تعالى — ما نحن ذاكروه في هذا الكتاب وذاهبون إلى ايضاح معانيه والتنبيه على مكان الفضيلة »[2] .

وتحدث في المقدمة عن التشبيه وذكر ان الشيء يشبه بالشيء تارة في صورته وشكله وتارة في حركته وفعله وتارة في لونه ونجره ، وتارة في سوسه وطبعه . وكل منهما متحد بذاته ، واقع في بعض جهاته ، ولذلك يصح تشبيه الجسم بالجسم والعرض بالجسم والجسم بالعرض والعرض بالعرض .

وللتشبيه أدوات منها الكاف و « كأن » و « مثل » و « شبيه » ونحو ذلك . وربما استغنى عن هذه الادوات بالمصدر نحو : « خرج خروج القدح » و « طلع طلوع النجم » و « مرق مروق السهم » . ولا يكثر مثل هذا في التنزيل ، وانما عامة التشبيهات هناك مقرونة بالادوات[3] . وبعد ان انتهى من هذه المقدمة

---

(١) الجمان في تشبيهات القرآن ص ٣٨٥ .
(٢) الجمان ص ٤٣ .
(٣) الجمان ص ٤٣ — ٤٤ .

القصيرة تحدث عن تشبيهات القرآن ، فقال في قوله تعالى : « ثم قَسَتْ قلوبُكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشدّ قسوةً » . « معنى قست : غلظت ويبست وعست فكأنّ القسوة في القلوب ذهاب اللين منه والرحمة والخشوع والرقة . ومعنى قوله « بعد ذلك » يريد من بعد احياء الميت لكم بعضو من اعضاء البقرة ، أي هذه آية عظيمة كان يجب على من شاهدها فشاهد بمشاهدتها من قدرة الله ـ تعالى ـ ما يزيل كل شك ان يلين قلبه ويخضع »(١) .

وتحدث عن التشبيهات بهذا الاسلوب مستشهداً بكلام العرب نثره وشعره ، ولم يقف عند الجاهليين بل استشهد باشعار الاسلاميين والعباسيين كأبي نواس وابن المعتز وغيرهما من الشعراء الذين رفعوا لواء التجديد في العصر العباسي . ويبدو من الامثلة الكثيرة والمعلومات الغزيرة التي نثرها في الكتاب انه على حظ عظيم من الثقافة ، وانه متمرس في البحث والتأليف متبحر في اللغة ، وانه ذو طبع سليم وذوق رفيع واحساس صادق . ولا غرو وهو الشاعر الرقيق والكاتب المجيد الذي كتب في مختلف الفنون ونظم في شتّى الاغراض .

ولو قارنا بين كتابه والكتب التي ألفت في التشبيهات لرجحت كفته وكان في أعلى مرتبة وصل اليها المؤلفون في تلك الفترة . فقد الف ابن أبي عون (ــ ٣٢٢ هـ) كتاب « التشبيهات » ووضع الشيخ ابو عبدالله محمد الكتاني الطبيب كتاب « التشبيهات من اشعار اهل الاندلس » ، ولكن هذين الكتابين لم يحلق فيهما مؤلفاهما كما حلق ابن ناقيا ، وان يضيفا إلى التشبيهات التي اختاراها روحا جديدة تشد القارىء اليها وتقدم معلومات مفيدة .

وكتاب « الجمان » مصدر مهم في دراسة التفسير والبلاغة والادب الرفيع ، ومادة طريفة يقرأها الدارس فيحس بجو روحي تضفيه آيات الكتاب الحكيم ويشعر انه في رحاب أدب خالد وقف يتحدى الزمن بشمم وإباء(٢) .

---

(١) الجمان ص ٤٥ .
(٢) تنظر مقدمتنا لكتاب الجمان ص ٥ ــ ٣٦ .

ابن شيث القرشي :

ولابن شيث القرشي كتاب « معالم الكتابة ومغانم الاصابة » ، وهو في ثمانية ابواب :

الاول : فيما يجب تقديمه ويتعين على الكاتب لزومه ، وقد تكلم فيه على اخلاق الكاتب وأورد كلاما يذكر بوصايا عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب او بوصايا ابن المقفع في باب الصديق [1] .

الثاني : في طبقات التراجم واوائل الكتب وما يكون به التخاطب بين المتكاتبين على مقدارهما .

الثالث : في ذكر الخط وحروفه وبري القلم ومسكه .

الرابع : في البلاغة وما يتصل بها ، وهو أهم ابواب الكتاب .

الخامس : في الفاظ يقوم بعضها مقام بعض .

السادس : في الامثال التي يدمجها الكاتب في كلامه ويستشهد بها .

الثامن : فيما لا بد للكاتب من النظر فيه والتحرز منه .

وسقط الباب السابع في النسخة المطبوعة، لان الناشر لم يجد منه في الاصل المخطوط سوى صفحتين عدل عن نشرها . ويتضح في الكتاب اتجاه المؤلفين في هذه الفترة الى خدمة الكتابة والتأليف في الطرق التي ينبغي ان يسلكها المتأدبون للوصول الى السبيل المثلى فيها والخدمة في ديوان الانشاء .

وألوان البلاغة التي ذكرها ابن شيث في الباب الرابع يندرج معظمها فيما اطلق عليه اسم البديع ، وهذا امر طبيعي ، لانه عاش في فترة اهتم كتابها بهذه

---

(١) ينظر صبح الاعشى ج ١ ص ٨٥ – ٨٦ ، ورسائل البلغاء ص ٢٢٢ ، وآثار ابن المقفع ص ٢٩٧ .

الفنون واتخذوا من السجع والمحسنات اسلوبا . ولم يكن موفقا في بحثها وكأنه لم يمثل كتب البلاغة المتقدمة او يحاول تقليدها .

وهذا الباب أهم ما في الكتاب وعليه المعول ، قال ابن شيث : « اعلم ان هذا الباب هو الذي عليه المعول في الكتابة وفيه تتفاوت اقدار الكتاب ، وهو الذي فضّل الله به من آتاه من عباده فصل الخطاب والوقوف على كلام المتقدمين ، فيه يرهف الخاطر ويشحذه ويسدد العقول وينفذه »[1] . وذكر ان البلاغة مجموعة في قسمين :

الاول : ان يكون اللفظ قليلاً وهو دال على معان وهو أعلى القسمين .

الثاني : ان يكون الكلام منطبقاً على المعنى لا يفضل عنه .

وهذان القسمان هما اللذان وقف حذاق الكتاب عندهما ، ولذلك لم يتكلفوا من السجع ورعاية الالفاظ المصنوعة ما يخرجهم عن ذلك الا انهم كانوا يخاطبون من يفهم عنهم فاضطر الكتاب البلغاء الى قسم ثالث وهو ان تكون الالفاظ نقية مسجوعة سجعاً حالياً فتكون الزيادة منها في حفاوة رونقها وحسنها ، وصار هذا المذهب بينهم هو المسلوك ، وصار ذلك الاول وان كان هو للعرف كأنه متروك . فاذا اتقن حصول ذينك القسمين في هذه الالفاظ النقية كان ذلك شاهدا بالتبريز الى غايات العلى وأجمع بين محاسن الصور وزينة الحلى . والعمل كله على ان تكون الالفاظ أهلية انسية ولا تكون وحشية ولا منسية . والتمكن من البلاغة لا يختلف عليه الحال من الالفاظ الخاصية ولا العامية ، بل هو في كلتا الحالتين يعطي البلاغة حدها وحظها ، ويتوخى جزل الالفاظ ورقيقها ويتحامى غليظها وفظها .

وذكر ان نعوت الشعر كلها تدخل في نعوت النثر لا الوزن ، والشاعر المجيد يقدر على ان يكون كاتباً بليغا ، والكاتب اذا لم يكن الشعر في طبعه لا

---

(١) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٦١ .

يقدر على ان يكون شاعرا ، لأن الشعر ما لم يكن في الطبع لا يكتسب بالممارسة ، لان الوزن أمر ذوقي لا سبيل الى ادراكه بالمعاناة ولو أُديم له الكدح والكد .

وأحسن السجع ما توازنت فيه الالفاظ والتزم فيه رصف الكلمة التي يوقف عليها في الكلمة الاخرى التي تطابقها في السجع ، وهو نوعان : سجع حال وسجع عاطل . فالسجع الحالي هو كل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور على زنة واحدة تصلح ان تكون احداهما قافية امام صاحبتها مثل : « يرجعن مأزورات غيرَ مأجورات » . وبمقدار ما تتوازن اللفظتان ويلزم فيهما من تكرار الحروف يكون التبريز في ذلك .

والسجع العاطل هو ان تقابل اللفظة اختها ولا تجمع بينهما القافية ، وكثير من الكتاب البلغاء يقصده لخلوه من التكلف وجريانه على سجية الكلام دون التصنع ، وهو كقوله : « قلْ أهل الدين والامانة فإلى من يسكن وعلى من يعول ؟ » ، فقال : « يعول » في قبالة « يسكن » .

والرجع أو الرد عنده نوعان : مجتمع ومفرق . فالمجتمع كل كلمتين جاءتا في الكلام على صيغة واحدة في اللفظ والخط لا تخالف إحداهما الأخرى الا بأول الحروف ثم يعود ما في كل واحدة من الكلمتين في الاخرى بغير زيادة ولا نقص كقوله تعالى : « ويلٌ لكلِّ هُمَزةٍ لُمزةٍ » . ومنه قول أبي عبادة :

لانت معاطفُــه فخيِّــل انه ... للخيزران منــاسبٌ لعظامـــه
إنْ كنت تنكرُ ما أقولُ فجارِه ... أوْ بارِه أوْ سامه أوْ هَامِه [1]

والرجع المفرق هو كل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور تتضمن احداهما من الحروف ما تضمنته الأخرى بغير زيادة ولا نقصان الا انه على غير بينة ولا ترتيب كما في الرجع المجتمع . وقد يتقدم بعض الحروف على بعض، وهو من

---

(١) معالم الكتابة ص ٧٠ .

احسن انواع الكتابة مثل : « فلان أرفع القوم عماداً وأفرعهم معاداً وأصدقهم ميعـادا » .

والترصيع نوعان : ترصيع حذو وترصيع لغو ، وترصيع الحذو كقوله تعالى : « وهم يَحْسَبون انهم يُحْسنون صُنْعاً » . وترصيع اللغو هو كل كلمتين جاءتا في النثر على صورة واحدة في الخط لا يفرق بينهما الا بالشكل والنقط الا انه لا يصلح ان تكون احداهما قبالة الاخرى قافية لاختلاف حرف الرويّ كقوله : « أعجبني من نبل فلان شائعه ومن نيله سائغه » .

والإلمام ان يلم الكاتب في صدر كلامه بكلمة ثم يبني عليها فصلا ثم يتفق ان يستعمل كلمة اخرى اجنبية فينافر ما بين اللفظين وينافي ما بين المعنيين فيعود الى تلك الكلمة التي استعملها في صدر كلامه يعكسها هجاء ويعيدها في اول الفصل الثاني مثل : « أفاض الله عليك نعمة وأضاف اليك قسمة » .

والتوشيع ان يستعمل الكاتب في صدر كلامه كلمة يقتضي لفظها بمجرده في لغة العرب معنيين فصاعداً، ثم يبني بعدها فصلاً ويأتي بعده بالفصل الذي تقتضيه تلك الكلمة مثل : « ان فلانا يميل الى الخير واتيانه وعن الشر واستحسانه » . ألا ترى ان لفظ « يميل » يحتمل ان يكون الى الشيء وعنه .

والتتميم ان يأتي الكاتب في كلامه المنثور بكلمة لام الفعل فيها حرف علة ، ثم يأتي بكلمة من بعدها لام الفعل فيها حرف صحيح يشبع للاعتماد عليـه للاعراب فيحصل من ذلك تتميم اللفظ وتحصيل معنى تم به في تلك الكلمة الاولى التي أتى بها في صدر كلامه ، مثل :

تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قـواضبٍ
يمدّونَ من أيْدٍ عواصٍ عـواصمٍ

وتحدث القرشي عن التجنيس ، والمطابقة ، والجزالة ، والسهولـة ، والانصراف ، والتكرار ، والفك ، والابتداء ، والختم ، والرشاقة ، والالتجاء ، والجحد ، والتفسير ، والمقابلة ، والموازنة ، والاستخدام ، والاستطراد ،

والتقسيم ، والعكس ، والاستعارة ، والتورية .

هذه موضوعات الكتاب وفيها يبدو ميله الى الكتابة ووضع الرسوم لاتقانها . ويتضح ايضاً اكثاره من الامثلة وعدم تحديد المصطلحات تحديداً جامعا مانعا ، وعدم تقسيم الموضوع . ولم يجعل القاعدة محور البحث وانما كان الشاهد او المثال محوره . وقد صرح بابتعاده عن اهل الفلسفة فقال وهو يتحدث عن التجنيس : « التجنيس هو مصدر جنس يجنس تجنيساً اذا مائل بين الحروف على اصل ما جاء به الأصمعي في كتاب الاجناس لا على حد ما جاء به اصحاب المنطق » [1] .

ويلاحظ – ايضا – انه لم يتابع غيره في المصطلحات ، وانما وضع مصطلحات جديدة ، فاستعمل « الهدم » في الموضع الذي استخدم فيه البلاغيون « الذم بما يشبه المدح » ، قال : « الهدم : وهو ان تذكر انسانا بصفة في كلامك ثم تنقضها بكلمة من جنسها . مثاله : « فلان سبط الخلائق الا انه جعد الانامل مرفوع الحجاب ، الا انه محجوب النائل » [2] . واستعمل «الفك» في الموضع الذي استخدموا فيه «الاستدراك» وهو ان ينفصل الكلام عن الكلام الثاني بحرف استثناء وغيره [3] . واستعمل «الانصراف» في الموضع الذي استعملوا فيه «الالتفات» . وقسم السجع الى حال وعاطل ، وهو تقسيم لا نعرفه عند غيره ولا نجده اليوم مألوفا .

ابن الأثير :

وكان ضياء الدين بن الأثير (– ٦٣٧ هـ) من أكبر رجال البلاغة في عصره ، وممن اتضحت في مؤلفاتهم صنعة الكتابة التي كان لها في ذلك العصر

---

(١) معالم الكتابة ص ٧٣ .
(٢) معالم الكتابة ص ٧٧ .
(٣) معالم الكتابة ص ٧٧ .

اهمية عظيمة . الف عدة كتب منها « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » و « الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور » و « الاستدراك ». وهو في هذه الكتب الثلاثة ناقد كبير وبلاغي ذوّاقة . واعظم كتبه « المثل السائر » الذي « جمع فيه فأوعى ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة الا ذكره » [١] .

وليست البلاغة عنده كما نعرفها اليوم ، وانما هي تعلّم الكتابة والحكم على المعاني والاستعارة والتشبيه والتجنيس ولزوم ما لا يلزم والسرقات وغيرها من الفنون الاخرى . وكلها علم واحد هو علم البيان الذي هو « بمنزلة اصول الفقه للأحكام » [٢] ، فلا تميز بين مباحث المعاني والبيان والبديع ، وانما هي فن واحد يستعين به الشاعر او الكاتب بعد ان يتمرن على الكتابة ويحفظ القرآن الكريم وطرفاً من الأحاديث النبوية والشعر العربي الرصين .

بنى كتابه « المثل السائر » على مقدمة ومقالتين ، والمقدمة تشتمل على أصول علم البيان وهي عشرة فصول : موضوع علم البيان وآلاته وهي : معرفة العربية من نحو وصرف ولغة وامثال وحفظ القرآن والاحاديث النبوية وعلم القوافي والعروض . والحكم على المعاني والترجيح بينها ، وجوامع الكلم ، والحكمة التي هي ضالة المؤمن ، والحقيقة والمجاز ، والفصاحة والبلاغة، وأركان الكتابة ، والطريق الى تعلمها .

والمقالة الاولى : في الصناعة اللفظية وهي قسمان :

الاول : في اللفظة المفردة ، وقد تكلم فيه على شروط اللفظة المفردة ، وردّ بعض آراء ابن سنان وأيّد بعضها .

والثاني : في الالفاظ المركبة وهي : السجع ، والتصريع ، والتجنيس ،

---

(١) وفيات الاعيان ج ٥ ص ٢٧ .

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٣ .

والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ ،وتكرير الحروف .

والمقالة الثانية : في الصناعة المعنوية ، وقد تحدث فيها عن ثلاثين فناً بلاغياً هي : الاستعارة ، والتشبيه ، والتجريد ، والالتفات ، وتوكيد الضميرين ، وعطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده ، والتفسير بعد الابهام ، واستعمال العام في النفي والخاص في الاثبات، والتقديم والتأخير ، والحروف العاطفة والجارة ، والخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما ، وقوة اللفظ لقوة المعنى ، وعكس الظاهر ، والاستدراج ، والايجاز ،والاطناب والتكرير ، والاعتراض ، والكناية والتعريض ، والمغالطات المعنوية ،والاحاجي والمبادىء والافتتاحات ، والتخلص والاقتضاب ، والتناسب بين المعاني ، والاقتصاد والتفريط والافراط ، والاشتقاق ، والتضمين ، والارصاد ، والتوشيح ، والسرقات الشعرية .

وجعل مدار كتابه « الجامع الكبير » على قطبين : الأول في الأشياء العامة ، والثاني في الأشياء الخاصة . وقسم القطب الاول فنين : الاول فيما يجب على مؤلف الكلام الابتداء به ، وهو اربعة ابواب .

الاول : في آلات التأليف . والثاني : في ادواته . والثالث : في الطريق الى صناعة النثر والنظم . والرابع : في الحقيقة والمجاز .

والفن الثاني : في الكلام على الالفاظ والمعاني وتفضيل الكلام المنثور على المنظوم وهو ثلاثة ابواب :

الاول : في الالفاظ المفردة والمركبة . والثاني : في الكلام على المعاني . والثالث : في تفضيل الكلام المنثور على المنظوم .

والقطب الثاني ، فنان : الاول ، في الفصاحة والبلاغة ، والثاني في ذكر اصناف البيان وانقساماتها ، وهو بابان : الاول : في الصناعة المعنوية ، والثاني

في الصناعة اللفظية . وقد تكلم في الباب الاول على الاستعارة والتشبيه والالتفات وغيرها مما تحدث عنها في « المثل السائر » . وتكلم في الباب الثاني على السجع والازدواج ، والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم والموازنة ، واختلاف صيغ الألفاظ ، وتكرار الحروف .

وجمع في كتابه « الاستدراك » بحثين : الاول مؤاخذاته لابن الدهّان على مؤاخذاته للمتنبي ، والثاني استدراكه على ما فات ابن الدهان من مآخذ المتنبي .

ويبدو ان ابن الاثير بعد ان حلّق في كتابيه السابقين وجال جولات رائعة في علم البيان اراد ان يضع كتاباً يطبق فيه نظرياته وآراءه التي بثها في كتابيه السابقين ، فألف « الاستدراك » [1] الذي كان جديدا في منهجه وآرائه . واذا كان «المثل السائر» عمدة آرائه في البيان والنقد، فان هذا الكتاب هو الصورة العملية التي تكشف عن منهجه في النقد وتطبيق آرائه التي شرعها وأرسى أصولهـــا .

ومقدمة « الاستدراك » اهم ما فيه ، وقد تكلم على الشعر ونقده، والمفاضلة بين الشعراء ، والسرقات الادبية ، وموقف اللغويين والنحاة من الشعر ونقده ، ونقد شرح حماسة أبي تمام ووازن بين الامثلة الشعرية . والمقدمة بعد ذلك دستور للنقد أتى فيها المؤلف بأشياء جديدة بأن تقيد وتحفظ وتتبع . ولم يكن مقلداً فيما كتب وانما كان مجدداً وناقداً ثائرا ، وكان موقفه من رجال البلاغة موقف الموجه . وقد استخرج فنونا بلاغية جديدة ، وكان هذا التجديد دافعا الى تأليف كتابيه « المثل السائر » و « الجامع الكبير » ، قال : « وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه في غضون القرآن الكريم ولم أجد احداً ممن تقدمني تعرض لذكر شيء منها ، وهي اذا عدت كانت في هذا العلم بمقدار شطره » [2] .

---

(١) في الاستدراك ص ١١٩ ان ابن الاثير الفه بعد المثل السائر .

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٤ .

وقال متحدثاً عن القرآن الكريم : « فاستخرجت منه حينئذ ثلاثين ضرباً من علم البيان لم يأت بها احد من اولئك العلماء الاعيان . وكان ما ظفرت به اصل هذا الفن وعمدته وخلاصة هذا العلم وزبدته »[1] .

ويقوم منهجه في البحث على تعريف الفن البلاغي وتحليله ورد تعريفات من سبقه احيانا ، ثم تقسيم الموضوع تقسيماً لا يميل الى تقسيمات المتكلمين او الفلاسفة ، لانه كان شديد النفور منهم ، ويحاول ان تكون تلك التقسيمات مما يقبله الذوق السليم ويستسيغه الادب الرفيع . ويمتاز بحثه بالاكثار من الشواهد وتحليلها والوقوف عندها طويلا . وكان يتخير الامثلة وينظر اليها نظرة كلية ، وبذلك تفوّق على كثير من البلاغيين الذين لا يعنيهم من الشاهد جماله او صورته بل الصحة والصواب .

وكان الى جانب ذلك كله ناقداً كبيراً له منهج في النقد ما تزال كثير من اصوله عمدة النقد في العصر الحديث . وقد اعتمد في نقده على امرين :الذوق ، والتعليل المبني على العلم والتوجيه ، ولذلك نراه يؤكد عليه دائما ويقول :«واعلم ايها الناظر في كتابي ان مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم »[2] . ثم يقول : « وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لا تغني عن تلك الآلات شيئا »[3] ومن اجل ذلك حمل حملة عنيفة على المنطق والفلسفة ورأى في رجالها امثال ابن سينا والفارابي رجالاً مغرورين أضلّهم أرسطو وافلاطون .

ولابن الأثير آراء بلاغية ونقدية كثيرة ، من ذلك رأيه في الزمن والنقد ، فهو يرى ان التقدم الزمني ليس له كبير اهمية في تقديم شاعر على شاعر ، فان جريراً والفرزدق والاخطل اشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية وبينهم وبين

(١) الجامع الكبير ص ٣ .
(٢) المثل السائر ج ١ ص ٥ .
(٣) المثل السائر ج ١ ص ٨ .

اولئك فرق بعيد . وان ابا تمام والبحتري والمتنبي اشعر من الثلاثة المذكورين ، وليس عنده اشعر منهم في جاهلية ولا اسلام . وعلل ذلك بقوله : « والعرب وان سبقوا الى نظم الشعر فانهم لم يحصلوا على ما حصل عليه المتأخرون ، فان اولئك قالوه من غير تنقيب ولا تنقير ولا حفظ ولا درس فشذّ عنهم الشيء الكثير من المعاني الدقيقة . واما الالفاظ فانهم أتوا بمحاسنها ولم يفتهم شيء منها لكنها توجد متدفقة في اشعارهم ويخلطونها بما قبح من الالفاظ . والمتأخرون حصلوا على القسمين معاً لانهم نقبوا وحفظوا ودرسوا وأتقنوا كثيرا فنرى الشاعر منهم وقد حوى شعره ما تفرق في اشعار كثير من العرب »[١] .

ورأى ان ابا تمام والبحتري والمتنبي « لات الشعر وعزاه ومناته » الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومحسناته . وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء . قال : « اما ابو تمام فانه رب معان وصيقل الباب واذهان... واما ابو عبادة البحتري فانه احسن من سبك اللفظ على المعنى واراد ان يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الاطلاق ... واما ابو الطيب فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظي من شعره بالحكم والامثال واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال »[٢] .

ووضع للمفاضلة بين الشعراء قواعد واصولا ، وكان يرى ان المفاضلة تقع بين الكلامين سواء كانا متفقين في المعنى ام مختلفين . فاذا كانا متفقين فإن المفاضلة بينهما ظاهرة مكشوفة كقول بشار بن برد :

مَـنْ راقبَ الناسَ لم يظفر بحاجتهِ ... وفـاز بالطيّباتِ الفاتِكُ اللّهِجُ

وقال سلم الخاسر :

---

(١) الاستدراك ص ٢٥ .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٩ .

اولئك فرق بعيد . وان ابا تمام والبحتري والمتنبي اشعر من الثلاثة المذكورين ، وليس عنده اشعر منهم في جاهلية ولا اسلام . وعلل ذلك بقوله : « والعرب وان سبقوا الى نظم الشعر فانهم لم يحصلوا على ما حصل عليه المتأخرون . فان اولئك قالوه من غير تنقيب ولا تنقير ولا حفظ ولا درس فشذّ عنهم الشيء الكثير من المعاني الدقيقة . واما الالفاظ فانهم أتوا بمحاسنها ولم يفتهم شيء منها لكنها توجد متدفقة في اشعارهم ويخلطونها بما قبح من الالفاظ . والمتأخرون حصلوا على القسمين معاً لانهم نقبوا وحفظوا ودرسوا وأتقنوا كثيرا فنرى الشاعر منهم وقد حوى شعره ما تفرق في اشعار كثير من العرب »[١] .

ورأى ان ابا تمام والبحتري والمتنبي « لات الشعر وعزاه ومناته » الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومحسناته . وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء . قال : « اما ابو تمام فانه رب معان وصيقل الباب واذهان... واما ابو عبادة البحتّري فانه احسن من سبك اللفظ على المعنى واراد ان يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الاطلاق ... واما ابو الطيب فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه . لكنه حظي من شعره بالحكم والامثال واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال »[٢] .

ووضع للمفاضلة بين الشعراء قواعد واصولا . وكان يرى ان المفاضلة تقع بين الكلامين سواء كانا متفقين في المعنى ام مختلفين . فاذا كانا متفقين فإن المفاضلة بينهما ظاهرة مكشوفة كقول بشار بن برد :

مَــنْ راقبَ الناسَ لم يظفر بحاجتهِ وفـــاز بالطيّباتِ الفاتِكُ اللّهِـجُ

وقال سلم الخاسر :

---

(١) الاستدراك ص ٢٥ .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٩ .

اولئك فرق بعيد . وان ابا تمام والبحتري والمتنبي اشعر من الثلاثة المذكورين ، وليس عنده اشعر منهم في جاهلية ولا اسلام . وعلل ذلك بقوله : « والعرب وان سبقوا الى نظم الشعر فانهم لم يحصلوا على ما حصل عليه المتأخرون ، فان اولئك قالوه من غير تنقيب ولا تنقير ولا حفظ ولا درس فشذّ عنهم الشيء الكثير من المعاني الدقيقة . واما الالفاظ فانهم أتوا بمحاسنها ولم يفتهم شيء منها لكنها توجد متدفقة في اشعارهم ويخلطونها بما قبح من الالفاظ . والمتأخرون حصلوا على القسمين معاً لانهم نقبوا وحفظوا ودرسوا وأتقنوا كثيرا فنرى الشاعر منهم وقد حوى شعره ما تفرق في اشعار كثير من العرب » (١) .

ورأى ان ابا تمام والبحتري والمتنبي « لات الشعرِ وعزاه ومناته » الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومحسناته ، وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء . قال : « اما ابو تمام فانه رب معان وصيقل الباب واذهان... واما ابو عبادة البحتري فانه احسن من سبك اللفظ على المعنى واراد ان يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الاطلاق ... واما ابو الطيب فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظي من شعره بالحِكم والامثال واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال »(٢) .

ووضع للمفاضلة بين الشعراء قواعد واصولا ، وكان يرى ان المفاضلة تقع بين الكلامين سواء كانا متفقين في المعنى ام مختلفين . فاذا كانا متفقين فإن المفاضلة بينهما ظاهرة مكشوفة كقول بشار بن برد :

مَــــنْ راقبَ الناسَ لم يظفر بحاجتهِ ... وفـــاز بالطيّباتِ الفاتِكُ اللّهِـجُ

وقال سلم الخاسر :

---

(١) الاستدراك ص ٢٥ .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٩ .

مَــنْ راقبَ الناس مات غماً وفـــاز باللّذة الجسورُ

فالحكم بين هذين البيتين وبين مثلهما من المعاني المتفقة انما يقع في اللفظة خاصة ، وذلك يوجد في شيئين :

أحدهما : يتعلق بنظم الكلام الذي هو سبك الالفاظ بعضها مع بعض .

والآخر : يتعلق بالايجاز الذي هو الاختصار .

اما النظم فان له اوصافاً اربعة هي : ان تكون الالفاظ واضحة بينة ليست بغريبة الاستعمال ، وان تكون الالفاظ حلوة في الفم سهلة على النطق غير مستثقلة ولا مستكرهة ، وان تكون كل لفظة من الالفاظ ملائمة لأختها التي تليها غير نافرة عنها ولا مباينة لها ، وان لا يكون في الالفاظ تقديم وتأخير يستغلق به المعنى فيجيء نظم الكلام مضطربا. ومتى عري الكلام من هذه الاوصاف لم يكن فصيحا، وان عري عن شيء منها نقص منه جزء من الفصاحة. واذا نُظر الى هذين البيتين من جهة السبك وجدا سواء ، فهما اذن متساويان في هذه الجهة . واما الايجاز فانه اذا نظر اليهما من جهته وجد بيت سلم أوجز من بيت بشار ، لانه ثماني لفظات وذاك عشر ، فهو اذن افضل منه [1] .

وردّ قول الذين يرون ان لا مفاضلة الا بين المعاني المتفقة ، ولا يمكن ذلك بين المعاني المختلفة ، فقول امرىء القيس :

كــأنّ قلوبَ الطيرِ رطبــاً ويابساً لَدَى وكرها العنّابُ والحَشَفُ البالي

وقول النابغة :

ولستَ بمستبقٍ أخـــاً لا تلمّـــه عَلى شَعَثٍ،أيّ الرجالُ المهذبُ ؟

لا يمكن المفاضلة بينهما لاشتمالهما على معنيين مختلفين . ورأى ان هذا

---

(١) الاستدراك ص ٥٨ – ٥٩ .

المذهب فاسد ، لانه يؤدي الى ترك المفاضلة بين الجيد والرديء من الكلام اذا اختلف المعنى فيهما حتى اذا انسدّ هذا الباب تعدّى الى كلام الله – تعالى – فلا يقال اذن انه افضل من غيره لانه لا اتفاق بينهما في المعنى . وطبّق على هذين البيتين اوصاف النظم الاربعة وقال : « ان الاوصاف الاربعة التي تتعلق بالسبك قد تساويا فيهما ، فلا يقال ان هذا افضل من هذا من هذه الجهة . واما من جهة المعنى فان بيت النابغة افضل ، وذلك لانه تضمن حكمة تعرب عن تجربة الاخوان فيتأدب بها الغر الجاهل ويتنبه لها الفطن الأريب ، والناس أحوج الى معرفته من معرفة التشبيه الذي يتضمنه بيت امرىء القيس . وغاية ما فيه أنه رأى صورة فحكاها في المماثلة بينها وبين صورة اخرى وليس ثم سوى ذلك . وبيت النابغة كلمة مؤدبة تستخرج بالفكر الدقيق »[1] .

ووضع قاعدة اخرى للمفاضلة وهي ان ننظر الى قصيدتين لشاعرين ونختار جيد هذه وجيد هذه ، فمن كان جيده اكثر بالنسبة الى رديئه حكم له بالفضيلة ، او ان ننظر في ديوان هذا وديوان هذا ويجري الأمر على ما تقدم من قصيديهما. ومثال ذلك ان يكون ديوان أحدهما خمسة آلاف بيت منها اربعة آلاف جيدة ، وديوان الاخر ستة آلاف منها اربعة جيدة ، فالفضيلة المحكوم بها في هذا المقام لصاحب الخمسة دون الستة ، ولكنه قال : « ان هذه مفاضلة مجازية، لان الاقوال لا تكال بالقفزان وتحشى بالغرائر، فرب بيت واحد يعدله مائة بيت »[2] .

ابن أبي الحديد :

وأثّر ضياء الدين بن الأثير في علم البلاغة تأثيراً عظيما ، وكان لكتابه

---

(١) الاستدراك ص ٦٠ .

(٢) الاستدراك ص ٦١ .

« المثل السائر » صدى في القرون التي تلته وانقسم الناس فريقين ، فمنهم من أيّده وآزره ومنهم من نقده وافرط في ذمه .

ولعل اظهر من عارضه ابن ابي الحديد (ــ ٦٥٥ هـ) صاحب شرح « نهج البلاغة » في كتابه « الفلك الدائر على المثل السائر » الذي قال فيه اخوه احمد لما سمع بتأليفه :

المَثَلُ السائـرُ يـا سيّـدي ... صنّفت فيه الفلكَ الدائـرا
لكنَّ هـذا فَلَكٌ دائـرٌ ... أصبحت فيه المثلَ السائرا (١)

قال ابن ابي الحديد في مقدمة كتابه : « وبعد فقد وقفت على كتاب نصر الدين بن محمد الموصلي المعروف بابن الأثير الجزري المسمى كتاب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » فوجدت المحمود والمقبول والمردود والمرذول ، اما المحمود منه فانشاؤه وصناعته فانه لا بأس بذلك الا في الاقل النادر ، واما المردود فيه فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه.. فانه لم يأتِ في ذلك في الاكثر الأغلب بما يلتفت اليه مما يعتمد عليه » (٢) .

وحداه الى تتبعه ومناقضته امور منها إزراؤه على الفضلاء وغضه منهم ، وعيبه لهم وطعنه عليهم ، وافراطه في الاعجاب بنفسه والتبجح برأيه والتقريظ لمعرفته . ومنها أنه أومأ في كتابه الى عتاب دهره إذ لم يعطه على قدر استحقاقه ، وان جماعة من اكابر الموصل قد حسن ظنهم في هذا الكتاب وتعصبوا له حتى فضلوه على اكثر الكتب المصنفة في هذا الفن واوصلوا منه نسخاً الى بغداد واشاعوه وتداوله كثير من اهلها . وقد اراد ابن ابي الحديد ان يعرف ابن الأثير ان الأرزاق ليست على مقادير الاستحقاق وان الرزق مقسوم لا يجلبه الفضل ولا يرده النقص ، وان يغض من كتابه الذي شاع وانتشر ، وبهذه

---

(١) فوات الوفيات ج ١ ص ١١ .
(٢) الفلك الدائر ص ٣٢ .

الروح وضع كتابه وتقرب به الى الخزانة المستنصرية .

ومنهجه في الردّ يقوم على إيراد عبارة المثل السائر والتعقيب عليها ، مثال ذلك قوله : « قال المصنف : « وصناعة تأليف الكلام من المنثور والمنظوم تفتقر الى آلات كثيرة ، وقد قيل إنّ كل ذي علم يسوغ له ان ينسب نفسه اليه فيقال : « فلان الكاتب » لما يفتقر اليه من الخوض في كل فن » [1] .

أقول : هذا الكلام من أبهات الكتاب وتزويقاتهم ولا يعول عليه محصل ، وهذه الفنون التي يذكرها الكتاب ويزعمون ان الكتابة مفتقرة اليها ان ارادوا بها ضرورتها لها . فهذا باطل لأن سحبان وقساً وغيرهما من خطباء العرب ما كانت تعرفهما ، وكذلك من كان في اول الاسلام من الخطباء كمعاوية وزياد وغيرهما . وان ارادوا انها متممة ومكملة فهذا حقّ ولكن عدمها لا يقتضي سلب اسم الكتابة مع ان كل ما يحتاج اليه الكاتب يحتاج اليه الشاعر وزيادة» [2] .

ونقده في شرح « نهج البلاغة » ورد رأيه في بعض المسائل منها التعريض والكناية [3] . ويتضح تحامله على ابن الاثير في كتابيه . ومقدمة « الفلك الدائر » تمثل هذه النزعة وكذلك تسمية الكتاب ، قال : « وقد سميت هذا الكتاب الفلك الدائر على المثل السائر ، لانه شاع من كلامهم وكثر في استعمالهم ان يقولوا لما باد ودثر : قد دار عليه الفلك ، كأنهم يريدون انه قد طحنه ومحا صورته » [4] .

---

(١) عبارة ابن أبي الحديد غير مستقيمة ، وهي في المثل السائر ج ١ ص ٧ « اعلم ان صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة . وقد قيل : ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم حتى قيل : كل ذي علم يسوغ له ان ينسب نفسه اليه فيقول : فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ، ولا يسوغ له ان ينسب نفسه إلى الكتابة فيقول : « فلان الكاتب » وذلك لما يفتقر اليه من الخوض في كل فن » .

(٢) الفلك الدائر ص ٤٠-٤١ .

(٣) ينظر نهج البلاغة ج ١ ص ٤٤١ .

(٤) الفلك الدائر ص ٣٥ .

وقد حاول ابن ابي الحديد ان يظهر نقده موضوعياً نزيهاً ، ولكنه ـ في الواقع بعد كثيرا عن هذا الهدف وتجنب نزعة الادباء التي تميل الى الذوق لا الى الجدل والاحتجاج النظري ، وقد قال : « واما المردود فنظره وجدله ، واحتجاجه واعتراضه » . وليس هذا ما سعى اليه ابن الأثير .

السنجاري :

وألّف محمود بن الحسين الركن السنجاري (ـ ٦٥٠ هـ) كتاباً ردّ فيه آراء ابن ابي الحديد ، وسماه « نشر المثل السائر وطي الفلك الدائر » وقال عن ابن أبي الحديد :

لقد أتى بارداً ثقيلاً ... ولم يَرث ذاك من بعيدِ
فهو كما قد علمت شيءٌ ... أشهر ما كان في الحديدِ [1]

الصفدي :

وصنّف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ـ ٧٦٥ هـ) كتاباً سماه « نصرة الثائر على المثل السائر » بعد ان اطلع على « الفلك الدائر » ووجده قد أغفل كثيراً وأخذ قليلا وترك أثيراً ، فاراد ان يلتقط ما غادره ويتتبع شاذه ونادره [2] . ويقوم منهجه على متابعة آراء ابن الاثير كما جاءت في « المثل السائر » وهو في ذلك كابن ابي الحديد ، غير انه يمتاز بغزارة المعلومات التي أوردها والتعليقات الكثيرة التي ذكرها . قال : « قال في التجنيس القسم الثاني من المشبه : التجنيس : « ان تكون الالفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب

---

(١) نصرة الثائر ص ٩ .

(٢) نصرة الثائر على المثل السائر ص ٤١ وما بعدها .

بحرف واحد لا غير » . ثم مثّله بقوله تعالى : « وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربها ناظرةٌ » ومثّل بقوله تعالى : « وهم ينهَونَ عنه وينأون عنه » وقال : وعلى نحو من هذا ورد قوله (ص) : « الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخير » وقول أبي تمـام :

يمدّونَ مـن أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ

وقول البحتري :

من كلّ ساجي الطّرفِ أغيدَ أجيد ومُهفهفِ الكشحين أحوى أحورِ

ثم قال ، وكذلك قوله :

شواجرُ أرماح تقطّــع بينهـــا شواجر أرحامٍ ملومٍ قطوعُها

أقول : قد صدّر التقسيم بان تكون الالفاظ متساوية الوزن مختلفة التركيب بحرف واحد ، وما صدق معه من الامثلة التي ذكرها إلا قوله تعالى : « وهُمْ ينْهونَ عنه ...... » الآية ، وقوله تعالى : « وجوهٌ يومئذٍ ناضرة .... » الآية . والحديث الذي ذكره . واما « عواصٍ » و « عواصم » و « قواضٍ » و « قواضب » فان إحدى اللفظتين زادت على الاخرى بحرف ولم تخالف ، وكذا « أرحام » و « أرماح » احدى اللفظتين خالفت الاخرى بحرفين في الترتيب ففات ما شرطه ولا دخول لهذا فيما ذكره . وقد أورد عليه ابن ابي الحديد في التجنيس أشياء وما تنبه لهذا . وقد خبط ابن الاثير في التجنيس تخبيطاً كثيراً وما أحسن في ترتيبه . وقد وضعت أنا في ذلك كتاباً وسميته « جنان الجناس » قسمت فيه الجناس إلى ما أمكن تقسيمه فجاء ما يقارب الستين قسماً فمن أراد تحرير التجنيس في اقسامه فليقف عليه هناك »[1] .

واختصر بعضهم «المثل السائر»، وبذلك أثار هذا الكتاب حركة نقدية واسعة.

---

(١) نصرة الثائر ص ١٤٥ .

بحرف واحد لا غير » . ثم مثّله بقوله تعالى : « وجوهٌ يومئذٍ ناضرهٌ إلى ربها ناظرةٌ » ومثّل بقوله تعالى : « وهم ينْهَون عنه وينأون عنه » وقال : وعلى نحو من هذا ورد قوله (ص) : « الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخير » وقول أبي تمام :

يمدّونَ من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ

وقول البحتري :

من كلّ ساجي الطّرفِ أغيدَ أجيد ومُهفهفِ الكشحين أحوى أحورِ

ثم قال ، وكذلك قوله :

شواجرُ أرماح تقطّع بينها شواجر أرحامٍ ملومٍ قَطوعُها

أقول : قد صدّر التقسيم بان تكون الالفاظ متساوية الوزن مختلفة التركيب بحرف واحد ، وما صدق معه من الامثلة التي ذكرها إلا قوله تعالى : « وهُمْ ينْهونَ عنه ...... » الآية ، وقوله تعالى : « وجوهٌ يومئذٍ ناضرة .... » الآية ، والحديث الذي ذكره . واما « عواصٍ » و « عواصم » و « قواضٍ » و « قواضب » فان إحدى اللفظتين زادت على الاخرى بحرف ولم تخالف ، وكذا « أرحام » و « أرماح » احدى اللفظتين خالفت الاخرى بحرفين في الترتيب ففات ما شرطه ولا دخول لهذا فيما ذكره . وقد أورد عليه ابن ابي الحديد في التجنيس أشياء وما تنبه لهذا . وقد خبط ابن الاثير في التجنيس تخبيطاً كثيراً وما أحسن في ترتيبه . وقد وضعت أنا في ذلك كتاباً وسميته « جنان الجناس » قسمت فيه الجناس إلى ما أمكن تقسيمه فجاء ما يقارب الستين قسماً فمن أراد تحرير التجنيس في اقسامه فليقف عليه هناك »[1] .

واختصر بعضهم «المثل السائر» ، وبذلك أثار هذا الكتاب حركة نقدية واسعة.

---

(١) نصرة الثائر ص ١٤٥ .

الحلبي :

وسار شهاب الدين محمود الحلبي (ـ ٧٢٥ هـ) على خطا ابن الاثير وصنف كتاب « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » ليكون عونا للمتأدبين في تعلم الكتابة واتقانها . وقد اوضح هدفه في المقدمة وقال : « فانه لما جعل الله في كتابة الانشاء رزقاً باشرت بسببه من وظائفها ما باشرت وعاشرت من أجله من أكابر أهلها وائمتها من عاشرت . ورأيت من مذاهبهم في اساليبهم ما رأيت ، ورويت عنهم من قواعدها بالمجاورة والمحاورة ما رويت، واطلعت فيها بكثرة المباشرة على طرائق وألجئت فيها باختلاف الوقائع إلى مضايق أي مضايق، ونشأ لي من الولد وولد الولد من عاناها ، وترشح لها من بني من لم أرضَ له بالتلبس بصورتها دون التحلي بمعناها فأحببت ان اضع لهم ولمن يرغب في ذلك في هذه الاوراق من فصولها قواعد وأقيم لهم فيها على ما لا يسع الجهل به من أصولها وفروعها شواهد ليأتوا هذه الصناعة من أبوابها ويعلموا من طرقها ما هو الأخص باوضاعها والأولى وسميته « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » .

واقام كتابه على ثلاثة أقسام : تحدث في الاول عما يحتاج اليه الكاتب وهو : القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وقراءة ما يتفق من كتب النحو واللغة وحفظ خطب البلغاء والنظر في ايام العرب ووقائعهم وحروبهم ، والنظر في التواريخ ومعرفة اخبار الدول وحفظ اشعار العرب ومطالعة شروحها والنظر في رسائل المتقدمين والامثال الواردة عن العرب نظماً ونثرا ، والنظر في الاحكام السلطانية . وهذه امور كلية لا بد للمترشح لصناعة الكتابة من التصدي لها والاطلاع عليها والإكباب على مطالعتها والاستكثار منها . والحلبي في هذا متأثر بابن الأثير الذي عقد في مقدمة « المثل السائر » فصلين في تعليم الكتابة هما الفصل التاسع والفصل العاشر .

والقسم الثاني من الكتاب في الامور الخاصة التي تزيد معرفتها قدر الكاتب ، ومنها المعاني والبيان والبديع والكتب المؤلفة في إعجاز القرآن . وقد تحدث في

هذا القسم عن فنون البلاغة وأعطاها اهمية كبيرة وقال : « وأنا أشير الآن إلى نكت منها تدل على جلالة قدر هذا العلم وعظم الفائدة به ، وان الاديب والكاتب العاريين منه قاصران عن أدنى رتب الكمال ، يجيدان ولا يدريان كيف يجيبان . فلو سئل كل منهما عن علة معنى استحسنه او لفظ استحلاه أو تركيب استجاده لم يقدر على الاتيان بدليل على ذلك كما قال بعضهم :

يا أبا جعفر أتحكم في الشعر وما فيك آلة الحكامِ
إنَّ نَقْدَ الدينار الا على الصيرف صعبٌ ، فكيف نقدُ الكلامِ
قد رأيناك تَفْرُقُ في الأشعار بين الارواحِ والأجسامِ [1]

والبلاغة ـ عنده ـ ليست كبلاغة السكاكي القائمة على التقسيمات العقلية والفصل بين فنونها ، وانما هي بلاغة ابن الأثير الذي لم يميز بين المعاني والبيان والبديع ، ولذلك لا نجد لمذهب السكاكي أثراً في الحلبي بل نرى متابعة واضحة لابن الأثير .

عرَّف الحلبي البلاغة بقوله : « البلاغة ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا إخلال واطالة في غير إملال » . وقال عن الفصاحة انها « خلوص الكلام من التعقيد » [2] .

وذكر فصاحة المفرد وهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس . وفصاحة الكلام هي : خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد. وهو في ذلك يلتقي بالخطيب القزويني الذي لخص خصائص الالفاظ المفردة والمؤلفة في مقدمة كتابيه « التلخيص » و « الايضاح » .

وتكلم على الحقيقة والمجاز من غير ان يقسمهما إلى اقسامهما الكثيرة ،

---

(١) حسن التوسل ص ٢٦ ـ ٢٧ .
(٢) حسن التوسل ص ٢٨ .

ثم تحدث عن التشبيه وقسمه اقساماً كثيرة كالتشبيه المطلق والمشروط والتسوية والإضمار . والتشبيه ـ عنده ـ ليس من المجاز ، لانه معنى من المعاني وله ألفاظ تدل عليه وضعاً فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه ، وانما هو توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة والتمثيل لانه كالاصل لهما وهما كالفرع له . والذي يقع منه في حيز المجاز هو الذي يجيء على حد الاستعارة مثل : « أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى » .

وتحدث عن الاستعارة ، والكناية ، والخبر ، والتقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، والحذف والاضمار ، ومباحث « ان » و « انما » ، والنظم ، والايجاز ، والتجنيس ، والطباق ، والمقابلة ، والسجع وغيرها من فنون البديع الاخرى ، ثم قال : « وهذا ما اتفق ايراده في هذا الكتاب من علوم المعاني والبيان والبديع ليتأمله المترشح لهذه الصناعة ويستعمل ذلك في كلامه مع ان تسمية هذه الانواع تختلف ولا مشاحة في التسمية كما ذكر قدامة في كتابه »[1] .

والغريب أن الحلبي اشار إلى المعاني والبيان والبديع ، لكنه لم يحدد كلاً منها أو يبيّن موضوعاتها كما فعل السكاكي والقزويني والتفتازاني والسبكي .

ومن هنا كان بعيداً عن منهجهم ، قريبا إلى منهج ابن الاثير القائم على تربية الملكة الادبية وصقل الذوق وتهذيبه بحفظ النصوص البديعة والاطلاع على الاساليب الرفيعة وتقليدها في أول الامر والإبداع بعد ان تكتمل الاداة ويستوي عود الأديب .

وتحدث في القسم الثالث عن بعض خصائص الكتابة كالاقتباس والاستشهاد والحل ، وفصل القول في التقاليد والتواقيع والمناشير ، وذكر لها أمثلة من انشائه . وهذا القسم ثمرة الكتاب ، لان الحلبي كان يسعى إلى وضع الأسس التي ينبغي أن يأخذ بها المترشح للكتابة وهي الاطلاع على الادب وحفظ الكثير

---

(١) حسن التوسل ص ١٣٣ .

من القرآن والشعر والامثال ، ومعرفة فنون البلاغة والاستفادة من كل ما قرأ عن طريق الاقتباس والاستشهاد والحل ، وأخيراً التمكن من الكتابة والسير على اسلوب يختطه الكاتب بعد ان تكتمل ثقافته وتتهيأ له الاسباب .

ولم يأتِ بعد الحلبي كاتب كبير يؤلف في البلاغة إلا القلقشندي (-٨٢١هـ) الذي وضع كتاب « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » ، وهو ليس في البلاغة وحدها وانما كان موسوعة في الادب والتأريخ وغير ذلك ، غير انه يعنى كثيراً بالكتابة وطرق تعلمها وبالاساليب المختلفة .



النقـاد

وهم من الشعراء او الكتاب ، وكان لهم أثر في علم البلاغة وتطورها ، لأنهم استعانوا بمصطلحاتها وأصولها في أحكامهم النقدية وموازنتهم بين الشعراء . وكانت دراساتهم تقوم على التطبيق لا على عرض الفنون وتعريفها وتقسيمها [1] . ومن النقاد الذين وجهوا البلاغة وجهة جديدة :

ابن طباطبا :

أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا (٣٢٢ هـ) صاحب « عيار الشعر » الذي كان دراسة نقدية تختلف عما سبقه من دراسات ، لانه لا يقوم على اتخاذ البلاغة وحدها أساساً في صنعة الشعر وقياس جيده أو رديئه ، بل كان يسعى إلى دراسة فنية تقوم على ما اتخذه مؤلفه من دراسات السابقين ، وعلى خبرته . ويرى الدكتور شوقي ضيف ان الكتاب يتصل بالبيان والتبيين لأنه يردد كثيراً من الفاظه ، وان الحديث عن المعاني والالفاظ مستمد من فكرة ابن قتيبة في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » ، يقول : « ويكاد الكتاب من هذا الموضع فيه إلى نهايته يكون تفسيراً لفكرة ابن قتيبة ، وهو تفسير يستمد فيه من كتابات الجاحظ

---

(١) ينظر هؤلاء النقاد في كتابنا « اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة » .

وبما بعده من أفكار في حسن البيان ومن ملاحظاته الخاصة في بعض محاسن القول »[1] .

وكتاب « عيار الشعر » يقوم على قسمين هما : المقدمة والمتن . وفي المقدمة تحدث عن تعريف الشعر وهو « كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي ان عدل عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذوق . ونظمه معلوم محدود ، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه ، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه »[2] .

وللشعر أدوات يجب اعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه ، منها التوسع في علم اللغة والبراعة في فهم الاعراب والرواية لفنون الآداب والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومثالبهم ، والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرف في معانيه في كل فن قالته العرب فيه وسلوك مناهجها وجماع هذه الادوات كمال العقل الذي به تتميز الاضداد .

وتحدّث عن صنعة الشعر والمراحل التي يمرّ بها الشاعر ، والمعاني والالفاظ وشعر المولدين ثم انتقل إلى طريقة العرب في التشبيه وقال : « واعلم ان العرب أودعت اشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم على ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها ومرت به تجاربها وهم أهل وبر ... فتضمنت اشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسها إلى ما في طبائعها وانفسها من محمود الاخلاق ومذمومها .... فشبهت الشيء بمثله تشبيهاً صادقا على ما ذهبت اليه في معانيها التي ارادتها ، فاذا تأملت أشعارها وفتشت جميع تشبيهاتها وجدتها على ضروب مختلفة تتفرج انواعها ، فبعضها احسن من بعض ، وبعضها ألطف

---

(١) البلاغة تطور وتأريخ ص ١٢٤

(٢) عيار الشعر ص ٣

من بعض . فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض بل يكون كل شبه بصاحبه مثل صاحبه ويكون صاحبه مثله مشتبهاً به صورة ومعنى ، وربما اشبه الشيء صورة وخالفه معنى ، وربما اشبهه معنى وخالفه صورة ، وربما قاربه وداناه او شامه واشبهه مجازا لا حقيقة » [1] .

وذكر ان التشبيه ضروب ، منها تشبيه الشيء بشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به حركة وبطءاً وسرعة، ومنها تشبيهه به صوتا، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض فاذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان او ثلاثة معان من هذه الاوصاف قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له [2] .

وليس فيما ذكره جديد في التشبيهات ، وقد اعتذر له الدكتور محمد زغلول سلام بقوله : « ولا نستطيع ان نلوم ابن طباطبا في هذا التقصير ، فالدراسات الأسلوبية لا تزال في مراحلها الاولى ولم يسبقه من حدّد جوانب التشبيه واركانه وضروبه ومن فضله فيه. بل كانت كل دراسات سابقيه التي تتعرض للتشبيه تتناول جوانب منه أخرى ، وربما كان اكثرهم تحديدا وتعديدا » [3] . ويمكن القول بأن الذي دفعه إلى هذا المنهج هو ان البلاغة عنده وسيلة وليست هدفا ، ولذلك لم يبحث البلاغة كما بحثها البلاغيون الذين يعنون بالتعريف والتقسيم .

وتكلم على عيار الشعر وهو مقصد كتابه ، وعياره « ان يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو وافٍ ، وما مجّه ونفاه فهو ناقص» [4] . وجرّه الحديث عن عيار الشعر إلى ضروب التشبيهات والابتداء والتعريض والاختصار

(١) عيار الشعر ص ١٠ — ١١ .
(٢) عيار الشعر ص ١٧ .
(٣) تأريخ النقد العربي ج ١ ص ١٤١ .
(٤) عيار الشعر ص ١٤ .

من بعض . فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض بل يكون كل شبه بصاحبه مثل صاحبه ويكون صاحبه مثله مشتبهاً به صورة ومعنى ، وربما اشبه الشيء صورة وخالفه معنى ، وربما اشبهه معنى وخالفه صورة ، وربما قاربه وداناه او شامه واشبهه مجازا لا حقيقة » [١] .

وذكر ان التشبيه ضروب ، منها تشبيه الشيء بشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به حركة وبطءاً وسرعة، ومنها تشبيهه به صوتا، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض فاذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان او ثلاثة معان من هذه الاوصاف قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له [٢] .

وليس فيما ذكره جديد في التشبيهات ، وقد اعتذر له الدكتور محمد زغلول سلام بقوله : « ولا نستطيع ان نلوم ابن طباطبا في هذا التقصير ، فالدراسات الأسلوبية لا تزال في مراحلها الاولى ولم يسبقه من حدّد جوانب التشبيه واركانه وضروبه ومن فضله فيه، بل كانت كل دراسات سابقيه التي تتعرض للتشبيه تتناول جوانب منه أخرى ، وربما كان اكثرهم تحديدا وتعديدا » [٣] . ويمكن القول بأن الذي دفعه إلى هذا المنهج هو ان البلاغة عنده وسيلة وليست هدفا ، ولذلك لم يبحث البلاغة كما بحثها البلاغيون الذين يعنون بالتعريف والتقسيم .

وتكلم على عيار الشعر وهو مقصد كتابه ، وعياره « ان يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو وافٍ ، وما مجّه ونفاه فهو ناقص» [٤] . وجرّه الحديث عن عيار الشعر إلى ضروب التشبيهات والابتداء والتعريض والاختصار

---

(١) عيار الشعر ص ١٠ — ١١ .
(٢) عيار الشعر ص ١٧ .
(٣) تأريخ النقد العربي ج ١ ص ١٤١ .
(٤) عيار الشعر ص ١٤ .

والتخلص من غير ان يحددها ويقسمها ما عدا التشبيه الذي قسّمه أربعة أضرب .

فهو مثلا يقول في التعريض : « واما التعريض الذي ينوب عن التصريح والاختصار الذي ينوب عن الاطالة فكقول عمرو بن معدي كرب :

فلو أنَّ قومـــي أنطقتني رماحُهم نَطَقْتُ ، ولكنَّ الرماحَ أجرَّتِ

أي : لو أن قومي اعتنوا في القتال وصدقوا المصاع وطعنوا أعداءهم برماحهم فأنطقتني بمدحهم وذكر حسن بلائهم نطقت ولكن الرماح أجرّت . أي شقت لساني كما يجر لسان الفصيل » [1] .

وموضوعات الكتاب كلها تتصل بالنقد ككلامه على الاشعار المحكمة وأضدادها والأبيات المتفاوتة النسج التي أغرق قائلوها في معانيها والأشعار الغثة المتكلفة النسج، والشعر الحسن اللفظ الواهي المعنى والشعر الصحيح المعنى الرث الصياغة ، والشعر القاصر عن الغايات ، والشعر الرديء النسج ، والشعر البعيد الغلق وتأليف الشعر .

وتحدث عن المعاني الشعرية وكيف ان الشعراء السابقين غلبوا عليها فضاقت السبيل امام المحدثين ، ولم يكن من التقليد والأخذ بدّ . ورأى انه ينبغي ان لا يغير الشاعر على معاني الشعر فيودعها شعره ويمزجها في أوزان مخالفة لاوزان الاشعار التي يتناول منها ما يتناول ، لأن هذا لا يستر سرقته وانما ينبغي عليه ان يديم النظر في الاشعار لتعلق معانيها بفهمه وترسخ أصولها في قلبه [2] . وإذا يناول الشاعر المعاني التي سبق اليها فأبرزها في احسن من الكسوة التي عليها لم تُعَبْ بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه كقول ابي نواس :

وإنْ جَرَتِ الالفاظُ منا بمدحةٍ لغيرك إنساناً فأنت الـــذي نعني

أخذه من الأحوص حيث يقول :

---

(١) عيار الشعر ص ٢٩ .
(٢) عيار الشعر ص ١٠ .

والتخلص من غير ان يحددها ويقسمها ما عدا التشبيه الذي قسّمه أربعة أضرب .
فهو مثلا يقول في التعريض : « واما التعريض الذي ينوب عن التصريح والاختصار الذي ينوب عن الاطالة فكقول عمرو بن معدي كرب :

فلو أنَّ قومي أنطقتني رماحُهم ... نَطَقْتُ ، ولكنَّ الرماحَ أجَرَّتِ

أي : لو أن قومي اعتنوا في القتال وصدقوا المصاع وطعنوا أعداءهم برماحهم فأنطقتني بمدحهم وذكر حسن بلائهم نطقت ولكن الرماح أجرَّت . أي شقت لساني كما يجر لسان الفصيل » [1] .

وموضوعات الكتاب كلها تتصل بالنقد ككلامه على الاشعار المحكمة وأضدادها والأبيات المتفاوتة النسج التي أغرق قائلوها في معانيها والأشعار الغثة المتكلفة النسج، والشعر الحسن اللفظ الواهي المعنى والشعر الصحيح المعنى الرث الصياغة ، والشعر القاصر عن الغايات ، والشعر الرديء النسج ، والشعر البعيد الغلق وتأليف الشعر .

وتحدث عن المعاني الشعرية وكيف ان الشعراء السابقين غلبوا عليها فضاقت السبيل امام المحدثين ، ولم يكن من التقليد والأخذ بدّ . ورأى انه ينبغي ان لا يغير الشاعر على معاني الشعر فيودعها شعره ويمزجها في أوزان مخالفة لاوزان الاشعار التي يتناول منها ما يتناول ، لأن هذا لا يستّر سرقته وانما ينبغي عليه ان يديم النظر في الاشعار لتعلق معانيها بفهمه وترسخ أصولها في قلبه [2] . وإذا يناول الشاعر المعاني التي سبق اليها فأبرزها في احسن من الكسوة التي عليها لم تُعَبْ بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه كقول ابي نواس :

وإنْ جرَتِ الالفاظُ منا بمدحةٍ ... لغيرك إنساناً فأنت الـذي نعني

أخذه من الأحوص حيث يقول :

(١) عيار الشعر ص ٢٩ .
(٢) عيار الشعر ص ١٠ .

متى ما أقل في آخرِ الدهر مدحـــةً فما هي إلاّ لابنِ ليلى المكرّمِ [1]

وليس في هذا البحث تقسيم للسرقات وتنويع لها ، لان عناية ابن طباطبا كانت متجهة إلى نقد الشعر ، ولا سيما شعر المحدثين .

وكان حديثه عن تلاحم ابيات القصيدة من الموضوعات المهمة التي عالجها في كتابه ، ولو انه توسع فيها لاعطى صورة واضحة عن فهم العرب لوحدة القصيدة .

الآمـــدي :

ومنهم أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي (— ٣٧١ هـ) صاحب « الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري » الذي أراد ان يقف فيه موقفا وسطا بين ابي تمام والبحتري بعد ان اشتدت الخصومة بين الناس وتعصب فريق للاول وانحاز فريق آخر إلى الثاني . ووضع قاعدة اساسية للموازنة بينهما وقال : « ولست أحب ان اطلق القول بايهما أشعر عندي لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر . ولا أرى لأحد ان يفعل ذلك فيستهدف لذم أحد الفريقين ، لان الناس لم يتفقوا على أي الاربعة أشعر ؟ في امرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى ، ولا في جرير والفرزدق والأخطل ، ولا في بشار ومروان والسيد ، ولا في أبي نواس وأبي العتاهية ومسلم والعباس بن الاحنف لاختلاف آراء الناس في الشعر وتباين مذاهبهم فيه . فان كنتَ — أدام الله سلامتك — ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحتري أشعر عندك ضرورة . وان كنت تميل إلى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوي على ما سوى ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة . فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكني أقارن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية

(١) عيار الشعر ص ٧٦ .

واعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ثم أقول أيهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى ، ثم احكم انت حينئذ إن شئت على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علماً بالجيد والرديء » [1] .

ان هدف الآمدي الموازنة بين أبي تمام والبحتري لا وضع احدهما فوق الآخر وانما لبيان الاختلافات الجوهرية بينهما وما يمتاز به كل واحد . وبذلك يكون كتابه أول كتاب في نقد النصوص وتحليلها ، واول كتاب في النقد المقارن عند العرب بمعناه العلمي الدقيق [2] .

وتناثرت في الكتاب بعض فنون البلاغة كالاستعارة والطباق والتجنيس والتشبيه والحذف والمجاز والاستفهام وخروجه إلى التقرير ، والقلب ، والمفاضلة ، وحسن الابتداءات .

ولم يتحدث الآمدي عن هذه الفنون كما تحدث عنها البلاغيون وانما استعان بها حينما وازن بين الشعراء وبين ما في شعر أبي تمام من فنون بديعية ، ولذلك لا نجد لها تعريفات وتقسيمات . وتكلم إلى جانب ذلك على السرقات ورأى أن لا سرقة في الالفاظ لأنها مباحة غير محظورة ، وانما السرقة تتحقق في المعاني البديعة المخترعة التي يختص بها شاعر لا في المعاني المشتركة بين الناس الجارية في عاداتهم والمستعملة في امثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده ان يقال أخذه من غيره . قال : « وانما السَرَق يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك » [3] . وقال انها ليست « من كبير مساوىء الشعراء وخاصة المتأخرين إذْ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر » [4] . وآمن بالسرقة

---

(1) الموازنة ج ١ ص ٦ – ٧ .
(2) ينظر النقد لشوقي ص ٦٥ ، وقضايا النقد الادبي والبلاغة ص ٤٠٣ .
(3) الموازنة ج ١ ص ٥٢ .
(4) الموازنة ج ١ ص ٢٩١ .

المملوحة والأخذ الحسن ، وقرر أن تقارب بيئة الشاعرين يجعلهما متفقين في كثير من المعاني ، فانه « غير منكر لشاعرين مكثرين متناسبين من أهل بلدين متقاربين ان يتفقا على كثير من المعاني »[1] . وهذا ما ذكره ابو هلال في قوله : « واذا كان القوم في قبيلة واحدة وفي أرض واحدة فان خواطرهم تقع متقاربة كما ان اخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة »[2] .

وكان مقياسه في الحكم على الطائيين عمود الشعر ولذلك عاب اسراف أبي تمام في الصنعة والتكلف ونقد بعض استعاراته وتجنيساته ومعانيه . ولكنه مع ذلك ظل محايداً في أكثر أحكامه ، واظهر محاسن الشاعرين ومساوئهما ، وان كان يبدو ميله إلى البحتري الذي لم يخرج على عمود الشعر العربي كما فعل أبو تمام .

القاضي الجرجاني :

ومن النقاد المشهورين القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ـــ ٣٩٢ هـ)[3] صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » الذي ألفه بعد أن وضع الصاحب بن عباد رسالته في اظهار مساوىء المتنبي . قال الثعالبي : « ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في اظهار مساوىء المتنبي ، عمل القاضي أبو الحسن كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره » فأحسن وابدع ، وأطال واطاب ، واصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره في الادب وعلم العرب وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد ، فسار

---

(١) الموازنة ج ١ ص ٥٣ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ٢٣٠ .

(٣) تذكر بعض المصادر انه توفي سنة ٣٦٦ هـ ، ولكن معظم الباحثين يؤيدون ان وفاته سنة ٣٩٢ هـ أي بعد الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

الكتاب مسار الرياح وطار في البلاد بغير جناح »[1] . وذكر الدكتور محمود السمرة ان الحياة النقدية في عصره كانت تدفعه إلى تأليف كتابه ، ولم يكن كتاب الصاحبي سوى حافز من حوافز عدة[2] .

وأراد القاضي ان يقف موقفاً وسطا بينه وبين خصومه ، قال : « وما زلت أرى اهل الادب منذ ألحقتني الرغبة بجملتهم ووصلت العناية بيني وبينهم في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فئتين : من مطنب في تقريظه منقطع اليه بجملته منحط في هواه بلسانه وقلبه يلتقي مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم ويشيع محاسنه اذا حكيت بالتفخيم ويعجب ويعيد ويكرر ويميل على من عابه بالزراية والتقصير ويتناول من ينقصه بالاستحقار والتجهيل ، فـــان عثر على بيت مختل النظام او نبّه على لفظ ناقص عن التمام التزم من نصرة خطئه وتحسين زلله ما يزيله عن موقف المعتذر ويتجاوز به مقام المنتصر . وعائب يروم إزالته عـــن رتبته فلم يسلم له فضله ويحاول حطه عن منزلة بوأه اياها أدبه فهو يجتهد في اخفاء فضائله واظهار معايبه وتتبع سقطاته واذاعة غفلاته . وكلا الفريقين إما ظالم له او للادب فيه ، وكما ان الانتصار جانب من العدل لا يسده الاعتذار فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار. ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر واسراف المفرط ، وقد جعل الله لكل شيء قدرا واقام بين كل حديث فصلا ، وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر ولا يلتمس عند الآدمي إلا ما كان في طبيعة ولد آدم. واذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان فاستسقاط من عز حاله حيف والتحامل على من وجه اليـــه ظلـــم .

وللفضل آثار ظاهرة وللتقدم شواهد صادقة ، فمتى وجدت تلك الآثار وشوهدت هذه الشواهد فصاحبها فاضل متقدم ، فان عثر له من بعد على زلة

---

(١) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٤ .

(٢) القاضي الجرجاني الاديب الناقد ص ١١١ .

ووجدت له بعقب الاحسان هفوة انتحل له عذر صادق او رخصة سائغة فان اعوز قيل « زلة عالم » ، وقلّ من خلا منها وأيُّ الرجالُ المهذب ؟ ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل ولزال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبداً ولم نسم به إذا أردنا حقيقة أحدا . وأيّ عالم سمعت به ولم يزل ويغلط او شاعر انتهى اليه ذكره ولم يهف ولم يسقط » (١) .

وفي هذه الكلمات يتضح هدفه ومنهجه ، وان الناقد ينبغي ان يكون محايداً لا يتوجه نقده إلى السقطات وحدها وانما ينظر إلى إنتاج الاديب كله .

ومع ان كتاب « الوساطة » ليس في البلاغة غير ان مؤلفه استعان بها في نقد المتنبي والشعراء ، ما عدا فنون البديع التي لم يهتم بها ولم يذكر منها الا ألواناً قليلة اوردها على أنها مقاييس يرجع اليها في توجيه ما يقول عن المتنبي .

وذكر ان طريقة العرب في الشعر تعتمد خصائص معينة ليست مما توفر في شعر المحدثين ، قال : « وكانت العرب انما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب وشبه فقارب وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر امثاله وشوارد أبياته ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالابداع في الاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض . وقد كان يقع ذلك – أي البديع والاستعارة – في خلال قصائدها ويتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد . فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ورأوا موقع تلك الابيات من الغرابة والحسن وتميزها على أخواتها في الرشاقة واللطف تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع ، فمن محسن ومسيء ، ومحمود ومذموم ، ومقتصد ومفرط » (٢) .

ومن الفنون البلاغية التي ذكرها الحشو والاستعارة الحسنة والسيئة ، وفرّق بين التشبيه والاستعارة في بيت أبي نواس :

---

(١) الوساطة ص ٣ – ٤ .
(٢) الوساطة ص ٣٣ – ٣٤ .

والحبُّ ظهْرٌ أنتَ راكبـــهُ   فاذا صَرَفْتَ عنانَه انصرفــا

قال : « ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة ، وانما معنى البيت : ان الحب مثل ظهر ، او الحب كظهر تديره كيف شئت إذا ملكت عنانه . فهو إما ضربُ مثل او تشبيه شيء بشيء ، وانما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الاصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها . وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما اعراض عن الآخر »[١] .

وتكلم على المطابقة وقال عنها : « واما المطابقة فلها شعب خفية وفيها مكامن تغمض وربما التبست بها أشياء لا تتميز الا للنظر الثاقب والذهن اللطيف ولاستقصائها موضع هو أملك به . ولم نفتح هذا الكلام وقصدنا ما جرى بنا القول اليه ، لكن الحديث شجون »[٢] .

ومن أصناف البديع التي ذكرها التصحيف ، والتقسيم ، وجمع الاوصاف والاستهلال ، والتخلص والخاتمة[٣] . وتحدث عن الشاعر ورأى انه لا يزال يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه لانَّ مــن تقدم استغرق المعاني وسبق اليها وأتى على معظمها . ولذلك يعذر اهل عصره إنْ أخذوا من غيرهم واعتمدوا عليهم .

ولم يدّعِ القاضي الجرجاني القدرة على الاحاطة بجميع السرقات أو إمكان تمييزها ، ودعا إلى التحرز من الاقدام قبل التبيّن والحكم الا بعد الثقة . والسرقات كثيرة حصرها في السرق والغصب والاغارة والاختلاس والالمام والملاحظة والمشترك الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه ، والمبتذل الذي ليس أحد

---

(١) الوساطة ص ٤١ .
(٢) الوساطة ص ٤٤ .
(٣) الوساطة ص ٤٦ — ٤٨ .

أولى به . ووضع قاعدة عامة هي ان المعاني المشتركة والمتداولة لا تكون سرقة ، قال : « فمتى نظرت فرأيت ان تشبيه الحسن بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد والبطيء بالحجر والحمار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار ، والصب المستهام بالمخبول في حيرته ، والسليم في سهره ، والسقيم في أنينه وتأمله في أمور متقررة في النفوس متصورة للعقول يشترك فيها الناطق والابكم ، والفصيح والاعجم ، والشاعر والمفحم ، حكمت بأن السرقة عنها منتفية والاخذ بالاتباع مستحيل ممتنع »[1] .

ولا يمكن ان نطلق السرقة إلا في الاشياء المنسوبة إلى شاعر او كاتب بعينه . فالناس لا يزالون يشبهون الورد بالخدود ، والخدود بالورد نثراً ونظماً ، وتقول فيه الشعراء فتكثر وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السرقة فيه إلا بتناول زيادة تضم اليه او معنى يشفع به . وقد يحصل التفنن في السرقة ولا ينتبه اليها إلاّ الحاذق الفطن .

ولعل أحسن ما في بحثه تفصيله القول في أنواع السرقة الممدوحة وتحرزه في الحكم على السرقة ، قال : « ومتى جاءت السرقة هذا المجيء لم تعدّ مع المعايب ولم تُحْصَ في جملة المثالب ، وكان صاحبها بالتفضيل أحق وبالمدح والتزكية أولى »[2] . وبذلك ظهرت روح القاضي الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يدين أحداً إلا بعد توفر الادلة وثبوت التهمة .

ان هؤلاء النقاد وغيرهم لم يكن هدفهم الحديث عن البلاغة ومصطلحاتها وفنونها ، ولذلك لم يتضح لهم منهج فيها ولم يفصلوا القول في موضوعاتها ، وهم في ذلك يمثلون اتجاها خاصا في معالجة البلاغة والاستعانة بها في النقد .

---

(١) الوساطة ص ١٨٣ .

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ١٨٨ .

الفلاسفة والمتكلمون

الفصل الخامس

نظرة عامة

بعد ان اتصل العرب بغيرهم من الأقوام والأمم ، وبعد ان بدأ الصراع بين المسلمين وغيرهم احتاج المسلمون إلى علم الكلام ، فنشأ المتكلمون الذين احتجوا على صحة العقائد الدينية بالادلة العقلية وردوا على المبتدعين الخارجين على التصور الاسلامي الصحيح[1] .

وكان من أثر اتصالهم ان ترجموا كتب الفلسفة اليونانية ومنطق ارسطو ، وكان لذلك تأثير كبير في الفكر العربي والاسلامي ولا سيما المنطق الذي صبغ العلوم العربية بصبغة جديدة صبت في قالبه ووضعت على منهاجه حتى كـان المنطق كما قال ابن سينا « خادم العلوم » . وكان للبلاغة نصيب وافر من هذا التأثير ، فقد كان نشاط المتكلمين واسعاً، وكان لهم أثر في الحياة العقلية عامة وفي البلاغة خاصة ، وكان « كبار المتكلمين ورؤساء النظـارين فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير مـن البلغاء »[2] . حتى قيل ان علم البيان نبت في حجور المتكلمين .

---

(١) ينظر تعريف القدماء لعلم الكلام في كتاب « دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية » ص ١١٩ وما بعدها .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٩ .

ابن المعتمـــر :

وليست مقالة بشر بن المعتمر (ـ ٢١٠ هـ) إلا مثلاً واضحا على أثـــر المتكلمين وحرصهم على تعليم البلاغة وفن القول : فقد مرّ بشر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة فوقف ، فظن ابراهيم انه انما وقف ليستفيد او ليكون رجلاً من النظارة فقال بشر : « اضربوا عما قال صفحاً واطووا عنه كشحا » ، ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه (١) أوضح فيها كثيرا من القضايا التي اصبحت عمدة البلاغة والنقد ، منها الاستعداد للانتاج الادبي والاهتمام بتخير اللفظ والمعنى ، وتحديد المنازل التي يمر بها الاديب وأولها منزلة البليغ التام الذي يكسو عباراته جمالاً يرجع إلى رشاقة الالفاظ وعذوبتها وجزالتها وسهولتها ووضوح المعاني وانسجامها . وثانيها منزلة من لم تسعفه طبيعته بالالفاظ الملائمة والقوافي الجيدة والمعاني الرائعة ، وعليه أن يتأنى ويؤجل الكتابة إلى وقت نشاطه وفراغ باله ، فان كان له في الأدب طبيعة حقاً واتاه الكلام وانثالت عليه الالفاظ والمعاني . وثالثها منزلة من شحّ طبعه ونضبت ينابيع القول عنده ، وهذا لا يأتي بجيد الكلام مهمـــا حاول أو تكلف ، وحري به ان يترك صناعة الأدب ويتحول إلى غيرها .

وفي الصحيفة حديث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، واشارة إلى ان المتكلمين هم الذين كانوا يقومون بنشاط واسع في المجالس وحلقات الدرس . وكان لتوجيهاتهم وانطباعاتهم أثر في فن القول ، لما عرفوا به من امتلاك ناصية البيان والقدرة على الجدل والاقناع ، وكان المعتزلة من أمثال ثمامة بن اشرس والنظّام وواصل بن عطاء المجلين السابقين في البيان .

وكان تأثير الفلسفة وعلم الكلام واضحاً في كتب الجاحظ (ـ ٢٥٥ هـ) لأنه كان معتزلياً وكان رأس جماعة منهم سميت الجاحظية ، ولكن بلاغته

---

(١) تنظر في البيان والتبيين ج ١ ص ٣٥ وكتاب الصناعتين ص ١٣٤ ، والعمدة ج ١ ص ٢١٢ .

– كما قلنا – لم تتأثر كل التأثر بعلم الكلام لأن بحثها كان يقوم على ملاحظات لا ينتظمها منهج واضح ، ولذلك لا يبدو الأثر الكلامي في بلاغته جلياً كما يبدو في بلاغة غيره .

وكان قدامة بن جعفر (– ٣٣٧هـ) من أبرز النقاد والبلاغيين الذين تأثروا بالفكر اليوناني والفلسفة، وكان كتابه « نقد الشعر » اول محاولة علمية لتطبيق أصول المنطق على الشعر العربي.

وبدا ذلك التأثير اكثر وضوحاً في كتاب « البرهان في وجوه البيان » لابن وهب الذي اخضع البلاغة للمقاييس الكلامية والفقهية اخضاعاً كبيرا، وادخل فيها الجدل وقضايا المنطق وعلم الكلام .

وطغت النزعة الكلامية والفلسفية في القرن الرابع للهجرة عندما ترجمت كتب الفلسفة والمنطق وقد صرح ابو هلال بجنوح البلاغة شطر المتكلمين فقال وهو يدفع عن نفسه السير في طريقهم : « وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وانما قصدت فيه قصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب ولهذا لم أطل الكلام في هذا الفصل » (١) . وكان اثر علم الكلام والمنطق واضحاً في الكتب التي أُلفت للذود عن القرآن ورد مزاعم الطاعنين . وكان هذا أمراً طبيعياً بعد ان أخذ الزنادقة وغيرهم من الحاقدين على العرب والاسلام يجادلون المسلمين جدلاً يعتمد على الفلسفة والمنطق . وكان لا بد للمنافحين عن القرآن ان يستعملوا اسلوب الخصوم نفسه ليردوا اقوالهم ويفندوا آراءهم ويصونوا دستور المسلمين وعقيدتهم. وتزخر الكتب المؤلفة في إعجاز القرآن بأمثلة كثيرة من أساليب أهل المنطق والمتكلمين، والفاظهم ، ومصطلحاتهم ، وحججهم العقلية .

(١) كتاب الصناعتين ص ٩ .

كتابا أرسطو

كان لكتابي « الخطابة » و « الشعر » لارسطو اثر واضح في بعض كتب البلاغة العربية ، وذلك منذ ان ادخل قدامة وصاحب « البرهان » بعض مقاييسهما واصولهما فيها . وقد أثار هذان الكتابان اهتماما عظيماً في البيئة العربية فترجما ولخصا وشرحا واعتمد عليهما في كثير من القضايا العقلية التي تحفل بها كتب البلاغة الكلامية .

الخطـــابة :

كان كتاب « الخطابة » معروفا منذ عهد الترجمة الاول ، قال ابن النديم : « الكلام على ريطوريقا ومعناه الخطابة يصاب بنقل قديم ، وقيل ان اسحاق نقله إلى العربي ، ونقله ابراهيم بن عبدالله . فسره الفارابي ابو نصر . رأيت بخط احمد بن الطيب هذا الكتاب نحو مائة ورقة بنقل قديم »[1] .

ولم تصل من ترجماته إلاّ واحدة لا يعرف مترجمها ، ويرجح الدكتور عبد الرحمن بدوي انها النقل القديم الذي اشار اليه ابن النديم [2] .

(١) فهرست ابن النديم ص ٣٦٣ .

(٢) الخطابة – المقدمة ص : ز .

كتابا أرسطو

كان لكتابي « الخطابة » و « الشعر » لارسطو اثر واضح في بعض كتب البلاغة العربية ، وذلك منذ ان ادخل قدامة وصاحب « البرهان » بعض مقاييسهما واصولهما فيها . وقد أثار هذان الكتابان اهتماما عظيماً في البيئة العربية فترجما ولخصا وشرحا واعتمد عليهما في كثير من القضايا العقلية التي تحفل بها كتب البلاغة الكلامية .

الخطـــابة :

كان كتاب « الخطابة » معروفا منذ عهد الترجمة الاول، قال ابن النديم : « الكلام على ريطوريقا ومعناه الخطابة يصاب بنقل قديم ، وقيل ان اسحاق نقله إلى العربي ، ونقله ابراهيم بن عبدالله . فسره الفارابي ابو نصر . رأيت بخط احمد بن الطيب هذا الكتاب نحو مائة ورقة بنقل قديم »[1] .

ولم تصل من ترجماته إلاّ واحدة لا يعرف مترجمها ، ويرجح الدكتور عبد الرحمن بدوي انها النقل القديم الذي اشار اليه ابن النديم [2] .

(١) فهرست ابن النديم ص ٣٦٣ .
(٢) الخطابة – المقدمة ص : ز .

وكتاب « الخطابة » يقوم على ثلاث مقالات ، تحدث في الاولى عن الخطابة والجدل وقال : « ان الريطورية ترجع على الديالقطيقية [١] وكلتاهما توجد من اجل شيء واحد ويشتركان في نحو من الانحاء . وقد توجد معرفتهما لكل ، اذ ليست واحدة منهما علماً من العلوم منفرداً ولذلك ما توجد جميع العلوم مشاركة لهما في نحو » [٢] ثم عرف الخطابة بقوله : « فالريطورية قوة تتكلف الاقناع الممكن في كل واحد من الامور المنفردة » [٣] ، وتحدث عن انواعها وغاية كل منها ، وعن موضوعات المقدمات في المشوريات ، والخير والنافع ، وانواع الدساتير ، والفضيلة والرذيلة ، والحسن والقبح ، وما يدعو إلى الذم او المدح ، والاتهام والدفاع ، والحجج المستقلة عن صناعة الخطابة .

وتحدث في المقالة الثانية عن التأثير في نفوس الحكام ، والاخلاق ، والخصائص المشتركة بين جميع أجناس القول ، والمثل وانواعه واستخدامه ، والرأي ، والتفكيرات والنقائض ، والاخطار التي يجب تجنبها .

وتحدث في المقالة الثالثة عن أقسام فن الخطابة ، وأولى الاسلوب عناية كبيرة وقال : « ان فضيلة المقال ان يكون بالتغيير ، لان الكلمة رسم ما ، فان لم توضح شيئاً فانها لا تعمل عملها إلا ان تكون لا حقيرة دنيئة ولا مجاوزة للقدر الذي يستوجب لكي تكون جميلة » [٤] . وتحدث عن برود الاسلوب ، والصورة او المقارنة ، وسلامة الاسلوب ، ووسائل الاطناب ، وتناسب الاسلوب ، والنبرة الخطابية ، والاسلوب المفصل ، والاسلوب المقطع ، والاسلوب الدوري ، واساليب التعبير المهذب ، ووسائل تجميل الاسلوب ، واجزاء الكلام ، والاستهلال ، ووسائل نقض الاتهام ، والاقتصاص ، والتصديقات ــ الحجج ــ والهزل ، وخاتمة الكلام .

---

(١) الريطورية : صناعة الخطابة . الديالقطيقية : صناعة الجدل .

(٢) الخطابة ص ٣ .

(٣) الخطابة ص ٩ .

(٤) الخطابة ص ١٨٦ .

وهذه المقالة هي التي أوحت إلى الباحثين اثر ارسطو في بلاغة العرب ، لانها تحدثت عن بعض الفنون البلاغية التي كان لها صدى في كتب البلاغة .

وقد شرح كتاب الخطابة ابو نصر الفارابي (— ٣٣٩ هـ) ، ولكن شرحه ضاع ، ولم يصل من كتبه في الخطابة غير ما نجده في كتابه « احصاء العلوم » الذي عقد فيه فصلاً عن علم اللسان ، تحدث فيه عن الألفاظ وقوانينها ، والاشعار وما عند العرب واليونان من أوزان . وأشار إلى ما يصلح ان يستعمل في الاشعار من الالفاظ مما ليس يصلح ان يستعمل في النثر [١] .

ولابن سينا (— ٤٢٨ هـ) رسالة في الخطابة هي قسم من كتاب « المجموع او الحكمة العروضية » وقد عرف فيها الخطابة وبيّن منفعتها وصلتها بالجدل واغراض الخطيب ووسائل الاستدلال ، وذكر المبادىء الاساسية للفن الخطابي . وهذه الرسالة تلخيص دقيق للكتاب الاول من الخطابة ، ولذلك لا تمس البلاغة التي تحدث عنها ارسطو في المقالة الثالثة . وهذه الرسالة — أيضا — من أوائل ما ألف في الخطابة، وهي مع ايجازها مقدمة مهمة لدراسة الخطابة كما صنفها ارسطو وكما فسرها فلاسفة العرب والمسلمين .

وقد نقد ابن سينا الترجمة العربية القديمة وقال : « فان لم يكن على هذا فالقوم اخطأوا وظنوا » [٢] . وهذا اول نقد يوجّه إلى الترجمة القديمة لكتاب الخطابة .

وعقد للخطابة الفن الثامن من الجملة الاولى من المنطق في كتابه « الشفاء » ، وقسمها إلى اربع مقالات ، تحدث في الاولى عن الخطابة وفائدتها وصلتها بالصنائع الاخرى ، وعن البرهان الخطابي والانواع الخطابية . وفي الثانية عن الخطابة السياسية وخطابة المنافرة ، والخطابة القضائية . وفي الثالثة عن الانفعالات

---

(١) احصاء العلوم ص ٣ وما بعدها .

(٢) المجموع او الحكمة العروضية ص ١٩ .

والانواع المشتركة بين الانواع الخطابية الثلاثة والفرق بين المقدمات الجدلية والخطابية . وفي الرابعة عن العبارة واحوال القول الخطابي وخاتمة الكلام الخطابي . وهذا هو القسم الخاص بالبلاغة وفنونها وقد تحدث فيه عن انواع النغم وتحسين الالفاظ في صناعة الخطابة والشعر والتشبيه والمجاز والايجاز والتعريض وحسن الخاتمة .

وكان ابن سينا أحسن حظاً من غيره في فهم كتاب « الخطابة » وقد نقد الترجمة القديمة وكشف عن أخطائها وذكر بعض الامثلة العربية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب .

ولخص ابن رشد (ــ ٥٩٥ هـ) كتاب الخطابة ، ويختلف عمله عن سابقيه ، وذلك انه طبق قواعد ارسطو على كلام العرب وذكر شواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واشعار العرب وبذلك خطا ببلاغة ارسطو خطوة كبيرة لم نألفها في التلخيصات والشروح التي وضعها العرب بهذه الصورة . قال في التغيير أي المجاز « وهذا التغيير يكون على ضربين :

أحدهما : ان يستعمل لفظ شبيه الشيء مع لفظ الشيء نفسه ويضاف اليه الحرف الدال في ذلك اللسان على التشبيه ، وهذا الضرب من التغيير يسمى التمثيل والتشبيه ، وهو خاص جدا بالشعر .

والنوع الثاني من التغيير : ان يؤتى بدل ذلك اللفظ بلفظ الشبيه به او بلفظ المتصل به من غير ان يؤتى الشيء نفسه ، وهذا النوع يسمى في هذه الصناعة الإبدال وهو الذي قد يسميه اهل زماننا بالاستعارة والبديع مثل قول ابن المعتز :

يا دارُ أين ظباؤكِ اللعسُ　　قد كان لي في أنسِها أنسُ

فان العرب جرت عادتهم ان يشبهوا النساء بالظباء فربما أتوا به على جهة الابدال مثل ما تقدم في قول ابن المعتز ، وربما اتوا بذلك مع حرف التشبيه »[1] .

---

(١) تلخيص الخطابة (ط . سليم) ص ٥٣٢ .

وليس في كتاب ارسطو هذا الحديث المفصل ، ولكن ابن رشد اخذ أسسه وطبقها على كلام العرب ليقربها اليهم ولتتلاءم مع الفكر الاسلامي . ويرى الدكتور طه حسين ان ابن رشد لم يفهم كتاب الخطابة فحرفه جهد استطاعته ، يقول : « وقد نسأل انفسنا ونحن نقرأ ابن رشد عن سبب هذا التحريف ، أهو قصور من الفيلسوف القرطبي أم فساد ترجمة الخطابة والشعر ؟ لا شكّ ان ابن رشد لم يفهم على أقل تقدير كتاب الخطابة ، لان ترجمة هذا الكتاب صحيحة بقدر الامكان » [1] . وفي هذا الكلام مبالغة عظيمة، لان ابن رشد لم يُرِدْ ان يعرض كتاب أرسطو وحده وانما حاول ان يقربه إلى أذهان العرب بتعليقاته وشواهده العربية.. فجاء بهذه الصورة الواضحة، وان ابتعد عن خطابة ارسطو بعض الابتعاد .

الشعــر :

وعرف العرب كتاب « الشعر » لأرسطو ، ترجمه أبو بشر متّى بن يونس القنائي (– ٣٢٨ هـ) قال ابن النديم : « الكلام على أبوطيقا ومعناه الشعر ، نقله أبو بشر متّى من السرياني إلى العربي ونقله يحيى بن عدي ، وقيل : ان فيه كلاما لثامسطيوس ، ويقال : انه منحول اليه » [2] .

ويقوم كتاب الشعر على قسمين كبيرين : الاول تحدث فيه عن الشعر ، وقال انه محاكاة تتم بوسائل ثلاث قد تجتمع وقد تنفرد ، وهي الايقاع والانسجام واللغة ، ثم تكلم على الميل الى الشعر في الانسان وانقسامه وفقاً لطبائع الشعراء إلى شعر هجاء من ناحية وشعر مديح وثناء من ناحية اخرى .

وتكلم في القسم الثاني على خصائص الانواع الرئيسة من الشعر وهي المأساة والملحمة ، اما المأساة فقد تحدث عن أجزائها وعناصرها ، وهي الحكاية او

---

(١) مقدمة نقد النثر ص ٢٤ .

(٢) فهرست ابن النديم ص ٣٦٤ .

الاسطورة والاشخاص والفكر واللغة والموسيقى والمنظر المسرحي ، وعن غايتها واهدافها . واما الملهاة فلم يتحدث عنها إلا قليلا وقد وعد بانه سيدرسها بعد فراغه من المأساة — ولكن ليس فيما وصل الينـــا من الكتاب ما وعد . ولاحظ القدماء ذلك فقال ابن رشد : « وسائر ما ذكره في كتابه هذا من الفصول التي بين سائر اصناف الشعر عندهم وبين صنف المديح فهو خاص بهم ، ومع ذلك فلسنا نجده ذكر من ذلك في هذا الكتاب الواصل الينا إلا بعض ذلك . وذلك يدل على ان هذا الكتاب لم يترجم إلى التمام وانه بقي منه التكلم في سائر فصول اصناف كثير من الاشعار التي عندهم . وقد كان هو وعد بالتكلم في هذه كلها في صدر كتابه »[1] .

واشار المحدثون إلى ذلك فقالوا ان اسم الكتاب « الشعراء » وان ما بقي منه جزء يسير هوالذي سمي بعد كتاب الشعر[2] . وقال الدكتور عبد الرحمن بدوي : « اما البحث في الملهاة والهزلي فإنه فُقد على افتراض ان الكتاب ناقص بين أيدينا »[3] .

وفي كتاب « الشعر » كلام على بعض فنون البلاغة كالحقيقة والمجاز ، ويرى الباحثون ان هذا الكتاب كان اقل تأثيراً من كتاب الخطابة في البلاغة العربية ، لانه يتصل بفنون شعرية لم يعرفها العرب كالملحمة والمأساة والملهاة ، ولأن في عباراته غموضاً.. إما لايجازها واما لفقد الربط بين المعاني والافكار : وإلى ذلك اشار الناقد الانكليزي كرمبي بقوله : « وأياً كانت الحالة فان الذي سطر هذه المذكرات لم يكتبها لمطالعة الجمهور فهي كثيرا ما تكون مقطوعة مبتورة مشتتة الاجزاء موجزة في بعض المراجع إلى درجة مخلة كثيرة الخروج عن الموضوع في أماكن أخرى ، تارة تترك بعض الآراء بلا شرح ولا ايضاح

---

(١) فن الشعر ص ٢٥٠ .

(٢) ينظر بلاغة ارسطو ص ١٠ .

(٣) فن الشعر ص ٤٠ .

وطورا تتناول بعض الآراء التافهة بالشرح الواسع والتفصيل . والخلاصة ان فيها جميع العيوب التي نجدها في مذكرات المحاضرات ، ولهذا نرى ان اهم فكرة في الكتاب — وهي الفكرة المركزية التي يرتبط بها كل شيء فيه — ليس لها فيه تعريف ولا شرح ، وقد ذكرت مرة في شكل استعارة غامضة مع ان الاشارة اليها في الكتاب كثيرة . ولا بدّ لنا ان نبذل جهدنا لكي نستخلص من هذه الاشارات الفكرة التي يرمي اليها أرسطو »[1] .

ويرى مرغليوث انه لما كانت الدراما غير معروفة للعرب او لم يكن لها مقابل عندهم فقد صرفوا انواعها إلى ما وجدوه من فنونهم الادبية قريبا منها فخلطوا التراجيديا بالمديح والكوميديا بالهجاء . ويرى الاستاذ محمد خلف الله أحمد ان هذا الفرض لا تطمئن اليه النفس تماما ، وقد ناقشه نقاشاً علمياً وفند كثيرا من آرائه[2] .

واختصر الكندي (— ٢٥٢ هـ) فن الشعر[3] ، ولم يصل هذا المختصر . ولخصه ابو نصر الفارابي (— ٣٣٩ هـ) في رسالة سماها « رسالة في قوانين صناعة الشعر » مستعيناً بشرح ثامسطيوس ، قال : « فهذه هي اصناف اشعار اليونانيين ومعانيها على ما تناهى الينا من العارفين باشعارهم ، وعلى ما وجدناه في الاقاويل المنسوبة إلى الحكيم ارسطو في صناعة الشعر ، وإلى ثامسطيوس وغيرهما من القدماء والمفسرين لكتبهم »[4] . ومعنى ذلك ان رسالة الفارابي ليست تلخيصاً دقيقاً لكتاب أرسطو .

وأوضح هدفه في المقدمة وقال : « قصدنا في هذا القول اثبات اقاويل

---

(١) قواعد النقد الادبي ص ٦٤ — ٦٥ ، وينظر النقد الادبي عند اليونان لطبانة ص ٦٧ ، وبحوث ودراسات في العروبة وآدابها لخلف الله ص ١١٤ وما بعدها .

(٢) ينظر دراسات في الادب الاسلامي ص ١٤٣ وما بعدها .

(٣) فهرست ابن النديم ص ٣٦٤ .

(٤) فن الشعر ص ١٥٥ .

وذكر معانٍ تفضي بمن عرفها إلى الوقوف على ما أثبته الحكيم في صناعة الشعر من غير ان نقصد إلى استيفاء جميع ما يحتاج اليه في هذه الصناعة وتربيتها » [1] .

ولابن سينا (– ٤٢٨ ﻫ) رسالة « معاني الشعر » وهي قسم من كتاب « المجموع او الحكمة العروضية » تحدث فيها عن التخييل والمحاكاة التي قسمها ثلاثة اقسام : محاكاة تشبيه ومحاكاة استعارة ، ومحاكاة الذرائع او محاكاة تركيب . وذكر ان الشعر لا يتم إلا بمقدمات مخيلة ووزن ذي ايقاع متناسب ليكون أسرع تأثيرا في النفوس . ثم تحدث بايجاز عن جودة العبارة عن المعنى وتضمين معان كثيرة ، وعن المشاكلة التامة والناقصة وتشابه أواخر المقاطع وأوائلها – المرصع – وتداخل الادوات وتخالفها وتشاكلها ، وذكر مثالاً لمراعاة النظير من غير ان يذكر مصطلحه ، قال : « وقد يكون ذلك في اللفظ بحسب المعنى وهو ان يكون لفظان مترادفين او احدهما مقول على مناسب الآخر او مجانسه واستعمل على غير تلك الجهة كالكواكب والنجم ويراد به النبت او السهم والقوس يراد به الأثر العلوي » [2] . وختم الرسالة بالكلام على اغراض اليونانيين في اشعارهم وقال : « واليونانيون لهم اغراض محدودة فيها يقولون الشعر ، وكانوا يخصون كل غرض بوزن على حدة وكانوا يسمون كل وزن باسم على حدة » [3] . ومن ذلك طرا غوذيا ودثرمبي وقوموذيا وايامبو ودراماطا وديقرامي وابي وافيقي ريطوريقي وساطوري وفيوموتا وايفيجانا ساوس وأوقوستقي .

وأعاد ابن سينا هذه الرسالة في الجزء المخصص للشعر من كتاب الشفاء .

ولخص كتاب الشعر في الفن التاسع من فنون المنطق التي تكون الجملـــة

(١) فن الشعر ص ١٤٩ .
(٢) كتاب المجموع او الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ص ٢٧ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٠ .

الاولى من كتاب « الشفاء » مستعينا بتلخيص الفارابي ناقلا عنه تقسيمات للشعر لم يذكرها ارسطو . وهذه الرسالة اول تلخيص كامل لكتاب ارسطو كما وصل اليه ، قال : « هذا هو تلخيص القدر الذي وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الاول ، وقد بقي منه شطر صالح ولا يبعد ان نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر بحسب عادة هذا الزمان كلاماً شديد التحصيل والتفصيل »[1] .

بدأ ابن سينا تلخيصه بالحديث عن الشعر مطلقاً واصناف الصناعات الشعرية واصناف الاشعار اليونانية، ثم تكلم على اصناف الاغراض الكلية والمحاكاة الكلية التي للشعراء وعلى كيفية ابتداء نشأة الشعر واصنافه ومناسبة مقادير الابيات مع الاغراض وبيان اجزاء طراغوذيا ، وحسن ترتيب الشعر واجزاء الكلام المخيل الخرافي ، واجزاء طراغوذيا بحسب الترتيب والانشاد لا بحسب المعاني ، وقسمة الالفاظ وموافقتها لانواع الشعر ، ثم ختمها بالحديث عن وجوه تقصير الشاعر وتفضيل طراغوذيا على ما شبيهه ، وقرر أن الشاعر يجري مجرى المصور فكل واحد منهما محاك ، والمصور ينبغي ان يحاكي الشيء الواحد بأحد أمور ثلاثة : إما بأمور موجودة في الحقيقة واما بأمور يقال انها موجودة وكانت ، واما بأمور يظن انها ستوجد وتظهر . ولذلك ينبغي ان تكون المحاكاة من الشاعر بمقالة تشتمل على اللغات والمنقولات — المجازات — من غير التفات إلى مطابقة من الشعر للاقاويل السياسية التعقلية ، فان ذلك من شأن صناعة اخرى .

وفي هذا التلخيص بعض الامثلة الشعرية[2] والنظرات الدقيقة التي تدل على فهم عميق ومن ذلك اشارته إلى ما بين الشعر العربي والشعر اليوناني من فارق كبير ، قال : « والشعر اليوناني انما يقصد فيه في اكثر الأمر محاكاة

---

(١) فن الشعر ص ١٩٨ ، والشفاء — الشعر ص ٧٥ .
(٢) فن الشعر ص ١٦٣ ، ١٦٥ ، والشفاء — الشعر ص ٢٦ ، ٢٩ .

الافعال والاحوال لا غير ، واما الذوات فلم يكونوا يشتغلون بمحاكاتها اصلا كاشتغال العرب فان العرب كانت تقول الشعر لوجهين :

أحدهما : ليؤثر في النفس أمراً من الأمور بعينه نحو فعل وانفعال .

والثاني : للتعجب فقط فكان يشبه كل شيء ليعجب بحسب التشبيه .

وأما اليونانيون فكانوا يقصدون ان يحثوا بالقول على فعل او يردعوا بالقول عن فعل . وتارة كانوا يفعلون ذلك على سبيل الخطابة ، وتارة على سبيل الشعر ، فلذلك كانت المحاكاة الشعرية عندهم مقصورة على الافاعيل والاحوال وعلى الذوات من حيث لها تلك الافاعيل والاحوال »[1]. أي ان الشعر اليوناني يبحث في الافعال والاخلاق ويتحدث الشعر العربي عن وصف الموضوعات او الانفعالات . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي: « انه اصاب عين الحقيقة في هذه المسألة التي لا تزال تند عن اذهان بعض النقاد العرب المعاصرين او بالأحرى من يتصدون ادعاءً للنقد في العالم العربي اليوم . ولو وجد الناقد العربي الحاذق في القرن الخامس الهجري وما تلاه لاقتنص من ابن سينا هذا الفارق ولراح يستنبط كل مدلولاته ولأحدث ثورة في النقد عند العرب »[2] . ويرى الدكتور طه حسين ان ابن سينا لم يجد فهم كتاب الشعر كما فهم كتاب الخطابة ، او انه فهم ما يمكن ان يفهمه شرقي يجهل الآداب اليونانية كلها ، فهم أصولاً عامة وأصولا قد تنطبق على الادب العربي من بعض الوجوه[3] .

ووضع ابن الهيثم (ــ ٤٣٠ هـ او ٤٣٢) رسالة في صناعة الشعر ممتزجة من اليوناني والعربي ، وهي من الرسائل التي ما تزال مفقودة ولا يعرف عنهــا شيء[4] .

---

(١) الشفاء ــ الشعر ص ٣٤ وفن الشعر ص ١٦٩ ــ ١٧٠ .

(٢) الشفاء ــ الشعر ص ١١ .

(٣) مقدمة نقد النثر ص ٢٨ .

(٤) ينظر فن الشعر ص ٥٥ ، ومنهاج البلغاء ص ٣١ .

واخيرا لخص ابن رشد (— ٥٩٥ هـ) الشعر ، واوضح غرضه قائلا : « الغرض في هذا القول تلخيص ما في كتاب ارسطوطاليس في الشعر من الكلية المشتركة لجميع الأمم او للأكثر ، اذ كثير مما فيه هي قوانين خاصة بأشعارهم ، وعادتهم فيها اما ان تكون نسباً موجودة في كلام العرب أو موجودة في غيره من الالسنة »[1] .

وحاول ان يطبق قواعد أرسطو على كلام العرب كما فعل في تلخيصه للخطابة وذكر امثلة من القرآن والحديث والشعر العربي محاولاً عقد الصلة بين قواعد ارسطو واصول البلاغة العربية . وبذلك كانت هذه المحاولة عظيمة لانه جمع بين كلام العرب واليونان ، ووازن بين الاساليب . وقد نجح في محاولته احيانا واخفق في كثير من الاحيان، لما في عمله من تعسف في توجيه الكلام . وحمل بعض المستشرقين عليه واتهموه بسوء الفهم والخلط بين التراجيديا والكوميديا من جهة والمديح والهجاء من جهة اخرى . وذهبوا الى ان نظرية الشعر من اولها الى آخرها كانت لغزاً على عقله . ويرى الاستاذ محمد خلف الله احمد « انهم اهملوا في الواقع التنبه الى ما قصد اليه ابن رشد من محاولة استخلاص العناصر العامة من نظرية ارسطو ، ومن الانصاف ان تذكر لهذا الفيلسوف ثلاثة جوانب اخرى تهم النقد العربي :

اولها : التنبه الى بعض الفنون القرآنية التي لا توجد كثيرا في الادب العربي .

والثاني : محاولته شيئاً من الادب المقارن .

والثالث : ملاحظاته النقدية على بعض نواحي الادب العربي وشعرائه[2] ..

هذه جولة في كتابي أرسطو وشروحهما وتلخيصاتهما عرضنا لها لنظهر

---

(١) فن الشعر ص ٢٠١ .

(٢) بحوث ودراسات في العروبة وآدابها ص ١٤٨ .

فهم العرب وموقفهم من هذين الكتابين ، ويرى الدكتور عبد الرحمن بدوي ان هذه الشروح والتلخيصات لم تفد العرب كثيرا ، ولو فهموها حق الفهم لأدخلوا فنونا جديدة في أدبهم ، يقول : « لا يخرج المرء من قراءته هـذه التلخيصات التي وضعها الفارابي وابن سينا وابن رشد الا بشعور أليم بخيبة الامل ان يكون العرب قد أفادوا منه كما افادت اوربا في عصر النهضة وكما افادوا هم انفسهم من سائر مؤلفات ارسطو في إخصاب الفكر العربي . ويخيل الينا انه لو قدر لهذا الكتاب، كتاب فن الشعر لارسطو ، ان يفهم على حقيقته وان يُستثمر ما فيه من موضوعات وآراء ومبادىء لغني الادب العربي بادخال الفنون الشعرية العليا فيه ، وهي المأساة والملهاة منذ عهد ازدهاره في القرن الثالث الهجري ، ولتغير وجه الأدب العربي كله كما تغيرت اوربا في عصر النهضة » (1) .

وذهب آخرون الى ان البلاغة العربية تأثرت بخطابة ارسطو وشعره في نشأتها وتطورها ، وتكاد كثير من الفصول والفنون تكون نقلاً من أقوال المعلم الاول . وفي هذا تعسف عظيم وانحراف عن المنهج العلمي السليم ، وذلك ان العرب عرفوا البلاغة وفنونها قبل ان يترجم كتابا ارسطو ، وليس في كتب البلاغة ما يدل دلالة واضحة على هذا التأثر او النقل الصريح . يضاف الى ذلك ان المترجمين والملخصين والشراح اعتمدوا على ما عند العرب من مصطلحات وتعريفات وامثلة حينما ترجموا او لخصوا او شرحوا ، ولا سيما ابن رشد الذي عقد صلة قوية بين قواعد ارسطو وبلاغة العرب ، ولكنه لم يوفق — كما قلنا — في كثير من الاحيان . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي : « والصفة الغالبة في تلخيص ابن رشد محاولته تطبيق قواعد ارسطو على الشعر العربي ، وقد أضلته ترجمة متى للتراجيديا بأنهـا المديح وللكوميديا بأنها الهجاء ، فخال له ان الامر كما في الشعر العربي . ومن هنا اكثر من الشواهد المستمدة من الشعر

(1) مقدمة فن الشعر ص ٥٦ .

ومعظمها فاسدة ، لانها تقوم على اساس فاسد ، هو تلك الترجمة الخطأ . وهو نفسه قد شعر باخفاق هذه المحاولة فكان يعتذر عنها كلما التاث عليه الامر والتوى به التطبيق . ولم يفلح الا حينما أراد ان يلخص الفصول الخاصة بالمقول ، فقد واتاه القول وصح لديه إجراء التطبيق وعقد المقارنات . ومن هنا كان يعدل عن الشواهد اليونانية التي يوردها أرسطو الى شواهد يستمدها من الشعر العربي على ما في هذا احيانا من تعسف بل تزييف لرأي أرسطو . فنتج عن هذا كله تلخيص لا هو يساير الأصل ولا هو بمفيد في تيسير الانتفاع بمعاني ارسطو » [1] .

ومهما يكن من أمر فقد كان للفلاسفة والمتكلمين ولما ترجم عن الأمم الأخرى أثر في الفكر العربي. ولم تزل الفلسفة وعلم المنطق وعلم الكلام تطغى على البلاغة بعد ان اكتملت مباحثها حتى احالت كتبها ميداناً للنزاع الفلسفي والجدل المنطقي . وأدّى الامر الى انتهاء البحث في البلاغة الى ضروب من الخلاف والمناقشة تعقد لها مجالس المناظرة ويقعد لها المحكمون بين السعد التفتازاني والسيد الشريف حين يتناظران في اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية وعدم اجتماعهما كأنهما يتناظران في مشكل من أصول القوانين او معضل من مسائل الفلسفة الى ان ينهزم السعد فيموت كمداً وضحية الفلسفة في البلاغة المظلومة [2] . وقد كان هذا بعد ان استوت البلاغة واصبحت علماً له قواعده واصوله ومناهجه وكتبه ، وبعد ان ماتت المواهب والملكات وفسد الذوق . اما في عهد ازدهار الادب فقد كان الاتجاه الفلسفي والكلامي يلقى مقاومة عنيفة ، وقد تحدث ابن قتيبة عن خطر الفلسفة والمنطق والعلوم العقلية على ناشئة الكتّاب ، وهاجم هذه العلوم ودعا الى الأخذ بالمنهج العربي الاصيل ، وهو منهج يقوم على القرآن والحديث واللغة والشعر . قال : « ولو ان هذا المعجب بنفسه الزاري على الإسلام برأيه نظر من جهة النظر لأحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين ،

---

(١) مقدمة فن الشعر ص ٥٦ .

(٢) ينظر البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ص ٤٨ ، ومناهج تجديد ص ١٧١ .

ولكنه طال عليه ان ينظر في علم الكتاب وفي اخبار الرسول-(ص)- وصحابته وفي علوم العرب وآدابها فنصب لذلك وعاداه وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون وقل فيه المتناظرون له ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول بلا جسم . فاذا سمع الغمر والحدث الغر قوله : « الكون والفساد » وسمع الكيان [1] والاسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والاخبار المؤلفة ، راعه ما سمع وظن ان تحت هذه الالقاب كل فائدة وكل لطيفة فاذا طالعها لم يحل منها بطائل » [2] .

وهاجم أبو سعيد السيرافي (- ٣٦٨ هـ) المنطق في المناظرة التي جرت بينه وبين متّى بن يونس القنائي الفيلسوف في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر ابن الفرات سنة ٣٢٦ هـ [3] . وامتدح الآمدي في « الموازنة » طريقة العرب في الشعر ، وصرخ البحتري متبرماً بالمنطق قائلا :

كلّفتمونا حدودَ منطقكم ... في الشعرِ يكفي عن صدقه كَذِبُهْ
ولم يكُنْ ذو القروحِ يلهجُ ... بالمنطق ما نوعُه وما سَبَبُهْ
والشِّعْرُ لَمْحٌ تكفي إشارتُه ... وليس بالهَذْرِ طوِّلَتْ خُطَبُهْ

وثار ضياء الدين بن الاثير (- ٦٣٧ هـ) على اساليب الفلسفة ورأى في أعيانها من امثال الفارابي وابن سينا رجالاً أضلهم ارسطو وافلاطون . واشار الى حصر اليونان للمعاني الخطابية غير ان ذلك الحصر كلي لا جزئي ، ومحال ان تحصر جزئيات المعاني ما يتفرع عليها من التفريعات التي لا نهاية لها . وليس في ذلك الحصر كبير فائدة ، قال : « لا جرم ان ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفته صاحب

(١) هو كيان ارسطو ، واسمه السماع الطبيعي (ينظر المقابسات ص ٣٢٦) .
(٢) أدب الكاتب ص ٣ .
(٣) ينظر الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٠٧ وما بعدها ، ومعجم الادباء ج ٣ ص ١٠٥ وما بعدها .

هذا العلم ولا يفتقر اليه ، فان البدوي البادي راعي الابل ما كان يمر شيء من ذلك بفهمه ولا يخطر بباله ، ومع هذا فانه كأن يأتي بالسحر الحلال ان قال شعراً أو تكلم نثرا »[1] . وذكر انه لم يطلع على ما ذكره حكماء اليونان ، ولكنه جاء بالسحر الحلال في رسائله ومكاتباته ، وانتهى الى ان ما ذكره اليونان لا ينفع في الادب كثيرا بل يسيء اليه في كثير من الاحيان . قال : « ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا وانساق الكلام الى شيء ذكر لأبي علي ابن سينا في الخطابة والشعر وذكر ضرباً من ضروب الشعر اليوناني يسمى اللاغوذيا[2] ، وقام فأحضر كتاب الشفاء لأبي علي ووقفني على ما ذكره فلما وقفت عليه استجهلته فانه طوّل فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان . وكل الذي ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا . ثم مع هذا جميعه فإن معوّل القوم فيما يذكر من الكلام الخطابي انه يورد على مقدمتين ونتيجة ، وهذا مما لم يخطر لأبي علي بن سينا ببال فيما صاغه من شعر أو كلام مسجوع ، فان له شيئا من ذلك في كلامه ، وعند افاضته في صوغ ما صاغه لم تخطر المقدمتان والنتيجة له ببال. ولو انه فكر اولا في المقدمتين والنتيجة ثم أتى بنظم او نثر بعد ذلك لما أتى بشيء ينتفع به ولطال الخطب عليه ، بل أقول شيئاً آخر وهو ان اليونان انفسهم لما نظموه من اشعارهم لم ينظموه في وقت نظمه وعندهم فكرة في مقدمتين ولا نتيجة وانما هذه اوضاع توضع وتطول بها مصنفات كتبهم في الخطابة والشعر.. وهي كما يقال فقاقع ليس لها طائل كأنها شعر الأبيوردي »[3] .

وكانوا يرون ان كتب اليونان ليست سهلة يسيرة ، قال الجاحظ في

---

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣١٠ .
(٢) في كتب ابن سينا انه طراغوذيا وهو نوع من الشعر له وزن طريف لذيذ يتضمن ذكر الخير والاخيار والمناقب الانسانية . (ينظر الشفاء – الشعر ص ٢٩ ، وفن الشعر ص ١٦٦ ، وكتاب المجموع او الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ص ٣٠) .
(٣) المثل السائر ج ١ ص ٣١١ .

منطق ارسطو : «ألا ترى ان كتاب المنطق الذي وُسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الامصار وبلغاء الاعراب لما فهموا اكثره ، وفي كتاب اقليدس كلام يدور وهو عربي وقد صفى ،ولو سمعه بعض الخطباء لما فهمه ولا يمكن ان يفهمه من يريد تعليمه لانه يحتاج الى ان يكون قد عرف جهة الامر وتعود اللفظ المنطقي الذي استخرج في جميع الكلام »[1] .

ومهما قيل في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام فانها أثرت في البلاغة العربية ، وفي كتبها امثلة من ذلك التأثير . ولن نذهب مذهب المنكرين ولا مذهب المتطرفين وانما نقول ان الحياة الجديدة التي عاشها العرب في العصر العباسي كانت زاخرة بثقافات مختلفة ولا بد ان تؤثر هذه الثقافات فيما انتجوه . وقد رأينا ان المتكلمين أثروا في البلاغة وكان للفلسفة والمنطق وكتب اليونان أثر لا ينكر . وفي حديثنا عن بشر بن المعتمر والجاحظ وقدامة وصاحب البرهان وعبد القاهر ما يغني عن البيان .

ولكن الأثر لم يكن عظيماً في هؤلاء لأنهم عاشوا في عصر ازدهار الادب فظلت البلاغة بعيدة عن هذا التأثير العظيم .

* * *

(١) الحيوان ج ١ ص ٩٠ .

صدى الفلسفة وعلم الكلام

الرازي :

ولعل فخر الدين الرازي (ـ ٦٠٦ هـ) كان من أوائل الذين انحرفوا عن البلاغة المعتمدة على الذوق وتحليل النصوص والموازنة بينها عندما لخص كتابي « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر ، وقضى على النزعة الادبية فيهما وحوّل البلاغة الى وجهة اخرى تهتم بالضبط والتحديد والحصر المنطقي .

وأول ما يطالعنا في كتابه « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » الدعوة الى ترتيب اصول البلاغة ووضع قواعد ثابتة.. لانه رأى عبد القاهر الذي استخرج أصولها واقسامها واحكامها قد « اهمل رعاية ترتيب الاصول والابواب واطنب في الكلام كل الإطناب » [1] ، وبذلك حاول ضبط هذه الاصول ، وجمع متفرقات الكلم ، ووضع قواعد تضبط البلاغة وتحصر موضوعاتها .

ورتّب كتابه على مقدمة وجملتين ، تحدث في المقدمة عن اعجاز القرآن وشرف الفصاحة ، اما الجملتان فالاولى في المفردات والثانية في النظم . وهو في ذلك يتابع عبد القاهر ويجري على قوله « اعلم ان الكلام الفصيح ينقسم قسمين :

---

(١) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٤ .

قسم تعزى المزية والحسن فيه الى اللفظ ، وقسم يعزى ذلك فيه الى النظم »[1] .

ولا يخرج تقسيم الرازي عما ذكره عبد القاهر في هذه العبارة ، وقد بحث في الجملة الاولى المفردات وهي : التجنيس والاشتقاق وردُّ العجز على الصدر والقلب والسجع والمزدوج والترصيع والحقيقة والمجاز والكناية والتشبيه والاستعارة . وبحث في الجملة الثانية النظم وهو : معنى النظم والمطابقة والمقابلة والمزاوجة والاعتراض والالتفات والاقتباس من القرآن والتلميح وارسال المثلين واللف والنشر والتعديد وتنسيق الصفات والإيهام ومراعاة النظير والموجه والمحتمل للضدين وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والسؤال والجواب والاغراق والجمع والتعريف والتقسيم والمتزلزل والتعجب وحسن التعليل والتقديم والتأخير والفصل والوصل والحذف والاضمار والايجاز وما يتعلق بـ « إنَّ » و « انما » .

ويلاحظ انه قسم المحسِّنات الى ضربين : ضرب بحثه في الجملة الاولى وهي التي ادخلها البلاغيون في المحسنات اللفظية ، والآخر في الجملة الثانية وهي التي ادخلوها في المحسنات المعنوية. وانه حصر الموضوعات التي دخلت في علم البيان في الجملة الاولى ، وذكر الموضوعات التي ادخلوها في علم المعاني في الجملة الثانية الخاصة بالنظم . وبذلك مهد السبيل للسكاكي في تقسيم مباحث البلاغة الى معان وبيان. وكان في بحوثه البيانية ينهل من معين عبد القاهر ، وكان في فنون البديع يغترف من كتاب « حدائق السحر في دقائق الشعر » لرشيد الدين الوطواط (ـ ٥٧٣ هـ)[2] .

وكتاب « نهاية الايجاز » أقرب الى روح كتابي عبد القاهر لولا بعض الملاحظات ، منها انه أفقد البلاغة روحها الادبية بادخاله الدلالات والمسائل الفلسفية والمنطقية والكلامية ، وقضى على النزعة الذوقية التي كانت تطبع

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٩ .

(٢) ينظر كتابنا البلاغة عند السكاكي ص ٢٤٣ وما بعدها .

كتابي عبد القاهر لانه حاول ان يوجزهما ويرتبهما ، قال : « ولما وفقني الله لمطالعة هذين الكتابين التقطت منهما معاقد فوائدهما ومقاصد فرائدهما وراعيت الترتيب مع التهذيب والتحرير مع التقرير ، وضبطت أوابد الاجمالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية مع الاجتناب عن الاطناب الممل الاحتراز عن الاختصار المملّ وسميته « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » [1] .

ولعله كان من اوائل الذين تحدثوا في البلاغة عن دلالة اللفظ على المعنى وقسمها الى وضعية وعقلية ، ورأى ان الكناية والمجاز والتمثيل لا تقع الا في الدلالة العقلية. وكان يكثر من التقسيمات غير انه لم يكن دقيقاً فيها ،لان الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم أيضا وعنها يحدث وبها يكون ، لانه لا يتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخَ فيما بينها حكم من احكام النحو . فلا يتصور ان يكون ههنا فعل او اسم قد دخلته الاستعارة من دون ان يكون قد الف مع غيره [2] .

ومع هذه الملاحظات العابرة يظل كتاب « نهاية الاعجاز » ذا قيمة عظيمة في دراسة البلاغة وتطورها ، لانه المرحلة الاولى في حصر مباحث البلاغة وتحديد أبوابها وفنونها . وقد استفاد منه السكاكي وصاغ بلاغته من وحيه وبذلك أخذت البلاغة على يديه شكلها الاخير .

السكاكي :

وألف سراج الدين يوسف بن أبي بكر أبو يعقوب السكاكي الخوارزمي (- ٦٢٦ هـ) « مفتاح العلوم » وذكر فيه من انواع الادب دون اللغة ما رآه لا

---

(١) نهاية الايجاز ص ٤ .

(٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ٣٠٠ وما بعدها .

بدّ منه وهي عدة انواع : الصرف الذي لا يتم الا بعلم الاشتقاق ، والنحو الذي لا يتم الا بعلمي المعاني والبيان . ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال ذكرهما وتحدث عنهما ثم اضاف الى ذلك علمي العروض والقوافي لافتقار الشاعر اليهما . وهذه هي علوم الادب ، والذي اوجب هذا الحصر هو ان الغرض من علم الادب الاحتراز عن الخطأ ولا يمكن تحصيل ذلك الا بمعرفة جهات التحصيل واستكمالها . وجعل كتابه ثلاثة اقسام : الأول في علم الصرف ، والثاني في علم النحو ، والثالث في علمي المعاني والبيان الذي جعله في مقدمة عرّف فيها هذين العلمين ، وفي فصلين تحدث فيهما عنهما وألحق بهما المحسنات اللفظية والمعنوية . قال في تعريف البلاغة : « هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » [1] .

وحصر مباحث علم المعاني بقوله : « المعاني تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره » [2] . وبحث في هذا الفن : الخبر والانشاء ، والتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والفصل والوصل ،والايجاز والإطناب والقصر .

وحدّ موضوعات البيان بقوله : « البيان معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في مطابقة الكلام لتمام المراد منه » [3] . وبحث في هذا الفن التشبيه والمجاز والكناية .

وضبط النوع الثالث بقوله انه : « وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار اليها

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

(٣) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

قصد تحسين الكلام » (١) . ولم يسمه بديعاً كما سماه بدر الدين بن مالك والقزويني ، وانما سماه محسنات وقسمها الى ضرب يرجع الى المعنى وهو المطابقة والمشاكلة ومراعاة النظير والمزاوجة واللف والنشر والجمع والتفريق والتقسيم والايهام وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتوجيه وسوق المعلوم مساق غيره والاعتراض والاستتباع والالتفات وتقليل اللفظ ولا تقليله . وآخر يرجع الى اللفظ وهو التجنيس ورد العجز على الصدر والقلب والسجع والفواصل والترصيع .

وقد نظر السكاكي الى البلاغة نظرة فلسفية وقسمها هذا التقسيم الذي أوقفها وعاق نموها . ولسنا هنا في معرض نقد هذا المنهج (٢) . وانما نحن في مجال الحديث عن الفلسفة والمنطق وعلم الكلام واثرها في المنهج ، وقد كان للسكاكي النصيب الوافر في المنطق والفلسفة وكان متكلماً من المعتزلة يقصده الطلبة لدراسة علم الكلام . وكان من أشد البلاغيين ولعاً بتطبيق أساليب الفلسفة والمنطق على كلام العرب .

واول ما يلاحظ من هذا الأثر ربطه البلاغة بعلم الاستدلال ، وقد اشار الى هذه العلاقة منذ مطلع القسم الثالث من مفتاح العلوم وكرر مثل هذه العبارة : « وستقف على هذا في نوع الاستدلال اذا انتهينا اليه بإذن الله » . وبعد ان انهى بحث المعاني والبيان والمحسنات أوثق هذه الصلة وأوضحها بقوله : « واذ قد تحققت ان علم المعاني هو معرفة خواص تراكيب الكلام او معرفة صياغات المعاني ليتوصل بها الى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائك ، وعندك علم ان مقام الاستدلال بالنسبة الى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها — علمت ان تتبع الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان » (٣) . وانتهى

---

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

(٢) ينظر كتابنا البلاغة عند السكاكي ص ١١٥ وما بعدها .

(٣) مفتاح العلوم ص ٢٠٤ .

قصد تحسين الكلام »[1] . ولم يسمه بديعاً كما سماه بدر الدين بن مالك والقزويني ، وانما سماه محسنات وقسمها الى ضرب يرجع الى المعنى وهو المطابقة والمشاكلة ومراعاة النظير والمزاوجة واللف والنشر والجمع والتفريق والتقسيم والايهام وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتوجيه وسوق المعلوم مساق غيره والاعتراض والاستتباع والالتفات وتقليل اللفظ ولا تقليله . وآخر يرجع الى اللفظ وهو التجنيس ورد العجز على الصدر والقلب والسجع والفواصل والترصيع .

وقد نظر السكاكي الى البلاغة نظرة فلسفية وقسمها هذا التقسيم الذي أوقفها وعاق نموها . ولسنا هنا في معرض نقد هذا المنهج[2] . وانما نحن في مجال الحديث عن الفلسفة والمنطق وعلم الكلام واثرها في المنهج ، وقد كان للسكاكي النصيب الوافر في المنطق والفلسفة وكان متكلماً من المعتزلة يقصده الطلبة لدراسة علم الكلام . وكان من أشد البلاغيين ولعاً بتطبيق أساليب الفلسفة والمنطق على كلام العرب .

واول ما يلاحظ من هذا الأثر ربطه البلاغة بعلم الاستدلال ، وقد اشار الى هذه العلاقة منذ مطلع القسم الثالث من مفتاح العلوم وكرر مثل هذه العبارة : « وستقف على هذا في نوع الاستدلال اذا انتهينا اليه بإذن الله » . وبعد ان انهى بحث المعاني والبيان والمحسنات أوثق هذه الصلة وأوضحها بقوله : « واذ قد تحققت ان علم المعاني هو معرفة خواص تراكيب الكلام او معرفة صياغات المعاني ليتوصل بها الى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائك ، وعندك علم ان مقام الاستدلال بالنسبة الى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها — علمت ان تتبع الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان »[3] . وانتهى

---

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .
(٢) ينظر كتابنا البلاغة عند السكاكي ص ١١٥ وما بعدها .
(٣) مفتاح العلوم ص ٢٠٤ .

الى التسوية بين عمل البلاغي وعمل صاحب الاستدلال مع ان بينهما بوناً شاسعاً ومدى بعيدا ، واوثق الصلة وقرر ان الاستعارة والكناية وغيرهما من مباحث البلاغة ليست إلاّ أقيسة منطقية والتزامات يستعملها المتكلمون لاقناع المخاطبين فيما يريدون اثباته او نفيه من نظريات وآراء .

ويتضح أثر المنطق والفلسفة في اهتمامه بالتحديد المنطقي ليكون التعريف جامعاً مانعا . وأول ما يطالعنا هذا التحديد في تعريف علمي المعاني والبيان .ومن امثلة تعريفاته المنطقية قوله في المجاز : « واما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع »[1] . وشرح هذا التعريف بقوله : « وقولي : « بالتحقيق » احتراز أنْ لا تخرج الاستعارة التي هي من باب المجاز نظراً الى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له . وقولي « استعمالا في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها » احتراز عما اذا اتفق كونها مستعملة فيما تكون موضوعة له لا بالنسبة الى نوع حقيقتها كما إذا استعمل صاحب اللغة لفظ « الغائط » مجازا فيما يفصل عن الانسان من منهضم متناولاته ، أو كما اذا استعار صاحب الحقيقة الشرعية الصلاة للدعاء ، او صاحب العرف الدابة للحمار . والمراد بنوع حقيقتها اللغوية ان كانت اياها او الشرعية او العرفية اياً كانت . وقولي : «مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك النوع » احتراز عن الكناية ، فان الكناية — كما ستعرف — تستعمل فيراد بها المكنى عنه فتقع مستعملة في غير ما هي موضوعة له مع أنّا لا نسميها مجازاً لعرائها من هذا القيد » .

وبهذا الاسلوب حدّد التعريفات وضبطها بحيث لا يمكن ان يخرج شيء مما اريد تعريفه وتحديده او يدخل شيء لا يراد إدخاله ، وبذلك يكون التعريف جامعاً مانعا . وهذا الضبط والتحديد لم نرَ له مثيلاً عند غير المتأثرين بالفلسفة

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٠ .

والمنطق . فابن المعتز مثلاً يعرف الاستعارة بأنها « استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها في شيء قد عرف بها »[1] ، وهو تعريف لا يمنع دخول غيره فيه كالمجاز الذي هو « تسمية الشيء باسم غيره » او « احلال كلمة محل اخرى » . اين هذا التعريف اللغوي من تعريف السكاكي الذي قال عن الاستعارة : « هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالا على ذلك باثباتك ما يخص المشبه به »[2] . لقد أخرج هذا التعريف المجاز المرسل وعلاقاته ونص على الاستعارة التصريحية والمكنية بقوله : « ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر » .

ويتضح هذا الأثر في تقسيمه فنون البلاغة وضبط مباحثها ، وأول ما تطالعنا نظرة السكاكي الفلسفية في تقسيم الموضوعات وتحديد موضع البلاغة بين علوم اللغة او انواع الادب . قال : « وجعلت هذا الكتاب ثلاثة اقسام : القسم الأول في علم الصرف ، القسم الثاني في علم النحو ، القسم الثالث في علمي المعاني والبيان . والذي اقتضى عندي هذا هو ان الغرض الأقدم من علم الادب لما كان هو الاحتراز عن الخطأ في كلام العرب وأردتُ ان احصل هذا الغرض ، وانت تعلم ان تحصيل الممكن لك لا يتأتى بدون معرفة جهات التحصيل واستعمالها ، لا جرم حاولنا ان نتلو عليك في أربعة الانواع مذيلة بأنواع اخرى مما لا بد من معرفته في غرضك لتقف عليه ، ثم الاستعمال بيدك . وانما اغنت هذه لأن مثارات الخطأ اذا تصفحتها ثلاثة : المفرد والتأليف وكون المركب مطابقاً لما يجب ان يتكلم له . وهذه الانواع بعد علم اللغة هي المرجوع اليها في كفاية ذلك ما لم يتخط الى النظم ، فعلما الصرف والنحو يرجع اليهما في المفرد والتأليف ، ويرجع الى علمي المعاني والبيان في الأخير . ولما كان علم الصرف هو المرجوع اليه في المفرد او فيما هو في حكم المفرد والنحو بالعكس

---

(١) البديع ص ٢ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٧٤ .

من ذلك . وانت تعلم ان المفرد متقدم على ان يؤلف ، وطباق المؤلف للمعنى متأخر عن نفس التأليف – لا جرم ان قدمنا البعض على هذا الوجه وضعا لتؤثر ترتباً استحقته طبعـــا »[1] .

وبهذه الطريقة حدد علوم العربية وبيّن موقع كل منها بالنسبة للآخر ، واصطنع اسلوباً عقليا في تحديد نسبة المعاني والبيان الى سائر علوم اللغة ، فعلم الصرف والنحو يحترز بهما عن الخطأ في تركيب الكلام من حيث بناؤه وتعريف المفردات واعرابه . وليس بعـــد ذلك الا مراعاة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولا تبحث هذه المطابقة الا في المعاني والبيان .

وبعد ان عيّن نسبة علوم اللغة ، شرع في الكلام على الصرف والنحو ، ولما انتهى منهما عقد قسماً ثالثا . للبلاغة وقسمها الى فصلين : الاول في ضبط علم المعاني، والثاني في علم البيان. واستعان بالتعريف المنطقي في حصر هذين الفصلين فقال عن المعاني : « اعلم ان علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره » . وقال عن البيان : « وأما علم البيان فهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه ».

وبهذين التعريفين تميزت موضوعات كل علم ، ولكن بأيهما يبدأ ،وعلى أي اساس يكون ؟ لا بدّ من تعليل منطقي يلجأ اليه، ولا بد من دليل..فما هذا الدليل ؟ قال : « ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه الا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد ، لاجرم آثرنا تأخيره »[2] .

---

(١) مفتاح العلوم ص ٣ – ٤ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

ولو قال كما قال عبد القاهر : « ان في الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا من بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته » [1] لكان خيراً من هذا التعليل الذي يقوم على المفرد والمركب وغير ذلك مما ليس فيه ايضاح وبيان .

اما تصنيفه مباحث هذين العلمين فقد قسّم علم المعاني الى قانونين : الاول فيما يتعلق بالخبر ، والآخر فيما يتعلق بالطلب ، لأن كلام العرب شيئان : الخبر والطلب . ولما كان الخبر يرجع الى الحكم بمفهوم لمفهوم وهو الذي نسميه الاسناد الخبري كقولنا : « شيء ثابت » و « شيء ليس ثابتا » فأنت في الاول تحكم بالثبوت وفي الثاني باللاثبوت للشيء ، عرفت ان فنون الاعتبارات الراجعة الى الخبر لا تزيد على ثلاثة : فن يرجع الى حكم وفن يرجع الى المحكوم له وهو المسند اليه ، وفن يرجع الى المحكوم به وهو المسند . هذا اذا كانت الجملة الخبرية مفردة . اما اذا انتظمت مع اخرى فيقع اذ ذاك اعتبارات سوى ما ذكر [2] . وبذلك قسم الخبر اربعة فنون : الاسناد الخبري ، والمسند اليه ، والمسند ، والفصل والوصل ، وألحق بها الايجاز والاطناب ، والتمييز ، والقصر ولم يحصر مباحث الخبر في هذه الفنون الاربعة الا بعد ان حصر مقتضيات الاحوال .

واتخذ الاسلوب نفسه في تقسيم مباحث الطلب واستعمل المصطلحات الفلسفية والكلامية . وليس في ذلك حاجة كبيرة ، وكان باستطاعته ان يقسم الطلب من غير ان يلجأ الى هذه الاساليب . وقد تكلم ابن فارس على هذه الموضوعات من قبل ولم يتخذ هذا الاسلوب مذهباً واكتفى بأن ذكر ان معاني الكلام عشرة : خبر واستخبار ، وامر ونهي ، ودعاء وطلب ، وعرض وتحضيض ، وتمنٍ وتعجب . ولكن السكاكي كان مولعاً بعلم الكلام والفلسفة وأنّى له ان يذكر انواع الطلب من غير أن يعقدها ويجعل الدارس في حيرة

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٧٩ .
(٢) مفتاح العلوم ص ٨٠ .

من أمره . وليته وقف عند هذا التمحل في هذا التقسيم ، فقد استعان في تحديد مباحث البيان بالدلالات وقرر في مطلع الفصل الثاني ان لصاحب علم البيان فضل احتياج الى التعرض لأنواع دلالات الكلم . والدلالات التي تحدث عنها هي : دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له ، ودلالة التضمن وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له او جزء مسماه مع دخوله فيه ، ودلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن مسماه لازم له . وتسمى دلالة المطابقة دلالة وضعية لأن السبب في حصولها عند سماع اللفظ او تذكره هو معرفة الوضع دون حاجة الى شيء آخر . اما دلالتا التضمن والالتزام فتسميان دلالتين عقليتين ، لان حصولهما بانتقال العقل من الكل الى الجزء في الاولى، ومن الملزوم الى اللازم في الثانية .

وبنى تقسيم موضوعات البيان على هذه الدلالات فأخرج التشبيه، لأن دلالته وضعية والدلالة الوضعية لا يمكن بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة. وأيّد ذلك بقوله : « فانك اذا اردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة مثلا ، وقلت « خد يشبه الورد » لامتنع ان يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالات الوضعية أكملَ منه في الوضوح أو أنقص منه . فانك اذا اقمت مقام كل كلمة منها ما يراد منها فالسامع ان كان عالماً بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه منه كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح والا لم يفهم شيئاً أصلا ، وانما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل ان يكون لشيء تعلق بآخر ولثان ولثالث ، فاذا أريد التوصل بواحد منها الى المتعلق به فمتى تفاوتت تلك الثلاثة في وضوح التعلق وخفائه صحّ في طريق إفادته الوضوح والخفاء »(1) .

وأخرج بذلك التشبيه من مباحث البيان ، وقال عن الموضوعات الأخرى : « واذا عرفت ان ايراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى الا

(1) مفتاح العلوم ص ١٥٦ .

في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى الى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه – ظهر لك ان علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني . ثم اذا عرفت ان اللزوم اذا تصور بين الشيئين فإما ان يكون من الجانبين كالذي بين الأمام والخلف بحكم العقل او بين طول القامة وبين طول النجاد بحكم الاعتقاد ، او من جانب واحد كالذي بين العلم والحياة بحكم العقل او بين الاسد والجرأة بحكم الاعتقاد – ظهر لك ان مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين : جهة الانتقال من ملزوم الى لازم وجهة الانتقال من لازم الى ملزوم . ولا يربك بظاهرة الانتقال من أحد لازمي الشيء الى الآخر ما اذا انتقل من بياض الثلج الى البرودة فمرجعه ما ذكر ينتقل من البياض الى الثلج ثم من الثلج الى البرودة فتأمل .

واذا ظهر لك ان مرجع البيان هاتان الجهتان علمت انصباب علم البيان الى التعرض للمجاز والكناية ، فان المجاز ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم كما تقول : « رعينا غيثا » والمراد لازمه وهو النبت ، وقد سبق ان اللزوم لا يجب ان يكون عقلياً، بل ان كان اعتقاديا إمّا لعرف او لغير عرف صحّ البناء عليه . واما نحو قولك : « أمطرت السماء نباتا » اي : غيثا ، فمن المجازات المنتقل فيها عن اللازم الى الملزوم فمنخرط في سلك : « رعينا الغيث » . وان الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم كما تقول : « فلان طويل النجاد » فلا يصار الى جعل النجاد طويلاً او قصيرا الا لكون القامة طويلة او قصيرة فلا علينا ان تتخذها اصلين »[1] .

وبهذه الطريقة حصر علم البيان في بحثين : المجاز والكناية ، لان دلالتهما عقلية ، والدلالة العقلية هي التي يمكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة .. أما التشبيه فقد اخرجه بهذا الحصر من البيان ، لان دلالته وضعية ، والدلالة الوضعية لا يمكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٠٧ .

وضوح الدلالة عليه ، لأن السامع اذا كان عالماً بوضع الالفاظ لم يكن بعضها اوضح دلالة من بعض ، وإلا لم يكن كل واحد منها دالا عليها . ولكنه لم يستطع ان يخرج التشبيه من علم البيان ، لأن له مزايا تورث الكلام حسناً وجمالا ، ولان الاستعارة تبنى عليه ، قال : « ثم ان المجاز أعني الاستعارة من حيث انها من فروع التشبيه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم الى اللازم بل لا بدّ فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم تستدعي تقديم التعرض للتشبيه فلا بدّ من ان نأخذه أصلاً ثالثا ونقدمه، فهو الذي اذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني »(١) . وشعر بهذا التكلف في حصر مباحث البيان فقال : « والمطلوب بهذا التكلف هو الضبط فاعلم »(٢) .

وأسرف في تفريع علم البيان وايراد المصطلحات المنطقية ، وليست تقسيمات التشبيه والاستعارة الا امثلة ناطقة تؤيد ما نقول ، فقد قسم طرفي التشبيه انواعاً كثيره فمنها ما يكونان مستندين الى الحس والى العقل ، او يكونان مختلفين كأن يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوسا . وقسم وجه الشبه ثلاثة اقسام تعتمد على المنطق اكثر من اعتمادها على الاحساس الفني وشيوعها في الكلام . وقسم الاستعارة ثمانية انواع هي : المصرح بها التحقيقية مع القطع ، والمصرح بها التخييلية مع القطع ، والمصرح بها المحتملة للتحقيق والتخييل ، والاستعارة بالكناية ، والاصلية ، والتبعية ، والمجردة ، والترشيحية .وتتنوع — أيضا — الى خمسة انواع تنوع التشبيه اليها وهي : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي أو بوجه عقلي، واستعارة معقول لمعقول، واستعارة محسوس لمعقول، واستعارة معقول لمحسوس .

وهذه التقسيمات تدلّ على نظرته المنطقية المعتمدة على الحصر والتقسيم من غير ان يلتفت الى انه يتكلم في البلاغة ، وكان ذلك موضع نقد من سار على

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .
(٢) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

منهجه ، وقد قال التفتازاني : « واعلم ان أمثال هذه التقسيمات التي لا تتفرع على اقسامها احكام متفاوتة قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين . فلله در عبد القاهر فانه لم يزد في هذا المقام على التكثير من امثلة انواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها »[1] .

ونحن لا ننكر على علماء البلاغة تبويب بحوثهم وتقسيمها، فالعناية بذلك كانت خصلة حسنة منذ عهد مبكر. ولا بد ان يهذب المؤلف بحثه ويبوب مسائله ، وانما ننكر هذا التمحل الذي أسرف فيه السكاكي وجعل البلاغة ميداناً لتطبيق مقاييس المنطق ومناهج بحث الفلسفة .

ويتضح تأثير المنطق في تعليلاته ، فهو يعلل القضايا الأدبية تعليلاً فلسفياً محضا ، فالمجاز أبلغ من الحقيقة كما صرح به رجال البلاغة ، ولكن كيف يعلل ذلك ؟ قال : « والسبب في ان المجاز ابلغ من الحقيقة هو ما عرفت ان مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم ، فأنت في قولنا : « رعينا الغيث » ذاكراً لملزوم النبت مريداً به لازمه بمنزلة مدعي الشيء ببينة ، فإن وجود الملزوم شاهد لوجود اللازم لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم لأداء انفكاكه عنه الى كون الشيء غير ملزوم باعتبار واحد وفي قولك : « رعينا الغيث » مدعى للشيء لا ببينة ، وكم بين ادعاء الشيء ببينة وبين ادعائه لا بها »[2] . وليس في هذا الكلام ما يوضح قيمة المجاز وانه ابلغ من الحقيقة .

والكناية ابلغ من التصريح عند البلاغيين ، وعللوا ذلك تعليلاً قريبا من الادب ، ولكن السكاكي لم يتجه الى ذلك وانما اسرف في التعليل العقلي الذي لا يقبله الذوق الادبي المعتمد على الحس الفني . قال : « والسبب في ان الكناية عن الشيء أوقع من الإفصاح ، لأن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى ملزوم

---

(١) المطول ص ١٩ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٤ .

معين يعتمد مساواته إياه لكنهما عند التساوي يكونان متلازمين.. فيصير الانتقال من اللازم الى الملزوم اذ ذاك بمنزلة الانتقال من الملزوم الى اللازم فيصير حال الكناية كحال المجاز في كون الشيء معها مدعى ببينة ومع الافصاح بالذكر مدعى لا ببينة »[1] .

لقد أراد ان يثبت ان الكناية أبلغ من الافصاح ، فماذا فعل ؟ لقد لف ودار بين ملزوم ولازم ولازم وملزوم ، وانتهى الى ان حال الكناية كحال المجاز من كون شيء معها مدعى ببينة مع ان الافصاح بالذكر مدعى لا ببينة . وكان من الافضل ان يأتي بمثالين في احدهما كناية وليس في الاخر كذلك، ثم يحللهما ويوضح الاختلاف بينهما بأسلوب ادبي ليتجلى الفرق بينهما واضحا وتبدو روعة الكناية وأثرها في التعبير . وما أحسن تعليل ابن رشيق لحسن الكناية والتعريض وما اقربه الى واقعهما الفني ، قال وهو يتحدث عن مذاهب الشعراء في الهجاء : « وانا أرى ان التعريض أهجى من التصريح لاتساع الظن في التعريض وشدة تعلق النفس به والبحث عن معرفته وطلب حقيقته ، فاذا كان الهجاء تصريحاً أحاطت به النفس علماً وقبلته يقيناً في أول وهلة فكان كل يوم في نقصان لنسيان او ملل يعرض . هذا هو المذهب الصحيح »[2] . ان ابن رشيق يعلل جمال التعريض تعليلاً أدبياً نفسيا ويبين ميزته على الافصاح من غير ان يلجأ الى ذكر مصطلحات الفلاسفة والمتكلمين . وهذا التعليل أجدى نفعاً واقرب سبيلاً الى فهم اساليب العرب وفنون كلامهم ، وليس لنا اذا ما اردنا تذوق الادب وتفهمه والتعمق فيه الا ان نرجع الى كتب البلاغة الاولى نستلهم منها التعليل ، لان الكتب المتأخرة لا تقدم ما يخدم الادب ويظهر جماله وروعته .

وسيطرت النزعة الجدلية على بحث السكاكي وكان أسلوبه معقداً تشوبه

(١) مفتاح العلوم ص ١٩٥ .
(٢) العمدة ج ٢ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

العجمة ، فيقدم ويؤخر ويعبر عن المعنى بأسلوب ليس فيه رواء واشراق . وكان يهتم بالقاعدة ، وقد دفعه ذلك الى تقليل الشواهد وتجزئة الأبيات الشعرية وعدم الوقوف عند تحليلها واظهار ما فيها من جمال وتأثير .

وأدخل كثيراً من المصطلحات الفلسفية فذكر من الفلسفة الطبيعية الألوان والطعوم والروائح والمسموعات والملموسات والمشمومات والمبصرات ، ومن الفلسفة العقلية الاسباب والمسببات والعلة والمعلول والتصور والتصديق ، ومن الفلسفة الالهية الفاعل الحقيقي في المجاز العقلي . وتحدث عن العقل والوهم والخيال والدلالات الوضعية والعقلية وبنى عليها تقسيم علم البيان .

هذه هي الملامح الواضحة لأثر الفلسفة والمنطق في منهج السكاكي وبلاغته ، ولكن هل كانت طريقته خالصة للدعوى بمثل هذا المنهج او انه نادى بتحكيم الذوق في دراسة الادب ؟ من يقرأ « مفتاح العلوم » يحس بدعوته الصريحة الى تحكيم الذوق لا في البلاغة وحدها وانما في علوم اللغة الاخرى . وقد أسرف في دعواه في القسم الثالث وحمد لأستاذه الحاتمي عنايته بالادب واقامته للذوق وزناً وإحالة المتأدب اليه ، وأثنى على عبد القاهر الجرجاني الذي اتخذ من الذوق مقياسا اصيلا .

وقرر ان ملاك الأمر في علم المعاني الذوق السليم والطبع المستقيم ، فمن لم يرزقهما فعليه بعلوم أخر ، لانـــه :

اذا لم تكـــن للمرءِ عينٌ صحيحةٌ   فلا غروأنْ يرتابَ والصبحُ مُسْفِرُ

وأحال الى الذوق في اوزان الشعر وادراكها ، وقال : « ولن يقف على لطائف ما اعتبره الامام الخليل بن أحمد ـ قدس الله روحه ـ في هذا النوع إلاّ ذو طبع سليم » [1] .

ولكن هل طبّق ما دعا اليه ؟ لقد أهمل كل مقاييس الذوق حينما شرع

---

(١) مفتاح العلوم ص ٢٤٦ .

يبحث البلاغة بروح منطقية مع انه قال : « وقبل ان نمنح هذه الفنون حقها من الذكر ننبهك على أصل لتكون على ذكر منه، وهو انه ليس من الواجب في صناعة وان كان المرجع في اصولها وتفاريعها الى مجرد العقل ان يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها في استفادة الذوق منها، فكيف اذا كانت الصناعة مستندة الى تحكمات وضعية واعتبارات إلفية ؟ فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني ان يقلد صاحبها في بعض فتاواه إنْ فاته الذوق هناك الى ان يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق . وكان شيخنا الحاتمي – ذلك الامام الذي لن تسمح بمثله الادوار ما دام الفلك الدوار – تغمده الله برضوانه – يحيلنا بحسن كثير من مستحسنات الكلام اذا راجعناه فيها على الذوق ونحن حينئذ ممن نبغ في عدة شعب من علم الأدب وصبغ بها يده وعانى فيها وكده وكدّه . وها هو الامام عبد القاهر – قدس الله روحه – في « دلائل الاعجاز » كم يعيدهذا» [1]

لكنه سرعان ما نسي دعواه فقال بعد هذا الكلام : « معلوم ان حكم العقل حال اطلاق اللسان هو ان يفرغ المتكلم في قالب الافادة ما ينطبق به تحاشياً عن وصمة اللاغية ، فاذا اندفع الكلام مخبراً لزم ان يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند اليه في خبره ذاك افادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار » .

لقد ضيّق طغيان الفلسفة الخناق على البلاغة وخرج بها عن وجهتها التي ينبغي ان تتجه نحوها وابتعدت عن الذوق ومقاييسه في نقد الادب وانحصرت دائرة بحثها في الجملة او الجملتين ، فعلم المعاني ما هو إلاّ بحث في طرفي توابعهما والربط بين الجملتين ، وعلم البيان ليس الا بحثاً في الجملة او الجملتين ايضا وما فيهما من تشبيه ومجاز وكناية . ولم يحظ غير ذلك بعناية كبيرة ولم يهتّم البلاغيون المتأخرون بتحليل النصوص واظهار روعتها وجمالها .

---

(١) مفتاح العلوم ص ٨١ .

وظلت صورة البلاغة التي رسمها السكاكي أساساً لكل ما كتب ، ولا نكاد نسمع خلال القرون الماضية الا صيحات سرعان ما تنتهي او همساً سرعان ما يختفي .

القرطاجني :

ظهر في القرن السابع وما بعده اتجاه بلاغي جديد متأثر ببلاغة ارسطو وفلسفة اليونان . ويمثل هذا الاتجاه احسن تمثيل ابو الحسن حازم القرطاجني (ــ ٦٨٤ هـ) صاحب « منهاج البلغاء وسراج الادباء » الذي كان اول من عرض لنظريات ارسطو في الشعر والبلاغة عرضاً واضحاً وطبّق كثيراً من مقاييسه ، لان البلاغيين الاوائل لم يتأثروا بأرسطو كل التأثر ولم يتعرضوا لنظرياته وآرائه كل التعرض الا ما كان من محاولات الفارابي وابن سينا وابن رشد وابن الهيثم ، وهي محاولات لا ترقى الى ما قام به القرطاجني .

وكتاب « منهاج البلغاء وسراج الادباء » لون جديد لم تألفه في الكتب السابقة ، وهو اقرب الى اصول البلاغة او فلسفتها ، وقد جنح فيه مؤلفه الى طريق من النظر الحكمي وتطبيق نظريات أرسطو وآرائه على الادب العربي . وكانت له مصطلحات لم نألفها ومنهج لم نره ، فقد اقام كتابه على اقسام سماها المناهج ، وقسم المنهج الى فصول او فقر طويلة سماها : « معلم » ، «اضاءة» ، « تنوير » او « معرف » ، « اضاءة » ، « تنوير » [1] . وليس بين المعلم والمعرف فرق او بين الاضاءة والتنوير ، وانما هي كما قال الدكتور عبد الرحمن بدوي : « تنويعات في تسمية الاقسام لا تخلو من حذلقة لانها غريبة » [2] .

---

(١) لعل حازم القرطاجني شرحها في القسم الضائع من كتابه .

(٢) نظريات ارسطو في الشعر والبلاغة ص ٢ ، وكتاب إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين ص ٨٦ .

ومنهجه في البحث جديد طريف، وقد ضاع القسم الاول من الكتاب ولم تبْقَ الا اشارات عن القول واجزائه والأداء وطرقه والاثر الذي يحصل للسامعين عند صدور الكلام في الكتاب نفسه . وفي « عروس الافراح » لبهاء الدين السبكي و « البرهان في علوم القرآن » للزركشي عبارات متفرقة جمعها الدكتور محمد الحبيب بن خوجه واستخلص منها بعض الملامح العامة التي تدل على القسم الضائع من المنهاج ، وقال : « فمن يعتمد الشواهد التي ادلى بها السبكي يجد حازماً مشغولاً بالبحث عن الضرائر وبما قصر او طال من العبارات والالفاظ، كما يلفيه باحثاً في الابتذال والغرابة والتشبيه وشروطه . ومن يرجع الى نصوص الزركشي التي استشهد بها لحازم يلق فيها الحديث عن السجع وعن الحكم والامثال ، وعن التشبيه وادواته واشكاله وصوره ، وعن الاحتياط في استعمال بعض الالفاظ وتقدير الاستعمال ، وعن الزيادة والقلب والالتفات والترتيب في المعاني والاغراض » [1] .

ويبدأ الباقي من الكتاب بالقسم الثاني وهو في المعاني وأقسامها والبواعث المختلفة للشعر وصلتها بأقسام المعاني ، وبالكلام على طبيعة الشاعر وملكته ، وهي ثلاثة انواع : قوة حافظة وقوة مائزة وقوة صانعة . قال القرطاجني : « ولا يكمل لشاعر قول على الوجه المختار الا بأن تكون له قوة حافظة وقوة مائزة وقوة صانعة . فأما القوة الحافظة فهي ان تكون خيالات الفكر منتظمة ممتازاً بعضها عن بعض محفوظاً كلها في نصابه . فاذا اراد مثلا ان يقول غرضا ما في نسيب او مديح او غير ذلك وجد خياله اللائق به قد أهبّته له القوة الحافظة بكل صور الاشياء مترتبة فيها على حد ما وقعت عليه في الوجود، فاذا أجال خاطره في تصورها فكأنه اجتلى حقائقها . وكثير من خواطر الشعراء تكون معتكرة الخيالات غير منتظمة التصور ، فاذا اجال خاطره في اوصاف الاشياء وخيالاتها اشتبهت عليه واختلطت وأخذ منها غيرما يليق بمقصده وبالموضع

(١) مقدمة منهاج البلغاء ص ٩٥ .

الذي يحتاج فيه الى ذلك . وكان المنتظم الخيالات كالناظم الذي تكون عنده انماط الجواهر مجزأة محفوظة المواضع ، فاذا اراد اي حجر شاء على اي مقدار شاء عمد الى الموضع الذي يعلم انه فيه فأخذه منه ونظمه . وكذلك من كانت خيالاته وتصوراته منتظمة متميزة فانه يقصد بملاحظة الخاطر منها الى ما شاء فلا يعدوه. والمعتكر الخيالات كناظم تكون جواهره مختلطة فاذا اراد حجرا على صفة ما تعب في تفتيشه وربما لم يقع على البغية فنظم في الموضع غير ما يليق به . والمعتكر الخيالات في هذه الحال اجدر بطول السدر لكون الاشياء التي في الحس اوضح من التي في التصور والذهن . والقوة المائزة هي التي بها يميز الانسان ما يلائم الموضوع والنظم والاسلوب والغرض مما لا يلائم ذلك وما يصح مما لا يصح .

والقوى الصانعة هي القوى التي تتولى العمل في ضم بعض اجزاء الالفاظ والمعاني والتركيبات النظمية والمذاهب الاسلوبية الى بعض ، والتدرج من بعضها الى بعض وبالجملة التي تتولى جميع ما تلتئم به كليات هذه الصناعة . وهذه القوى التي هي الحافظة والمميزة والملاحظة والصانعة وما جرى مجراها في احتياج الشاعر أن تكون موجودة في طبعه »[1]. وليس في كتب النقد العربي والبلاغة حديث عن الخيالات ومكانتها بين قوى الملكة ، ولكن القرطاجني ادخلها في كتابه نقلا عن ارسطو والفلاسفة المسلمين ، وذلك للتناسب القائم بين المعاني المختلفة وخيالاتها وصلة ذلك بالبيان خاصة وما يرد فيه من تشبيهات ومبالغات وتخييلات .

وتحدث بعد ذلك عن بعض فنون البديع كالمطابقة والمقابلة والتقسيم والتفسير والتفريع . وعقد المنهج الثالث للحديث عما تقوم به صنعتا الشعر والخطابة من التخييل والاقناع ، وتطرق لموضوع الصدق والكذب الذي شغل علماء البلاغة في مباحث الخبر والانشاء . وفرّق في هذا القسم بين الشعر والخطابة

---

(١) منهاج البلغاء ص ٤٢ .

على أساس أنّ الاول يعتمد على التخييل وان الخطابة تعتمد على الاقناع ، لكنهما يجتمعان في أمر وهو انهما يجعلان الاقاويل الكاذبة توهم انها صادقة وذلك بالتمويه .

ونحدث عن الامثال وكثرتها في شعر العرب وكلامهم، وذكر للعرب تفوقهم في هذا الميدان ولو ان ارسطو اطلع على امثالهم وحِكمهم لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية ، قال : « فان الحكيم ارسطاطاليس وان كان اعتنى بالشعر بحسب مذاهب اليونانية فيه ونبه على عظيم منفعته وتكلم في قوانينه عنه، فان اشعار اليونانية انما كانت أغراضاً محدودة في اوزان مخصوصة . ومدار جل اشعارهم على خرافات كانوا يضعونها يفرضون فيهاوجود اشياء وصور لم تقع في الوجود ويجعلون احاديثها امثالا وامثلة لما وقع في الوجود . وكانت لهمايضا امثال في اشياء موجودة نحواً من امثال « كليلة ودمنة » ونحواً مما ذكره النابغة من حديث الحية وصاحبها . وكانت لهم طريقة ايضا — وهي كثيرة في اشعارهم — يذكرون فيها انتقال امور الزمان وتصاريفه وتنقل الدول وما تجري عليه احوال الناس وتؤول اليه . فأما غير هذه الطرق فلم يكن لهم فيها كبير تصرف كتشبيه الأشياء بالاشياء، فان شعر اليونانيين ليس فيه شيء منه وانما وقع في كلامهم التشبيه في الافعال لا في ذوات الافعال . ولو وجد هذا الحكيم في اشعار اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والامثـــال والاستدلالات واختلاف ضروب الابداع في فنون الكلام لفظا ومعنى وتبحرهم في اصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ووضع الالفاظ بإزائها وفي إحكام مبانيها واقترانانها ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتهم وحسن مآخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالاقاويل المخيلة كيف شاءوا — لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية » (١) .

وانتقل الى ماهية الشعر وحقيقته وعرّفه بقوله : « الشعر كلام موزون

(١) منهاج البلغاء ص ٦٨ — ٦٩ .

مقفى من شأنه ان يحبب الى النفس ما قصد تحبيبه اليها ويكره اليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه او الهرب منه بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها او متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام او قوة صدقه أو قوة شهرته او بمجموع ذلك . وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من اغراب ، فان الاستغراب والتعجب حركة للنفس اذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها »[1] . واتخذ المحاكاة مقياسا للحكم على الشعر ، فأفضله ما حسنت محاكاته وهيأته وقويت شهرته او صدقه او خفي كذبه وقامت غرابته ، وأرداه ما كان قبيح المحاكاة والهيأة واضح الكذب خليا من الغرابة . وليس هذا شعراً وان كان موزوناً مقفى ، لان المقصود بالشعر معدوم منه ؛ ولأن ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس لمقتضاه ، لان قبح الهيأة يحول بين الكلام وتمكنه من القلب ، وقبيح المحاكاة يغطي على كثير من حسن المحاكي او قبحه ويشغل عن تخيل ذلك فتجمد النفس عن التأثر له ووضوح الكذب يزعها عن التأثر بالجملة.

وتكلم على أغراض الشعر والتخييل الذي يقع في أربعة انحاء : من جهة المعنى ، ومن جهة الاسلوب ، ومن جهة اللفظ ، ومن جهة النظم والوزن. وفصل القول في المحاكاة واقسامها وحسن موقعها من النفس، وهذا ما لا نجده في كتب البلاغيين السابقين .

وتحدث في المنهج الرابع من هذا القسم عن الاحوال التي تعرض للمعاني في جميع مواقعها وعن صحة المعاني وسلامتها من الاستحالة بسبب فساد التقابل، والمعاني المتقاربة والاصيلة في المدح والذم ووضوح المعاني او غموضها قديمها ومخترعها ، ولخّص ذلك بقوله : « فمراتب الشعراء فيما يلمون به من المعاني إذن اربعة : اختراع واستحقاق وشركة وسرقة . فالاختراع هو الغاية في الاستحسان ، والاستحقاق تال له ، والشركة منها ما يساوي الآخر فيه الاول فهذا لا عيب فيه ومنها ما ينحط فيه الآخر عن الاول فهذا معيب ،

(١) منهاج البلغاء ص ٧١ .

والسرقة كلها معيبة وان كان بعضها اشد قبحا من بعض [1] » .

والقسم الثالث من كتاب « منهاج البلغاء » في المباني والاعــــاريض الشعرية ، وقد تحدث فيه عن الطبع والملكة الشعرية . والطبع هو « استكمال للنفس في فهم اسرار الكلام والبصيرة بالمذاهب والاغراض التي من شأن الكلام الشعري ان ينحى به نحوها . فاذا احاطت بذلك علماً قويت على صوغ الكلام بحسبه عملاً وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه وحسن التصرف في مذاهبه وانحائه انما يكونان كقوى فكرية واهتداءات خاطرية تتفاوت فيها افكار الشعراء » [2] . وتلك القوى العشر : القوة على التشبيه ، وتصور كليات الشعر ، وتصور صورة للقصيدة تكون بها أحسن ما يمكن ، وتخيل المعاني بالشعور ، وملاحظة الوجوه التي بها يقع التناسب بين المعاني ، والتهدي الى العبارات الحسنة الوضع والدلالة على تلك المعاني والتحيل في تسيير تلك العبارات متزنة ، وبناء مباديها على نهاياتها ونهاياتها على مباديها ، والالتفات من حيز الى حيز والخروج منه اليه والتوصل به اليه ، وتحسين وصل بعض الفصول ببعض والابيات بعضها ببعض ، والصاق بعض الكلام ببعض على الوجوه التي لا تجد النفوس عنها نبوة ، واخيراً القوة المائزة حسن الكلام من قبيحه .

وتحدث عن قواعد الصناعة الشعرية ومآخذ الشعراء في النظم والتصرف مقاصد الشعر وجهاته وحسن التعبير واجادته ، وانتقل الى الابانة عن انماط الاوزان في التناسي والتنبيه على كيفيات مباني الكلام ، والقوافي وما يليق بكل وزن منها من الاغراض . وله في هذا البحث آراء جديرة بالعناية منها أخذه بطريقة ارسطو في تحليل الوزن وعدم استناده الى اصول الخليل لتمايز الدوائر واستقلالها عن بعضها . وعرض بعد ذلك الاحكام التي ينبغي اعتمادها في كل مرحلة من مراحل تأليف القصيد ، وذكر مباني القصائد وتحسين

---

(١) منهاج البلغاء ص ١٩٦ .
(٢) منهاج البلغاء ص ١٩٩ .

هيآتهـــا في الاستهلالات والمطالع والختام والتخلص .

والقسم الرابع من الكتاب في الاسلوب ، وقد تعرض فيه للطرق الشعرية ومآخذ الشعراء في كل لون من الوان النظم بحسب ما تقتضيه احوال الكلام . وتحدث في المنهج الأول منه عن الشعر الجدي والشعر الهزلي وخصائصهما ، وفي الثاني عن اغراضه وايقاع الحيل الشعرية وما يعتمد في كل غرض مـــن اغراضه ، وفي الثالث عن الاساليب الشعرية ومناحيها والاطراد ، وفي الرابع عن المنازع الشعرية وطرق المفاضلة بين الشعراء .

ان المنهج الذي أقام حازم كتابه عليه جديد كل الجدة لم نألفه من قبل ، ويدل على تعمقه في البلاغة واطلاعه على كتب ارسطو والفارابي وابن سينا وفهمها . وإذا كان البلاغيون العرب لم يستفيدوا من بلاغة ارسطو ولم يتفهموا نظرياته ويطبقوها على الشعر العربي ، فإن حازماً انفرد بذلك جانحا إلى طريق من النظر الحكمي في موضوعهم انتهى به إلى موقف تأصيل يخرج به ما وراء البلاغة من البلاغة كما يخرج ما وراء الطبيعة من الطبيعة من غير ان يأوي إلى قافلة الحكماء ــ لانه لا يريد ان يبقي النظريات معلقة غير مطبقة ولا ان يتركها مجردة مشاعة بين اللغة العربية واللغات الاخرى (١) . وكان « منهاج البلغاء » آخر كتاب تأثر بارسطو وآرائه تأثرا مباشرا (٢) ، ولم نجد بعده كتاباً سار على هديه او اتخذ منهجه اسلوبا .

التنوخـــي :

ألّف أبو عبدالله محمد بن عمرو التنوخي أحد أعيان المائة السابعة للهجرة

---

(١) ينظر كلام الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في مقدمة منهاج البلغاء ص ١١ .
(٢) ينظر تأريخ النقد العربي للدكتور زغلول ج ٢ ص ١٩٤ ، وكتاب تأريخ النقد الادبي في الاندلس ٤٧٠ وما بعدها .

النبوية [1] كتاب « الاقصى القريب في علم البيان » بدأه بمسائل فلسفية وتكلم على العلم وقال عنه : « العلم حقيقة ما جزم به العقل ولم يعارضه احتمال الضد ، فان عارضه احتمال ضعيف كان ظناً ويطلق عليه اسم العلم مجازاً ، وان ساواه المعارض كان شكاً وان قوي عليه كان وهما [2] » ، وقسمه إلى تصور وتصديق . وتكلم على المحكوم عليه والموضوع والمحكوم به والمحمول والقضية والموجبة المحصلة وصدق القضية والموجبة الكلية والسالبة الكلية والسالبة الجزئية وغير ذلك من المصطلحات الفلسفية والمنطقية ، وادخل في البحث ما لا يمت إلى البيان بصلة ، وفرّق بين القضية عند اهل المنطق والجملة عند النحاة ، وقال : « ونظير القضية في اصطلاح اهل النحو الجملة ، والفرق بين اصطلاح اهل النحو واهل المنطق ان اهل المنطق يتكلمون على المعاني مستتبعة للالفاظ واهل النحو يتكلمون على الالفاظ مستتبعة للمعاني والجملة اعم من القضية ، لان الجملة منها ما يحتمل الصدق والكذب ومنها ما لا يحتمله وهي الجملة الطلبية والانشائية ، والقضية لا تخرج عما يحتمل الصدق والكذب والذي يحتمل الصدق والكذب انما هو اللفظ الدال عليها » [3] .

وتكلم على الاصوات والحروف و « إنّ » واخواتها وحروف الشرط واسمائه والنواصب وحروف الاستفهام والتحضيض والايجاب والنداء والتنبيه والاستثناء والجر والقسم والنسق . وبعد ان انتهى منها بدأ البحث في علم البيان وقال : « وإذ قد أتينا على ما ذكرنا انه يحتاج اليه في طريق البيان من بعض القواعد المنطقية ومعاني الحروف وما يشبهها من الاسماء والافعال ، وذكرنا ما تيسر من ذلك فلنشرع الآن في ذكر البيان والكلام فيما جرت العادة أن يسمى علم البيان » [4] .

---

(١) ذكر الحاج خليفة في كشف الظنون (ج ١ ص ١٣٧) انه توفي سنة ٧٤٩هـ .

(٢) الاقصى القريب ص ٢ .

(٣) الاقصى القريب ص ٦ .

(٤) الاقصى القريب ص ٣٢ .

ونظرة التنوخي إلى البيان ليست كنظرة السكاكي وانما هي نظرة تشمل البلاغة كلها ، وقد قسم كتابه إلى قسمين : الاول يتعلق بالالفاظ والآخر يتصل بالمعنى . وجعل الاول قسمين ايضا : الاول ما يتصل باللفظة المفردة ، والآخر ما يتصل بالالفاظ المركبة .

وتكلّم على المعاني التي يبحث فيها عن علم البيان وهي الاستعارة والتشبيه والتوسع في العربية والتقديم والتأخير والاعتراض والايجاز والكناية والتعريض والايهام . ثم ذكر انواعا من البديع كالتوشيح والسرقة والسجع والتجنيس ولزوم ما لا يلزم والموازنة . وسبب بحثها انها اشياء يمكن ان ترد إلى البيان بنوع من التكلف [١] .

ويتضح من دراسة كتاب « الاقصى القريب » ان التنوخي لخص كتاب « المثل السائر » لابن الاثير ، لانه تابعه في منهجه وتقسيمه وامثلته ولخص شرحه وتحليله . ولا يختلف الرجلان إلا قليلا ، فالتنوخي — مثلا — ذكر موضوعات البديع بعد فنون البيان بينما ذكرها ابن الاثير في الفصل الثاني من القسم الاول الخاص باللفظة المركبة . ولم يقف تأثره بابن الاثير في بلاغته ومنهجه وانما أخذ من عبد القاهر والزمخشري ، ولكن هذا الاثر لا يبدو جلياً وعلة ذلك التأثر تلخيصه للمثل السائر الذي ذكر فيه مؤلفه كثيرا من آراء عبد القاهر والزمخشري وغيرهما من غير ان يشير إلى ذلك .

وقد عده الدكتور محمد زغلول سلام من مدرسة المشارقة وقال ان كتابه وصل إلى درجة من التعقيد نسي معها انه يتكلم في البيان ، وصب فيه اهتمامه على الاستقصاء كسابقيه وظهرت آثار المنطق عليه كالسكاكي [٢] . ومن يقرأ كتاب « الاقصى القريب » بإتقان يعرف انه لم يتأثر بالسكاكي ومنهجه وانما كان من مدرسة ابن الاثير ، وان ما تحدث عنه في المقدمة لم يكن له اثر في

---

(٢) ينظر الاقصى القريب ص ١٠٥ .

(٣) ينظر كتاب ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٢٢٢ .

بحثه لفنون البيان . ولعله ذكر بعض القضايا المنطقية استجابة لمن سأله تأليف الكتاب ، قال : « وبعد فإني ألفت هذا المختصر في علم البيان اجابة لسؤال من سأله ورعاية لما شرفه الله به من طلب العلم وفضله متوخياً ان يكون كما رجاه وامله مبنياً على تحقيق المعاني وتبيينها والاختصار مبتدلاً فيه بما يجب تقديمه من القواعد المنطقية ومعاني الادوات العربية »[1] . فالتنوخي وان ذكر انه يحتاج في طريق البيان إلى بعض القواعد المنطقية لم يستفد منها في تقسيم علم البيان لانه اتخذ كتاب « المثل السائر » سبيلا له . ولذلك نستطيع ان نقول انه لم يعتمد على الدلالات والقواعد المنطقية والكلامية في بحث البلاغة ، وان التعقيد الذي لاحظه الدكتور زغلول لا يرجع إلى ما في الكتاب من مباحث منطقية وانما يعود إلى تلخيص فنون البلاغة تلخيصاً افقدها رواءها وما فيها من عرض وتمثيل .

العلوي :

ومن المتكلمين المعتزلة الذين ألفوا في البلاغة يحيى بن حمزة العلوي (— ٧٤٩ هـ) صاحب « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » . وكان الباعث على تأليفه ان جماعة من اصدقائه واخوانه شرعوا عليه في قراءة الكشاف للزمخشري . ولما كان هذا التفسير يعتمد على البلاغة سأله بعضهم ان يملي في البلاغة كتاباً يكون عوناً لهم في دراسة تفسير الكشاف . قال : « ثم ان الباعث على تأليف هذا الكتاب هو ان جماعة من الاخوان شرعوا عليّ قراءة كتاب الكشاف تفسير الشيخ العالم المحقق استاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري فانه أسس على قواعد هذا العلم فاتضح عند ذلك وجه الاعجاز من التنزيل وعرف من اجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل ، وتحققوا انه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق اعجاز القرآن إلا بادراكه والوقوف على

---

(١) الاقصى القريب ص ٢ .

اسراره واغواره . ومن أجل هذا الوجه كان متميزا عن سائر التفاسير لأني لم أعلم تفسيرا مؤسسا على علمي المعاني والبيان سواه ، فسألني بعضهم ان أملي فيه كتابا يشتمل على التهذيب والتحقيق » [١] .

وأراد العلوي أن يكون كتابه « الطراز » متميزاً عن سائر الكتب المؤلفة في البلاغة بأمرين :

أحدهما : اختصاصه بالترتيب الذي يطلع الناظر من أول وهلة على مقاصد العلـــم .

وثانيهما : اشتماله على التسهيل والتيسير والايضاح والتقريب .

ورتبه على فنون ثلاثة :

الاول : في المقدمات ، وهي تفسير علم البيان وماهيته وموضوعه ومنزلته من العلوم الادبية والطريق للوصول اليه وبيان ثمرته وتبيان ماهية البلاغة والفصاحة ومعنى الحقيقة والمجاز .

والثاني : في مباحث المعاني والبيان والبديع .

والثالث : في فصاحة القرآن الكريم وبلاغته واعجازه .

وأوضح منهجه بقوله : « ونشرع الآن في شرح مقاصده فنذكر ما يتعلق بذكر علوم البيان في مواقع المجاز في البلاغة ثم نردفه بما يتعلق بالمعاني الافرادية وهو المعبر عنه بعلم المعاني، ثم نذكر على اثره ما هو منه وهو ما يتعلق بمراعاة احوال التأليف وهو المعبر عنه بعلم المعاني ايضا . ثم نذكر خاتمة الفن فيما يتعلق بمجموع الافراد والتركيب وهو المعبر عنه بعلم البديع . فهذه ابواب اربعة » [٢] .

وذكر في المقدمة ان مصادره اربعة كتب هي : المثل السائر في أدب

---

(١) الطراز ج ١ ص ٥ .
(٢) الطراز ج ١ ص ١٩٦ .

الكاتب والشاعر لابن الاثير ، والتبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن لابن الزملكاني ، ونهاية الايجاز في دراية الاعجاز لفخر الدين الرازي، والمصباح في اختصار المفتاح لبدر الدين بن مالك. ويبدو اثر ابن الاثير واضحا أكثر من غيره ،

وكذلك يبدو اثر عبد القاهر الجرجاني وإن لم يطلع على كتابيه «اسرار البلاغة» و « دلائل الاعجاز » ولكنّه أثنى عليهما وذكر أنّ مؤلفهما اول من اسس علم البلاغة وقواعده واظهر فوائده ورتب افانينه [1] . ولعله تأثر بهذا البلاغي الكبير بما كتبه الرازي في « نهاية الايجاز » وما سطره ابن الزملكاني في « التبيان ». وارتاب الدكتور بدوي طبانة فيما ذكره العلوي وقال : « وانا اشك في ان العلوي قصر اطلاعه على هذه الكتب الاربعة مهما تكن قيمتها ومهما تكن الموضوعات والمباحث التي عالجها كل منها، فلا تكفي تلك لتكون وحدها المرجع لهذا البحث المستفيض والدراسة الخصبة التي نجدها في الطراز . وانا لنجد في ثنايا الكتاب نقولاً كثيرة عن المطرزي وقدامة بن جعفر والحاتمي والغانمي وأبي هلال العسكري وغيرهم من علماء البلاغة والبيان » [2] ، وفات الدكتور أنّ « المثل السائر » كان صفوة البلاغة وزبدتها جمع فيه مؤلفه كثيرا من الآراء ونقل عن الغانمي وقدامة والعسكري ، وبذلك اغنى هذا الكتاب العلويّ وأمدّه بعلم غزير . يضاف إلى ذلك ان الرازي وابن الزملكاني وبدر الدين ذكروا آراء كثير من المتقدمين ، ولم يكن كتابا الاولين إلا تهذيباً لكتابي عبد القاهر وتنسيقا لهما ، ولم يكن الاخير إلاّ تلخيصاً للقسم الثالث من « مفتاح العلوم » .

ويبدو تأثر العلوي بالسكاكي واضحا في تقسيم البلاغة ، ولعله أخذ ذلك عن كتاب « المصباح » الذي كان أحد الكتب الاربعة التي طالعها لا عن المفتاح الذي لم يذكره وانما كان ينقل عباراته عن كتاب آخر فيقول : « حكى

---

(١) الطراز ١ ص ٤ .
(٢) البيان العربي ص ٣٦٨ .

الكاتب والشاعر لابن الاثير ، والتبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن لابن الزملكاني ، ونهاية الايجاز في دراية الاعجاز لفخر الدين الرازي ، والمصباح في اختصار المفتاح لبدر الدين بن مالك. ويبدو اثر ابن الاثير واضحا أكثر من غيره ،

وكذلك يبدو اثر عبد القاهر الجرجاني وإن لم يطلع على كتابيه «اسرار البلاغة» و « دلائل الاعجاز » ولكنّه أثنى عليهما وذكر أنّ مؤلفهما اول من اسس علم البلاغة وقواعده واظهر فوائده ورتب افانينه [1] . ولعله تأثر بهذا البلاغي الكبير بما كتبه الرازي في « نهاية الايجاز » وما سطره ابن الزملكاني في « التبيان ». وارتاب الدكتور بدوي طبانة فيما ذكره العلوي وقال : « وانا اشك في ان العلوي قصر اطلاعه على هذه الكتب الاربعة مهما تكن قيمتها ومهما تكن الموضوعات والمباحث التي عالجها كل منها ، فلا تكفي تلك لتكون وحدها المرجع لهذا البحث المستفيض والدراسة الخصبة التي نجدها في الطراز . وانا لنجد في ثنايا الكتاب نقولاً كثيرة عن المطرزي وقدامة بن جعفر والحاتمي والغانمي وأبي هلال العسكري وغيرهم من علماء البلاغة والبيان » [2] ، وفات الدكتور أنّ « المثل السائر » كان صفوة البلاغة وزبدتها جمع فيه مؤلفه كثيرا من الآراء ونقل عن الغانمي وقدامة والعسكري ، وبذلك اغنى هذا الكتاب العلويّ وأمدّه بعلم غزير . يضاف إلى ذلك ان الرازي وابن الزملكاني وبدر الدين ذكروا آراء كثير من المتقدمين ، ولم يكن كتابا الاولين إلا تهذيباً لكتابي عبد القاهر وتنسيقا لهما ، ولم يكن الاخير إلاّ تلخيصاً للقسم الثالث من « مفتاح العلوم » .

ويبدو تأثر العلوي بالسكاكي واضحا في تقسيم البلاغة ، ولعله أخذ ذلك عن كتاب « المصباح » الذي كان أحد الكتب الاربعة التي طالعها لا عن المفتاح الذي لم يذكره وانما كان ينقل عباراته عن كتاب آخر فيقول : « حكى

---

(١) الطراز ج ١ ص ٤ .
(٢) البيان العربي ص ٣٦٨ .

اسراره واغواره . ومن أجل هذا الوجه كان متميزا عن سائر التفاسير لأني لم أعلم تفسيرا مؤسسا على علمي المعاني والبيان سواه ، فسألني بعضهم ان أملي فيه كتابا يشتمل على التهذيب والتحقيق »[1] .

وأراد العلوي أن يكون كتابه « الطراز » متميزاً عن سائر الكتب المؤلفة في البلاغة بأمرين :

أحدهما : اختصاصه بالترتيب الذي يطلع الناظر من أول وهلة على مقاصد العلـــم .

وثانيهما : اشتماله على التسهيل والتيسير والايضاح والتقريب .

ورتبه على فنون ثلاثة :

الاول : في المقدمات ، وهي تفسير علم البيان وماهيته وموضوعه ومنزلته من العلوم الادبية والطريق للوصول اليه وبيان ثمرته وتبيان ماهيةالبلاغة والفصاحة ومعنى الحقيقة والمجاز .

والثاني : في مباحث المعاني والبيان والبديع .

والثالث : في فصاحة القرآن الكريم وبلاغته واعجازه .

وأوضح منهجه بقوله : « ونشرع الآن في شرح مقاصده فنذكر ما يتعلق بذكر علوم البيان في مواقع المجاز في البلاغة ثم نردفه بما يتعلق بالمعاني الافرادية وهو المعبر عنه بعلم المعاني، ثم نذكر على اثره ما هو منه وهو ما يتعلق بمراعاة احوال التأليف وهو المعبر عنه بعلم المعاني ايضا . ثم نذكر خاتمة الفن فيما يتعلق بمجموع الافراد والتركيب وهو المعبر عنه بعلم البديع . فهذه ابواب اربعة »[2] .

وذكر في المقدمة ان مصادره اربعة كتب هي : المثل السائر في أدب

---

(١) الطراز ج ١ ص ٥ .
(٢) الطراز ج ١ ص ١٩٦ .

الكاتب والشاعر لابن الاثير ، والتبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن لابن الزملكاني ، ونهاية الايجاز في دراية الاعجاز لفخر الدين الرازي ، والمصباح في اختصار المفتاح لبدر الدين بن مالك. ويبدو اثر ابن الاثير واضحا أكثر من غيره.

وكذلك يبدو اثر عبد القاهر الجرجاني وإن لم يطلع على كتابيه «اسرار البلاغة» و «دلائل الاعجاز» ولكنّه أثنى عليهما وذكر أنّ مؤلفهما اول من اسس علم البلاغة وقواعده واظهر فوائده ورتب افانينه [1] . ولعله تأثر بهذا البلاغي الكبير بما كتبه الرازي في «نهاية الايجاز» وما سطره ابن الزملكاني في «التبيان». وارتاب الدكتور بدوي طبانة فيما ذكره العلوي وقال : «وانا اشك في ان العلوي قصر اطلاعه على هذه الكتب الاربعة مهما تكن قيمتها ومهما تكن الموضوعات والمباحث التي عالجها كل منها، فلا تكفي تلك لتكون وحدها المرجع لهذا البحث المستفيض والدراسة الخصبة التي نجدها في الطراز . وانا لنجد في ثنايا الكتاب نقولاً كثيرة عن المطرزي وقدامة بن جعفر والحاتمي والغانمي وأبي هلال العسكري وغيرهم من علماء البلاغة والبيان» [2] ، وفات الدكتور أنّ «المثل السائر» كان صفوة البلاغة وزبدتها جمع فيه مؤلفه كثيرا من الآراء ونقل عن الغانمي وقدامة والعسكري ، وبذلك اغنى هذا الكتاب العلويّ وأمدّه بعلم غزير . يضاف إلى ذلك ان الرازي وابن الزملكاني وبدر الدين ذكروا آراء كثير من المتقدمين ، ولم يكن كتابا الاولين إلا تهذيباً لكتابي عبد القاهر وتنسيقا لهما ، ولم يكن الاخير إلاّ تلخيصاً للقسم الثالث من «مفتاح العلوم» .

ويبدو تأثر العلوي بالسكاكي واضحا في تقسيم البلاغة ، ولعله أخذ ذلك عن كتاب «المصباح» الذي كان أحد الكتب الاربعة التي طالعها لا عن المفتاح الذي لم يذكره وانما كان ينقل عباراته عن كتاب آخر فيقول : «حكى

---

(١) الطراز ج ١ ص ٤ .
(٢) البيان العربي ص ٣٦٨ .

السكاكي » وغيرها من العبارات التي تدل على انه لم يتصل بالكتاب اتصالا مباشرا بل نقل عن غيره وهو « المصباح » .

واتبع العلوي منهجاً دقيقا في امثلته، وكان يأتي بمجموعة منها بعد كل فصل ويقسمها الوانا ، منها آيات قرآنية وأحاديث شريفة وكلمات للامام علي بن أبي طالب (رضي) وهذه الانواع هي القسم الاول من شواهده ، اما القسم الثاني فهو شعر الذين كانوا في المنزلة الرفيعة من شعراء العربية .

والعلوي في هذه الطريقة كان موفقا كل التوفيق ، لأنه عني بالأدب وفنونه كما اهتم بقواعد البلاغة واصولها وبذلك ابتعد عن الجفاف الذي اتصف به السكاكي والقزويني والشراح والملخصون . ومع هــذه العناية الكبيرة بالنصوص ، فقد كانت النزعة المنطقية تسيطر عليه،وبدا أثر المنطق والاستدلال واضحا في كتابه . وأول ما يلقانا هذا في مطلع « الطراز » ونراه يقول في تفسير علم البيان وماهيته « اعلم ان كثيرا من الجهابذة والنظار من علماء البيان وأهل التحقيق فيه ما عولوا على بيان تعريفه بالحدود الحاصرة والتعريفات اللائقة ولا اشاروا إلى تصوير حقيقة يعرف بها بين سائر العلوم الادبية والعلوم الدينية كعلم الفقه وعلم النحو وعلم الاصول وغيرها من سائر العلوم فانهم اعتنوا فيها نهاية الاعتناء وأتوا فيها بماهيات تضبطها وتفصلها من سائر العلوم . وعلى الجملة فان ذلك غفلة لأمرين : اما اولاً فلأن الخوض في تقاسيمه وخواصه وبيان احكامه فرع على تصور ماهيته، لان من المحال معرفة حكم الشيء قبل فهم حقيقته . واما ثانيا فلان الخوض في اسراره ودقائقه انما هو خوض في المفردات ولا شك ان معرفة المفرد سابقة على معرفة المركب.. ولاجل ما ذكرناه لم يكن بد من بيان معقوله ومعرفة ماهيته » (١) .

وتحدث عن الدلالات وقال ان الدلالة الوضعية هي دلالة المطابقة، اما دلالة التضمن ودلالة الالتزام فهما عقليتان ، لان اللفظ إذا وضعه الواضع لمسماه

---

(١) الطرازج ١ ص ٩ .

انتقل الذهن من المسمى إلى لازمه ثم لازمُه ان كان داخلاً في المسمى فهو التضمن وان كان خارجا عنه فهو الالتزام. وقال عن دلالة اللزوم: « المعتبر في دلالة اللزوم انما هواللزوم الذهني دون الخارجي لأن العرض والجوهر بينهما ملازمة خارجية ولا يستعمل اللفظ الدال على احدهما دالا على الآخر ، والضدان متنافيان »[1] .

واتضحت نظرته العقلية ونزعته الكلامية في تعريف فنون البلاغة ، فهو يذكر عدة تعريفات للفن الواحد ثم يبين ما في كل تعريف من اضطراب او عدم دقة . قال في تعريف ابن الاثير للحقيقة : « التعريف الرابع ذكره ابن الأثير في كتابه « المثل السائر » فانه قال في ماهية الحقيقة : انها اللفظ الدال على موضوعه الاصلي . وهذا فاسد لما فيه من اخراج الحقيقة الشرعية والعرفية عن كونها حقائق وأنها دالة على غير موضوعها الاصلي فيلزم خروجها عن كونها حقائق وهو باطل لا يقال : فلعل ابن الاثير انما أراد الحقائق اللغوية دون الحقائق الشرعية والعرفية . وانما اراد الحقائق الموضوعة لغةً كلفظ « الاسد » فانه حقيقة في البهيمة مجاز في الرجل الشجاع فلا يعاب عليه ما قاله ، لانا نقول هذا فاسد فان الماهية من حقها ان تدرج تحتها جميع الصور المفردة فلا يخرج عنها شيء وإلا بطل كونها ماهية . فالحد ان لم يكن شاملاً بطل كونه حدا ، ولو قيل في حد الحقيقة : ما أفاد معنى مصطلحاً عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب مما له فيه مدخل فسائر القيود قد تقدم تفسيرها إلا قولنا : « مما له فيه مدخل» فالغرض الاحتراز عن اسماء الاعلام فانها قد افادت معنى مصطلحاً عليه في وضع التخاطب لا يقال لها بانها حقائق ولا توصف بذلك لما كانت معانيها لا مدخل لها في الحقائق والمجازات كما سنوضحه . فعرفت بما ذكرناه انه لا بد من هذا القيد ليخرج عما ذكرناه »[2] .

وأوغل في القضايا الكلامية والفلسفية حينما تحدث عن اعجاز القرآن

---

(١) الطراز ١ ص ٣٩ .

(٢) الطراز ١ ص ٥٠ .

واسرار بلاغته ، ولعل له عذراً لأن الكلام في هذا الموضوع يدخل في المباحث الكلامية والاسرار الإلهية لاختصاصه بها ولانه من أهم قواعدها .

وصفوة القول ان كتاب « الطراز » تميز عن غيره من كتب البلاغة المتأخرة لانه مزج بين العلم والادب ، ولذلك كان من أحسن كتب البلاغة في القرن الثامن للهجرة لما فيه من ضبط لقواعدها وامثلة رائعة مختارة وتحليل يدل على فهم لاساليب العرب ، وهو بحق المثل الأعلى لكتب البلاغة في ذلك القرن لولا التقسيمات الكثيرة التي أسرف فيها العلوي . ولعل هذا الكتاب من أهم الكتب التي تأثرت بعلم الكلام ، لان الكتب التي عاصرته لم تنهج مثله في العرض والتحليل والحصر والتقسيم ، وانما اتجهت إلى تلخيص القزويني تشرحه أو تنظمه فأصبحت بعيدة عن الادب وقواعده الفنية واصوله الذوقية .

الشُّرَّاحُ وَالمُلَخِّصُونَ

الفصل السادس

نظرة عامة

سحر « مفتاح العلوم » الناس فانشغلوا به وأقبلوا عليه يتدارسونه وكان مثار نشاط واسع منذ القرن السابع ، فلخصه قوم وشرحه آخرون أو شرحوا تلخيصاته . وكانت البيئة المصرية خير بيئة احتضنته وشملته باهتمام عظيم ، ولا نعرف مدى النشاط الفكري الذي أثاره في خوارزم بيئة السكاكي لان المغول دمروا معالم تلك البيئة وأحالوها قفراً يبابا . وكل ما يمكن قوله انه لقي حظوة كبيرة بعد تدمير خوارزم أي في الوقت الذي ظهر فيه كتابا الخطيب القزويني ، ففي هذه الفترة وقبلها بقليل انتعشت الحياة العلمية في فارس وخوارزم بعد ان عاد الغزاة إلى ديارهم وبعد ان هدأت البلاد واستقر الناس . وقد ظهر في البيئة المشرقية قطب الدين الشيرازي (ـ ٧١٠ هـ) صاحب شرح المفتاح المسمى « مفتاح المفتاح » وسعد الدين التفتازاني (ـ ٧٩٢ هـ) مؤلف الشرحين : المختصر والمطول على تلخيص القزويني ، وعلي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف الجرجاني (ـ ٨١٦ هـ) مؤلف الحاشية على الشرح المطول وشرح القسم الثالث من « مفتاح العلوم » .

وكانت المناظرات تعقد في مجالس الامراء والرؤساء ، ومن أشهرها المناظرة التي جرت في بلاط تيمورلنك سنة ٧٩١ هـ بين التفتازاني والسيد الشريف ، فقد اتصل السيد بتيمورلنك وارتحل معه إلى ما وراء النهر واشتغل بالتدريس

هناك حيث كان السعد قديم الصلة بهذه البيئة مقدماً في مجالس تيمورلنك فقامت المنافسة بينهما. وجعل تيمورلنك يرجح السيد، وكان لذلك اثره في جرأته على مهاجمة السعد مهاجمة فاصلة انتهت بالمكانة الاولى له ، فمات السعد كمداً في أوائل سنة ٧٩٢ هـ .

وشروح المفتاح كثيرة منها :

١ ــ شرح قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي (ــ ٧١٠ هـ) .

٢ ــ شرح حسام الدين المؤذني الخوارزمي، فرغ منه في أواسط محرم سنة ٧٤٢ هـ .

٣ ــ شرح محمد بن مظفر الدين الخطيبي الخلخالي (ــ ٧٤٥ هـ) .

٤ ــ شرح ابن الشيخ عونية (عوينة) علي بن الحسين الموصلي الشافعي (ــ ٧٥٥ هـ) .

٥ ــ شرح جمال الدين محمد بن أحمد الشريشي (ــ ٧٦٩ هـ) .

٦ ــ شرح سعد الدين التفتازاني (ــ ٧٩٢ هـ) .

٧ ــ شرح السيد الشريف الجرجاني (ــ ٨١٦ هـ) .

٨ ــ شرح الشيخ أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا الحنفي (ــ ٩٤٠ هـ)

٩ ــ شرح أحمد بن مصطفى المعروف بطاشكبري زاده (ــ ٩٦٨ هـ) .

وذكر بهاء الدين السبكي شروحاً أخر منها : شرح الشيخ ناصر الدين الترمذي وشرح الشيخ عماد الدين الكاشي [1] .

وهذه الشروح الكثيرة منها ما هو شرح للمفتاح كله ، ومنها ما هو شرح

---

(١) عروس الافراح ــ شروح التلخيص ج ١ ص ٣٠ .

للقسم الثالث منه ، وافضلها كما يقول القدماء ثلاثة : شرح الشيرازي ، وشرح التفتازاني ، وشرح السيد الشريف الجرجاني [1] .

وللمفتاح مختصرات كثيرة منها :

١ ـ التبيان للسكاكي ، وهو أول تلخيص لمفتاح العلوم . ولم نعثر عليه أو نجد له ذكرا في الكتب المعاصرة للمؤلف ، غير ان ابن خلدون قال : « ولخصوا منه أمهات هي المتداولة لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيان » [2] .

٢ ـ المصباح في اختصار المفتاح لبدر الدين بن مالك (ــ ٦٨٦ هـ) ، ولخصه محمد بن النحوية (ــ ٧١٨ هـ) بكتاب سماه « ضوء المصباح » وشرحه شرحاً لطيفا .

٣ ـ روض الاذهان في علم البيان لبدر الدين بن مالك .

٤ ـ تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ــ ٧٣٩ هـ) .

٥ ـ الفوائد الغياثية لعضد الدين الإيجي (ــ ٧٥٦ هـ) .

٦ ـ مختصر المولى حسن المعروف بالمعانيجي (ــ ٩٩٠ هـ) .

ونظمه أبو عبدالله بن عبد الرحمن الضرير المراكشي وشرحه بكتاب سماه « ضوء المصباح على ترجيز المصباح »، وشرح ابراهيم ابن الشيخ عبد الرحمن القرماني شواهد المفتاح [3] .

---

(١) ينظر مفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ (طبعة بيروت) وج ٤ ص ١٢٦٥ (طبعة الدكتور علي عبد الواحد وافي) وفي هامشها : « هكذا في جميع النسخ، وسياق الكلام يدل على ان الاسم محرف عن اسم آخر » . والذي نراه ان الاسم الصحيح (الزملكاني) صاحب « التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن » الذي قمنا بالمشاركة مع الدكتورة خديجة الحديثي بتحقيقه وطبعه في بغداد سنة ١٩٦٤ وهو تلخيص لدلائل الاعجاز للجرجاني .

(٣) تنظر هذه الشروح والحواشي والتقريرات في كتابنا « القزويني وشروح التلخيص » ص١٧٤ وما بعدها .

التلخيصات

ابن مالك :

ألّف بدر الدين بن مالك (ــ ٦٨٦ هـ) كتاب « المصباح في علم المعاني والبيان والبديع » لخص فيه القسم الثالث من « مفتاح العلوم » ، وهو أول تلخيص يصل الينا ، لأن تلخيص السكاكي ما يزال بعيداً عن الدارسين ولعله ضاع في غمرة الاحداث الدامية التي أصابت خوارزم بعد ان اجتاحتها جيوش المغـــول .

ومنهج « المصباح » يقوم على ما اختطّه السكاكي في مفتاحه ولا يكاد يخرج عنه إلا قليلا، وقد أضاف بعض الفوائد وتخيّر له جملة من الشواهد البديعة وفصّل في بعض الموضوعات كالايجاز والاطناب . وقسم الايجاز ثلاثة أضرب : سلوك طريق التضييق بحذف الكلام تحقيقاً لقوة الدلالة على معناه ، وسلوك طريق المساواة مع الاختصار وهو أن يكون للمعنى عبارتان متساويتان واحداهما أطول لتفصيل أو غيره فيعدل عنها إلى الاخرى ، وان يكون المعنى خليقا بمزيد البسط فيترك إلى بسط أخصر منه لتوخي نكتة كالاحتراز عن إملال أو غيره . وتكلم على الاطناب وأنواعه كالتفصيل والتتميم والتذييل .

وكان أول من أطلق مصطلح « البديع » على القسم الثالث من علوم البلاغة

وعرّفه بقوله : « البديع هو معرفة توابع الفصاحة »[1] ، وتكلم على الفصاحة المعنوية واللفظية ، وقسم المحسنات ثلاثة فصول ، لأنها إما راجعة إلى الفصاحة اللفظية ، واما راجعة إلى الفصاحة المعنوية ، والراجعة إلى المعنوية اما مختصة بالافهام والتبيين ، واما مختصة بالتزيين والتحسين ، وليس في كتب البلاغة مثل هذا التقسيم . وموضوعات النوع الاول : الترديد ، التعطيف ، رد العجز على الصدر ، التشطير ، الترصيع ، التسجيع ، التجزئة ، التسميط ، المماثلة ، التوشيع ، التطريز ، التشريع ، الالتزام ، التفويف ، الاطراد ، المزاوجة ، التجنيس ، المطابقة ، المقابلة ، التدبيج ، المشاكلة ، التسهيم ، التوشيح ، القلب . وموضوعات النوع الثاني : حسن البيان ، الايضاح ، المذهب الكلامي ، التبيين ، التتميم ، التقسيم ، الاحتراس ، التكميل ، التذييل ، الاعتراض ، المبالغة ، — ومنها الاغراق والغلو — الايغال ، التكرار ، الاستطراد ، التجريد ، التفريع ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، التعليل ، التهكم . وموضوعات القسم الثالث : اللف والنشر ، التفريق ، الجمع ، الجمع مع التفريق ، الجمع مع التقسيم ، الائتلاف ، التورية ، التعليق ، حسن الابتداء ، حسن التخلص ، حسن الخاتمة . وكان لهذه المحسنات أثر واضح في البلاغيين الذين اهتموا بفنون البديع .

ولم يخرج بدر الدين على منهج السكاكي لا في تقسيم البلاغة ولا في تقسيم فنونها ، واعتمد في بحث علم المعاني على ركني الجملة واتخذ من عبارات الأول أساساً ومن أمثلته سبيلا . ولكنه اختلف عنه في مسألة واحدة هي انه سمّى القسم الثالث من علوم البلاغة بديعا وقسمه إلى ثلاثة أنواع .

وخلاصة القول ان كتاب « المصباح » لم يكن إلاّ صورة لمفتاح العلوم وانه أول تلخيص يصل الينا ، غير انه لم ينل شهرة واسعة . ويبدو أن الانصراف عنه يرجع إلى سيطرة كتابي القزويني وشروحهما ، وإلى ما فيه من جفاف

---

(١) المصباح ص ٧٥ .

التلخيص وقلة الامثلة . وقد حظي فيما بعد بعناية كبيرة واستمر ردحاً من الزمن قبلة طلاب البلاغة في بلاد المغرب العربي وعني بشرحه بعضهم .

ولبدر الدين كتاب « روض الاذهان في علم البيان » وهو تلخيص للقسم الثالث من « مفتاح العلوم » أيضا ، غير انه أقرب اليه من «المصباح»، وقد سار فيه على خطا السكاكي من غير ان يخرج عنها كثيراً كما فعل في الكتاب السابق .

ويقوم هذا الكتاب على ركنين هما : علم المعاني وعلم البيان ، وقد حدّهما بقوله : « وعلم البلاغة يحترز به عن الخطأ في الطباق لتمام المراد من الكلام وسلوك جادة الصواب فيه . وهذا العلم صنفان ، لان مرجع الخطأ في التركيب لطباق تمام المراد اما إلى خلل في كيفية التركيب ، واما إلى خلل في دلالة المركب . فالصنف الاول يحترز به عن الخطأ في كيفية تركيب الكلام لافادة تمام المراد منه ويسمى علم المعاني ، والصنف الثاني يحترز به عن الخطأ في التركيب مما دلالته غير وافية بتمام المراد على الكلام ، ويسمى علم البيان . فليكن هذا الكتاب قسمين يضبطان معاقد الصنفين » (١) .

ولم تتضح شخصية بدر الدين في هذا الكتاب كما اتضحت في « المصباح » لأنه اتخذ من منهج السكاكي وتقسيماته أساسا ، بينما خرج في الآخر عليه بعض الخروج فأكسبه حياة جديدة لا نجدها في « مفتاح العلوم » .

القزويني :

اختصر جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ـ ٧٣٩ هـ) القسم الثالث من « مفتاح العلوم » بكتابه « التلخيص » الذي نال شهرة واسعة وطبقت شهرته الخافقين ، وأقبل الناس عليه قراءة وشرحاً وتدريسا ، وكان

---

(١) روض الاذهان ص ٢ .

عند الازهريين الكتاب الاول الذي لا يبارى والآخر الذي ليس بعده غاية لمطلع . قال ابن خلدون : « والتلخيص هو أصغر حجماً من الايضاح ، والعناية به لهذا العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم أكثر من غيره »[1] .

وكان الدافع إلى تأليفه ما رأى في كتاب السكاكي من حشو وتطويل ، فأراد ان يهذبه ويصونه عما فيه من تعقيد . وقد أوضح المؤلف هدفه في فاتحة الكتاب فقال : « أما بعد فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قَدْراً وأدقها سراً ، إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها . وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعاً لكونه احسنها ترتيباً واتمها تحريراً واكثرها للاصول جمعا . ولكن كان غير مصون من الحشو والتطويل والتعقيد قابلاً للاختصار مفتقرا إلى الايضاح والتجريد ألّفتُ مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد ويشتمل على ما يحتاج اليه من الامثلة والشواهد ، ولم آلُ جهداً في تحقيقه وتهذيبه ، ورتّبته ترتيبا أقرب تناولا من ترتيبه ، ولم أبالغ في اختصار لفظه تقريبا لتعاطيه وطلبا لتسهيل فهمه على طالبيه ، وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها وزوائد لم أظفر في كلام أحد بالتصريح بها والاشارة اليها ، وسميته تلخيص المفتاح »[2] .

واستغرب المرحوم احمد مصطفى المراغي من ان يدعي القزويني ان كتابه تلخيص للمفتاح وحده مع انه ملخص من عدة كتب ، فلعبد القاهر فيه الشيء الكثير ، ولابن سنان حظ وافر من المقدمة ، وكان من الامانة العلمية ان لا يغمط هذين العالمين فضلهما بل يشير إلى ما لهما من آراء وأقوال في كتابه[3] . وليس هذا الاستغراب دقيقا ، لان القزويني لم يدّعِ أن كتابه تلخيص للقسم

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(٢) التلخيص ص ٢٢ – ٢٣ .

(٣) بحوث وآراء في علوم البلاغة ص ٦٢ ، ١٣٧ ، وتأريخ علوم البلاغة ص ٣٤ .

الثالث من « مفتاح العلوم » فقط ، وانما أضاف اليه فوائد عثر عليها في بعض الكتب وزاد عليه بما جادت قريحته وأسعفته مطالعاته ، وأي دليل أقوى من قوله : « وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها ، وزوائد لم أظفر في كلام أحد بالتصريح بها ولا الاشارة اليها » .

ومنهج التلخيص لا يختلف عن منهج المفتاح اختلافا كبيرا ، بدأه بمقدمة في فصاحة المفرد والكلام ، وعرّف البلاغة بقوله : « والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته » [1] . وذكر ان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام كل من التنكير والاطلاق والتقديم والذكر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام خلافه ، وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدمها ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب . فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار افادته المعنى بالتركيب وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة ، ولها طرفان : أعلى وهو حد الاعجاز وما يقرب منه ، وأسفل وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء باصوات الحيوانات ، وبينهما مراتب كثيرة وتتبعها وجوه أخر تورث الكلام حسنا . والبلاغة مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، وإلى تمييز الفصيح من غيره ، والثاني منه ما يبين في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو أو يدرك بالحس وهو ما عدا التعقيد المعنوي . وما يحترز به عن الاول علم المعاني ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان ، وما يعرف به وجوه التحسين علم البديع . وكثير يسمي الجميع علم البيان ، وبعضهم يسمي الاول علم المعاني ، والاخيرين علم البيان ، والثلاثة علم البديع .

وعلى هذا الاساس قسم البلاغة إلى ثلاثة فنون :

الاول : علم المعاني وهو « علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها

---

(١) التلخيص ص ٣٢ . —

يطابق مقتضى الحال »[1] وحصره في ثمانية أبواب : أحوال الاسناد الخبري ، أحوال المسند اليه ، احوال المسند ، أحوال متعلقات الفعل ، القصر ، الانشاء ، الفصل والوصل ، الايجاز والاطناب والمساواة . وعلل هذا الحصر بقوله : « لان الكلام اما خبر أو انشاء ، لانه ان كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه فخبر والا انشاء ، والخبر لا بد له من مسند اليه ومسند واسناد ، والمسند قد لا يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو في معناه وكلّ من الاسناد والتعليق اما بقصر أو بغير قصر ، وكل جملة قرنت بأخرى اما معطوفة عليها أو غير معطوفة ، والكلام البليغ اما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد »[2] .

والثاني : علم البيان ، وهو « علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »[3] . ودلالة اللفظ اما على تمام ما وضع له أو على جزئه أو على خارج عنه ، وتسمى الاولى وضعية وكل من الأخيرتين عقلية ، وتختص الاولى بالمطابقة والثانية بالتضمن والثالثة بالالتزام ، وشرطه اللزوم الذهني ولو لاعتقاد المخاطب بعرف أو غيره . والايراد المذكور لا يتأتى بالوضعية ، لان السامع إذا كان عالماً بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح وإلا لم يكن كل واحد دالاّ عليه ، ويتأتى بالعقلية لجواز ان تختلف مراتب اللزوم في الوضوح ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له ان قامت قرينة على عدم ارادته فمجاز والا كناية ، وقدّم عليها لان معناه كجزء معناها ، ثم منه ما يبنى على التشبيه فتعين التعرض له فانحصر في الثلاثة . وعلى هذا الاساس قسّم البيان إلى التشبيه والمجاز والكناية . فالتشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى ، والحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب ، والمجاز مفرد ومركب ، أما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له

---

(١) التلخيص ص ٣٧ .

(٢) التلخيص ص ٣٨ .

(٣) التلخيص ص ٢٣٦ .

في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم ارادته، وكل منهما لغوي وشرعي وعرفي خاص أو عام . والمجاز مرسل ان كانت العلاقة غير المشابهة والا فهو استعارة ، وكثيراً ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه . والكناية لفظ اريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه وهي ثلاثة أقسام : الاولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، والثانية المطلوب بها صفة ، والثالثة المطلوب بها نسبة . وختم القزويني بحث البيان بقوله : « أطبق البلغاء على ان المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لان الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم فهو كدعوى الشيء ببيّنة، وان الاستعارة أبلغ من التشبيه لأنها نوع من المجاز »[1] .

والثالث : في البديع وهو « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة »[2] . وهو ضربان : معنوي ولفظي ، ومن المعنوي المطابقة، مراعاة النظير، الإرصاد ، المشاكلة، المزاوجة ، العكس ، الرجوع ، التورية، الاستخدام، اللف والنشر، الجمع ، التفريق، التقسيم، الجمع مع التفريق الجمع مع التقسيم ، الجمع مع التفريق والتقسيم ، التجريد ، المبالغة ، المذهب الكلامي ، حسن التعليل ، التفريع ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تأكيد الذم بما يشبه المدح ، الاستتباع ، الادماج ، التوجيه ، الهزل الذي يراد به الجد ، تجاهل العارف ، القول بالموجب ، الاطراد . ومن اللفظي : الجناس ، رد العجز على الصدر ، السجع ، الموازنة ، القلب ، التشريع ، لزوم ما لا يلزم .

وأصل الحسن في هذا كله ان تكون الالفاظ تابعة للمعاني .

وختم القزويني كتابه ببحث السرقات الشعرية وما يتصل بها من الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح ، وعقد فصلا في حسن الابتداء وحسن التخلص وحسن الانتهاء .

---

(١) التلخيص ص ٣٤٦ .

(٢) التلخيص ص ٣٤٧ .

والقزويني وان تابع السكاكي في منهجه ولخص القسم الثالث من مفتاحه ، لم يتقيد كل التقيد به وانما قدّم وأخّر ورتّب وهذّب وأضاف موضوعات جديدة ، وأولها بحث الفصاحة الذي صدّر به كتابه وجعله مقدمة ، ولعله متأثر في ذلك بابن سنان الذي تحدث عنها في أول كتابه « سر الفصاحة » . وكان السكاكي قد تكلم عليها وأوجز القول فيها بعد أن انتهى من بحث علم البيان لأنه لا يراها لازمة للبلاغة كالقزويني . وخالفه في المجاز العقلي الذي تحدث عنه الاول في علم البيان وأنكره بعد ذلك ، لانه استعارة بالكناية أما هو فقد تكلم عليه في علم المعاني لان الاسناد عنده منه حقيقة عقلية وهي اسناد الفعل أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر ، ومنه مجاز عقلي وهو اسناده إلى ملابس له غير ما هو له بتأول . ولم يتكلم السكاكي على السرقات الشعرية وحسن الابتداء والتخلص والانتهاء ، بينما تحدث عنها القزويني بعد فنون البديع .

ونال « التلخيص » منزلة كبيرة وأصبح المحور الذي دارت عليه البلاغة العربية ، وتسابق الناس إلى اقتناء مخطوطاته ودراستها والتعليق عليها وشرحها وأخذوا يبحثون عن نسخه التي كتبها المؤلف بخطه ، قال السيوطي : « وقد ملكته بخطه الحسن المليح ، ونظمته في أرجوزة »[1] . وقال : « والتلخيص تأليف قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، وعندي منه نسخة بخط مؤلفه »[2] .

وشغل الناس بشرح « التلخيص » والتعليق عليه ونظم شواهده ، وكان منذ ان وضعه مؤلفه مدار البحوث البلاغية وعمدتها . قال السبكي : « أما بعد فان تلخيص المفتاح في علم البلاغة وتوابعها باجماع من وقف عليه واتفاق من صرف العناية اليه ، أنفع كتاب في هذا العلم صنف ، وأجمع مختصر فيه على مقدار حجمه ألف »[3] .

---

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ١٥٧

(٢) شرح عقود الجمان ص ٣ .

(٣) عروس الافراح – شروح التلخيص ج ١ ص ٤ .

الشروح

كان الخطيب القزويني أول من شرح تلخيصه بعد أن رأى فيه غموضاً وتعقيداً وايجازاً والتواءً ، فوضع له شرحاً يحل مشكله ويوضح غامضه وهو « الايضاح » الذي قال في مقدمته : « أما بعد فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ترجمته بالايضاح وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته « تلخيص المفتاح » وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشكلة وفصلت معانيه المجملة ، وعمدت الى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه « مفتاح العلوم » والى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني — رحمه الله — في كتابيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » والى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما ، فاستخرجت زبدة ذلك كله وهذبتها ورتّبتها حتى استقر كل شيء منها في محله وأضفت الى ذلك ما أدى اليه فكري ولم أجده لغيري ، فجاء بحمد الله جامعاً لأشتات هذا العلم » [1] .

ومنهج « الايضاح » لا يختلف عن منهج التلخيص وان كان يختلف عنه في العرض والتحليل اختلافا ليس بالكبير . والمؤلف في هذا الكتاب جمع بين طريقتي عبد القاهر والسكاكي ، وامتاز بجودة اسلوبه وهواسلوب عربي مبين ليس فيه تكلف وإسراف في الصنعة ولا التواء الاعاجم في التعبير . واضاف

---

(١) الايضاح ص ١ .

الاستطراد الى المحسنات المعنوية وكان قد أغفل ذكره في «التلخيص» وناقش عبد القاهر والسكاكي وأبدى رأيه في بعض المسائل .

و « الايضاح » أهم شروح التلخيص ، وهو أجدى نفعاً للدارسين من الشروح الاخرى وان كانت المصطلحات العلمية والعبارات الفلسفية والبحوث العقلية تؤوده وتضفي عليه ظلالاً ثقيلة . وهو بعد ذلك كله خلاصة بحوث البلاغة العربية وزبدتها في القرون المتأخرة ،وقد اهتم البلاغيون به فشرحوه ووضعوا عليه الحواشي والتقريرات [1] .

وحظي كتاب « التلخيص » بشروح كثيرة بعد القزويني ووضعت عليه الحواشي والتقريرات ، واختصر ونظم وشرحت أبياته . وكان المشرق سبّاقا الى شرحه والاهتمام به ، وان الشروح التي وصلت أو ذكرت أسماؤها تدل دلالة واضحة على ان الكتاب تداولته الأيدي في بيئة خوارزم وأقصى الشرق العربي قبل أية بيئة أخرى . ولعل شرح محمد بن مظفر الخطيب الخلخالي (ـ ٧٤٥ هـ) المسمى « مفتاح تلخيص المفتاح » أقدمها بعد ايضاح القزويني الذي كان أول شرح للكتاب . وهذه الشروح ليست ذات قيمة كبيرة لأنها كانت صورة واحدة لا يخرج المتأخر عن المتقدم ولا يبعد آخر عن أول في منهجه وعرضه وموضوعاته .

وسارت قافلة الشروح الى البيئة العربية فدخلت العراق والشام ومصر غير أنها لم تنل قبول علماء هذه البيئة ، لأنهم كانوا يجنحون الى تربية الملكة الأدبية ويميلون الى تحكيم الذوق . وقد رسم بهاء الدين السبكي أحسن صورة وأجلاها لهذه الشروح فقال وهو يتحدث عن التلخيص : « لقد وصل الينا من تلك البلاد على التلخيص شروح رحم الله مصنفيها فانهم ماتوا وهم أخيار ، وبيّض وجوههم في الآخرة كما سوّدهم بالمعاني في هذه الدار ، لا

(١) تنظر هذه الشروح والحواشي في كتابنا « القزويني وشروح التلخيص » ص ١٨٦ – ١٨٧ ، وينظر نقد منهج القزويني وبلاغته في الفصل الثامن من هذا البحث .

تنشرح لبعضها الصدور الضيقة ولا تنفتح عندها مغلقة ولا ينقدح فيها زناد مسألة محققة . يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة . ويتناولون المشكل والواضح على اسلوب واحد كلهم قد ألفه لا يخالف المتأخر منهم المتقدم الا بتغيير العبارة ولا يجد له على حل ما أشكل على غيره أو استشكال ما اتضح جسارة ، ولا يطمع أن يذوق ما في الاستدراك من اللذة، ولا تطمح نفسه لأن يقال برز على من سبقه وبذه بل يسري خلف مَنْ تقدمه حتى في الكلمة الفذة ويسير أثره حذو القذّة بالقذّة ، فقصارى أحدهم أن يعزو أبياتا من الشواهد لقائليها ويوسع الدائرة بما لا يقام له وزن من تكميل ناقصها او انشاء ما قبلها وما يليها ، وينشر للراغب مفردات الالفاظ من واقع كلام العرب ويذكر ما لا حرج حتى على مخالفه من اصطلاحات لبعض أهل الادب. ولا يزيد في شرح عبارة المصنف على الايضاح زَيْناً وجد فيه أم شَيناً ، فلو نطق التلخيص لتلا : ما جئتم به « هذه بضاعتنا رُدّتْ الينا » . هذا والشرح يطول والوقت ينفق ولم يكتب لطالب البيان وصول »[1] .

ولا نجد وصفاً أبدع مما قاله السبكي الذي مضى يصف مؤلفيها وما استفرغوا من قوى أفكارهم في تأليفها وقال : « قد استفرغوا في ذلك قوى افكارهم واستوعبوا مدى أعمارهم ، فليت شعري وقد انقضى العمر متى يسبحون في اللجة ويجنحون الى بياض المحجة ؟ أبعد أن يشيب الغراب ويرجع الشباب الحائل أم يصيرون الى ان تعود الى الدنيا القرون الاوائل :

وحتى يؤوبَ القارضانِ كلاهما ويُنْشَرَ في القتلى كُلَيبٌ ووائلُ

وفي أية مدة يصلون الى تلك اللطائف ويحصلون على تلك الحقائق التي طاف بأركانها وبيتها ممن له حجر سليم ومقام كريم كل طائف :

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغمٍ أدنى الى شَرَفٍ من الانسانِ

---

(١) عروس الافراح - شروح التلخيص ج ١ ص ٦ .

فكم من معضلة في الكتاب يمرون عليها وهم عن حلاوة حلها معرضون ؟ ومشكلة يصححون ألفاظها وهم للمعاني ممرضون ؟ وكم أوردوا اسئلة وصارخ من التوفيق يناديهم لو قيل : « ما هكذا تورد يا سعد الابل » ، وكم هتف بطائرهم هاتف من العقل بصوت شجي : « هيهات ما هذا بعشّك فادرجي » وكم عاود النظر في شيء من هذه الشروح على سبيل التنزل مطالع ثم ثنى طرفه وهو يقول : « يا خيبة المطامع » ويحلف صادقاً انها لم تكن تكتب الا بأطراف الاصابع ، هنالك يعلم الطالب ان أملي له فيما أملي عليه وأنه في مهمة ٍ مهمَل ٍ لا يجاب داعيه ولا يلتفت إليه .

فلو أنشدَتْ نعشاً هناك بناتُـــه لمات ولم يسمع لها صوت منشدِ

أي وصف أصدق من هذا الوصف الذي دبّجته يراعة السبكي وليد البيئة العربية ؟ وأي نقد أشد إيلاماً من هذا الكلام الذي سطره أحد شراح التلخيص ؟ ان الباحث في أثر القزويني لتهوله كثرة شروح التلخيص ومتون التلخيصات والحواشي والتقريرات ويحار فلا يدري ماذا يقرأ وماذا يدع . وهذه الكتب كلها لا تخرج عما خطه السكاكي في « مفتاح العلوم » وقرّره القزويني في « التلخيص » و « الايضاح » . ان المنهج واحد والهدف مشترك لا يحيد متأخر عن متقدم ولا يأتي أحدهم الا بما فيه إثقال كاهل البلاغة والنقد . ولقد حاولنا أن نحيط بما خلفته القرون ولكننا شعرنا بعبء ثقيل ، وهالنا ما رأينا من كتب طبعت وأخرى أهملت ، فوقفنا عند بعضها واخترنا شروح السبكي والتفتازاني والسيد الشريف الجرجاني وابن يعقوب المغربي والدسوقي والسيوطي والاسفراييني وعلة ذلك ان كل واحد من هؤلاء المؤلفين يمثل بيئة واتجاهاً وزمانا ، فالسبكي يمثل البيئة العربية في القرن الثامن ، والتفتازاني يمثل البيئة الاعجمية في القرن نفسه ويتبعه الجرجاني والمغربي والدسوقي ممن وضعوا الحواشي والشروح على كتابيه : المختصر والمطول ، ويمثل السيوطي البيئة العربية في القرن العاشر ويمثله الاسفراييني في البيئة الاعجمية .

السبكي :

كان بهاء الدين السبكي (– ٧٧٣ هـ) معجباً بتلخيص القزويني أيمّا اعجاب ويعده من أهم كتب البلاغة وأنفعها ، قال : « فان تلخيص المفتاح في علم البلاغة وتوابعها باجماع من وقف عليه واتفاق من صرف العناية اليه أنفع كتاب في هذا العلم صُنف وأجمع مختصر على مقدار حجمه ألف » [1] . وقد شرح عدة مرات في البيئة المشرقية ووصلت الشروح إلى الشام ومصر واطلع عليها السبكي فلم تعجبه ورأى أن أصحابها يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة ويتناولون المشكل والواضح باسلوب واحد كلهم قد ألفه لا يخالف المتأخر منهم المتقدم الا بتغيير عبارة أو تفسير كلمة أو توجيه رأي . وكان عمل هؤلاء الشراح محفزاً له، قال : « فحداني ذلك على أن أشد جياد الحزم وأمد ركاب العزم إلى شرح للتلخيص يُحيي من هذا العلم الرفات ويدرك منه ما فات ويمتطي من معاليه أقصاها ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة من اعمال مصنفيه الا أحصاها ، ويجمع من شتاته ما تفرق شغر بغر ، ويقيم من شذوره الذهبية ما ذهب أيدي سبأ وتمزق شذر مذر » [2] .

وأراد أن يكون هذا الشرح واسطة بين مفتاح الشرق ومصباح الغرب خلياً من العصبية حرياً بالنسبة إلى مصر فانها بقعة من عند الله مباركة طيبة لا شرقية ولا غربية . فكتابه وليد بيئة مصر التي حباها الله الجمال وبعث في واديها الخصب والبركة وأكسب أهلها رقة وظرفا . وقد وضعه بعد أن اطلع على كتب كثيرة ، قال : « واعلم اني لم اضع هذا الشرح حتى استعنت عليه بنحو من ثلثمائة تصنيف، فانه يتضمن الخلاصة من مائة تصنيف في هذا العلم ، منها ما وقفت على كلام من وقف عليه وقال انه جمع بين طرفيه . واني اختصرت

---

(١) عروس الافراح – شروح التلخيص ج ١ ص ٤ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٨ .

فيه اكثر من خمسين مصنفاً في علم البلاغة وقفت عليها لم اترك منها الا ما هو خارج عن هذا العلم أو قليل الجدوى فيه أو هو في غاية الوضوح او شواهد لا حاجة لها لكثرتها أو ما زاغ البصر عنه أو ما ان تأملته علمت انه فاسد لا نرتضيه » . [1]

وأهم مصادره: البديع لابن المعتز ودلائل الاعجاز لعبدالقاهر ورسالة الرماني في اعجاز القرآن والوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي بن عبد العزيز الجرجاني والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ وسر الفصاحة لابن سنان والعمدة لابن رشيق والعدة في اختصار العمدة للصقلي وكنايات البلغاء لأحمد بن محمد الجرجاني وحلية المحاضرة للحاتمي ومنهاج البلغاء وسراج الادباء لحازم القرطاجني وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ونهاية الايجاز في دراية الاعجاز للرازي والمعيار للزنجاني وقوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادي ومفتاح العلوم للسكاكي وبعض شروحه وروض الأذهان والمصباح لبدر الدين بن مالك والاقصى القريب للتنوخي والمثل السائر والجامع الكبير لابن الاثير والفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد وبديع القرآن وتحرير التحبير لابن ابي الاصبع المصري والطريق إلى الفصاحة لابن النفيس ، وبعض شروح التلخيص والايضاح .

وهذه المصادر تمثل المناهج المختلفة والتيارات المتباينة فمنها ما يميل إلى تحكيم الذوق ومنها ما يجنح إلى القواعد والاخذ باصول المنطق وعلم الكلام . ومن هنا جمع كتاب السبكي بين هذين التيارين ومزج بين البحوث الفلسفية والادبية الذوقية والروح الفنية الصادقة وبين قواعد الاصول والمقاصد المنطقية والكلامية وأضاف ما استخرجه بذهنه ورآه ببصيرته . قال : « ولقد احتوى هذا الشرح بحمد الله تعالى من المباحث التي هي من بنات فكري فلم أسبق اليها ، ومن هبات ذكري فما عثر أحد فيما علمت من أهل هذا الفن عليها ، على جملة لا اعتقد لها عدداً حتى افرغ من عدّ النجوم ولا أعهد لها مدداً سوى

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٩ .

إلهام الحيّ القيوم . وكأيّن فيه من شاهد يرد على هذا العلم ما يدعيه من حق ضائع ويأمن من الاسقاط ، فاني استخرجته بالفكرة وعدلته بتركيبي العقل والنقل عند قاض من التأمل ليست عنده فترة ، وأجلسته في مجالس العلماء فاثبتوا فخره وأطلت البحث عنه ولم أجده في كتاب ولم أسمعه من ذي فطرة . واعلم أني مزجت قواعد هـذا العلم بقواعـد الأصول العربية وجعلت نقع هذا الشرح مقسوماً بين طالبي العلوم الثلاثة ، وأكاد أقول بالسوية . وأضفت اليه من إعراب الآيات فيه ما هو محرر وان كان رقيق الحاشية ومن ضبط ألفاظ أحاديثه النبوية ما كانت خباياه من الجامع الازهر الصحيح في زاوية ، وضمنته شيئاً من القواعد المنطقية والمقاصد الكلامية والحكمة الرياضية أو الطبيعية وأتحفته من فوائد الوالد وتحقيقه ومن فوائد علمه الطارف والتالد »[1] .

وتطالعنا في مطلع الكتاب دعوته إلى الذوق والرجوع اليه في نقد الكلام ، قال : « وأما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم والاذهان التي هي أرق من النسيم وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم ، أكسبهم النيل تلك الحلاوة وأشار اليهم باصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما افنت فيه العلماء فضلا عن الأغمار الاعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار خلف الاستار »[2] ، ولذلك صرفوا هممهم إلى العلوم التي هي نتيجة أو مادة لعلم البيان كاللغة والنحو والحديث وتفسير القرآن .

وكان من المنتظر ان يثور على الدراسات البلاغية في عصره ويصلح منهج دراستها وينقذها مما فيها من مسائل غريبة أقحمت فيها اقحاما ، ولكنه لم يفعل ما فيه النفع العظيم بل نراه يفخر بانه مزج قواعد البلاغة بقواعد الاصول وضمّن كتابه شيئاً من القواعد المنطقية والمقاصد الكلامية والحكمة الرياضية والطبيعية ،

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٦ — ٢٨ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٥ .

وحشر من كلام أبيه مسائل لا تتصل بعلم البيان . ان السبكي وان دعا إلى تحكيم الذوق لم يطبق دعوته ، وأنّى له أن يخرج عن النطاق الذي ضربه « مفتاح العلوم » وتلخيصاته وشروحه على البلاغة ؟ انه لم يخرج عن منهج السكاكي والقزويني وان أضاف كثيراً مما تركاه أو لم يطلعا عليه ، وذكر ما خطر في ذهنه من تحقيقات . ولن يؤمن الباحث في بلاغته كل الايمان بدعوته إلى الذوق بعد ان يقرأ كتابه ويطوف في أبوابه ، لانه كان ينحو منحى عقليا . وقد أسرف في التقسيمات العقلية وملأ كتابه بها ، ومن امثلة ذلك ما ذكره في موضوع الفصل والوصل الذي قسمه إلى انواع كثيرة أوصلها إلى ستمائة ألف وستة عشر ألفا وتسعمائة وستين قسما ، ويمكن تضعيفها بحسب الاصناف إلى ما لا يعلمه إلاّ الله . [1] . ومنها ما ذكره في أغراض الخبر واقسام المجاز العقلي . [2] وهذا ما يجعلنا نؤمن ايماناً قويا بان الرجل خرج عن هدفه وعما ادّعاه من عزوف عن الفلسفة وعلومها وجنوح إلى تحكيم الذوق في البلاغة والنقد .

ولا يخرج منهجه عما اختطه القزويني في « التلخيص » ولكنه لم يقف عند ما رسمه بل ناقش ورجّح وأضاف ، وأفاض في بحث الفصاحة وتكلم على البراعة التي أهملها البلاغيون ، وصحح منهج صاحب التلخيص في موضوعات الخبر ، وسمّى المجاز العقلي مجاز ملابسة ، وأضاف الاستغراق في الاضافة وذكر تحقيقات طريفة في الالتفات ، ونقد القزويني في كثير من الموضوعات وفنّد رأي من يذهب إلى ان البديع يُؤتى به بعد مطابقة الكلام لمقتضى الحال ووضوح الدلالة ، ورأى انه لا يشترط فيه التطبيق ولا الوضوح ، وان كل واحد قد يوجد دون الآخرين. وأوضح دليل على ذلك اننا لا نجدهم في شيء

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٦ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٦ – ٢١٧ ، وص ٢٥٤ .

من أمثلة البيان يتعرضون إلى بيان اشتمال شيء منها على التطبيق ولا نجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والايراد ، بل نجد كثيراً منها خالياً من التشبيه والاستعارة والكناية التي هي طرق علم البيان . [1] .

وقسّم وجوه تحسين الكلام إلى معنوي ولفظي وردّ ما ذكره بدر الدين ابن مالك في « المصباح » من غير ان يصرح باسمه ، قال : « وأورد ان الاقسام ثلاثة ، فان منها ما يرجع اليهما . وقد يجاب عنه بانّ ما يرجع اليهما يدخل في القسمين لانقسامه إلى كل منهما » [2] .

ووقف القزويني بالبديع عند ثلاثين فناً من المعنوي وسبعة من اللفظي ، وذكر بينهما أموراً ملحقة بها يصلح ان تعد أنواعا أُخر ، ونبّه على التداخل في بعضه . وأضاف السبكي أنواعا كثيرة هي : التوقيف ، التسميط ، التغاير ، القسم ، السلب والايجاب ، الاستدراك ، التلفيق ، جمع المختلفة والمؤتلفة ، التوهم ، الاتساع ، سلامة الاختراع من الابتداع ، التوليد ، التوارد ، الالجاء ، التخير ، التنظير ، الاستقصاء ، التشكيك ، البراءة ، التسليم ، الافتنان ، اثبات الشيء للشيء بنفيه عن غيره ، الترديد ، التعطف ، التوسع ، التطريز ، المؤاخاة ، الاستطراد ، الاشارة ، الاقحام ، الانفصال ، البسط ، التتميم ، التوشيح ، التكرار ، المراجعة ، التذييل ، الاعتراض ، المتابعة ، التعريض ، التهكم ، الائتلاف ، الخطاب العام ، التغليب ، اللغز ، الابداع ، الكلام الجامع ، إرسال المثل ، الترقي ، الاقتباس ، المواربة ، الهجاء ، التخيير ، حصر الجزئي في الكلي . وبعض هذه الانواع كالتتميم والتكرار والتذييل والاعتراض والتغليب والخطاب العام أدخلها القزويني في علم المعاني ، ووضع ارسال المثل في مجاز التمثيل ، وتحدث عن الاقتباس في الخاتمة .

وطريقة السبكي في الشرح تختلف عن غيره ، فهو يأخذ جملة أو أول

---

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٨٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٨٥ .

فقرة أو عبارة ثم يتكلم على ذلك الموضوع ذاكراً الاوجه المختلفة في المسألة محققاً ما وسعه التحقيق . أما الآخرون كالتفتازاني والمغربي فطريقتهم تقوم على أخذ الكلمات واحدة واحدة أو جملة وربطها بكلمات أخر كأن يضيفوا مفعولا أو حرف جر ، ثم يعرضون الآراء ويناقشون ان كان ثمة عرض أو نقاش ، ولذلك نجد في « عروس الافراح » أصالة وروحاً أدبية لا نجدها في الشروح الاخرى .

وامتاز بأمور منها : كرهه للفلسفة ، وقد ذكر انه طهّر كتابه من أصولها، قال عن القزويني : « وقد ذكر المصنف في « الايضاح » وجها آخر وذكر انه أشبه باصول الفلاسفة ، وقد قصدت تطهير هذا الكتاب منه »[١] . ولكننا نراه يعتز بانه ضمّن كتابه شيئاً من القواعد المنطقية والمقاصد الكلامية أو الحكمة الرياضية أو الطبيعية ، وهذا قليل اذا قيس بشراح البيئة المشرقية أو المتأخرين . ومن هنا نجده يثور على حكم اليونان ، وهو في ذلك متأثر بوالده الذي كان ينفر من الفلاسفة والمتكلمين[٢] .

وكان اتجاهه علمياً ، فهو يجهر بمزج قواعد البلاغة بقواعد الاصول ، وسيطرت نظرة الاصوليين عليه وذهب إلى ان « علمي اصول الفقه والمعاني في غاية التداخل »[٣] ، وكان يستعين بعلم الاصول في دعم آرائه وتأييدها ، وقد نقل عن الاصوليين بعض آرائهم ومصطلحاتهم ، وأخذ عن الفقهاء رأيهم في الكناية .

ومن خصائص كتابه ربط البلاغة بأصول اللغة وقواعد النحو ، ولعل سبب ذلك ان اطلاعه كان واسعاً في اللغة والنحو فأراد أن يستعين بهما في شرح « التلخيص » ويمزج بين علوم اللغة العربية . وصفوة القول ان السبكي استفاد من العلوم اللغوية والدينية في بحث البلاغة ، وان النزعة الأصولية والاتجاه

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٨ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢ .
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٥٣ .

اللغوي والنحوي غلبت على القسم الاول من بلاغته ، وان النزعة البيانية والادبية سيطرت على القسم الثاني منه . وعلة ذلك ان القسم الاول في علم المعاني وهو مبني على النحو أو هو توخي معاني النحو ، وان القسم الثاني في البيان والبديع ، وهو قائم على الصورة والخيال .

وللسبكي آراء وتوجيهات كثيرة جعلت له شخصية متميزة عن الشراح الآخرين ، ومن آرائه تعميمه الفصل والوصل في الجمل والمفردات وإجراء كل صور الجمل في المفردات ، واعتباره احكامهما فيما يخص الاحوال البلاغية اللغوية واعتباره الايجاز والاطناب فيما يعم الحروف . ومنها التفاتاته في بحث المسند اليه والتعريف بالموصولية واسم الاشارة ، ثم تحقيقاته في الالتفات فقد وجد ان معظم مَنْ بحثه لم يوضح العبارة عن حقيقته وربما توهم قوم انه لفظي وربما أشكل التمييز بين حقيقته وحقيقة التجريد وحقيقة وضع الظاهر موضع المضمر وعكسه ، ثم في كونه حقيقة أو مجازاً ، وأثبت ان النقل في هذا الفن معنوي لا لفظي وفرّق بينه وبين التجريد وذكر ان بينهما عموماً وخصوصا من وجه فيوجد التجريد دون الالتفات ويوجد الالتفات دون التجريد ، واستدرك على القزويني عدة اساليب لهذا الفن.وتحدث عن التشبيه المجمل الذي أغفله القزويني ، وذكر عدة مراتب للتشبيه ، وفصّل القول في تفاوت الاستعارة ، وأضاف فنوناً بديعية إلى ما ذكره القزويني [1] ، وبذلك كان السبكي علماً من أعلام البلاغة في عصره .

التفتازاني :

لم تحتضن بيئة مصر العربية وحدها « مفتاح العلوم » وتلخيصه وانما احتضنته بيئة السكاكي ومناطق فارس وما وراء النهر ، وكان فيها كثير من العلماء

---

(١) تنظر آراء السبكي في كتابنا « القزويني وشروح التلخيص » ص ٥٤٠ – ٥٦٩ .

الذين شرحوه أو شرحوا تلخيصه كسعد الدين مسعود بن عمر المشهور بالتفتازاني (– ٧٩٢ هـ) الذي قال عنه ابن خلدون وهو يتحدث عن الحضارة في تلك الاقاليم : « وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها ، فلهم بذلك حصة من العلوم والصنائع لا تنكر ، وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم من تآليف وصلت الينا إلى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني .

وأما غيره من العجم فلم نَرَ لهم من بعد الامام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاماً يعول على نهايته في الاصابة »(١) .

وللتفتازاني شرح القسم الثالث من « مفتاح العلوم » وشرحا التلخيص : المطول والمختصر ، وهما من خيرة الكتب التي تمثل البيئة المشرقية . فحينما كان في جرجانية لمعت في خاطره فكرة شرح تلخيص المفتاح ، لانه وجده مختصراً جامعاً لغرر أصول هذا الفن وقواعده حاوياً لنكت مسائله وعوائده محتوياً على حقائق هي لباب آراء المتقدمين منطوياً على دقائق هي نتائج أفكار المتأخرين مائلاً عن غاية الاطناب ونظرية الايجاز لائحاً عليه مخايل السحر ودلائل الاعجاز :

ففي كلِ لفظٍ منه روضٌ من المنى
وفي كلِّ سطرٍ منه عقْدٌ من الدُّرِّ(٢)

وانكبَّ على شرحه ساهراً الليالي متجرعاً غصص العيش حتى أناخ بهراة وفيها تهيأ له الفراغ من نقل الشرح إلى البياض في صفر سنة ٧٤٨ هـ ، وكان الافتتاح يوم الثاني من رمضان سنة ٧٤٢ هـ بجرجانية خوارزم . وهذا هو الشرح المطول الذي قال فيه : « وبذلت الجهد في مراجعة الفضلاء المشار اليهم بالبنان

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .
(٢) المطول ص ٣ .

وممارسة الكتب المصنفة في فن البيان لا سيما « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة» فلقد تناهيت في تصفحهما غاية الوسع والطاقة ثم جمعت لشرح هذا الكتاب ما يذلل صعاب عويصاته الادبية ويسهل طريقة الوصول إلى ذخائر كنوزه المخفية وأودعته فرائد نفيسة وشحت بها كتب القدماء وفوائد شريفة سمحت بها أذهان الاذكياء وغرائب نكت اهتديت اليها بنور التوفيق ولطائف قد اتخذتها من حين التحقيق وتمسكت في دفع اعتراضاته بذيل العدل والانصاف وتجنبت في رد ما أورد عليه مذهب البغي والاعتساف واشرت إلى حل أكثر غوامض « المفتاح » و « الايضاح » ونبّهت على بعض ما وقع من التسامح للفاضل العلامة في شرح « المفتاح » وأومأت إلى مواضع زلت فيها أقدام الآخذين في هذه الصناعة واغمضت عما وقع لبعض متعاطي هذا الكتاب من غير بضاعة ورفضت التأسي بجماعة حظروا تحقيق الواجبات وما فرضت على نفسي سننهم في تطويل الواضحات »[١] .

وألحَّ عليه كثير من الفضلاء أن يختصره ويقتصر على بيان معانيه وكشف أستاره، فوضع كتابا آخر هو الشرح المختصر على التلخيص أو الشرح الصغير ، وانتهى منه في غجدوان سنة ٧٥٦ هـ واهداه إلى ابي المظفر السلطان محمود جاني بك خان .[٢] .

ولا يخرج الشرحان عما اختطه السكاكي ورسمه القزويني ، وقد اتبع السعد فيهما خطة الشراح الآخرين وذلك بان يأخذ الكلمة أو العبارة ويشرحها، وقد يخرج عن الشرح فيرد رأياً أو يقبل غيره . واسلوبه في الكتابين تشوبه العجمة ، وتُفقده الطلاوةَ المصطلحاتُ الفلسفية والنظرات المنطقية والعبارات الكلامية . ولم يستطع ان ينجو من سيطرة النزعة العقلية ، وقد فسح المجال لها لتفسد البلاغة وتجور عليها ، والا فأي فائدة للبلاغي في قوله : « والحركة عند

---

(١) المطول ص ٤ .

(٢) المختصر – شروح التلخيص ج ١ ص ٣٠ .

المتكلمين حصول الجسم في مكان بعد حصوله في مكان آخر ، أعني انها عبارة عن مجموع الحصولين وهذا مختص بالحركة الأينية . وعند الحكماء هو الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج »[1] . ومثل هذه العبارات كثير ، ولا غرابة في ذلك فقد كان راسخ القدم في علم الكلام واصول الفقه ، قال ابن خلدون : « ولقد وقفت بمصر على تآليف متعددة لرجل من عظماء هراة من بلاد خراسان يشهر بسعد الدين التفتازاني منها في علم الكلام وأصول الفقه والبيان تشهد له ملكة راسخة في هذه العلوم وفي أثنائها ما يدل على ان له اطلاعاً على العلوم الحكمية وقدماً عالية في سائر الفنون العقلية »[2] .

ولم يقتصر في الشرح على « مفتاح العلوم » وتلخيصه ، وانما اعتمد على آراء المتقدمين من علماء العربية كالمبرد والمرزوقي وعبد القاهر والزمخشري والرازي وابن سينا وابن الاثير ورجح آراءهم في بعض الاحيان . وكانت له التفاتات وتوجيهات منها ما يتصل بالفصاحة كخلوص اللفظ من الكراهية في السمع وكثرة التكرار والاضافات ، وكان يحيل في ذلك إلى الطبع فما يعده الذوق نافراً أو غريباً أو وحشياً يكون مخلا بالفصاحة . ولم يأخذ بتعريف القزويني لعلم المعاني وفضّل عليه تعريف السكاكي وقال انه اكثر دقة وضبطا ، ولم يعجب بتقسيمه لمباحثه ولذلك قال : « هذا كله ظاهر ، لكن لا طائل تحته لأن جميع ما ذكر من القصر والوصل والفصل والايجاز ومقابليه انما هي من احوال الجملة أو المسند اليه أو المسند ، فالذي يهمه أنْ يبيّن سبب إفراد هذه الاحوال عما سبق وجعل كل منها باباً برأسه ، والا فنقول : كل من المسند والمسند اليه مقدم أو مؤخر ، معرف أو منكر إلى غير ذلك من الاحوال ، فلم لم يجعل كل هذه الاحوال بابا على حدة ؟ ومن رام تقدير هذا بالترديد بين النفي والاثبات ففساد كلامه أكثر ، وأظهر فالاقرب ان يقال : اللفظ إما

(١) المطول ص ٣١٦ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨١ .

مفرد أو جملة فأحوال الجملة هي الباب الاول ، والمفرد اما عمدة أو فضلة ، والعمدة المسند اليه أو المسند ، فجعل هذه الاحوال الثلاثة أبوابا ثلاثة تمييزاً بين الفضلة والعمدة المسند اليه أو المسند . ثم لما كان من هذه الاحوال حالة مزيد غموض وكثرة أبحاث وتعدد طرق وهو القصر أفرد باباً خامسا، وكذا احوال الجملة ما له مزيد شرف ولهم به زيادة اهتمام وهو الفصل والوصل فجعل بابا سادسا والا فهو من احوال الجملة ، ولذا لم يقل أحوال القصر واحوال الفصل والوصل . ولما كان من الاحوال ما لا يختص مفرداً ولا جملة بل يجري فيهما ، وكان له شيوع وتفاريع كثيرة جعل بابا سابعاً ، وهذه كلها أحوال يشترك فيها الخبر والانشاء . ولما كان ههنا أبحاث راجعة إلى الانشاء خاصة جعل الانشاء بابا ثامنا فانحصر في ثمانية أبواب » [1] . ولا يرى ما يراه القزويني في المجاز العقلي وانما هو من علم البيان، وله التفاتة حسنة في علم البيان، ذلك ان الدلالات لا تتصل به ولا تؤثر فيه ، قال : «هذا هو الكلام في شرح علم البيان على ما اخترعه السكاكي ، وأنت خبير بما فيه من الاضطرابات والأقرب ان يقال : علم البيان علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات إلى الابحاث التي أوردها في صدر هذا الفن » [2] . ولذلك انتقد السكاكي ومَنْ سار على منهجه في التقسيم والتبويب ، وقال وهو يتحدث عن وجه الشبه واقسامه : « واعلم ان امثال هذه التقسيمات التي لا تتفرع على أحكام متفاوتة قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين . فلله در الامام عبد القاهر واحاطته باسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء فانه لم يزد في هذا المقام على التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها » [3] .

وليس في بحثه للبديع جديد ، غير انه أضاف ثلاثة أقسام إلى ردّ العجز

(١) المطول ص ٣٧ – ٣٨ .
(٢) المطول ص ٣١٩ .
(٣) المطول ص ٣١٩ .

على الصدر ، وذكر بعض ما تركه القزويني كالتحسين في الخط والموصل والمقطع والخيفاء والرقطاء والحذف والترديد والتعديد أو سياق الاعداد والابضاح وحسن البيان .

الجرجاني :

أثار التفتازاني حركة قوية في التأليف وكان من معاصريه في بيئته علي بن محمد بن علي السيد أبو الحسن الحسيني الجرجاني الاسترابادي الشهير بالسيد الشريف (— ٨١٦ هـ) ، وكان محباً له ، وكتب حاشية على شرحه المطول ، وكان في « مبادىء التأليف يغوص في بحار تحقيقه وتحريره ويلتقط الدرر من تدقيقه وتسطيره ويعترف برفعة شأنه وجلالته وقدر فضله وعلو مقامه » .[١] ولكنه خاصمه وناوأه وجرت بينهما مناقشة عنيفة في بلاط تيمورلنك سنة٧٩١هـ وكان مقدما عنده ولكن تيمور كان يرجح السيد ويقول : « لو فرضنا انهما سيان في الاصل والعرفان فللسيد شرف النسب » .[٢] وهذا مما شجّع السيد وقوّاه على السعد ، وأول مناظرة جرت بينهما في مسألة كون ارادة الانتقام سبباً للغضب أو الغضب سبباً لارادة الانتقام . فالسعد يقول بالاول والسيد يقول بالثاني ، واختلف الناس في عصرهما وفيما بعده من العصور فيمن المحقّ منهما ، وذهب الشيخ منصور الكازروني إلى ان الحق في جانب السيد[٣] . وجرى بينهما بحث في اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية في كلام الزمخشري في قوله تعالى : « أولئك على هُدًى من ربّهم » وكان الحكم بينهما نعمان الدين الخوارزمي المعتزلي فرجّح السيد واشتهر عند الخواص والعوام غلبة السيد بالإفحام فاغتمّ لذلك السعد ، ولم يبق بعد هذه الواقعة الا قليلا ، ومات بسمرقند

---

(١) الفوائد البهية ص ١٣٦ .
(٢) الفوائد البهية ص ١٣٨ .
(٣) الفوائد البهية ص ١٢٩ — ١٣٠ .

سنة ٧٩٢ [١] . وكتبت عن هذه المناظرة بحوث بقي اثنان منها محفوظان في دار الكتب بالقاهرة هما « مسالك الخلاص في مهالك الخواص » لطاشكبري زادة ، و « رسالة في تحقيق الاستعارة التمثيلية » ونقل ما جرى فيها من البحث بين السعد والسيد الشريف .

وللشريف الجرجاني كتابان في البلاغة هما « شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم » و « حاشية على الشرح المطول على التلخيص » انتقد فيهما مواضع كثيرة من كلام السعد ،ولكن انتقاداته ليست بذات قيمة كبيرة . وقد أحسن القول محمد الكافيجي حينما قال : « ان السيد وقطب الدين الرازي التحتاني لم يذوقا علم العربية بل كانا حكيمين » [٢] . ولا نؤيد بعد أن درسنا حاشيته ما ذهب اليه طاشكبري زادة حينما قال معلقاً على كلام الكافيجي : « هذا الكلام خروج عن الانصاف ولا يلزم من عدم انفرادهما بعلم العربية ومشاركتهما لسائر العلوم عدم معرفتهما . فانظر بالانصاف تجد في تصانيفهما مباحث تتعلق بالعربية قد عجز عنها القدماء من أرباب العلوم العربية » وانما نرى ما رآه الكافيجي .

وضع السيد حاشيته على الشرح المطول ليوضح مقاصده وينبّه على مزاله ، قال : « وبعد فهذه حواشٍ على الشرح المشهور لتلخيص المفتاح كنت قد قيدتّها عليه مجملة حالما قرأه عليّ بعض أحبتي فسألوني بعد أمدٍ أن أفصّلها وأنقدها ففعلت مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه فجاءت بحمد الله تعالى مشتملة على فوائد منها ما هو توضيح لمقاصده وتنقيح لدلائله ، ومنها ما هو تنبيه على مزاله وتبيين لوجوه اختلاله ، ومنها ما هو نكتة متعلقة بذلك المقام وان لم يكن مما يساق اليه الكلام . وعساك اذا تأملت فيها متمسكاً بذيل الانصاف ومتجنباً عن ذلك مسلك الاعتساف ظفرت بما تستعين به على تحقيق أصول من البلاغة

---

(١) مفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٧ .

(٢) مفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٧ .

في مواضع شتى وتتسلق به الى فروعها كما تحب وترضى ، وانكشفت لك مطالب جليلة من عبارات القوم قد زلّ عنها أذهان أقوام تاهوا فيها خصوصا في مباحث التعريفات وتحقيق أقسام الوضع ومعنى الحرف وأنواع الدلالات وفي الكشف عن زبدة التعريض وحقائق الاستعارات »[1] .

واذا حققنا في هذه المسائل التي أشار اليها رأيناه يفي بوعده في تحديد التعريفات وضبطها ، أما تحقيقاته فلا قيمة لها وهي لا تخرج عما ذكره السكاكي والقزويني والتفتازاني وان خالفهم احيانا . ولعل أحسن ما ذكر في الحاشية قوله عن البحث في اللذة والالم في باب التشبيه ، قال : « تعريف اللذة والألم بما ذكره منقول عن الاشارات ولا يخفى عليك ان إيراد أمثال هذه التحقيقات في أمثال هذه المقامات مما لا يجدي للمتعلم نفعاً بل ربما زاد حيرة في تفاصيل هذه المعاني ودقائق العبارات . فالأولى بحال هذه العلوم ان يقتصر على الامور العرفية وما يقرب منها . ولعل ذلك افتخار منه باطلاعه على العلوم العقلية وما ذكر فيها من التدقيقات »[2] .

المغربي :

ألّف ابن يعقوب المغربي (ـ ١١١٠ هـ) من أهل مكناسة شرحا على مختصر التفتازاني سماه « مواهب الفتاح في شرح المفتاح » وكان وضعه بطلب واشارة من مولاي محمد بن اسماعيل بعد أن رأى في الشرح المختصر غموضاً ، قال وهو يتحدث عن التلخيص : « ثم ان الامام سعد الدين ـ رحمه‌الله‌تعالى ـ ممن صرف عنان العناية لشرح معانيه وتصدّى لاستخراج لطائف مبانيه فوضع عليه مختصرا ، ومطولا ، وكان المختصر من الشرحين لمتعاطيه ملجأ ومعولا .

(١) حاشية السيد الشريف ـ المطول ص ٣ ـ ٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٣١٤ .

ولما وقفت بعون الله تعالى لقراءة ذلك الشرح مررت منه على غوامض ربما تعتاص على بعض الافهام ، ومحالّ كثيرة تفتقر لا محالة الى مزيد من الكلام ، وأكثرها لا يكفي فيه ما في المطول ، بل يحتاج الى خارج عما في ذلك الشرح من بيان أو زيادة بها يتكمل فرأيت أن أضع عليه شرحاً يكون لذلك المختصر مجارياً لقصد بيان عويصه مع زيادة فوائد وأبحاث تتعلق بالحل تكميلا لتحقيقه وتلخيصه فيكون للمتن شرحا وللشرح بسطا وفتحا »[1] . وكان الفراغ من تأليفه بمكناسة سنة ١١٠٨ هـ .

والمغربي في هذا الشرح يقتفي أثر السعد ولا يحيد عن منهج السكاكي ، وله بعض الآراء والردود المتناثرة في شرحه الضخم، ولعل أهم ما فيه مناقشته للتقسيم الذي سار عليه البلاغيون ، فقد خالفهم في الاعتبار الذي بنوا عليه ترتيب المعاني والبيان والبديع ، ورأى ان البيان جزء من المعاني لأنه داخل في مطابقة مقتضى الحال . وهذه التفاتة حسنة ولكنه لم يطبقها أو يؤلف كتابا ينهج فيه نهجاً جديدا . ومن بحوثه الطريفة فصل الايجاز والاطناب الذي أضاف فيه زيادات لم يذكرها القزويني ، وأهمها البحث في النسبة بين أنواع الاطناب ، وقد أجاد فيها ووقف طويلا عند بعض الموضوعات وشرح وجهات النظر المختلفة وعلل بعضها تعليلاً فلسفياً محضا ، واعتذرعن اطالته بقوله : « وقد أطنبت هنا لما في المحل من الحاجة الى مزيد تدقيق وبسط فليتأمل » ، وناقش تعريف الحقيقة وذكر أن كثيراً من تعريفاتها فاسد[2] .

ومن التفاتاته ذهابه الى ان الاستعارة يمكن أن تكون مجازا مرسلا ، واجادته في تحقيق الاستعارة التبعية ، والاستعارة المكنية والتخييلية[3] .

وكان الطابع اللغوي يسيطر على كتابه ، فهو يشرح الكلمات ويبين

---

(١) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ١ ص ٤ – ٥ .
(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٨ وما بعدها .
(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٦ ، ١١٢ – ١١٣ .

اشتقاقاتها وما فيها من آراء ، وقد استطاع بما أوتي من سعة الاطلاع وتذوق للبلاغة ان يؤلف كتابه بروح جديدة فيها تحديد القزويني وتقسيماته وفيها النظرة الادبية التي تنبه الى ما في كلام المتأخرين من خلط واضطراب .

الدسوقي :

وجاء أخيرا محمد بن عرفة الدسوقي (— ١٢٣٠ هـ) ووضع حاشية على مختصر السعد ذكر فيها فوائد شريفة وتقييدات لطيفة أخذها من تقارير شيوخه المحققين كالعدوي والشهاب الملوي وعطية الاجهوري والحفني واللقاني وغيرهم من المذكورين في حاشيته ، ومن زبد أرباب الحواشي والشارحين . ونقل عن ابن يعقوب المغربي وعصام الدين صاحب « الأطوال » وكان الانتهاء منها في يوم الجمعة لثمانية وعشرين من شهر شوال سنة ١٢١٠ هـ .

وطريقته أن يأخذ العبارة ويشرح مفرداتها ويذكر القياسي والسماعي منها وما فيها من اختلافات ، ثم يعرب الجملة ويبيّن ما في العبارة من فنون بلاغية . وأوضح مثال على ذلك شرحه « البسملة » وهو مما لا نجده عند السعد والسيد الشريف والسبكي ، فقد طبق عليها فنون البلاغة الثلاثة وبين ما فيها من مجاز واستعارة ومذهب كلامي والتفات وادماج واستخدام . قال في أول كتابه : « ينبغي التكلم على هذه الجملة بما يتعلق بها من الفنون الثلاثة التي صنف فيها هذا الكتاب كما هو اللائق بالشارع في كل فن لما قيل ان ترك الكلام عليها اما تقصير أو قصور »[1] .

ولا تقف أهمية الحاشية عند البحوث اللغوية والبلاغية وانما تعداها مؤلفها الى غيرها ففيها تعريف بالكتب ومباحث تأريخية وتراجم للشعراء وتحقيقات

---

(١) حاشية الدسوقي — شروح التلخيص ج ١ ص ٢ — ٣ .

للمدن والاماكن [١] . وكان كثير العناية بتكملة الابيات وذكر عروضها ووزنها ، وبالقصص والحوادث التأريخية والادبية [٢] . ولا نجد ذلك في شرح أو حاشية أخرى ، ومن هنا كانت لحاشيته أهمية لغوية وتأريخية وأدبية الى جانب قيمتها البلاغية .

أما البحوث البلاغية فلعل أهمها بحث المعاني المجازية التي ذكرها البلاغيون في علمي المعاني والبيان أو التي أهملوها ولم يتكلموا عليها . فقد اعتبر من المجاز المرسل الخروج في النداء الى الاستعانة والاختصاص ، وخروج النهي الى الدعاء والالتماس والتهديد والخروج في الامر الى الدعاء والالتماس والتمني والتسوية والتحقير والاهانة والتسخير والتهديد والاباحة ، وخروج الاستفهام الى التهويل ، والتحقير والهزء والسخرية والانكار وغيرها من أغراض الخبر والانشاء [٣] ، وبذلك وسّع مفهومه وأدخل فيه ما كان مبعثراً في علمي المعاني والبديع . وكان السعد قد أشار الى ذلك فقال متحدثاً عن أدوات الاستفهام : « كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن . وتحقيق كيفية هذا المجاز انه من أي نوع من أنواعه مما لم يَحُمْ أحد حوله » [٤] . ومن أجل ذلك نرى الدسوقي يذهب الى ان مباحث الأمر والاستفهام ليست من فن المعاني وليس منه الا نكات العدول من الحقيقة الى التجوز بالامر والاستفهام [٥] . قال عن التهويل في الاستفهام : « استعمال أداة الاستفهام في التهويل مجاز مرسل علاقته المسببة ، لانه أطلق اسم المسبب وأريد السبب ، لان الاستفهام

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٩٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٤٥٢ ، وج ٢ ص ٢٨ ، ٧٢ — ٧٣ .

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ١٧٤ ، ج ٤ ص ١٥٣ — ١٥٤ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٧ — ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، وما بعدها .

(٤) المطول ص ٢٣٥ .

(٥) حاشية الدسوقي — شروح التلخيص ج ٢ ص ٣١٢ — ٣١٣ .

عن الشيء مسبب عن الجهل به ، والجهل مسبب عن كونه هائلاً ، لان الأمر الهائل من شأنه عدم الادراك حقيقة أو ادعاءا »[1] . وبذلك أبعد البلاغة عن النحو قليلا ، وجعل لمباحثها رونقا .

والدسوقي في بلاغته يوافق القزويني تارة ويعارضه او يرد آراءه تارة أخرى . ومن تأييده له اعتبار البديع مستقلاً مع أن القدماء لم ينظروا اليه هذه النظرة ، قال : « وأجيب بأن الحق مع المصنف في عده له علماً، اذ البديع له موضوع يتميز به عن موضوع علم البلاغة بالحيثية المعتبرة في موضوعات العلوم وليس له غاية أيضا ، فجعله علماً مستقلاً من العلوم الادبية أوجه»[2] . وخالفه في تقسيم مباحث علم المعاني وأشار الى إهماله أموراً كثيرة من خلاف مقتضى الظاهر واهماله أحد أنواع المجاز المرسل وهو اسم الكلي اذا استعمل في الجزئي[3] .

هذا هو التفتازاني وهذه أهم الشروح والحواشي على كتابيه ، ويتضح لنا ان البيئة العربية حولتهما الى مادة صالحة لدراسة البلاغة بعد أن كان الغموض يلفهما ، والجنوح الى الفلسفة وعلم المنطق والكلام يوجههما ويرسم لهما الطريق .

الاسفراييني :

لم يكن السعد آخر من شرح التلخيص في البيئة الأعجمية وانما سار على منهجه آخرون كانت لهم جولات في هذا الميدان ، ومنهم ابراهيم بن محمد بن

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠٥ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٤٩ .
(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٧ .

عربشاه عصام الدين الاسفراييني (— ٩٥١ هـ) صاحب الشرح « الأطول » على التلخيص .

وقد ألّفه بعد أن اطلع على شرح السعد وحاشية السيد الشريف وكتب عبدالقاهر والزمخشري وابن الاثير. وكان اهتمامه بآراء السعد والسيد واضحا، وقد استفاد من آرائهما وأيّد بعضها وردّ البعض الآخر . وتتجلى في هذا الشرح العقلية المعتمدة على الفلسفة والمنطق ، فبعد ان رأينا السبكي يمزج الأدب بالاصول والفلسفة نجد الاسفراييني يبتعد ابتعاداً كبيراً عن النزعة الأدبية ويسرف اسرافا عظيما في التمحلات والتأويلات ، ويدخل ما لا قيمة له في البلاغة ، من ذلك دعاؤه في مطلع كل علم من علومها ، قال في علم المعاني : « ولما فرغنا من شرح المقدمة وحان الشروع في علم المعاني أقول متضرعا متذللاً سائلا الالهام الرباني : إلهي نعوذ بك عن الملاهي ونلوذ بأوامرك في الاجتناب عن المناهي ونسألك التمتع بأسرار المثاني وفهم معانيه الأول والثواني واحراز ما وعدته بقراءة كل حرف من حروف المباني ، ونبتهل اليك في التخصيص بفهم مزايا أودعتها فيها للخواص وبالعمل بما يعرف عنها الاجتهاد مقرونا بكمال الاخلاص ، ونطلب منك التوفيق لتحقيق اسناد جميع الكائنات اليك في كل حال ولضبط كل مسند الى خير مسند اليه نبيّ الرحمة من الافعال والاقوال ومفازا بمراتب عليه هي متعلقات الافعال والاعمال ، ونرجو منك قصر أنظارنا على انشاء ما يوجب الوصل الى موجبات معرفتك والفصل عما يوجب خفة موازيننا بل مساواتها والانقطاع عن مغفرتك، الهي اغننا بايجاز جوامع الكلم في المسألة في الاطناب ، والهمنا رشدنا واهدنا الصراط المستقيم في جميع الابواب »[1] . لقد ذكر عصام الدين في هذا الابتهال موضوعات علم المعاني ، وهو حصر ليس بكبير قيمة في الدراسات البلاغية . وقال في مطلع علم البيان : « إلهي هب لنا معرفة واحد تعدد فيه بطرق مختلفة واضحة الدلالة متباعدة عن

(١) الاطول ج ١ ص ٣٨ .

التشبيه والتمويه ، ونجّنا بظهور الحقيقة عن الاطمئنان بالمجاز ، ونجّنا بايضاح كنايات البيان وتلخيصها عما يحول بيننا وبين المجاز ، واجعل وجوداتنا المستعارة قرائن البقاء في الزلفى ، ووفقنا للتيمن بسم الله الرحيم من الاسماء الحسنى »[1] . ولا نجد هذا الكلام في الشروح الاخرى وكأنه أراد أن يقيد موضوعات كل علم من علوم البلاغة بهذه الابتهالات التي يسهل حفظها .

ومما نراه واضحاً في الشرح الأطول اعتماده على النصوص الفارسية في توضيح بعض القواعد البلاغية ، وركة عباراته والاخطاء اللغوية والنحوية التي أضفت عليها تعقيداً واغرابا . وفيه الى جانب ذلك اشارات مفيدة من أهمها ما يتعلق بخروج الاستفهام والامر الى المعاني المجازية ، وقد رأى ان الخروج لا يجوز الا « لمعرفة القرائن والعلاقات اذ لو فات شيء منهما خرج استعمالك من حيز اللطف والسداد الى مزلقة العنف والفساد »[2] . وله بعض التحقيقات في اشتقاق القصر ومباحث الفصل والوصل والإطناب . ولعل أهم ما يلفت النظر رأيه في الاستعارة المكنية ، فهي عنده استعارة مقلوبة مبنية على التشبيه المقلوب لكمال المبالغة فيه ، فهي أبلغ من التصريحية ، فكما ان قولنا « ان السبع كالمنية » تشبيه مقلوب يعود الغرض منه الى المشبه به ، كذلك « أنشبت المنية أظفارها » استعارة مقلوبة استعير بعد تشبيه السبع بالمنية للسبع الادعائي ، وأريد بالمنية معناها بعد جعلها تنبيهاً على أن المنية بلغت في الاغتيال مرتبة ينبغي أن يستعير السبع عنها اسمها دون العكس[3] .

وكان الاسفراييني معجباً بالقزويني ، ولكنه لم يسلم منه ، فقد نقده وفنّد بعض آرائه وفضّل عليها أحيانا آراء الزمخشري أو السكاكي أو التفتازاني أو السيد الشريف .

---

(١) الاطول ج ٢ ص ٥٠ .
(٢) الاطول ج ١ ص ٢٤٣ .
(٣) الاطول ج ٢ ص ١٤٩ — ١٥٠ .

السيوطي :

ومن الذين اهتموا بالتلخيص عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (— ٩١١هـ) الذي قال عن نفسه : « ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة » [١] .

وله في البلاغة « نكت على التلخيص » سماه « الافصاح » و « عقود الجمان في علم المعاني والبيان » وشرحه ، و « شرح أبيات تلخيص المفتاح » ومختصره ، و « نكت على حاشية المطول » للفنري ، و « حاشية على المختصر » والبديعية المسماة « نظم البديع في مدح خير شفيع » ، ومطلعها :

براعـــةُ العين في استهلالِها بدمِ   من العقيق ومن تذكارِ ذي سَلَمِ

وله شرح عليها . وهو في هذه الكتب ينحو منحى القزويني من غير ان يضيف شيئا الى البلاغة . وقد بحث في كتابه « المزهر » الفصاحة والحذف والاختصار والحقيقة والمجاز والاستعارة والعام والخاص [٢] . وتكلم على علوم البلاغة بايجاز في كتاب « النقاية » وشرحها « اتمام الدراية لقراء النقاية » . وهو في هذين الكتابين وغيرهما يتّجه اتجاه القزويني في العرض والتقسيم والامثلة ، ولعل بحثه لبعض موضوعات البلاغة في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » كان أحسن منه في كتبه الاخرى لانه تحرر قليلا من سيطرة منهج القزويني حينما تكلم على الحقيقة والمجازوالتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض والخبروالانشاء. وعلّة ذلك انه لم يكن يبحث في البلاغة حينما ألف « الاتقان » وانما كان يؤلف كتاباً في علوم القرآن ، وبذلك ابتعد عن منهج السكاكي والقزويني وانصرف الى ما في كتاب الله العزيز من علوم وفنون .

---

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠ .

(٢) المزهر ج ١ ص ١٨٤ — ١٩٧ — ٣٣١ — ٣٤٥ .

وكان كتابه « شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان » أقرب كتبه الى بلاغة القزويني ، لانه شرح لأرجوزته « عقود الجمان » التي نظم فيها التلخيص. وأولها :

وهذه أرجوزةٌ مثل الجمان ضمّنْتُها علمَ المعاني والبيان
لخّصْتُ فيها ما حوى التلخيصُ معْ ضمّ زياداتٍ كأمثال اللّمعْ
ما بين إصلاحٍ لما ينتقدُ وذكرِ أشياء لها يُعْتَمَدُ
وضمّ ما فرّقه المشبّه والله ربي أسأل النفع به
وان يزكي عملي ويعرضا عن سؤله وأن ينيلنا الرضى

ورتّب موضوعات البلاغة كما ذكرها القزويني في التلخيص ، ورأى ان هذه الارجوزة لا تغني عن التفصيل فوضع كتابه « شرح عقود الجمان » أوضح فيه ما غمض وأشار الى الآراء المختلفة ، وختم بحث البديع ببديعية ابن حجة الحموي ليكون كل بيت منها على تسمية النوع الذي منه على سبيل التورية :

وليس في هذا الكتاب آراء جديدة والتفاتات نقدية ذات قيمة ، وانما هو تكرار لآراء السابقين وايضاح لاقوال القزويني .

هذه أهم شروح التلخيص ، وقد رأينا ان كتاب القزويني كان ميداناً رحباً للمؤلفين جربوا في شرحه أقلامهم وقدحوا أذهانهم في فهم عباراته وربط جملة بجملة وتعلق حرف بحرف ، وانه كان دافعاً الى الشرح والتحشية . واصبحت البلاغة في القرن السابع والقرن الثامن والقرن التاسع متناً هو التلخيص وشرحاً عليه ، وفي العاشر والحادي عشر والثاني عشر حواشي على الشروح ، وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر تقريرات على الحواشي ، وهي حلقات مفرغة ليس فيها جديد . ولعلّ الذي وجّه البلاغة هذه الوجهة أمران :

الاول : موت الملكات الادبية والمواهب بسبب ما أصاب الحياة من تدهور وما نال الثقافة من جمود .

الثاني : ان معظم هؤلاء الشراح والمقررين كانوا معلمين يجلسون الى طلابهم يشرحون لهم علوم العربية ، ولم تكن طريقتهم في التدريس يومذاك الا قراءة المتن والتعليق عليه .

وهذه الشروح تزخر بقضايا الفلسفة والمنطق والاصول ، ولا نجد النقد السليم والذوق المدرك والاحساس المرهف إلا في بعضها كشرح السبكي الذي كان مزيجاً لبقاً من البحوث الادبية والفلسفية والاصولية . ويرى الدكتور شوقي ضيف « ان من يطيل النظر في هذه الشروح والتفاسير تفسد ملكته ، ويفسد ذوقه الأدبي ، ويفقد كل قدرة على المتعة بروائع الشعر والنثر وتبيّن ما فيها من حسن وجمال »[1] ، وذلك لما فيها من غريب لا يمتّ الى البلاغة بصلة .

ولهذه الشروح والحواشي والتقريرات قيمة نحوية، فكثيرا ما نجد الآراء المختلفة في المسألة الواحدة لنحاة ضاعت كتب بعضهم ، ونجد هذه الظاهرة واضحة في كتاب « عروس الافراح » الذي جمع فيه مؤلفه كثيراً من آراء النحـاة .

وللشروح عامة أهمية كبيرة في دراسة النحو بمعناه الواسع ، لأن بحثها لعلم المعاني كان مفصلا، ويمكن الاستفادة منها في موضوعات الحذف والذكر، والتقديم والتأخير والقصر ، والفصل والوصل ، وبذلك نعيد للنحو اعتباره . وفيها الى جانب ذلك معلومات تأريخية وأدبية ، وهي بالتالي تفتح الذهن على مسائل كثيرة وتعوّده على التفكير العميق والتأمل والجدل القائم على المنطق السليم .

واذا ما أردنا ان نحكم على الشروح فان « عروس الافراح » و « مواهب الفتاح » من أحسنها لأن فيهما عرضاً للآراء المختلفة ونقاشا ينفع الدارسين .

---

(١) النقد ص ١٠٦ .

ومن أجل ذلك نرى ان على المجدد اذا ما اراد ان يعيد الى البلاغة رونقها وبهاءها ان يدرس هذين الشرحين ويقف على الآراء فيأخذ ما فيه النفع وانارة السبيل ويذر ما لا قيمة له .

وهكذا كان لتلخيص القزويني وايضاحه أثر كبير في البلاغة ، وسيطر الكتابان على مناهج الدرس والتأليف ، وقد صدق القلقشندي حينما قال : « واكثر اعتماد أهل الزمان فيه على تلخيص المفتاح للقاضي جلال الدين القزويني فأغنى ما وضع فيه عن ايراده هنا »[1] . وقال فيه : « وأعظمها شهرة بالديار المصرية تلخيص المفتاح لقاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وعليه عدة شروح »[2] .

واستمر التأليف على غرار «التلخيص» و «ايضاحه» لا يخرج احدهم عن عبارات السكاكي ، وأصبحت الكتب المتأخرة خدماً للتلخيص لا للبلاغة ، ولم يأتِ أحد بجديد وانصرفت الهمم الى حفظ المتون والشروح .

وكانت البديعيات تسير مع الشروح وتوجّه البلاغة وجهة أخرى فيها عناية بفنون البديع واسراف في ايجاد ألوان جديدة ليس فيها رواء . وسيتضح ذلك في الفصل القادم .

* * *

(١) صبح الاعشى ج ١ ص ١٨٥ .
(٢) صبح الاعشى ج ١ ص ٤٦٩ .

البديعيات والبديعيون

الفصل السابع

البديـع

عرف العرب فنون البديع في كلامهم منذ الجاهلية ، وحفل القرآن الكريم وكلام الرسول — (ص) — والصحابة والشعراء بصور كثيرة منه . ويرى الجاحظ ان الرواة أول من اطلق لفظة « البديع » على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسناً وجمالا . قال معلقاً على بيت الأشهب بن رميلة :

هُمُ ساعدُ الدهرِ الذي يُتّقى بـه ⁂ وما خَيْرُ كفٍّ لا تنوءُ بساعدِ

« قوله : « هم ساعد الدهر » انما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع » [1] .

غير ان أبا الفرج الاصفهاني ذكر ان مسلم بن الوليد كان أول من أطلق هذا المصطلح ، قال : « وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع وهو لقّب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهبا واحداً فيه » [2] . وقال العتابي عن بيت لأبي

---

(١) البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥ .

(٢) الاغاني ج ١٩ ص ٣١ .

نواس : « والله انه لشاعر ولكن تمادى به حب البديع حتى أغرق فيه »[1] .

ودفع الجاحظَ حبُه العرب والرد على الشعوبية الى أن قال : « والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان»[2] . وكان المولدون من الشعراء قد أكثروا في أشعارهم من الصور البيانية الّتي سماها الرواة البديع فكلثوم بن عمرو ذهب بشعره هذا المذهب وتبعه كثيرون كمنصور النمري ومسلم بن الوليد . قال الجاحظ : « ومن الخطباء والشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابي وكنيته أبو عمرو ، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمري ومسلم بن الوليد الانصاري وأشباههما . وكان العتّابي يحتذي حذو بشار وابن هرمة »[3] . وقال : « والراعي كثير البديع في شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابي يذهب شعره في البديع » .

وشاع هذا اللون في الأدب ولجَّ المولدون في استعماله وتباهوا بأنهم السباقون اليه مما حدا بالخليفة العباسي ابن المعتز (– ٢٩٦ هـ) أن يؤلف كتاب «البديع» ليعلّم ان بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن، ولكن كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه ، وليعرف ان المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من أبواب البديع . قال : « ثم ان حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف ، وانما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها

---

(١) الموشح ص ٤٤٠ .

(٢) البيان ج ٤ ص ٥٥ .

(٣) البيان ج ١ ص ٥١ .

بيت بديع . وكان يستحسن ذلك منهم اذا أتى نادراً ويزداد حظوة بين الكلام المرسل »[1] .

ولعل الجاحظ (ـ ٢٥٥ هـ) كان أول من اهتم بالبديع وصوره حينما تحدث عن الاستعارة والتشبيه والكناية والسجع والارصاد وحسن التقسيم وغيرها من فنون البيان الاخرى . ولما جاء ابن المعتز ألف كتابه « البديع » وضمنه ثمانية عشر فناً بديعيا ، سمّى الخمسة الاولى منها بديعاً وهي : الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي . وسمّى الأُخَر محاسن الكلام وهي : ـ الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، حسن الخروج ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، الهزل يراد به الجد ، حسن التضمين ، التعريض والكناية ، الافراط في الصفة ، حسن التشبيه ، لزوم ما لا يلزم ، حسن الابتداء . وترك الباب مفتوحا وقال : « فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ، ومَنْ أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا الى البديع أو لم يأبَ غير رأينا فله اختياره »[2] .

وجاء قدامة بن جعفر (ـ ٣٣٧ هـ) وأضاف ثلاثة عشر محسنا هي : التقسيم ، الترصيع ، المقابلات، التفسير ، المساواة ، الاشارة ، ائتلاف اللفظ مع الوزن ، التمثيل ، التوشيح ، الايغال، ائتلاف المعنى مع الوزن ، ائتلاف القافية، الارداف. وتبعهما أبو هلال العسكري (ـ ٣٩٥ هـ) وعقد الباب التاسع من « كتاب الصناعتين » في البديع وهو عنده مختلف الصور البيانية . والبديع في هذا الباب خمسة وثلاثون فنا ، وقد قال عنه : « فهذه أنواع البديع التي ادّعى من لا دربة ولا دراية عنده ان المحدثين ابتكروها وان القدماء لم يعرفوها.. وذلك لمّا أراد أن يفخم أمر المحدثين ، لان هذا النوع من الكلام اذا سلم من التكلف وبرىء من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة »[3] .

(١) البديع ص ١ .
(٢) البديع ص ٥٨ . وفي الاصل : ولم يأت .
(٣) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧ .

وزاد سبعة فنون هي : التشطير والمجاورة والتطريز والمضاعفة والاستشهاد والتلطف والمشتق . ولم تسلم له هذه الفنون السبعة كلها .

واهتم ابن رشيق القيرواني (ـ ٤٦٣ هـ) بالبديع وفرّق بينه وبين المخترع ، وهو عنده ضروب كثيرة وأنواع مختلفة ، وقد أدخل فيه معظم فنون البلاغة المعروفـــة .

وأطلق أسامة بن منقذ (ـ ٥٨٤ هـ) البديع على أحد كتبه وسماه « البديع في نقد الشعر » جمع فيه ما ذكره السابقون من فنونه ووزعها على خمســة وتسعين بابا .

والبديع عند هؤلاء جميعا يشمل فنون البلاغة كلها ، لأنها كانت غير مقسمة الى علومها الثلاثة ، وحينما ظهر السكاكي (ـ ٦٢٦ هـ) وقسم البلاغة الى المعاني والبيان ، ألحق بهما البديع وهو عنده وجوه يُؤتى بها لتحسين الكلام ، ثم ذكر ستة وعشرين محسناً معنوياً ولفظياً ولم يسمها بديعا ، وكان بدر الدين بن مالك (ـ٦٨٦ هـ) أول من أطلق هذا المصطلح على المحسنات في كتابه « المصباح » وقسمها الى لفظية ومعنوية والمعنوية اما مختصة بالإفهام والتبيين ، واما مختصة بالتزيين والتحسين . وتبعه الخطيب القزويني (ـ ٧٣٩ هـ) وسمّى القسم الثالث من البلاغة بديعاً كما سماه بدر الدين وفصله عن المعاني والبيان وقال في تعريفه : « هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة »[1] . ولكن منهج السكاكي وبدر الدين والقزويني لم يقض على الاتجاه البديعي فألف شرف الدين احمد بن يوسف التيفاشي المغربي (ـ ٦٥١ هـ) كتابا في البديع ذكر فيه سبعين محسنا . ووضع ابن أبي الاصبـــع المصري (ـ ٦٥٤ هـ) كتابين هما : « تحرير التحبير » و « بديع القرآن » وذكر في الاول مائة وخمسة وعشرين فناً بدأها بفنون ابن المعتز وقدامة ومن جاء

---

(١) الايضاح ص ٣٢٤ .

بعدهما وهي خمسة وتسعون وأضاف اليها ثلاثين فناً جديداً لم يسلم له منها الا القليل هي : التمزيج ، الهجاء في معرض المدح ، العنوان ، الايضاح ، الحيدة ، الانتقال ، الشماتة ، الاسجال بعد المغالطة ، التصرف ، التسليم، الافتنان ، القول بالموجب ، حصر الجزئي والحاقه بالكلي ، الابداع ، الانفصال [1] .

وذكر في الثاني ما في القرآن الكريم من فنون بديعية وهي مائة وتسعة ، والبديع عنده ليس كما عرفه السكاكي ومن سار على منهجه ، وانما هو فنون البلاغة كلها ، أي انه تابع ابن المعتز وقدامة والعسكري وابن رشيق وابن منقذ في هذا الاتجاه . وكان كتاباه في فنون البلاغة كلها لا في البديع وحده .



(١) ينظر ابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ص ٣٠٧ – ٣٢٥ ، والبيان العربي للدكتور طبانة ص ٣١٧ وما بعدها .

البديعيات

شهد القرن السابع للهجرة لوناً جديداً من التأليف في البلاغة هو «البديعيات» التي كانت قصائد تتضمن فنوناً بلاغية معظمها في مدح النبي محمد – (ص)– ومن البحر البسيط وعلى روي الميم . وكان الاهتمام بالصنعة قد بدأ منذ عهد مبكر وشغف المتأخرون به حباً حتى ان عبد القاهر الجرجاني ضاق ذرعا بمن هاموا بالبديع وقال : « وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ما له اسم في البديع الى أن ينسى انه يتكلم ليُفهم ويقول ليُبين ويخيل اليه انه اذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها »(١) .

والبديعيات كثيرة جداً أحصى منها الدكتور احمد ابراهيم موسى في كتابه « الصبغ البديعي في اللغة العربية » أربعاً وأربعين ، منها ما هو مشروح ومنها ما هو مجرد ، ومنها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط .

وقد اختلف الباحثون في نشأة البديعيات فذهب الدكتور زكي مبارك الى

---

(١) أسرار البلاغة ص ٧ .

أن أبا عبدالله محمد بن احمد المعروف بابن جابر الاندلسي (– ٧٨٠ ﻫ) ابتكرها ورسم أصولها [1] ، وذهب ابن معصوم المدني الى ان صفي الدين الحلّي (– ٧٥٠ ﻫ) أول من نظم البديعيات ، ولكنه استدرك وقال : «كنت أظن أن أول من نظم أنواع البديع على هذا الاسلوب البديع فضمن كل بيت نوعاً وانقاد له شموس هذا المرام طوعا هو الشيخ صفي الدين الحلي – رحمه الله تعالى – حتى وقفت في ترجمة الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الإربلي الصوفي الشاعر على قصيدة لامية له ، نظم فيها جملة من أنواع البديع وضمن كل بيت منها نوعاً منه أولها الجناس التام والمطرف وهو :

بعض هــذا الدلال والإدلالِ حال بالهجر والتجنب حــالي

ثم قال في الجناس المصحف والمركب :

جُرْتَ إذْ حُزْتَ رَبْعَ قلبي وإذ لا لي صبر أكثرت من إذلالي

فعلمت أن الشيخ صفي الدين لم يكن أبا عذر هذا المرام ولا أول من نظم جواهر هذا العقد في نظام ، فان الشيخ أمين الدين المذكور توفي قبل أن يولد الشيخ صفي الدين بسبع سنين ، وذلك أن وفاة الشيخ أمين الدين في سنة سبعين وستمائة وولادة الشيخ صفي الدين في سنة سبع وسبعين وستمائة .

وأما نظم أنواع البديع على هذا الوزن والرويّ الذي نظم عليه الشيخ صفي الدين فلا أتحقق أيضا ان الشيخ صفي الدين هو أول من نظم عليه فانه كان معاصراً للشيخ أبي عبدالله محمد بن احمد بن علي الهواري المعروف بشمس الدين ابن جابر الاندلسي الاعمى صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان . ولا أعلم مَن السابق منهما الى نظم بديعيته على هذا الاسلوب ، وان كان الشيخ صفي الدين قد حاز قصبات السبق في مضمار براعة هذا المطلوب ، فابن جابر لم يستوفِ الانواع التي نظمها الشيخ صفي الدين بل أخلّ بنحو سبعين نوعاً من

(١) المدائح النبوية ص ٢٠٤ وما بعدها .

الانواع ، وكلاهما لم يلتزما التورية باسم النوع البديعي . وأول من التزم ذلك عز الدين الموصلي ثم تلاه الشيخ تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة ، والتزم ما التزمه الشيخ عز الدين وزاد عليه في أكثر الابيات بحسن النظم والانسجام ، الا ان لذلك فضل المتقدم على المتأخر والمبتدع على المتبع ، وقلّ مَن التزم بعدهما هذا الالتزام وما ذلك الا لصعوبة هـذا المـرام »[1] .

ورجّح الدكتور جواد علوش ان يكون صفي الدين أسبق من ابن جابر الاندلسي لانه توفي سنة ٧٥٠ هـ وتوفي الثاني سنة ٧٨٠ هـ ، وان ابن حجة الحموي اعترف بأسبقيته في عدة مواضع من خزانته[2] . ولكن ذلك ليس دليلاً أكيدا ، وقد يكون ابن جابر الاندلسي أسبق لانه كان قد تخطى الخمسين حين مات الحلي ، ولعله نظمها في هذا السّن أو قبل ذلك بكثير فيكون له السبق في هذا المضمار .

والبديعيات كثيرة وسنتحدث عن أهمها :

الاربلي :

من أوائل البديعيات بديعية علي بن عثمان الاربلي (ـ ٦٧٠ هـ) الذي أشار اليه ابن معصوم المدني وعدّه أول من نظم هذا اللون . وبديعيته في مديح بعض معاصريه وفي كل بيت لون من ألوان البديع ، ففي قوله :

بعض هـذا الدلال والإدلال حال بالهجر والتجنب حـالي

جناس لفظي . وفي قوله :

---

(١) أنوار الربيع ج ١ ص ٣١ – ٣٢ .

(٢) شعر صفي الدين الحلي ص ١٢٦ .

جُرْتَ اذ حُزْتَ رَبْعَ قلبي وإذ لا لي صبر ، أكثرتَ من إذلالي

جناس خطي . وفي قوله :

رقّ يا قاسيَ الفؤادِ لأجفانِ قصارٍ أسرى ليالٍ طوالِ

طباق . وفي قوله :

شارحات بدمعها مجمعَ البحرينِ في حُبّ مجمعِ الأمثالِ

استعارة . وفي قوله :

نَفَت النوم في هواك قصاصاً حيثُ أدنى منها خداعُ الخيالِ

مقابلة . وفي قوله :

أنا بَين الرجاءِ والخوف في احياءِ ما بين صحةٍ واعتلالِ

تفسير . وفي قوله :

لستُ أنفكُّ في هواكَ ملوماً في مُعَادٍ يسومني ومُوالِ

وذكر ابن شاكر الكتبي (١) ستة وثلاثين بيتاً من هذه البديعية ، وفي كل بيت فن بديعي ، وهذه الفنون مما يندرج في علمي البيان والبديع . ويبدو ان بديعية الاربلي أول ما عرف الادب العربي من البديعيات ، وهي ليست في مدح النبي الكريم ولا من البسيط بل من الخفيف ، وليست على رويّ الميم بل اللام ، وبذلك تخرج عما عرف من بديعيات فيما بعد في الغرض والوزن والرويّ . ولعل سبق الاربلي لم يجعله يفكر فيما فكر فيه غيره ممن اتخذ قصيدة البردة للبوصيري لــه نهجا .

---

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ١١٨ وما بعدها .

الحلي :

اتجه الشعراء ينظمون البديعيات في مدح النبي محمد – (ص) – أو في الغزل ويحصرون فنون البديع فيها معارضين بردة البوصيري (– ٦٩٧ هـ) التي مطلعهـــا :

أمِنْ تذكّرِ جيرانٍ بـــذي سَلَمِ   مزجْت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

ومن ذلك بديعية صفي الدين الحلي (– ٧٥٠ هـ) ، وهي في مائة وخمسة واربعين بيتا ومطلعها :

إنْ جِئْتَ سَلْعاً فسلْ عن جيرةِ العَلَمِ
واقْـــرا السّلامَ على عُرْبٍ بذي سَلَمِ

وضمّن كل بيت فيها محسناً وضمت قصيدته مائة وخمسين، اذ جعل فيها للجناس اثني عشر ضربا ، ففي المطلع براعة الاستهلال والتجنيس المركب والمشتبه . وفي البيت :

فقد ضمنت وجودَ الدمعِ مِنعَدَمِ   لهم ولم استَطِـعْ مَعْذاك مَنْعَ دمي

تجنيس ملفق . وفي البيت :

أبيتُ واللدمع هـــامٍ هامــلٌ سَرِبٌ   والجسمُ في اضمٍ واللحم في وَضَمِ

تجنيس مذيل ولاحق . وفي البيت :

من شأنه حملُ أعباءِ الهوى كمــداً   إذا هَمَى شأنه بالدّمْعِ لمَ يَلُمِ

تجنيس تام ومطرف . وفي البيت :

مَنْ لي بكل غريرٍ في ظبـــائهـــم   غرير حسن يداوي الكَلْمَ بالكَلِمِ

تجنيس مصحف ومحرف . وفي قوله :

بكــلِ قدٌ نضيرٍ لا نظيرَ لــه   مــا ينقضي أملي منه ولا ألمي

تجنيس لفظي ومقلوب . وفي البيت :

وكل لحظٍ أتى باسمِ ابنِ ذي يزَنٍ   في فتكــه بالمعنّى أو أبي هرَمِ

تجنيس معنوي . وضم كل بيت من الابيات الأخرى فناً بديعياً واحدا .

وسمى الحلي بديعيته « الكافية البديعية في المدائح النبوية » وشرحها بكتاب سماه « النتائج الالهية في شرح الكافية » ، قال عبد الغني النابلسي : « وشرحها شرحاً لطيفا لم يوفِ بالمقاصد ولا أبان عما في النوع من الخبايا ، بل ترك ذلك مهملاً بل ربما لم يصب في بعض الانواع »[1] .

بدأ الحلي شرحه بمقدمة عرض فيها لمن ألفوا في البديع ، وذكر ان بديعيته كانت خلاصة سبعين كتابا ، قال : « وذكر ابن ابي الاصبع انه لم يؤلف كتابه « تحرير التحبير » الا بعد الوقوف على أربعين كتابا في هذا العلم أو بعضه وعدها في صدر كتابه ، فأنهيت الكتاب مطالعة وطالعت مما لم يقف عليه مما كان قبله وما ألف بعده ثلاثين كتابا ، وسأذكر تفصيل الجملتين بعد انتهاء الشرح ان شاء الله تعالى . فجمعت ما وجدت في كتب العلماء وأضفت اليه أنواعا استخرجتها من أشعار القدماء ، وعزمت أن أؤلف كتاباً محيطاً بجملها اذ لا سبيل الى الاحاطة بكلها ، فعرضت لي علة طالت مدتّها وامتدت شدتّها . واتفق اني رأيت في المنام رسالة من النبي – عليه السلام – تتقاضاني المدح وتدني البرء من الاسقام فعدلت عن الكتاب الى نظم قصيدة تجمع شتات البديع وتتطرز بمدح مجده الرفيع فنظمت مائة وخمسة واربعين بيتاً من بحر البسيط تشتمل على مائة وخمسين نوعا من محاسنه ، ومَن عد جملة أصناف التجنيس بنوع واحد كانت عنده العدة مائة وأربعين نوعاً ، فان في السبعة الابيات الاوائل منها اثني عشر صنفا منــه وجعلت كل بيت منها شاهدا ومثالا لذلك النوع ، وربما اتفق في البيت الواحد

(١) نفحات الا زهار ص ٣ .

منها النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة. والمعتمد على ما أسس عليه البيت. ثم أخليتها من الانواع التي اخترعتها واقتصرت على نظم الجملة التي جمعتها لأسلم من شقاق جاهل حاسد أو عالم معاند. فمن شاق راجعته الى النقل ومن وافق وكلته الى شاهد العقل. وألزمت نفسي في نظمها عدم التكلف وترك التعسف والجري على ما أخذت به نفسي من رقة اللفظ وسهولته وقوة المعنى وصحته وبراعة المطلع والمنزع وحسن الطلب والمقطع وتمكن قوافيها وظهور القوى وعدم الحشو فيها بحيث يحسبها السامع غفلاً من الصنائع.... فانها نتيجة سبعين كتاباً لم أعد منها باباً فاشتغل بها عن حشو الكتب المطولة ووعر الالفاظ المقلقة :

وَدَعْ كُلَّ صوتٍ غَيْرَ صوتي فانّني
أنا الطائرُ المحكيّ والآخرُ الصدّى [1] .

واهتمّ الادباء بهذه البديعية وشرحها عبد الغني النابلسي بكتاب سماه « الجوهر السني في شرح بديعية الصفي » ، وأثنى عليها الحموي في خزانته وفضّلها على البديعيات الاخرى ، وقال في مدح ناظمها : « وما ألمّ بالملفق أحد من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفي الدين الحلي ، وما ذاك الا انه قال في خطبة بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن. وهذا دليل على انه لما عارضه الشيخ عز الدين والتزم تسمية الانواع التي ذكرها الشيخ صفي الدين لم يجد بدأ من نظمه لأجل المعارضة ، ولكن نحت فيه بيتا من الجبال » [2] . ووازن بينها وبين بديعية الموصلي وقال : « والشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب لخلاصه من التورية في تسمية النوع ، ولكنه قصر في مواضع نبهت عليها في مظانها . والشيخ عز الدين — رحمه الله — قصر في غالب بديعيته

---

(١) ديوان صفي الدين الحلي ص ٦٨٥ ، وينظر أنوار الربيع ج ١ ص ٣٠ — ٣١ ، والبلاغة تطور وتأريخ ص ٣٦٠ والصيغ البديعي ص ٣٨١ .
(٢) خزانة الادب ص ٢٧ .

لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية »[1] . ومن اعجابه بالحلي قلده وجاراه وحذا حذوه ، قال مفتخرا ببديعيته : « فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع وهو في ذلك محلول العقال »[2] .

الأندلسي :

نظم ابن جابر الاندلسي (— ٧٨٠ هـ) بديعية في مائة وسبعة وعشرين بيتا استهلها بقوله :

بطيبــةَ انزِلْ ويمِّم سَيِّدَ الأُمم وانشُرْ له المَدْحَ وانشر أطْيبَ الكَلِمِ

وسماها « الحلة السيرا[3] في مدح خير الورى » وهي المعروفة ببديعيــة العميــان .

وعدّه الدكتور زكي مبارك مبتكر هذا الفن وقال : « وقد شغل نفسه بمعارضة البردة ، ولكن أي معارضة ؟ لقد ابتكر فناً جديدا هو البديعيات ، وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ولكن كل بيت من أبياتها يشير الى فن من فنون البديع . وقد رأى معاصرو ابن جابر قيمة هذا الفن الجديد فتقدم صديقه ابو جعفر الالبيري لشرح بديعيته واعترف له بالسبق اذ قال في مقدمة الشرح : « نادرة في فنها فريدة في حسنها ، تجني ثمر البلاغة من غصنها ، وتنهــل سواكب الاجادة من مزنها . لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها»[4] .

---

(١) خزانة الادب ص ٤٦٧ .
(٢) خزانة الادب ص ٣ .
(٣) السيراء : المخططة ، أو يخالطها حرير .
(٤) المدائح النبوية ص ٢٠٥ .

ولكننا رأينا الاربلي والحلي قد نظما في البديعيات وان كانت بديعية الاول ليست نهجاً للبردة ، ولم يتحقق لدينا أيهما السبّاق .

وتختلف بديعية الاندلسي عن غيرها ، ذلك انه لم يجعل فنون البلاغة كلها بديعاً بل اقتصر على أبواب البديع التي ذكرها القزويني ، ولذلك اعتبروه مخلاً بالبديع غير مستوفٍ له . قال ابن معصوم : « فان ابن جابر لم يستوفِ الانواع التي نظمها الشيخ صفي الدين بل أخلّ بنحو سبعين نوعا من الانواع »[1] .

وشرح هذه البديعية أبو جعفر احمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي (ـ ٧٧٩ هـ) بكتاب سماه « طراز الحلة وشفاء الغلة » بدأه بقوله : « انه لما كانت القصيدة المنظومة في علم البديع المسماة بالحلة السيرا في مدح خير الورى، التي أنشأها صاحبنا الامام العلامة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن جابر الاندلسي نادرة في فنها فريدة في حسنها ، تجتني ثمر البلاغة من غصنها وتنهل سواكب الاجادة من مزنها ، لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها ــ رأيت أن أضع لها شرحاً يجلو عرائس معانيها لمعانيها ويبدي غرائب ما فيها لموافيها ، لا أمل الناظرَ فيه بالتطويل ولا اعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل ، فخير الامور أوسطها » . وقدم لها بخمسة فصول : الاول في البديع لغــة واصطلاحا ، والثاني في الفرق بين الفصاحة والبلاغة ، والثالث في مكان البديع من المعاني والبيان ، والرابع في تقسيم البديع الى لفظي ومعنوي ، والخامس في بيان ان البديع احد علوم الادب الستة وهي : اللغة والتصريف وعلم العربية والمعاني والبيان والبديع .

وأشار الى ان ابن جابر اتبع في سرد المحسنات الخطيب القزويني ولكنه بدأ باللفظ متابعاً بدر الدين بن مالك في كتابه « المصباح » . قال : « وقد آن أن آخذ في الكلام على أبيات القصيدة حسبما تحصل به الفائدة ، ويعود على الناظر فيه بأحسن عائدة فنقول : ان المصنف تبع في هذه القصيدة القاضي جلال الدين

---

(١) أنوار الربيع ج ١ ص ٣٢ .

القزويني صاحب الايضاح والتلخيص فذكر من ألقاب البديع ما ذكره ، الا ان المصنف بدأ بالقسم الذي يتعلق باللفظ وأخّر القسم الذي يتعلق بالمعنى على ما ستقف عليه . وهو في هذا الترتيب موافق لصاحب « المصباح » وهو ترتيب حسن ، لأن اللفظ وسيلة الى المعنى وحق الوسيلة أن تكون متقدمة ، وايضاً فان ما يتعلق بالمعنى لا يكون الا بعد التراكيب بخلاف ما يتعلق باللفظ ، وحال الافراد مقدم على حال التركيب »[1] .

وأثنى السيوطي على بديعية ابن جابر وقال : « ان نظمها عالٍ »[2] ، غير ان الحموي قال : « ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة الى طريق الجماعة ، غير ان الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الاندلسي شرحها شرحاً مفيداً »[3] .

الموصلي :

نظم عز الدين الموصلي (ــ ٧٨٩ هـ) بديعية في مائة وخمسة وأربعين بيتاً التزم فيها تسمية الفن البديعي مورياً بكلمة عنه في البيت الذي يتضمنها ، ومطلعها :

براعة تستهلُّ الدمعَ في العَلَمِ عبارة عن نداءِ المفردِ العَلَمِ

ففي قوله « براعة تستهل » إشارة الى براعة الاستهلال . وفي قوله :

فحي سَلْمى وسَلْ ما ركبت بشذا قد أطلقته أمامَ الحي عن أَمَمِ

تورية عن الجناس المركب والمطلق . وفي قوله :

---

(١) طراز الحلة وشفاء الغلة (مخطوط الاوقاف ببغداد) ص ١٧ .
(٢) بغية الوعاة ج ١ ص ٣٥ .
(٣) خزانة الادب ص ١١ .

ملفقٌ ظاهــرٌ سرّي وشـــان دمي لمّا جَرى من عيوني إذ وَشَى نَدَمي

توزية عن الجناس الملفق واشارة اليه . قال الحموي : « هذا البيت فيه الجناس الملفق على الصنعة وتسميته على الشروط المذكورة ، ولكن عجز لعقادة تركيبه عن الطيران بأجنحة الفهم لا أحوم له على معنى . ونظرت بعد ذلك في شرحه فوجدته قد قال : ان لفظة ملفق صفة للجار والمجرور في قوله : « فحي سلمى وسل ما ركبت بشذا » يعني أن الشذا الذي أطلقته سلمى امام الحي كان ملفقا » (١) .

وكان الموصلي أول من فعل ذلك ليتميز على الحلي الذي لم يلتزم بتسمية النوع غير انه « ما أعرب عن بناء بيوت أذِنَ الله أن ترفع ولا طالت يده لإبهام العقادة الى شيء من اشارات ابن ابي الأصبع ، وربما رضي في الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمى ونثر شمل الالفاظ والمعاني لشدة ما عقده نظما » (٢) . وقد اعتبر الحمويُّ الحليَّ أرق وأصفى من الموصلي لانه لم يلتزم التورية ، قال : « وبديعية صفي الدين غزلها لا ينكر ، غير انه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعي مورى به من جنس الغزل ، ولو التزمه لتجافت عليه تلك الرقة . وأما الشيخ عز الدين الموصلي فانه لمّا التزم ذلك نحت من الجبال بيوتا ، وقد أشرت الى ذلك في الخطبة بقولي : وهي البديعية التي هدمت بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع ، وهو من ذلك محلول العقال » (٣) . وقال : « الشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب لخلاصه من التورية في تسمية النوع ، ولكنه قصر في مواضع نبهت عليها في مظانها . والشيخ عز الدين – رحمه الله – قصر في غالب بديعيته لالتزامــه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية » (٤) . وقال النابلسي : « ثم جاء بعد

(١) خزانة الادب ص ٢٧ .
(٢) خزانة الادب ص ٢ .
(٣) خزانة الادب ص ١٣ ، وتنظر ص ٣ أيضا .
(٤) خزانة الأدب ص ٤٦٧.

(صفي الدين) الشيخ عز الدين الموصلي — رحمه الله تعالى — فعارضه بقصيدة على منوال قصيدته وذكر من الانواع ما ذكره وزاد عليه بعض شيء يسير من اختراعاته معجباً بذكر النوع البديعي في الفاظ البيت مورياً به لئلا يحتاج الى تعريف النوع من خارج النظم ولكنه تعسف وتكلف في غالب أبياته وهجر مضجع الرقة والانسجام ، ثم شرحها شرحاً بين فيه مقصده ومراده مع الاختصار ولم يشف غلة الافكار »[1] .

وتوالى نظم البديعيات وظهر شعراء عنوا بها كوجيه الدين عبد الرحمن بن محمد اليمني (— ٨٠٠ هـ) وشرف الدين عيسى بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدي القاهري (— ٨٠٧ هـ) وزين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري القرشي (— ٨٢٨ هـ) .

الحموي :

وظهر في القرن الثامن أديب ناقد كان له أكبر الاثر في البديعيات ، وهو أبو بكر علي بن حجة الحموي (— ٨٣٧ هـ) الذي وجد عصره يزخر بالبديعيات وكان قد اعجب ببديعيتي الحلّي والموصلي فأراد أن يضع بديعية تفوقهما وتعفو عليهما ، فنظم بديعية ضمّن كل بيت فيها لوناً بديعيا وأشار الى اسمه في البيت نفسه وسماها « تقديم أبي بكر » وأبياتها مائة واثنان واربعون ، ومطلعها :

لي في ابتدا مَدْحِكم يا عُرْبَ ذي سَلَمِ
براعةٌ تستهلُّ الدمْعَ في العَلَمِ

قال في سبب نظمها : « فهذه البديعية التي نسجتها بمدحه — (ص)— على منوال طرز البردة كان مولانا المقر الاشرف العالي المولوي القاضوي المخدومي

---

(١) نفحات الازهار ص ٣ — ٤ .

الناصري سيدي محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة، جمل الله الوجود بوجوده، هو الذي ثقف لي هذه الصعدة وحلب لي ضرعها الحافل لحصول هذه الزبدة، وما ذاك الا انه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عز الدين الموصلي — رحمه الله تعالى — التزم فيها بتسمية النوع البديعي ووری بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفي الدين الحلي — تغمده الله تعالى برحمته — لانه ما التزم في بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل، غير ان الشيخ عز الدين ما أعرب عن بناء بيوت اذن الله أن ترفع ولا طالت يده لإبهام العقادة الى شيء من اشارات ابن ابي الاصبع، وربما رضي في الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمى، ونثر شمل الالفاظ والمعاني لشدة ما عقده نظما :

فيا دارَهــا بالخيف انّ مزارنـــا قريبٌ ولكنْ دون ذلك أهْوالُ

فاستخار الله مولانا الناصر المشار اليه ورسم لي بنظم قصيدة أطرز حلتها ببديع هذا الالتزام واجاري الحلي برقة السحر الحلالي الذي ينفث في عقد الاقلام، فصرت أشيد البيت فيرسم لي بهدمه وخراب البيوت في هذا البناء صعب على الناس، ويقول : « بيت صفي الدين أصفى موردا وأنور اقتباسا » فأسن كل ما حده الفكر وأراجعه ببيت له على المناظرة طاقة فيحكم لي بالسبق وينقلني الى غيره . وقد صار لي فكرة الى الغايات سباقة فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال، وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال، وسميتها « تقديم ابي بكر » عالماً انه لا يسمع من الحلي والموصلي في هذا التقديم مقال »[1] . وقال مفتخرا ببديعيته : « وأما براعة بديعيّتي فانها ببركة ممدوحها — (ص) — نور هذه المطالع وقبلة هذا الكلام الجامع، فاني جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشرط المقرر لكل منهما، وأبرزت تسمية نوعهــا البديعي في أحسن قوالب التورية، وشنفت

---

(١) خزانة الادب ص ٢ — ٣ .

بأقراط غزلها الاسماع مع حشمة في الالفاظ وعذوبتها وعدم تجافي جنوبها عن مضاجع الرقة »[1] .

ورأى أن هذه البديعية لن تكون ذات فائدة عظيمة ان بقيت أبيات شعر تحفظ وتروى من غير تبصر بفنونها البديعية فوضع لها شرحا سماه « خزانة الأدب وغاية الأرب » ووازن بينها وبين بديعيّتي الحلي والموصلي .

واهتم الكثيرون بالخزانة وأثنوا عليها ، غير ان النابلسي لم تعجبه فقال في مقدمة « نفحات الازهار » : « ثم جاء بعد (عز الدين الموصلي) العلامة تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي — رحمه الله تعالى — فعارضه وجاراه وزاحمه فيما اقترحه واجتراه ولم يزد على ما ذكره من الانواع شيئا بل ربما نقص عن ذلك معيباً بعض الانواع بحسب ما اقتضته طبيعته ، والتزم تسمية النوع البديعي في أثناء البيت كما التزمه الموصلي ، ثم شرح قصيدته شرحا أخذ فيه بأذيال الاطالة وألبسه حلل السآمة والملالة واعترض فيه على القوم وقال لمتعصبي أفكاره هلموا فاليوم اليوم ، وتشدق في عباراته وأفحش في اشاراته مع ما في أبيات قصيدته من الركة والقلاقة واختلاس كلمات الغير بحسب ما عنده من الفاقة »[2] .

ومنهج ابن حجة في خزانته يختلف عن منهج البلاغيين في عصره الذي سيطر فيه تلخيص القزويني وشروحه على الدراسات البلاغية ، فلم يقسم البلاغة الى فنونها الثلاثة ولم يلتزم بالحدود والتقسيمات التي فرضتها بلاغة السكاكي واتباعه وانما سلك مذهبا آخر فيه ابتعاد عن كل ما يفسد الذوق . لقد كان يعرض الفن الذي ضمنه بيتاً من البديعية فيعرفه تعريفاً بلاغياً ويذكر أمثلة شعرية ونثرية كثيرة ويردّ آراء بعضهم ويوازن بين الآراء . ويمكن ان نعد خزانته من خيرة كتب البلاغة والنقد في عصره ، لانه لم يلتزم بالمنهج السائد ولم

(١) خزانة الادب ص ١٣ .

(٢) نفحات الازهار ص ٤ .

يقلد المتقدمين كل التقليد وانما جاء بكل طريف في عصره الذي سادت فيه موجة التقليد .

ولخزانة الادب أهمية نقدية وبلاغية وتأريخية ، أما أهميته النقدية ، فلأن ابن حجة كان ناقداً بارعاً يعرض الامثلة ويوازن بينها ويدلي برأيه . قال عن براعة الاستهلال : « وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء ، وفي هذه التسمية تنبيه على حسن المطالع وان أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء . وأورد في هذا الباب قول النابغة :

كِليني لهمٍّ يـا أميمة ناصِبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

قال زكي الدين بن ابي الاصبع : لعمري لقد أحسن ابن المعتز الاختيار ، فاني أظنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرىء القيس حيث قال :

قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بسقطِ اللوى بين الدخولِ فحومَلِ

فرأى ابتداء امرىء القيس على تقدمه وكثرة معانيه متفاوت القسمين جدا ، لأن صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني ، وليس في الشطر الثاني شيء من ذلك . وعلى هذا التقدير مطلع النابغة أفضل من جهة ملاءمة ألفاظه وتناسب قسميه وان كان مطلع امرىء القيس أكثر معاني . وما عظم ابتداء امرىء القيس في النفوس الا الاقتصار على سماع صدر البيت فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت . واذا تأمل الناقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين وقال – أعني ابن أبي الاصبع – اذا وصلت الى قول البحتري من هذا الباب وصلت الى غاية لا تدرك وهـو قولـه :

بوديَ لو يهوى العـذول ويعشَق ... ليعلمَ أسبابَ الهوى كيف تَعلَقُ

انتهى كلام زكي الدين بن أبي الاصبع .

ولقد أحسن أبو الطيب المتنبي حيث قال :

أتُراهــا لكَثْرةِ العشّــاقِ ... تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً في المآقي

وما ألطف قول أبي تمام في هذا الباب :

لا أنت أنت ولا الديــارُ ديارُ ... خَفَّ الهوى وتَقَضّتِ الاوطــارُ

ومثله قول أبي العلاء المعري :

يا ساهِرَ البرق أيقِظْ راقدَ السَّحَرِ ... لعلَّ بالجزْعِ أعواناً على السَّهَرِ

وقد خلب القلوب ابن المعتز في تناسب القسمين بقوله :

أخَذَتْ مِـــن شبابيَ الأيــامُ ... وتولّى الصِّبا عليـــه السّلامُ

وما أحلى ما ناسب ابن هانيء قسمي مطلعه بالاستعارات الفائقة حيث قال :

بَسَمَ الصباحُ لأعينِ الندمــاءِ ... وانشقَّ جيبُ غلالةِ الظلماءِ

وأما أهميتها البلاغية فقد شرح ابن حجة فيها معاني الفنون البلاغية وذكر التعريفات والآراء المختلفة ، وفيها كثير من أقوال الذين طمس الزمــان آثارهم . قال عن التتميم : « التتميم كان اسمه التمام ، وانما سماه الحاتمي التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه . والتتميم عبارة عن الإتيان في النظم والنثر بكلمة اذا طرحت من الكلام نقص حسنه وهو على ضربين : ضرب في المعاني وضرب في الالفاظ »[1] . وأبدى رأيه في بعض فنون البديع وقال عن عتاب المرء نفسه : « هذا النوع أعني عتاب المرء نفسه لم أجد العتب مرتباً الا على من أدخله في البديع وعده من أنواعه ، وليس بينهما نسبة، والذوق السليم أعدل شاهد على ذلك. ولولا ان الشروع في المعارضة

---

(١) خزانة الادب ص ١٢١ .

ملزم ما نظمت حصاه مع جواهر هذه العقود . ونهاية أمره انه صفة لحال واقعة ليس تحتها كبير أمر ، وهو من افراد ابن المعتز ولم يورد فيه غير بيتين ذكر أن الاسدي أنشدهما عن الجاحظ وهما :

عصانيَ قومي في الرشـــاد الذي بـــه أمَرْتُ ومن يَعْصِ المجربَ يَنْدمِ
فصبراً بني بكرٍ على الموت انني أرى عارضاً ينهَلّ بالموتِ والدمِ(١)

وأما فائدتها التأريخية والادبية فهي ان ابن حجة ذكر أخبارا أدبية وساق كثيراً من الامثلة الشعرية والنثرية مما لا يمكن العثور على بعضها في كتب أخرى . وقد خلّد صفحات من شعر معاصريه وأدبهم ولولا الخزانة لضاع واندثـــر .

ولا تخلو ايضاً من آراء شخصية والتفاتات نقدية كرأيه في الجناس . فهو لا يرى قيمة لما فيه من محسن لفظي وانما تأتي أهميته من كونه محسناً معنويا له أثر في التعبير ، ولذلك بحث الجناس المعنوي الذي أهمله معظم البلاغيين . قال : « أما الجناس فانه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الادب وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ فان كلاً منهما يؤدي الى العقـــادة عند إطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة كقول القائل واستحيي أن أقول انه أبو الطيب :

فَقَلْقَلْتُ بالهمّ الذي قَلْقَلَ الحشا قلاقِلَ عيش كُلُّهُنّ قلاقِـــلُ

ولقد تصفحت ديوانه فلم أجد لوافد هذا النوع نزولاً الا ما قل في أبياته وهونادر جدا ولا العرب من قبله خيمت بأبياتها عليه ، غير ان هذا البيت حكمت على أبي الطيب به المقادير »(٢) .

---

(١) خزانة الادب ص ١٤٤ .
(٢) خزانة الادب ص ٢٠ .

وفي « خزانة الادب » كثير من المعلومات والآراء والنصوص التي تنفع الدارسين والمحققين [1] .

السيوطي :

لجلال الدين السيوطي (— ٩١١ هـ) بديعية سماها « نظم البديع في مدح خير شفيع » في مائة واربعين بيتاً مشتملة على مثلها من الانواع ، ومطلعها :

براعةٌ تستهلُ الدَّمْعَ في العَلَمِ   من العقيقِ ومن تَذْكارِ ذي سَلَمِ

وشرحها شرحاً موجزا وقال في مقدمته : « أما بعد فهذه بديعية مدحت فيها من وجب على الخلق امتداحه وتحلى بقلائد أوصافه الكريمة مداحه ، معارضاً بها بديعية الشاعر الماهر تقي الدين أبي بكر بن حجة في التورية باسم النوع البديعي ، ضارعا الى الله — تعالى — أن يمن علي بالتحلي بأجمل الأوصاف » .

الباعونية :

ونظمت عائشة الباعونية (— ٩٢٢ هـ) بديعية في مائة وثلاثين بيتاً سمتْها « الفتح المبين في مدح الامين » مطلعها :

في حُسْنِ مطلع أقماري بذي سَلَمِ   أصبحتُ في زُمْرةِ العشاقِ كالعلَمِ

ونظمتها على منوال بديعية ابن حجة من غير تسمية النوع البديعي تمسكا بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات ، وشرحتها واعتمدت على ابن حجة كثيرا : قالت عن بديعيتها ومنهجها في الشرح : « وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع ، شاهدة بسلامة الطباع منقحة بحسن البيان ، مبنية على أسس تقوى من الله

---

(١) ينظر كتابنا القزويني وشروح التلخيص ص ٤٤٧ وما بعدها .

ورضوان ، سافرة عن وجوه البديع ، سامية بمدح الحبيب الشفيع ، مطلقة من قيود وتسمية الانواع ، مشرقة الطوالع في افق الابداع ، مرسومة بين القصائد النبويات بمقتضى الالهام الذي هو عمدة أهل الاشارات بالفتح المبين في مدح الامين . استخرت الله تعالى بعد تمام نظمها وثبوت اسمها في شيء يروق الطالب موارده وتعظم عند المستفيد فوائده . وهو أن أذكر بعد كل بيت حد النوع الذي بنيت عليه وأقر شاهده فان ذلك مما يغتفر اليه ، وأنحو في ذلك سبيل الاختصار ولا أخل بواجب ، وأنبه على ما لا بد منه قصدا لنفع الطالب . والمسؤول من الفتاح بتأسيسها على قواعد أذن الله أن ترفع ، ومن مثبت رفعها بوجاهة مدح الوجيه المشفع ان يصلي ويسلم عليه ويجعلها خالصة لوجهه الكريم » [1] .

وفي دار الكتب بالقاهرة شرح آخر لبديعيتها أكثر تفصيلا ، فقد توسعت فيه والتزمت أن تذكر عند كل محسّن ما قاله ابن جابر الاندلسي والحلي والموصلي .

وهذا الشرح غير مطبوع ، اما الاول فقد طبع على حاشية «خزانة الادب» للحموي . ويبدو ان الدكتور احمد ابراهيم موسى لم يطلع عليه فقال عن الشرحين : « وكلاهما مخطوطان » [2] ، كما لم يطلع النابلسي على الشرح الكبير فقال في مقدمة « نفحات الازهار » : « ثم جاءت بعد (ابن حجة) فاضلة الزمان عائشة الباعونية – رحمها الله تعالى – ونظمت قصيدة على مثال قصيدته مع عدم تسمية النوع تمسكاً بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات وشرحتها شرحا مختصرا وقفت عليه بخطها رحمها الله تعالى ، أسفرت فيه عن لثام البيان بقدر الطاقة وحسب التيسير » .

ونظم الشعراء بعد ذلك البديعيات ، منهم علي بن دقماق الحسيني (–

---

(١) شرح بديعية الباعونية – حاشية خزانة الادب للحموي ص ٣١٠ – ٣١١ .

(٢) الصبغ البديعي ص ٤٥٠ .

٩٤٠ هـ) وعبد الرحمن الحميدي (ـ ١٠٠٥ هـ) وشمس الدين الحموي (ـ ١٠١٧ هـ) وعبدالله الزفتاوي (ـ ١٠٥٩ هـ) .

المــدني :

ونظم صدر الدين بن معصوم الحسيني المدني (ـ ١١١٧ هـ) بديعية في مائة وسبعة وأربعين بيتا مطلعها :

حسنُ ابتدائي بذكرى جيرة الحرمِ   لــه براعةُ شوقٍ يستهلُّ دَمي

وتتضمن ألفاظ أبياتها اسماء المحسنات البديعية ، قال : « فبينما انا ذات يوم أُسرِّح طرف الطرف في شرح بديعية ابن حجة ، وأروّح مروح الفكر في مهيع تلك المحجة ، اذ بعذبة اللسان تنوس بمطلع قصيدة بديعية ، وغلبة الجنان تجوس بأبدع فكرة لوذعية ، فاستبشرت بهذه الاشارة واستطرت فرحا لهذه البشارة علما بأنها اشارة ممن رصعت البديعيات بمديحه ، وهبت عليها نسمات القبول من مهاب ريحه ـ صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وعظم وكرم ـ فنظمت هذه البديعية التي فاقت بديعية ابن حجة فلو أدركها لما قامت له معها على تزكية نفسه حجة . وقد التزمت فيها ما التزمه هو والعز الموصلي قبله من التورية باسم النوع في كل بيت ، فصار كل بيت منها لأهل الادب قبلة» [١]

وشرحها بكتابه « أنوار الربيع في أنواع البديع » ، قال : « ثم عنَّ لي أن أشرحها شرحاً حافلاً يكون بإبراز مخدرات معانيها كافلاً وأورد فيها جملة من البديعيات ليتأمل الناظر في هذا المضمار مجرى السوابق ، ويميز بثاقب نظره بين اللاحق منها والسابق وليكن على ذكر مما قاله أبو العباس المبرد في « الكامل » وهو القائل المحق : ليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثانه يُهتضم المصيب بل

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ج ١ ص ٢٨ .

يعطي كلّ ما يستحق ، وسميته « أنوار الربيع في أنواع البديع » [1] .

وتحدث في المقدمة عن البديع لغة واصطلاحا وعن أول من سماه ، وأشار الى قدامة وأبي هلال وابن رشيق وابن أبي الاصبع . وحاول أن يحقق أول من نظم هذا اللون وذكر أن الاربلي كان سباقا الى ذلك في قصيدته التي مطلعها :

بعض هـــذا الدلال والادلالِ حال بالهجر والتجنب حـــالي

وان الحلي لم يكن « أبا عذر هذا المرام ولا أول من نظم جواهر هذا العقد في نظام » . وذكر ان نظم انواع البديع على البسيط ورويّ الميم كان بعد الاربلي تقليدا لبردة البوصيري ولكنه لم يتحقق ان الحلي كان سباقا ، لان الاندلسي صاحب « بديعية العميان » كان يعاصره ، قال : « ولا أعلم من السابق منهما الى نظم بديعيته على هذا الاسلوب ، وان كان الشيخ صفي الدين قد حـــاز قصبات السبق في مضمار براعة هذا المطلوب ، فان ابن جابر لم يستوف الانواع التي نظمها الشيخ صفي الدين بل أخل بنحو سبعين نوعا من الانواع ، وكلاهما لم يلتزم نوعا من الانواع ، وكلاهما لم يلتزم التورية باسم النوع البديعي » [2] .

ولشرح ابن معصوم قيمة كبيرة ، لأن فيه معلومات غزيرة واشارات بلاغية كثيرة ، ولانه يمثل ثقافة عصر مؤلفه واتجاه البلاغة في تلك الفترة . وقد وصف المؤلف كتابه بقوله : « وقد احتوى هذا الشرح من فرائد الفوائـــد وصلات العوائد على ما يروق السمع والبصر ويفوق كل مطول ومختصر .... على أني لا ابرىء نفسي ولا أدعي العصمة لنفسي وحدسي فان الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو والا نسان محل النسيان » [3] .

ولا يخرج في طريقة شرحه عن السابقين ، فهو يذكر بيته البديعي وتعريف

---

(١) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٨ — ٢٩ .
(٢) انوار البديع ج ١ ص ٣٢ .
(٣) أنوار البديع ج ١ ص ٣٣ .

الفن وما قيل فيه من تعريفات ، ثم يردف ذلك بأمثلة كثيرة تدل على ذوق صقلته التجربة وهذّبه الاطلاع الواسع .

النابلسي

ونظم عبد الغني النابلسي (– ١١٤٣ هـ – ١٧٣١ م) بديعتين لم يلتزم في احداهما تسمية النوع ، والتزمه في الثانية . ومطلع الاولى :

يا منزلَ الركبِ بين البان فالعلمِ ... من سفحِ كاظمة حيّيت بالدِّيَمِ

وشرح هذه البديعية بكتاب سماه « نفحات الازهار على نسمات الاسحار في مدح النبي المختار » ، وذكر بديعيات الحلي والموصلي وابن حجة والباعونية ثم قال : « فعندما شاهدت هذه البديعيات الاربع وطفقت أرتع ، وتأملت ما نقلوه في شروحها من العبارات والشواهد وما نبهوا عليه من الاغراض والمقاصد حركتني بواعث الافكار وتجاذبتني أيدي الخواطر الالهية الى اقتحام هـذا المضمار ، فجعلت فيه بعون الله تعالى وان لم اكن من فرسانه بل ممن عثر به جواد القريحة في حومة ميدانه ، ونظمت هذه القصيدة الميمية المسماة « نسمات الاسحار في مدح النبي المختار » على طريقة تلك القصائد معرضاً عن نظم اسم النوع البديعي في أثناء البيت لأني رأيت ذلك انما يكسب تنافر الكلمات وغرابة المباني وقلاقة المعاني . وليت شعري في التصرف في اسم ذلك النوع ضرورة نظمه بين كلمات البيت كيف يظهر لمن لم يعرفه ان اسمه كذا ما لم يكن فهمه باسمه ورسمه وبعد ذلك لا يحتاج الى تسميته بالكلية ، ولو أعجبني هذا الصنيع لكنت نسيم رياضه الماءا وحمائم أدواحه ترناما ، ومن يرود حدائق الرقة وهـذا الانسجام فكيف تصعب عليه مسالك الركة والقلاقة في النظام »[1] .

ومطلع الثانيـة :

---

(١) نفحات الازهار ص ٤ – ٥ .

الفن وما قيل فيه من تعريفات ، ثم يردف ذلك بأمثلة كثيرة تدل على ذوق صقلته التجربة وهذّبه الاطلاع الواسع .

النابلسي

ونظم عبد الغني النابلسي (– ١١٤٣ هـ – ١٧٣١ م) بديعتين لم يلتزم في احداهما تسمية النوع ، والتزمه في الثانية . ومطلع الاولى :

يا منزلَ الركبِ بين البان فالعلمِ   من سفحِ كاظمة حيّيت بالدِّيَمِ

وشرح هذه البديعية بكتاب سماه « نفحات الازهار على نسمات الاسحار في مدح النبي المختار » ، وذكر بديعيات الحلي والموصلي وابن حجة والباعونية ثم قال : « فعندما شاهدت هذه البديعيات الاربع وطفقت أرتع ، وتأملت ما نقلوه في شروحها من العبارات والشواهد وما نبهوا عليه من الاغراض والمقاصد حركتني بواعث الافكار وتجاذبتني أيدي الخواطر الالهية الى اقتحام هذا المضمار ، فجعلت فيه بعون الله تعالى وان لم اكن من فرسانه بل ممن عثر به جواد القريحة في حومة ميدانه ، ونظمت هذه القصيدة الميمية المسماة « نسمات الاسحار في مدح النبي المختار » على طريقة تلك القصائد معرضاً عن نظم اسم النوع البديعي في أثناء البيت لأني رأيت ذلك انما يكسب تنافر الكلمات وغرابة المباني وقلاقة المعاني . وليت شعري في التصرف في اسم ذلك النوع ضرورة نظمه بين كلمات البيت كيف يظهر لمن لم يعرفه ان اسمه كذا ما لم يكن فهمه باسمه ورسمه وبعد ذلك لا يحتاج الى تسميته بالكلية ، ولو أعجبني هذا الصنيع لكنت نسيم رياضه الماماً وحمائم أدواحه ترناما ، ومن يرود حدائق الرقة وهذا الانسجام فكيف تصعب عليه مسالك الركة والقلاقة في النظام »[1] .

ومطلع الثانية :

---

(١) نفحات الازهار ص ٤ – ٥ .

يا حُسْنَ مطلعِ مَنْ أهوى بذي سَلَمِ
براعةُ الشوقِ في استهلالها ألمي

التزم فيها التورية باسم النوع بعد أن انتقد ذلك في مقدمة شرح بديعيته الاولى لان ذلك يكسب « تنافر الكلمات وغرابة المباني وقلاقة المعاني » ، قال :« ثم اني نظمت قصيدة اخرى على منوال هذه صرحت فيها باسم النوع تمثيلاً لما ذكرته من الاستهلال ووفاء بما أشرت اليه في المقال . ثم اني كتبت كل بيت منها عند ما يماثله في الهامش على حسب مقتضى الحال »[1] . وقال ان أبيات بديعيته مائة وخمسون بيتاً مشتملة على مائة وخمسين فناً بعد زيادة أنواع لطيفة لا توجد في البديعيات ، وربما اتفق في البيت الواحد النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم .

وهناك بديعيات أخر منها بديعية أبي الوفاء بن عمر العرضي الشافعي وبديعية قاسم بن محمد البكرجي (— ١١٦٩ هـ) وبديعية غلام علي آزاد (— ١٢٠٠ هـ) .

ونظم بعضهم في عصر النهضة بديعيات قلّدوا فيها السابقين ، منهم محمود صفوة الساعاتي (— ١٢٩٨ هـ) وعبد الهادي بن رضوان نجا الابياري (—١٣٠٥هـ) وعبد القادر الحسيني الأدهمي الطرابلسي وعبد الحميد قدس بن محمد علي الخطيب (— ١٣٣٥ هـ)

ونظم المسيحيون بديعيات في مدح المسيح عليه السلام ، منهم الخوري نيقولاوس بن نعمة الله الصائغ (— ١١٧٠ هـ) ، الذي يقول في مطلع بديعيته :

بديعُ حُسْنِ امتداحي رسل ربهمُ
براعة في افتتاحي حمد ربهم

والخوري ارسانيوس الفاخوري (— ١٣٠١ هـ) الذي التزم في

---

(١) نفحات الازهار ص ٥ .

احدى بديعياته التورية عن اسم النوع البديعي ومطلعها :

براعة المدح في نجمٍ ضياه سمي   تهدي بمطلعها مَنْ عن سناه عمي

ومطلع الثانية :

فحيي حي الجليل الجامعِ العظمِ   وبيت لحم وآلاً قد سمت بهم

ولم يلتزم في الثالثة البسيط ولا الميم المكسورة ، وانما اتخذ من الكامل والميم المضمومة سبيلا ، ومطلعها :

إني لاحكام القضاء مسلّم   ولسان حالي بالهوى متكلم [1].

وهذه البديعيات الكثيرة تدل على اهتمام عظيم بفنون البديع في الفترة المتأخرة ، واذا كان فيها اسراف في الصنعة والتفنن في ايجاد أنواع بديعية دعا الدارسين الى انتقادها وتصويرها بغير حقيقتها — فان الجهد المبذول فيها عظيم يدل على ما كان يتمتع به اولئك الشعراء من صبر على النظم واطلاع على اللغة وذكاء في معالجة الفنون والتورية عنها . وهي تمثل اتجاها جديدا في تأريخ البلاغة يختلف كل الاختلاف عما عرف من شروح التلخيص التي سيطرت على الدرس بعد القرن السابع ، وتصور حياة الادب في تلك الفترة التي جنح فيها الشعر الى العناية بصور البديع . وكانت تطبيقاً لذلك الادب وما حفل به من فنون بديعية لجَّ بها الشعراء المولدون وأحصى منها ابن المعتز ثمانية عشر وترك الباب مفتوحاً لمن أراد التوسع فيها ، وكأن البديعيات كانت استجابة لتلك الدعوة . وتمثل أيضا العودة الى البديع كما عرفه الجاحظ وابن المعتز وقدامة وغيرهم من البلاغيين الذين سبقوا تقسيم البلاغة وحصر البديع في المحسنات .

يضاف الى ذلك ان العصر الذي عاش فيه أصحاب البديعيات كان يُعنى

---

(١) تنظر دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج ٣ ص ٤٧٠ ، والبلاغة تطور وتأريخ ص ٣٥٨ وما بعدها ، والصبغ البديعي ص ٤٥٨ ، ٤٦١ .

بنظم علوم اللغة تقريباً لها وضبطاً لقواعدها . وقد رأى البديعيون ان البلاغة ينبغي ان تقيد ليسهل حفظها ويعم نفعها ، وقاموا بذلك خير قيام مع ما في النظم من تكلف واسفاف في بعض الاحيان .

ولم تكن البديعيات في مستوى واحد بل اختلفت بتعدد أصحابها وتباين ثقافاتهم ومواهبهم، ولعل بديعية الحلّي أجودها شعراً وأصدقها عاطفة لانه لم يلتزم التورية عن الفن البديعي كما التزمه الموصلي والحموي .

والبديعيات بعد ذلك ثلاثة الوان :

الاول : ليس فيه تسمية للنوع البديعي ، ويمثله الاربلي والحلي .

الثاني : فيه تسمية النوع ويمثله الموصلي والحموي .

وهذان اللونان مع اختلاف في الاسلوب يمثلان البلاغة بفنونها الثلاثة لأن البديع عند أصحابهما لا ينحصر فيما عرفه أصحاب الشروح والتلخيصات وانما يشمل المعاني والبيان والبديع .

الثالث : حصر البديع في المحسنات اللفظية والمعنوية ، ويمثله ابن جابر الأندلسي الذي اتخذ من مذهب السكاكي والقزويني سبيلا .



المُحَدِّثُونَ والمُجَدِّدُون

الفصل الثامن

الاتجاهات والآراء

ظلت البلاغة العربية على الحالة التي صورها الملخصون والشراح وأصحاب البديعيات وبقي التلخيص والايضاح محور الدراسات حتى أطلّ فجر النهضة الحديثة على أمة العرب، فأحس الناس انه لا بد أن تتغير طرائق التدريس ولابد أن تتجدد مناهج البحث والتأليف.فأخذ الدارسون يحيون تراثهم ويخرجون بحوثاً فيها طرافة وتجديد . وكانت البعثات العلمية سبباً في اتصال العرب بالغرب والاطلاع على مناهج بحثه وطرق تأليفه . وقد أشاع المبعوثون أسسا جديدة في البلاغة بعد أن رأوها في الغرب قد تخلصت من رواسب الماضي واتجهت اتجاها جديدا ، واستفادوا مما رأوه عند الغربيين وأخذوا يخرجون كتباً فيها عمق الكتب العربية القديمة وأصالتها ، وفيها طرافة البحوث الحديثة .

الأزهر والبلاغة

وكان الأزهر الشريف أول من حمل لواء التجديد في البلاغة بعد الاصلاحات الكثيرة التي أدخلت على مناهجه وطرق تدريسها ، فقد كانت تدرس فيه علوم لغوية مختلفة قبل نظامه لسنة (١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م) ، وجاء بيانها في رسالة مقدمة من شيخ الازهر إلى الخديوي في سنة (١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م) اشتملت على الموضوعات الآتية : علم التوحيد والتصوف والتفسير والتجويد والقراءات

والحديث ومصطلحه وفقه المذاهب الاربعة وأصول الفقه واللغة والنحو والصرف. أما البلاغة فقد كانت تدرس في تلخيص القزويني بشرح التفتازاني ومفتاح العلوم بشرح التفتازاني أيضا والسيد الجرجاني ، والجوهر المكنون للأخضري بشرح الدمنهوري ، وعقود الجمان وشرحه للسيوطي ، ومنظومة ابن شحنة والرسالة البيانية للصبان والسمرقندية [1] . ولما وضع قانون سنة (١٣١٤ هـ — ١٨٩٦ م) كان يدرس من علوم البلاغة في السنة الثامنة الجوهر المكنون وفي التاسعة والعاشرة شرح السعد المطول بحاشية الدسوقي . وعندما وضع نظام سنة (١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م) نالت البلاغة بعض التطور والتجديد فكان يدرس من علم البيان في السنة الثالثة رسالة الدردير أو السمرقندية ، وفي الثامنة القسم الثاني من السعد على التلخيص . ويدرس من علم المعاني في السنة السابعة القسم الاول من السعد على التلخيص ، وكان القسم الثالث يدرس في السنة الثامنة . ووضعت دراسة جديدة تسمى البلاغة التطبيقية يدرس منها في السنة التاسعة « دلائل الاعجاز » وفي العاشرة « أسرار البلاغة » أو « كتاب الصناعتين » [2] .

وكان هذا التطور بفضل الشيخ الامام محمد عبده الذي أخذ يحيي كتب السلف النافعة وعلومهم ، ويقوّم ما اعوج من مناهج التأليف وطرائق التدريس . وقد انصرف إلى تدريس كتابي عبد القاهر ففتح أذهان الطلبة وقوّى مداركهم ومواهبهم ووجدوا في تدريسه غير ما ألفوه ، فكان الجامع الازهر أول معهد من معاهد التعليم قرىء فيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » ، ولاجل ذلك طُبعا وانتشرا ، ولكن أساتذة الازهر أحجموا بعد الامام عن تدريسهما مع انهما مقرران ، وبذلك احتضرت الدراسات البلاغية بعده وكادت تموت .

وتخرج في الأزهر في مطلع هذا القرن جيل فيه عزم على البحث والاندفاع إلى التجديد ، وأنشأ الخديوي اسماعيل دار العلوم سنة (١٢٨٩ هـ — ١٨٧٢ م)

(١) تأريخ الاصلاح في الازهر ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٢ ، ٧٧ — ٧٨ .

باشارة من علي مبارك ناظر ديوان المدارس ، وكان الغرض من انشائها أن يتعمق الطلبة في الدراسات الاسلامية والعربية . وصانت هذه الدار اللغة العربية ، وأعجب بها الامام محمد عبده وكتب عنها في تقريره عن امتحانها النهائي الذي رأسه سنة ١٩٠٤ م يقول : « واني انتهز هذه الفرصة للتصريح بمكانة هـذه المدرسة في نفسي وما أعتقده من منزلتها في البلاد المصرية ومن اللغة العربية ، ان الناس لا يزالون يذكرون اللغة العربية واهمال أهلها في تقويمها ويوجهون اللوم إلى الحكومة لعدم عنايتها بأمرها ولم أسمعهم قط ينصفون هذه المدرسة ولا يذكرونها من حسنات الحكومة . فان باحثاً مدققاً لو أراد ان يعرف أين تموت اللغة وأين تحيا لوجدها تموت في كل مكان ووجدها تحيا في هـذا المكان »(١) .

وكان بعض طلاب الازهر ممن تتلمذوا للشيخ محمد عبده أساتذة في هذه الدار فبعثوا في البلاغة روحا جديدا ، وألفت كتب تأخذ من التلخيص وشروحه منهجها وكثيرا من أمثلتها ومن الحياة الجديدة رونقها وصفاء أسلوبها .

كتب جديدة قديمة :

ومن تلك الكتب « حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع » لجامعه الشيخ محمد البسيوني البيباني (ـ ١٣١٠ هـ) ، وضعه استجابة لرغبة خيري باشا ناظر المعارف يومذاك . ويعتبر هذا الكتاب حسنة من حسنات ذلك العهد الذي لم تكن للمؤلفين فيه وجهة سوى وضع الحواشي والتقريرات والعناية بالبحوث اللفظية . والكتاب صورة من « الايضاح » مع اختلاف غير كبير في المنهج ، فقد غيّر قليلاً في ترتيب مباحث علم المعاني ، ولم يوزع موضوعات الحذف

---

(١) نشأة النقد الادبي الحديث في مصر ص ٥٢ ، وينظر التعليم في مصر ص ٦٥ ، ٨١ ، ورأي الدكتور طه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر ص ٢٧٩ ، ٢٩٠ .

والذكر والتقديم والتأخير وغيرها على المسند والمسند اليه وانما جمع كل موضوع في فصل واحد، فبحث تقديم المسند اليه والمسند في مبحث، وحذفهما في مبحث آخر ، وبحث المجاز العقلي في علم البيان كما فعل السكاكي . وكان في علم البديع أوسع أفقاً من القزويني ، لانه تحدث عن موضوعات خاتمة « التلخيص » و « الايضاح » في البديع ، وضم براعة الاستهلال والتلميح والتضمين والاقتباس والحل والعقد إلى المحسنات المعنوية . ويمكن ان نعد كتاب البسيوني بادرةً طيبة ، لأنه نبه الدارسين إلى التأليف في البلاغة وعدم التمسك بالشروح والحواشي والتقريرات أو الأخذ بمنهج السكاكي كما وصل اليهم .

وألف حفني ناصف (– ١٣٣٧ هـ) وزملاؤه « قواعد اللغة العربية » وهو مجموعة في النحو والصرف والبلاغة . وبقي الكتاب ردحا من الزمن عمدة في تعليم اللغة العربية .

وعاد الشيخ أحمد الحملاوي (– ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م) في كتابه « زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع » إلى منهج القزويني وقسم علم المعاني كما قسمه، وذكر المجاز العقلي في مباحثه.وسار على خطاه في توزيع موضوعات البيان الا انه خالفه قليلا في علم البديع ورتب فنونه كما رتبها أصحاب البديعيات وأطال في ذكر أنواعها وأمثلتها . ويبدو تأثره واضحا بكتاب « عروس الافراح » للسبكي و « خزانة الادب » للحموي . وأضاف إلى بعض فصول الكتاب تمرينات لا تخلو من فائدة . والكتاب حلقة جديدة في التأليف بعد الجمود الذي أصاب الدراسات البلاغية والنقدية .

وللاستاذ علي عبد الرازق أمالي في علم البيان وتأريخه ، والجديد في هذا الكتاب قسمه الاول الخاص بتأريخ علم البيان ، فقد استعرض المؤلف هذا العلم منذ نشأته حتى الفترة المظلمة وخصص القسم الثاني لدراسة موضوعات البيان ، وعرض الآراء المختلفة في كل موضوع ولكنه لم يخرج عما رسمه السكاكي والقزويني ، ولو تجاوز بلاغتهما لجاء بكل طريف ، لأنه كان ذا

والذكر والتقديم والتأخير وغيرها على المسند والمسند اليه وانما جمع كل موضوع في فصل واحد، فبحث تقديم المسند اليه والمسند في مبحث، وحذفهما في مبحث آخر ، وبحث المجاز العقلي في علم البيان كما فعل السكاكي . وكان في علم البديع أوسع أفقاً من القزويني ، لانه تحدث عن موضوعات خاتمة « التلخيص » و « الايضاح » في البديع ، وضم براعة الاستهلال والتلميح والتضمين والاقتباس والحل والعقد إلى المحسنات المعنوية . ويمكن ان نعد كتاب البسيوني بادرةً طيبة ، لأنه نبه الدارسين إلى التأليف في البلاغة وعدم التمسك بالشروح والحواشي والتقريرات أو الأخذ بمنهج السكاكي كما وصل اليهم .

وألف حفني ناصف (ـ ١٣٣٧ ﻫ) وزملاؤه « قواعد اللغة العربية » وهو مجموعة في النحو والصرف والبلاغة . وبقي الكتاب ردحا من الزمن عمدة في تعليم اللغة العربية .

وعاد الشيخ أحمد الحملاوي (ـ ١٣٥١ ﻫ ـ ١٩٣٢ م) في كتابه « زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع » إلى منهج القزويني وقسم علم المعاني كما قسمه، وذكر المجاز العقلي في مباحثه،وسار على خطاه في توزيع موضوعات البيان الا انه خالفه قليلا في علم البديع ورتب فنونه كما رتبها أصحاب البديعيات وأطال في ذكر أنواعها وأمثلتها . ويبدو تأثره واضحا بكتاب « عروس الافراح » للسبكي و « خزانة الادب » للحموي . وأضاف إلى بعض فصول الكتاب تمرينات لا تخلو من فائدة . والكتاب حلقة جديدة في التأليف بعد الجمود الذي أصاب الدراسات البلاغية والنقدية .

وللاستاذ علي عبد الرازق أمالي في علم البيان وتأريخه ، والجديد في هذا الكتاب قسمه الاول الخاص بتأريخ علم البيان ، فقد استعرض المؤلف هذا العلم منذ نشأته حتّى الفتّرة المظلمة وخصص القسم الثاني لدراسة موضوعات البيان ، وعرض الآراء المختلفة في كل موضوع ولكنه لم يخرج عما رسمه السكاكي والقزويني ، ولو تجاوز بلاغتهما لجاء بكل طريف ، لأنه كان ذا

فكر عميق واحساس مرهف وذوق سليم ، وله التفاتات ذكية في منهج السكاكي وتمحلات البلاغيين في تحديد مباحث البيان واستعانتهم بالدلالات العقلية . وكان هذا الكتاب مدعاة للتفكير في اعادة النظر ، وقد استفاد منه المرحوم أحمد مصطفى المراغي في نقد منهج السكاكي ، وأوحى إلى الدكتور بدوي طبانه كتاب « البيان العربي » بقسميه .

وللاستاذ احمد الهاشمي (— ١٣٦٢ هـ) كتاب « جواهر البلاغة » نهج فيه منهج القزويني الا انه اختلف عنه في بحث الانشاء وحقيقته بعد أن تكلم على الخبر ، ثم ذكر احوال المسند اليه والمسند ومتعلقات الفعل والقصر والفصل والوصل والايجاز والاطناب والمساواة . أما البيان والبديع فقد سار فيهما على خطاه وأضاف اليه بحث التصحيف والموازبة وائتلاف اللفظ مع اللفظ والتسميط والانسجام والسهولة والاكتفاء والتطريز ، وختم الكتاب بالبحث في السرقات وما يتبعها ، وأضاف تطبيقات وتمرينات يستعين بها الطلبة .

ووضع الاستاذ احمد مصطفى المراغي « علوم البلاغة » على غرار تلخيص القزويني وايضاحه مع ترتيب آخر لمباحث علم المعاني ، فقد قسمها إلى الخبر والانشاء ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، والتعريف والتنكير ، والتقييد ، والخروج عن مقتضى الظاهر ، والقصر ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة ، وبذلك رتّب موضوعاته ولَمّ شتاتها في باب واحد . وسار على خطا القزويني في تقسيم البيان والبديع ، وجمع في كتابه بين طريقة عبد القاهر ومنهج السكاكي والقزويني وأخذ من الاول تعليلاته ومن الآخرين منهجه وتقسيماته .

ومن أهم الكتب المتداولة « البلاغة الواضحة » للاستاذين علي الجارم (—١٣٦٨هـ) ومصطفى أمين ، وهذا الكتاب حلقة الانتقال بالبلاغة من طابعها القديم المعتمد على تقرير القواعد وحفظ القوالب إلى الاهتمام بالتحليل . وقد اتبع المؤلفان اسلوباً تربوياً جديدا يقوم على ذكر الامثلة واستنباط القواعد

وشرحها ، وسارا فيه من البيان إلى المعاني فالبديع ، ولم يدرسا من الأخير إلا الجناس والاقتباس والسجع والتورية والطباق والمقابلة وحسن التعليل وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه واسلوب الحكيم . ولعل اهم ما يمتاز به كتاباهما البحث في الاسلوب ، وهو بحث جديد في البلاغة التي لم تخرج على ما خطّه السكاكي وقرّره القزويني .

وألّف بعضهم كتباً مدرسية كثيرة منها « الخواطر الحسان في المعاني والبيان » للاستاذ جبر ضومط ، و « المبسط في علوم البلاغة » للاستاذ محمد طاهر اللاذقي وهما كتابان لم يخرجا على منهج الايضاح ولم يقدما للبلاغة العربية ما فيه النفع وانارة السبيل .

ونبغ كثيرون من خريجي الازهر ودار العلوم وكانت لهم كتب فيها تجديد كالاستاذ المراغي الذي كان من خيرة اساتذة دار العلوم في بحث البلاغة ونقد منهجها القديم ، وكتاباه « بحوث وآراء في علوم البلاغة » و « تأريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها » من أسبق الكتب التي دعت إلى التجديد .

الجامعة والبلاغة :

لما أنشئت الجامعة المصرية القديمة سنة ١٩٠٨ قام أساتذتها يجددون في بحوثهم مستهدين بتراثهم القديم ومناهج الغربيين ، وكان للبلاغة نصيب من هذا التجديد وتطبيق المناهج الحديثة والاخذ بما وصل اليه المعاصرون . وكان المرحوم أمين الخولي من أوائل الذين نادوا ببعث البلاغة العربية وبحثها بحثاً يقوم على تفهم مرامي القدماء ومقاصدهم وعلى الموازنة بينها وبين بلاغة اليونان وتلمس الأثر الفلسفي والعقلي فيها . وقد ألقى في الجمعية الجغرافية بالقاهرة في ١٩ مارس (آذار) سنة ١٩٣١ بحث « البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها » ثم اتبعه ببحوثه الاخرى وهي « مصر في تأريخ البلاغة » و « البلاغة وعلم النفس » ومقالته عن

البلاغة في دائرة المعارف الاسلامية – الطبعة العربية – وكتاب « فن القول » الذي رسم فيه مناهج بحث الفن الأدبي ، وكتاب « مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب » الذي ضم بحوثه المنشورة في المجلات العلمية ودائرة المعارف الاسلامية .

وألقى الدكتور طه حسين في مؤتمر المستشرقين في الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣١ بحثه « البيان العربي من الجاحظ الى عبد القاهر » وقرر فيه ان البيان العربي في أول نشأته وفي عهد الجاحظ تتبين فيه ثلاثة عناصر مختلفة هي : العنصر العربي والعنصر الفارسي والعنصر اليوناني ، وقد بلغ ذروته على يدي عبد القاهر الجرجاني ولم يتقدم بعده بل أخذ على العكس من ذلك في التأخر. والجديد في هذا البحث ان كاتبه نبّه الى أثر أرسطو في البلاغة العربية ، وقال ان البيان العربي كان في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا وبالبيان اليوناني أخيرا ، ولم يكن أرسطو المعلم الاول للمسلمين والعرب في الفلسفة وحدها ولكنه كان الى جانب ذلك معلمهم الاول في علم البيان . وكان لهذا الرأي أثر كبير فأخذ الباحثون يتلمسون ما أوجزه الاستاذ أمين الخولي والدكتور طه حسين ويقارنون بين بلاغة العرب وبلاغة اليونان .

وترجم الدكتور ابراهيم سلامة كتاب « الخطابة » لارسطو وقدّم له ببحث في ارسطو وخطابته وأثره في البلاغة العربية ، وألف كتاباً ممتعا هو « بلاغة أرسطو بين العرب واليونان » وسلّم فيه بكل ما جاء في بحث الدكتور طه وتتبع البلاغة العربية منذ الجاحظ متلمساً أثر أرسطو وموضحا فهم العرب لكتابيه « الخطابة » و « الشعر » . وكان كتابه أهم بحث في هذا الميدان لولا وقوفه عند عبد القاهر واهماله السكاكي والقزويني والقرطاجني والشراح وغيرهم ممن كان فيهم تأثير الفلسفة وعلم الكلام والمنطق أوضح وأشد ظهورا .

وكتب الاستاذ محمد خلف الله احمد سنة ١٩٤٦ بحثه « نقد لبعض التراجم والشروح العربية لكتاب أرسطو في صنعة الشعر » تحدث فيه عن

كثير مـــن القضايا المتعلقة بالبلاغة وتأثرها بالتيارات المختلفة .

وسار الدكتور شكري محمد عياد على خطاهم وتلمس أثر «كتاب الشعر» لأرسطو في البلاغة العربية وانتهى الى أن العرب تأثروا بأرسطو ، ويبدو أثر كتاب « الشعر » أو على الاصح أثر تلخيص ابن سينا له واضحاً عند اثنين من بلاغيي العرب هما عبد القاهر في القرن الخامس والقرطاجني في القرن السابع . وذهب الدكتور عياد الى ان في مقدمة الموضوعات التي بحثها العرب متأثرين بكتاب « الشعر » موضوع اللفظ والمعنى والتخييل والمحاكاة وفكرة النظم .

وألّف الاستاذ احمد الشايب في البلاغة والنقد كتاب «الأسلوب» الذي يعد دراسة بلاغية تحليلية لاصول الاساليب الادبية ، وكتاب « أصول النقد الادبي » الذي كان محاولة موفقة للجمع بين التراثين العربي والغربي في النقد . وتحدث المرحوم احمد امين عن النقد عند العرب في الجزء الثاني من كتابـــه « النقد الادبي » .

وكانت ثمرة الجهود التي بذلها شيوخ الازهر وأساتذة دار العلوم والجامعة ظهور دراسات جامعية لها أصالتها واسلوبها الجديد ككتاب « البلاغة العربية في دور نشأتها » للدكتور سيد نوفل وكتاب « النقد المنهجي عند العرب » للدكتور محمد مندور وكتابي « أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية » و « قدامة بن جعفر والنقد الادبي » للدكتور بدوي طبانه ، وكتابي « أثر القرآن في تطور النقد العربي الى أواخر القرن الرابع الهجري » و « ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد » للدكتور محمد زغلول سلام وكتاب « ابن أبي الاصبـــع المصري بين علماء البلاغة » للدكتور حفني محمد شرف وكتاب « الصبـــغ البديعي في اللغة العربية » للدكتور احمد ابراهيم موسى و « كتاب أرسطو في الشعر » للدكتور شكري محمد عياد ، وكتابي « البلاغة عند السكاكي » و « القزويني وشروح التلخيص » للدكتور احمد مطلوب .

وألفت كتب أخرى منها « تأريخ النقد والمذاهب الادبية » للدكتور طه

الحاجري و « فن التشبيه » و « فن الجناس » و « فن الاسجاع » و « البلاغة الفنية » للاستاذ علي الجندي ، و « البيان العربي » و « المرقات الادبية » للدكتور بدوي طبانه و « الصور البيانية » للدكتور حفني محمد شرف و « علم المعاني » و « نظرية عبد القاهر في النظم » و « النظم القرآني في كشاف الزمخشري » للدكتور درويش الجندي و « البلاغة العربية » للدكتور عبد العزيز عتيق و « دروس في البلاغة وتطورها » للدكتور جميل سعيد و « قضايا النقد الادبي والبلاغة » للدكتور محمد زكي العشماوي و « البلاغة تطور وتأريخ » للدكتور شوقي ضيف و « منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه » للدكتور مصطفى الصاوي الجويني و « أثر البلاغة في تفسير الكشاف » للدكتور عمر الملاحويش و « اعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق » للدكتور حفني محمد شرف ، وغيرها من الدراسات البلاغية .

الاتجاه النفسي :

وظهر اتجاه نفسي في دراسة الادب ونقده . ففي سنة ١٩٣٨ أنشأت كلية الآداب بجامعة القاهرة دراسة جديدة لطلبة الدراسات العليا جعلت موضوعها « صلة علم النفس بالادب » ، وظهرت دراسات طريفة في هذا الميدان منها بحث « البلاغة وعلم النفس » للاستاذ امين الخولي الذي قرر فيه ان البلاغة اتصلت قديما بعلم النفس اتصالاً وثيقا ولو لم يلمح القدماء هذه الصلة أو يرتبوا عليها أثرها . ورأى ان للوصل الوثيق بين البلاغة وعلم النفس أثراً قويا في اصلاح دراسة البلاغة وفي تغيير الآراء في مسائل أدبية أساسية كاعجاز القرآن وتعليله . ثم في تغيير أساس نظرنا في تفسير كتاب الله العزيز . وذلك بأن تقدم بين يدي الدرس البلاغي مقدمة نفسية هي أمس به وألزم له مما اقتبس من أبحاث أصولية أو منطقية أو فلسفة طبيعية وغيرها ، وأن تدرس في هذه المقدمة القوى الانسانية بعامة وما له منها أثر في بخاصة.. فنعرف غير قليل عن الوجدان

الحاجري و « فن التشبيه » و « فن الجناس » و « فن الاسجاع » و « البلاغة الغنية » للاستاذ علي الجندي ، و « البيان العربي » و « السرقات الادبية » للدكتور بدوي طبانه و « الصور البيانية » للدكتور حفني محمد شرف و « علم المعاني » و « نظرية عبد القاهر في النظم » و « النظم القرآني في كشاف الزمخشري » للدكتور درويش الجندي و « البلاغة العربية » للدكتور عبد العزيز عتيق و « دروس في البلاغة وتطورها » للدكتور جميل سعيد و « قضايا النقد الادبي والبلاغة » للدكتور محمد زكي العشماوي و « البلاغة تطور وتأريخ » للدكتور شوقي ضيف و « منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه » للدكتور مصطفى الصاوي الجويني و « أثر البلاغة في تفسير الكشاف » للدكتور عمر الملاحويش و « اعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق » للدكتور حفني محمد شرف ، وغيرها من الدراسات البلاغية .

الاتجاه النفسي :

وظهر اتجاه نفسي في دراسة الادب ونقده . ففي سنة ١٩٣٨ أنشأت كلية الآداب بجامعة القاهرة دراسة جديدة لطلبة الدراسات العليا جعلت موضوعها « صلة علم النفس بالادب » ، وظهرت دراسات طريفة في هذا الميدان منها بحث « البلاغة وعلم النفس » للاستاذ امين الخولي الذي قرر فيه ان البلاغة اتصلت قديما بعلم النفس اتصالاً وثيقا ولو لم يلمح القدماء هذه الصلة أو يرتبوا عليها أثرها ، ورأى ان للوصل الوثيق بين البلاغة وعلم النفس أثراً قويا في اصلاح دراسة البلاغة وفي تغيير الآراء في مسائل أدبية أساسية كاعجاز القرآن وتعليله ، ثم في تغيير أساس نظرنا في تفسير كتاب الله العزيز ، وذلك بأن تقدم بين يدي الدرس البلاغي مقدمة نفسية هي أمس به وألزم له مما اقتبس من أبحاث أصولية أو منطقية أو فلسفة طبيعية وغيرها ، وأن تدرس في هذه المقدمة القوى الانسانية بعامة وما له منها أثر فني بخاصة.. فنعرف غير قليل عن الوجدان

وعلاقته بمظاهر الشعور الاخرى من ناحية عمله الفني . ونعرف مثل ذلك عن الخيال والذاكرة والاحساس والذوق الذي طال التحدث عنه في البلاغة . كما يجب أن نعرف الكثير عن امهات الخوالج الانسانية من حب وبغض وحزن وفرح وغيرة وانتقام وما الى ذلك مما هو مادة المعاني الادبية الكبرى في الآداب الانسانية كلها ، وعلى الخبرة بحركات النفس فيه [1] .

ومن تلك البحوث كتاب « من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده » للأستاذ محمد خلف الله أحمد الذي قال في مقدمته : « وفي اعتقادي انه لن يتسنى التحرر من نير البلاغة الشكلية والعودة بالنقد العربي الى وظيفته الجوهرية من حسن فهم للنص الادبي وخضوع لنواحي تأثيره ومشاركة لمنشئه في تجربته وإدراك لما بين الادب والحياة من صلات — إلاّ على أساس من فلسفة ذوقية نفسية شاملة تنير السبيل امام الناقد وتوسع آفاقه وتعيد للتجربة الادبية طابعها الانساني الاصيل » . وقد أثارت آراء الاستاذ خلف الله مناقشات كثيرة وكتبت مقالات مستفيضة في نقدها [2] كان لها أكبر الاثر في توجيه الحياة الادبية .

ومنها كتاب « دراسات في علم النفس الأدبي » للأستاذ حامد عبد القادر ، تحدث فيه عن الادب وعلاقته بعلم النفس وقرر ان من « أهم القواعد التي تعين الأديب وتنير له السبيل قواعد علم النفس » [3] . وعرّف علم النفس الادبي بقوله : « هو علم يبحث في عقل الانسان من حيث كونه معبرا عن أفكاره بأساليب لغوية راقية أو مقدراً لتعبير الناس عن أفكارهم بتلك الاساليب»[4] . وتحدث عن العمليات العقلية الهامة المؤثرة في الانتاج والنقد الادبي ، وعن الفنون

---

(١) ينظر مناهج تجديد ص ١٩٣ ، ٢٦٨ ، وينظر تعقيب سيد قطب عليه في كتابه النقد الادبي ص ١٩٣ .

(٢) ينظر في الميزان الجديد ص ١٢٩ ، والنقد والنقاد المعاصرون ص ١٥٣ ، وفي الادب والنقد ص ٣٩ ، وثقافة الناقد الادبي ص ٣٨١ وما بعدها .

(٣) دراسات في علم النفس الادبي ص ١٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨ .

واسرار الجمال فيها ووضع منهجاً عمليا للنقد الادبي ، والمؤلف في هـذا الكتاب خطا خطوة عملية في النقد القائم على معرفة أسرار النفس والاستعانة بما توصل اليه علم النفس الحديث . وصدرت بعد ذلك عدة كتب في هذا الاتجاه منها : « الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة » للدكتور مصطفى سويف و « التفسير النفسي للأدب » للدكتور عز الدين اسماعيل ، و « علم النفس والادب » للدكتور سامي الدروبي .

وهذه الكتب والدراسات تعد خطوة كبيرة في هذا المجال، وهي أوسع افقاً مما أشار اليه القدماء في كتبهم كعبد القاهر الذي حاول ان يرجع الاعتبارات النقدية المختلفة الى اسس عامة في نظم الكلام وتأثيره في النفوس ، وان يجعل من هذه الاسس قواعد واصولا لهداية الذوق العربي . ولكن المحدثين أطالوا الوقوف عند علم النفس وصلته بالادب ونقده واخذوا من الدراسات النفسية الحديثة ما فيه الفائدة العظيمة والنفع العميم .

بين الهدم والبناء :

وظهر اتجاه فيه هدم للغة العربية وبلاغتها ودعوة الى العامية . وكـان المستشرق الالماني وهلم سبيتا وكارلولندبرج – عمر السويدي – وولكوكس وسلدن ولمور من أهم الدعاة . وحمل هذه الدعوة بعدهم بعض المصريين كسلامة موسى الذي تتضح في مقالاته وكتابه « البلاغة العصرية واللغة العربية » أهدافه ومراميه ، فهو من الذين بشروا بآراء ولكوكس ومجدوها ، وانتهى في كتابه الى ان العربية وأدبها وبلاغتها بالصورة التي ورثناها بحاجة الى تغيير كبير يقضي على معالم التخلف الذي رزحت به الامة ردحا طويلا من الزمن ، وان تخلف الامة وجمودها يرجع الى اللغة وحدها ، « لاننا نفكر ونتبعث بالكلمات ، وسلوكنا في البيت والشارع والحقل والمصنع هو قبل كل شيء سلوك لغوي ، لان كلمات اللغة تقرر لنا الافكار والانفعالات وتعين لنا السلوك كما لو كانت

أوامر ، بل نستطيع ان نقول ان سيادة البريطانيين على الهنود أو المتحدثين على المتوحشين هي الى حد ما سيادة لغوية أي مجموعة خصبة وافية من كلمات المعارف والاخلاق تحدث براعة في الفن وتوجيهاً في السلوك يؤديان الى السيادة وأحيانا الى العدوان »[1] . ورأى ان فن البلاغة العربية كان وما يزال فن التعبير عن العاطفة والانفعال ، ونحن لا نفكر حين ننفعل أو نستسلم للعاطفة التفكير الحسن، ولذلك فان هذا الكلام لا يخدم التفكير العلمي والفلسفي . وان المجتمع الحسن هو الذي يقوم على العقل وحل المشكلات بالمنطق فنحن في حاجة الى بلاغة جديدة تؤدي الى دقة الفهم العلمي لايجاد مجتمع علمي ، بلاغة تميز بين الكلمة الذاتية والكلمة الموضوعية ، وان اللغة تراث قديم تحمل كلماتها معاني الحياة البدائية أو تحمل معاني السحر بل هي حافلة بأحافير ورواسب يجب ان نتوقى استعمالها اذا شئنا التفكير السديد ، وان البلاغة الجديدة هي بلاغة المنطق الذي يرشدنا الى توقي الخطأ ، والتفكير السديد هو التفكير العلمي الموضوعي الذي يقوم على التجربة ، واللغة الحسنة هي التي تؤدي المعنى بدقة هندسية ووضوح إقليدي .

وليس فيما كتب سلامة ما يدعو الى الوقفة الطويلة والتأمل العميق ، لانه نابع عن عاطفة تخدم أهدافا معينة ، وقوله : « فحياتنا العصرية تختلف من الحياة العربية قبل ألف سنة ، فاذا كنا نسلم بأن فن البلاغة يجب أن يكون في خدمة هذه الحياة العصرية فانه يجب أن يتغير كي يخدمها — فلم يعد مجتمعنا في حاجة الى البهارج والزخارف البديعية تحطم رؤوس أبنائنا بتعلمها وممارستها ، ولكنا في حاجة الى أن نجعل البلاغة فنا للتفكير الحسن السديد »[2] حق أريد به باطل ، لان دعوته الى هدم العربية والقضاء على تراثها واضحة في كتابه ، وليس وراء آرائه ما فيه الاصلاح والبناء . يضاف الى ذلك ان واقع الحياة

---

(١) البلاغة العصرية ص : ٨ .

(٢) البلاغة العصرية ص ٧٣ .

العربية طوال القرون الماضية يكذب دعواه ويفند آراءه ، ولن تخدع عباراته المبصرين والمنصفين .

وليست دعوة سلامة فريدة بل تمسك بها بعض من بهرهم التجديد الكاذب أو أخذت بمجامع قلوبهم التيارات المسمومة [1] . ولما رأى المرحوم الاستاذ احمد حسن الزيات ان البلاغة وجهت اليها الطعنات وقف كالطود الشامخ بوجه الذين أرادوا القضاء عليها وألّف كتابه « دفاع عن البلاغة » [2] وقد أوضح فيه ان للفن وسائله وأدواته وتقاليده المرعية ، والادب الرفيع فنٌّ الطريق اليه طويل شاق ، وهو كسائر الفنون لا بدّ له قبل البدء في المسير من موهبة تعين وتلهم وتسدد الخطا . ان كتاب الزيات ردّ لآراء الذين دعوا الى التخلي عن البلاغة وأساليبها الرفيعة ، وهو رد قائم على العرض السليم والنقاش الهادىء والادلة المقنعة . وقد أرجع أسباب التنكر للبلاغة الى ثلاث ظاهرات : السرعة والصحافة والتطفل ، وهي البلايا التي تكابدها البلاغة في هذا العصر . أما السرعة وهي جناية اختراع الآلة على الناس فقد كانت جريرتها على الفكر بوجه أعم ان استحال تقدير القيم التي يحتاج وزنها الى الروية والتأمل والاناة والصبر فظهر الخبيث في صورة الطيب ودخل الرديء في حكم الجيدوقيس كل عمل بمقياس السرعة لا بمقياس الجودة . وكانت جريرتها على البلاغة بوجه أخص أنها أصابت الاذهان فلم تعد تملك الاحاطة بالاطراف ولاالغوص الى الاعماق فجاء لذلك أكثر انتهاجا من الغثاء الذي لا رجع منه أو الزبد الذي لا بقاء له.وأصابت الافهام فلم تعد تصبر على معاناة الجد من بليغ الكلام فكان من ذلك انكبابها على الادب الخفيف الذي لا غناء فيه ولا وزن له . وأصابت الاذواق فلم تعد تميز الفروق الدقيقة بين العلوم المختلفة فاختلط الحلو والمر والتبس الفج بالناضج . فالكاتب البليغ قد يعجله الحافز الملحّ عن تعهد كلامه

---

(١) ينظر كتابنا : النقد الادبي الحديث في العراق ص ١٣٠ وما بعدها .

(٢) ينظر بحثنا « دفاع عن البلاغة » المنشور في مجلة الاقلام (العدد ١٢ – آب ١٩٦٨ م) بغداد .

فيأتي بالركيك التافه ، والكلام البليغ قد يسرع فيه النظر فلا يفطن الذهن الى عبقريات الفن في تصوره فيذهب في ذمة الغث . وقد تقع السرعة خطأً في موازين بعض النقاد فيحسبونها شرطاً في حسن الانتاج وربما عابوا الكاتب المروّي بالابطاء وغمزوه بالتجويد .

وأما الصحافة فقد كانت جريرتها على البلاغة انها أوشكت أن تستبد بالمجال الحيوي للكتابة ، وليس في هذا الأمر على ظاهره نكير ولا مؤاخذة ولكن عمل الصحافة رواية الاخبار العالمية وتسجيل الاحداث اليومية ونشر الثقافات العامة ، وهي في كل اولئك تخاطب الجمهور فلا مندوحة لها عن التبذل والتبسط والاسفاف والمط مراعاة للموضوعات التي تكتب فيها وللطبقات التي تكتب لها وللسرعة التي تعمل بها . ومن أجل ذلك طغت العامية وفشت الركاكة وفسد الذوق وأصبحت العناية بجمال الاسلوب تكلفاً في الاداء والمحافظة على سر البلاغة رجعة الى الوراء ، ولم يبق للمخلصين للغة الوحي وأدب الرسالة الا أن يكتبوا لانفسهم ولمن يعصمهم الله من أعقاب هذا الجيل .

وأما التطفل فهو ظاهر الاثر على موائد الصحافة غير ان الذي يعنينا هو تطفل فئة من أرباب المناصب لا يقدح في كفايتهم ان لا يكونوا كتاباً وشعراء ولكنهم يأبون الا أن يضموا المجد من جميع حواشيه ، فهم يتكلفون ما ليس في طباعهم من صناعة البيان فيقعون في النقص وهم يريدون الكمال ، لانهم أعجز من ان يخلقوا في رؤوسهم ملكة الفن بمجرد الارادة أو الامر أو الدعاء ، فإصرارهم على أن يعدّوا في كبار الكتاب على ما فيهم من تخلف الطبع وخمود القريحة وضعف الأداة دفعهم الى مشايعة الجهلاء في تنقص البلاغة وخفض مستواها الى الدرك الذي لا يعزّ مناله على القاعد .

تلك هي البلايا الثلاث التي تكابدها البلاغة في هذا العصر ، وهي التي دفعت بعض الادباء الى الاسفاف فيما يكتبون . وقد شخصها المرحوم الزيات تشخيصاً دقيقاً بعد ان اطلع على الاساليب البيانية في هذا العصر وعرف الاساليب

الرفيعة التي استهوته فكان رائدا من رواد البلاغة في هذا القرن .

وبعد ان وضع المعالم في الطريق تحدث عن « البلاغة بين الطبع والصنعة وبين القواعد والذوق » وذكر انها كسائر الفنون طبيعة موهوبة لا صناعة مكسوبة ، ومن حاول أن ينالها بإعداد الآلة وادمان المزاولة وطول العلاج وهو لا يجد أصلها في فطرته أضاع جهده ووقته فيما لا رجع منه ولا طائل فيه . على أن الطبع والقريحة لا يغنيان في البلاغة عن الفن ، واذا كانت القواعد هـي النتائج التي استنبطتها الاذهان القوية من وسائل الطبيعة وطرقها ، فان الشأن في البلاغة يجب أن يكون هو الشأن في سائر الفنون التي اخترعتها الغريزة وأصلحتها التجربة ورقاها المران . فعلم البيان هو الجزء النظري من فن الاقناع ، والبلاغة هي الجزء العملي منه ، هو ينهج الطرق وهي تسلكها ، وهو يعين الوسائل وهي تملكها ، وهو يرشد الى الينبوع وهي تغترف منه . ولم يضع الواضعون القواعد البيانية الا بعد أن رجعوا الى أصول الاشياء ودرسوا علائقها بالنفس والحس ، وعرفوا نتائج هذه العلائق من الألم واللذة ثم استخلصوا من تجارب العصور المستنيرة النتائج الصحيحة ثم صاغوها قواعد وقالوا انها أمثل الطرق لاحسان العمل دون أن يخضعوا قريحتك لها ولا أن يسمحوا لهواك بالخروج عنها ، فإن بين الاستبداد والفوضى نظاماً هو أحق أن يؤثر ويتبع ، وكذلك الذوق لا يمكن ان يكون بغير القواعد طريقاً مأمونة الى عمل من أعمال الادب .

وتكلم الزيات بعد ذلك في حد البلاغة ، والبلاغة التي يعنيها ويدفع عنها هي البلاغة التي تحدّى بها القرآن أمراء القول في عهدٍ كان الادب فيه صورة الحياة وترجمة الشعور وعبارة العقل ، هي البلاغة التي لا تفصل بين العقل والذوق ولا بين الفكرة والكلمة ولا بين المضمون والشكل ، اذ الكلام كائن حي روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فاذا فصلت بينهما أصبح الروح نفسا لا يتمثل والجسم جمادا لا يحس . والبلاغة توجه الى العقل أو الى القلب او اليهما معا ، تبعا لما تقتضيه حالات المخاطبين من مقاومة الجهل والرأي والهوى

منفردة أو مجتمعة ، ولها آلة ، وآلتها الطبع الموهوب والعلم المكتسب . والطبع هو ملكات النفس الاربع : الذهن الثاقب والخيال الخصب والعاطفة القوية والاذن الموسيقية ، وأقل ما يجب على طالب البلاغة درسه هو اللغة والطبيعة والنفس .

وفي كتاب « دفاع عن البلاغة » دراسات ممتعة في الذوق والاسلوب وخصائصه وهي في نظر الزيات ثلاث : الاصالة والوجازة والتلاؤم ،وهذه هي صفات الاسلوب الذي عرفه وآثره في كل ما كتب وترجم ، ومقالاته التي نثرها في مجلة الرسالة وكتبه التي أخرجها للناس تؤيد ما ذهب اليه وآمن به ، فقد كان – رحمه الله – من أرباب الاساليب الرفيعة وممن يعنون بالكلمة والعبارة . ورب قائل يقول : ان هذه الصفات الثلاث أخذها من انشائه وجعلها صدى للأدباء ، وفي كلامه ما يبدد هذا ويزيل الوهم ، قال : « على ذلك نستطيع أن نتحدث اليوم اليك عن صفات الاسلوب الذي عرفناه وآثرناه ، وحاشاك ان تفهم مما قدمت ان في ذهني اسلوباً معيناً جعلته المثال وان في بالي مثالاً خاصا جعلته للقياس ، فاني ذكرت لك من قبل ان الاساليب تختلف باختلاف الذهن والثقافة والنوع والغرض والحال والشخص الذي يتحدث . فأسلوب القصة غير اسلوب الرواية ، واسلوب العتاب غير اسلوب الشكر ، واسلوب التأثيرغير اسلوب الاقناع ، واسلوب العالم غير اسلوب العامل، وكل اسلوب بليغ في بابه مقبول من أصحابه » (١) .

والاصالة في الاسلوب بناؤها على ركنين أساسيين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة وتلك هي الصفة الجوهرية للاسلوب البليغ والسمة المميزة للكاتب الحق . وملاك الاصالة ان لا يكتب الاديب كما يكتب الناس ، ملاكها أن يكون أصيلا في نظرته وكلمته وفكرته وصورته ولهجته فلا يستعمل لفظاً عاما ولا تعبيراً محفوظا ولا استعارة مشاعة . وخصوصية اللفظ

(١) دفاع عن البلاغة ص ٩٣ – ٩٤ .

هي دلالته التامة على المعنى المراد ووقوعه الموفق في الموقع المناسب ، وطرافة العبارة أساسها الابتكار في حكاية الخبر وتصوير الفكر وتقويم الموضوع .

والوجازة باجماع الرأي هي حد البلاغة ، وأصل بلاغات اللغات وهي في بلاغة العربية أصل وروح وطبع .

والتلاؤم أو الموسيقية أو الهرمونية كلمة جامعة لكل وصف لا بدّ منه في اللفظ ليكون الكلام خفيفاً على اللسان مقبولاً في الاذن موافقا لحركات النفس مطابقاً لطبيعة الفكرة أو الصورة أو العاطفة التي يعبر عنها الاديب .

وختم الزيات كتابه بالحديث عن المذاهب الأدبية الأوربية من اتباعية وابتداعية وواقعية وما نبع منها كالبرناسية ، وانتقل منها الى المذاهب الادبية العربية وميّز منها دعوتين : الدعوة الى العامية والدعوة الى الرمزية ، وعزا الاولى الى الجهل بالفصحى وهي دعوة لا يمكن ان تكون مذهباً من مذاهب القول يقوى على الجدل ويثبت على النقد « انما هي ضرب من الشيوعية الادبية أشبه بالشيوعية المادية ، تصدر دوافعها الحقيقية عن موجدة الفاقد على الواجد وحقد العاجز على القادر ، وسخط الضعيف على القوي ولكن الشيوعيين في الفن نسوا ان توزيع المكاسب من عمل المخلوق فلا وزن له وان توزيع المواهب من عمل الخالق فلا حيلة فيه »[1] .

والدعوة الى العامية لا تلبث ان تنتهي الى احدى غايتين : اما الخروج من ميدان الكتابة لليأس من الفوز فيه ، وأما السمو الى أفق البلاغة بابتغاء الوسيلة اليه . وفي الاستاذ توفيق الحكيم المثل الذي يؤيد الفكرة ، فقد مسته في الشباب الاول مواسّ الفن فأخذ يعالجه قبل أن يتوسل اليه بوسائله ويستعين عليه بأداته فلما دفعه استعداده الفني الى الصفوف الاولى من مجالس الادب أدرك أن العامية لن تجعله كاتبا وان جود القصص وأبدع الحوار وأحسن

---

(١) دفاع عن البلاغة ص ١٦٣ .

العرض ، فأخذ ينظر في اللغة ويطلع على الادب حتى أصبح له اسلوب، ولاسلوبه جمال .

وأما الرمزية فيرجع الولوع بها الى أمرين :

الاول : نوع من الصوفية قد اعترى بعض النفوس اللطيفة فاستشعروا السمو على الناس بذكاء القلب وسلامة الذوق وصفاء الحس فتصوروا في الفراغ شيئا وتوهموا في الظلام نورا ، ثم عبروا عن أشياء لا تدرك بكلمات لا تفهـم .

والثاني : نوع من الحذلقة والاغراب يصيب النفوس الماجنة فيجدون لذتهم وفكاهتهم في ان يغربوا على عقول السذج بهذه الالفاظ الفارغة والجمل الجوف وأن يروهم يحملقون في الفواصل وفي الابيات كما يحملق الاطفال في الغرفة المظلمة أو البئر المعطلة . ولكي يدلل على هذا الرأي عرض قصيدة « الى زائرة » للدكتور بشر فارس وقطعة « حياتنا » للأستاذ البير أديب ، وآثر كلام ألبير لانه أشف عن معانيه الهائمة الغائمة من القطعة الشعرية ، وان كان هذا اللون من الادب لا يعجبه ولا يهز فيه شعورا قويا . ومن أجل هذه القضايا ألف الزيات كتابه ليضع معالم البلاغة ويرسم اسلوب الادب الرفيع ، قال : « ومن أجل ذلك وضعنا هذه القضية وكتبنا هذا الدفاع وهو دفاع نعتقد ان فيه الحرارة والاخلاص ، وفيه الصراحة والجد . فان أعوزته بعد ذلك وثاقة الحجة واصالة الرأي واصابة الغرض فهو بلاغ لمن يقدرون على ذلك ، بلاغ الى شيوخ الازهر فهم حماة الدين وملاذ الفصحى ، والى رجال كلية الآداب فهـم معقد الرجاء في تصحيح المعرفة وتوجيه الثقافة ، والى شباب دار العلوم فهم مناط الثقة في انعاش الادب وانهاض البلاغة ، ثم الى أعضاء المجمع اللغوي فهم عماد النهضة في تهذيب النحو وتجديد اللغة » [١] .

---

(١) دفاع عن البلاغة ص ١٧٧ .

منـــاهج جديـــدة :

حاول المحدثون أن يضعوا مناهج بحث البلاغة الجديدة بعد ان وقفت عند الرسوم التي حددها السكاكي ومن بعده القزويني وشراح تلخيصه . ومـــن هؤلاء المرحوم الاستاذ طه أحمد ابراهيم الذي لم تطبع محاضراته في البلاغة ، والاستاذ المرحوم أمين الخولي الذي يرى ان التقسيم القديم لا اساس له ولا غناء فيه ، لانه ينبغي ان يشمل البحث البلاغي الكلمة والجملة والفقرة والقطعة لا البحث في الجملة والجملتين فقط ، وان ما حشدته طريقة العجم واهل الفلسفة فيها من مقدمات منطقية واستطرادات فلسفية مختلفة ينبغي أن تبعد وتضم الى البلاغة مكانها مقدمات جديدة لا بد منها لدراسة فنية تقوم على الاحساس بالجمال والتعبير عنه . وهذه المقدمات تتعلق بعلم النفس وأثره في التعبير الادبي والوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور من ناحية العمل الفني وبالخيـــــال والذاكرة والاحساس والذوق ، ثم نبدأ بعدها بدراسة البلاغة دراسة جديدة تقوم على منهج صحيح من غير ان نفرط بتراثنا وبلاغتنا القديمة ، لأن التجديد ليس معناه هدم القديم وانما هو البناء بعد الاستعانة به وبما وصلت اليـــــه الحضارة في هذه الايام .

وتجمعت جهوده في كتابه « فن القول » الذي كان توجيهاً منهجياً شاملاً لبحث البلاغة وخلق مدرسة جديدة ، فهو يرى ان بحوث فن القول ينبغي ان تكون ثلاثة أبواب هي : المبادىء والمقدمات والبحوث ، وندرس في الاول تعريف فن القول وغايته وصلته بغيره من الدراسات ، وندرس في الثـــاني مقتبسات من القضايا النفسية التي تعيننا كثيرا في فهم الادب وتذوقه والاحساس بما فيه من روعة وجمال . أما البحوث فتضم البحث في الكلمة الواحدة من حيث هي عنصر لغوي وما فيها من جمال وجرس موسيقي له أثر في التعبير ، والبحث في الجملة وما فيها من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر وايجاز ، وتضم البحث في الفقرة وما فيها من فصل ووصل وما تؤدي من صور ، والبحث في

صور التعبير كالتشبيه والاستعارة والكناية والرمز والايحاء والتورية ، وتضم القطعة الادبية ، واخيرا ندرس الاساليب الفنية في الادب وانواعها كالاسلوب الرمزي والفكاهي والتهكمي . وبهذا المنهج الواسع الذي يشمل معظم مباحث البلاغة القديمة وكثيرا من الفنون الحديثة نستطيع ان ندرس البلاغة دراسة جديدة تقوم على تفهم الفن الادبي ومقاييسه البلاغية والنقدية .

وقد فصّل القول في منهجه الجديد ووضع أبوابه وفصوله ومفرداته في خاتمة « فن القول » وقال عنه : « تلكم هي خطة فن القول وتنسيق بحوثه لا نقول إنها في صورتها الاخيرة بل نقول انها تخطيط لمحاولة نأمل أن تظل أبد الدهر لو أمكن ذلك رهن التغيير والتعديل وهدف التجديد والتحسين ، يضيف اليها ويحذف منها وينسقها من تهيأت له القدرة الصادقة على ذلك وكانت له فيه بصيرة خبيرة ليظل هذا الدرس للفن القولي صدى لحياة أهله وسبيلا لتحقيق غاياتهم في الحياة الوجدانية الراقية »[1] .

وكان كتاب « الاسلوب » للاستاذ احمد الشايب ثمرة خبرة عميقة في درس البلاغة وتدريسها ، وقد وضع في ضوء هذه الخبرة والتجارب منهجه الجديد . ويرى ان ينحصر موضوع علم البلاغة في بابين أو كتابين : الاسلوب والفنون الادبية ، فندرس في الاسلوب القواعد التي اذا اتبعت كان التعبير بليغاً أي واضحاً مؤثرا فندرس الكلمة والصورة والجملة والعبارة وعناصر الاسلوب وانواعه وصفاته ومقوماته وموسيقاه . وفي هذا القسم نضع البلاغة العربية ، فعلم المعاني يدخل في بحث الجملة وعلم البيان وأغلب البديع يدخل في باب الصورة ، وتبقى المباحث الاخرى مهملة في هذه الكتب التي انتهت اليها الدراسة البلاغية . وفي الفنون الادبية – وقد تسمى قسم الابتكار – ندرس مادة الكلام واختيارها وتقسيمها وتنسيقها وما يلائم كل فن من الفنون الادبية وقواعدها كالقصة والمقالة والوصف والرسالة والمناظرة والتأريخ :

(١) فن القول ص ٢٢٣ .

وبالموازنة بين بحوث البلاغة كما دونتها الكتب العربية الاخيرة وموضوعها كما يجب ان يكون – انتهى الاستاذ الشايب الى أن نصف البلاغة النظرية مفقود في اللغة العربية ، أكثره في قسم الفنون الادبية وباقيه في باب الاسلوب وان شطراً من الاسلوب قد درس في المعاني والبيان والبديع وهو شطر على خطورته يعوزه التنسيق . ولسنا بحاجة الآن الى هذه الاسماء التي تسمى علوماً خاصة لاجل فصول بلاغية يسيرة ، وان البلاغة العربية بحاجة الى وضع علمي جديد يشمل هذه الابواب والفنون ويصل بينها وبين الطبيعة الانسانية وملابساتها الزمانية والمكانية حتى يخدم الادب ، وان الادباء هم أولى الناس بدرس البلاغة حتى يخلصوها من أساليب الفلاسفة ومذاهبهم وألغازهم فذلك هو الذي أفسد بلاغتنا وحوّلها بحوثا لفظية عقيمة أشبه بالرياضة والكيمياء [1] .

ويرى الاستاذ عبدالله العلايلي ان ننهج في دراسة البيان الجديد أحد وجهين : الاول : الغاء كلّ مباحثه واصطلاحاته سوى التشبيه والكناية فان ما بقي يرجع اليهما من أقرب الطرق اذا أنصفنا التطبيق ولم نتحرج عليه بتحيل محض . فهذه الاستعارة بالكناية يمكن ان ترد الى التشبيه الكنائي فيقال في مثل :

وإذا المنيّةُ أنشبت أظفارَها ألفيتَ كُلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

شبهنا المنية بشيء له أظافر وأرسلناه كناية عن الامساك في دقة وشدة تعلق ، وما وراء هذا من التخييل تخيل ، أو بدون ملحظ التشبيه أصلا وانما من اول الامر يقال جعل للمنية أظفارا كناية عن دقة التعلق وعسر الخلاص .

والثاني : الى حقيقة ومجاز ، وكل منهما كناية وتجريد ، والكناية الحقيقية تشمل الكناية البسيطة والتشبيه والمجاز المركب ، والكناية المجازية تشمل كل كناية انبنت على تشبيه ، والكناية المركبة .

---

(١) ينظر الاسلوب ص ٢٨ – ٣١ .

اما علم المعاني فلما كان للغة بمثابة المنطق فيرى ان لا يدرس في كتب القواعد كعلم بل يدرس على نهجه في كتب الأدب كما نجد عند الجرجاني في « دلائل الاعجاز » والزمخشري في « الكشاف » مع تهذيب مباحثه لتكون أدخل في الذوق وأقرب مناطا بالنفس ، ويدرس علم البديع كما يدرس علم المعاني [١].

وتكلم الاستاذ أدور مرقص في مقالته « نظرة في قواعد علوم اللغة العربية وآدابها » على أنواع البديع المقترحة ، قال : « وقد فكرت في ذلك مليـــا وقلت ان هذا الفن اصبح معرضا لناموس رد الفعل فهو الآن محتاج الى شيء من الاندغام والاندماج عوض ما وقع فيه من التمدد المفرط المحسوب مضلة ومتاهة . ومن ثم اجتهدت في رد أنواعه الى أجناس قليلة يدخل تحت كل جنس منها عدة أنواع » [٢] .

وأمهات الاجناس البديعية التي تنبه لها : الموافقة ، المخالفة ، الترتيب المبالغة الاستدراج ، التلميح ، حسن التعليل ، الايهام ، التدقيق ، التوليد ، الكلام الجامع .

اما الموافقة فتنطوي على أنواع الجناس والمراجعة والتوشيح وتشابــــه الاطراف والتفويف والتصدير ومراعاة النظير والتمثيل والتوجيه والترديد والتكرار والمناسبة والتشبيه والتفصيل والمشاكلة والجمع والتصريع وتشبيــه شيئين بشيئين والاشتقاق والاتفاق والمماثلة والتسهيم والتطريز والترجيــع والتفريع والسجع والتسميط والالتزام وائتلاف اللفظ مع المعنى ومع الوزن وائتلاف المعنى مع المعنى والحذف والتدبيج .

---

(١) تنظر مقدمة لدرس لغة العرب ص ٤٣ — ٤٥ ، وتهذيب المقدمة اللغوية ص ٢٨٤ وما بعدها .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١٩ ص ٤٨١ ، وينظر رأيه أيضا في مجلة المقتطف المجلد (١٠٢) ص ٢٨٢ .

واما المخالفة فينطوي تحتها : الطباق والمقابلة وإيهام التضاد والمناقضة والعكس والتفريق والسلب والايجاب والرجوع والاستدراك .

واما الترتيب فينطوي تحته : الترتيب والطي والنشر وايهام التناسب والاطرد والتقسيم والتفسير والايضاح وحسن النسق والتشطير والتعديد وجمع المؤتلف والمختلف والمزاوجة والجمع مع التقسيم والجمع مع التفريق .

وأما المبالغة فتشتمل على التبليغ والاغراق والغلو والقسم وتجاهل العارف والاستثناء وحصر الجزئي وإلحاقه بالكلي .

وأما الاستدراج فيشتمل على الافتنان والتذييل والاستتباع والادماج وحسن التخلص وعتاب المرء نفسه .

واما التلميح فيدخل في دائرته : التلميح والاشارة والاكتفاء والتوجيه والاقتباس والتضمين والابداع والالغاز وبراعة المطلب .

وأما حسن التعليل ففيه حسن التعليل والالتفات والمذهب الكلامي والاتساع والمغايرة .

واما الإيهام ففروعه : الابهام والمدح في معرض الذم والذم في معرض لمدح والتورية والاشتراك والاستخدام .

وأما التدقيق فأقسامه التشريع والايغال والاعتراض والاحتراس والفرائد اوالتنكيت والتكميل .

وأما التوليد ففروعه : التوليد وسلامة الاختراع وحسن الاتباع .

واما الكلام الجامع ففيه : الكلام الجامع وارسال المثل .

وأضاف جنس الكناية ، وهو عنده الكناية والتعريض والارداف والايضاح والقول بالموجب .

ويلاحظ ان هذه الاجناس المنطوية على هذه الانواع لا تقتصر على

الانواع المختصة بفن البديع كما عرفه البلاغيون بل تتناول معظم الاساليب البليغة التي تشير اليها فنون البلاغة الثلاثة . وقد وسع الباحث مفهوم هذه الفنون ونظر اليها نظرة لغوية الى جانب كونها مصطلحات فنية ، وبذلك استطاع أن يتصرف فيها هذا التصرف الحسن وينظر اليها هذه النظرة الشاملة .

ويرى الاستاذ أنيس المقدسي ان تبويب موضوعات البلاغة القديم لا يفيد كثيرا ولذلك وضع تبويبا آخر ليكون اقرب الى واقع اللغة ، قال : « رأينا ان مقاييس البلاغة لم توضع اعتباطاً ولا توقيفاً بل ترجع الى اعتبارات نفسية عامة . وقد اهتم علماء العربية قديما بهذه المقاييس وتدارسوها في أقسامها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، وافتن الشعراء والمنشئون في التأنق بصورها ، على ان العلماء مع توفرهم على درسها وشرحها لم يعنوا بتبويبها تبويباً منطقيا يسهل على الباحث فهم حقيقتها والرجوع الى اصولها » [1] .

وبوبّها تبويبا جديداً وحصرها في ستة ابواب هي : باب التعادل ويراد به تماثل الفقرات في الجمل وزناً وتركيبا ، وقد يسمى الازدواج ويدخل فيه التوازن والمماثلة والسجع والتسميط والترصيع والتزاوج .

وباب التواطؤ اللفظي : وهو أن تكون الالفاظ على جرس واحد أو من أحرف متشابهة سواء اختلفت في المعنى أم لم تختلف . وتقوم بلاغتها على تنبيه الذهن الى المعنى بمعارضة اللفظين المتجانسين وعلى ما فيها من حلاوة موسيقية ناشئة عن تجانس الحروف وتآلفها . ويدخل فيه : الجناس والتورية والتصدير والعكس والجمع مع التفريق والمجاورة والطي والنشر .

وباب التواطؤ المعنوي : ويتناول ما كان فيه مشابهة بين شيئين ، ومنه التشبيه والتمثيل والاستعارة ومراعاة النظير وتجاهل العارف .

وباب المغايرة : وهو عكس المشابهة ويراد بها الجمع بين المتضادات او

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣٠ ص ٣٥ .

اشباهها ، ويدخل فيه المقابلة والمطابقة والطرد والعكس والتهكم والاستفهام البياني والتغاير والسلب والايجاب . وقد يدخل تحت هذا الباب المناقضة والاستدراك والاستثناء والمجاورة والترديد وغير ذلك من هذه المقابلات .

وباب الخروج عن المعتاد : ويشمل المجاز المرسل والتجريد والالتفات وتقديم ما حقه التأخير وبالعكس وتأخير المتقدم والغلو والمبالغة .

وباب الايماء إلى غرض : ويدخل فيه الكناية والتوجيه والاكتفاء والاتفاق والاشارات اللغوية والعلمية والادماج والتذييل والتتميم .

واذا رجعنا إلى هذه الاتجاهات والآراء رأينا ان منهج المرحوم أمين الخولي أقرب إلى واقع البلاغة العربية لما امتازبه من جمع شتاتها وتوزيعها توزيعاً جديدا ، ويلاحظ انه اخذ من بلاغة السكاكي في رسم منهجها ووضع اصولها ، ولكنه اطال الحديث عن موضوعات ينبغي ان لا تأخذ جانبا كبيرا من دراساتنا مثل المقدمات التي أولاها اهمية كبيرة ، يضاف إلى ذلك انه وزّع الموضوع الواحد في عدة بحوث ككلامه على الاستفهام والنداء والنهي ، وهي موضوعات ينبغي ان توضع في مباحث المجاز لان العناية في البلاغة لا تكون بادواتها واستعمالها وانما تكون بما فيها من صور مجازية وتوسع في القول ، وكذلك بحث المجاز العقلي الذي أدخله في ربط جزأي الجملة بالاسناد ولم يضعه في المبحث الخاص بالمجاز . كما ان حديثه عن الفنون الادبية والاساليب ينبغي ان يُمس في البلاغة مسّاً رقيقا ليكون مقدمة لدراستها في مباحث مستقلة تتصل بالادب وفنونه .

ومهما يكن من أمر فقد استطاع الخولي بما عرف عنه من علم غزير وذكاء حاد ونظرة شاملة أن يضع المعالم الواضحة للبلاغة ويترك الباب مفتوحا يدخله من تهيأت له القدرة الصادقة على الدرس والنقد والتوجيه .

ولم يخرج رأي الاستاذ الشايب عن رأيه في قسمه الاول الخاص بالاسلوب ، أما القسم الآخر فلا نرى مبررا لادخاله في البلاغة ، وانما يكون موضعه دراسات خاصة تتصل بالفنون الادبية .

أما رأي العلايلي فنرى فيه قضاءً على كثير من صور التعبير وابتعادا عن البلاغة قد يحرمنا أجمل ما فيها ويبعد عنا تراثنا الذي ينبغي ان نبني عليه حياتنا الجديدة ، والمجدد هو من قتل القديم درساً وتحقيقا واطلع على مناهج البحث الحديثة فأخرج جديدا له صلة بالتراث وارتباط بالحاضر . ونحن لن نقبل أية دعوة غير مبنية على أساس قوي تدعمها الحجج وواقع اللغة ، ولن نؤمن بأي مجدد يبني أصوله على الجديد وحده بحجة ان المحدثين اكثر اطلاعاً من القدماء واوسع افقاً منهم . وكثيرا ما نرى الجديد لا يحتفظ دائما بصفة الجودة كما يزعم دعاته بل ان اصحابه كثيرا ما يتشككون فيه . وهذا ستانلي هايمان وهو من أكبر النقاد الغربيين يرى ان النقد الادبي الذي كتب بالانكليزية في مدى الربع الماضي من هذا القرن مختلف من حيث النوع عن أي نقد سبقه، وسواءٌ سمي هذا نقدا جديدا أم نقدا علميا أم نقدا عاملا أم نقدا حديثا فان صلتـه الوحيدة بالنقد العظيم في العصور الماضية لا تعدو الصلة بين الخالف والسالف ، فليس القائمون به أشد ألمعية أو أكثر تنبهاً للادب من أسلافهم بل انهم في الحق لا يتطاولون في هاتين الناحيتين إلى عمالقة مثل أرسطو وكولردج [1] .

ومثل هذا يقال فيما ذكره الاستاذان أدور مرقص وأنيس المقدسي ، ويبدو انهما أطلقا الرأي من غير ملازمة طويلة للبلاغة وان وفقا بعض التوفيق فيما ذكراه إلا انهما لم يصلا إلى ما ذكره الخولي الذي خبر كتب البلاغة وسبر غورها وغاص إلى اعماقها وعرف منهج البلاغة عند الغربيين الذي وصفه بانه « واضح المعالم ، متميز القسمات ، سليم الاساس ، لا يخشى ان تشوبه مغيرة أو تناله انحرافات مؤثرة » [2] .

هذه أهم اتجاهات البلاغة الحديثة وأهم آراء الباحثين فيها ، ونقف لنسأل

---

(١) النقد الادبي ومدارسه الحديثة ج ١ ص ٩ .

(٢) فن القول ص ١٠٦ .

ما قيمة البلاغة العربية وماذا يجب رفضه وماذا ينبغي أخذه منها ؟ وسنبدي الرأي والتوجيه متخذين من البلاغة كما وصلت الينا على يدي القزويني مجالاً، لانها خلاصة ما في الكتب الاخرى ولانها تقوم على منهج واضح ، ولانها اساس الدارسين في هذه الايام .

• • •

النقد والتوجيه

المنهج :

جاء القزويني (ــ ٧٣٩ هـ) في عصر استقرت فيه علوم اللغة العربية ، وصوَّر للباحثين انها أخذت شكلها الاخير ولم يبق أمامهم الا ان يعكفوا على القديم يدرسونه ويختصرونه أو يشرحونه ويفصلون القول فيه تفصيلا ، أو أن ينكبوا على العلوم ليجمعوا الأشباه والنظائر وينسقوا الموضوعات . وكان عصر القزويني عصر الموسوعات ، ففيه وضع أبو الفضل محمد بن علي الافريقي المصري جمال الدين المعروف بابن منظور (ــ ٧١١ هـ) أضخم موسوعة لغوية هي « لسان العرب » ، ووضع احمد بن عبد الوهاب المعروف بشهاب الدين النويري (ــ ٧٣٣ هـ) كتابه « نهاية الارب » ، وكتب أبو العباس احمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ــ ٧٤٩ هـ) « مسالك الابصار في ممالك الامصار » ، وألف أحمد بن علي القلقشندي (ــ ٨٢١ هـ) « صبح الاعشى في صناعة الانشا » .

وما كان للقزويني الذي نشأ في هذا العصر ان يأتي بكل جديد طارف وما كان له ان يخرج على المألوف بعد ان رأى اتجاه قومه إلى التراث القديم يخدمونه بتلخيصاتهم وشروحهم وموسوعاتهم . وقد نهز معهم بدلوه فاتجه إلى « مفتاح العلوم » ولخص قسمه الثالث بعد ان رأى فيه حشواً وتطويلاً وتعقيدا ، وهذبه

ورتبه ترتيبا أقرب تناولا من ترتيبه . ورأى ان هذا الكتاب كان مختصرا غير واف بالغرض فوضع شرحا على تلخيصه هو«الايضاح» الذي وقفت البلاغة عنده ولم يكتب لها بعده التطور والتجديد .

لقد قسم القزويني علم البلاغة إلى مقدمة ومقاصد ، والمقدمة في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، ومن المقاصد ما يعرف به وجه الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وهو علم المعاني ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي وهو علم البيان ، ومنها تابع تُعرف به وجوه التحسين وهو علم البديع . وبهذا التقسيم وزع بحوث البلاغة ، وهو تقسيم لا نراه مجدياً في دراستها ، فقد أخرج الفصاحة عن المقاصد وجعلها مقدمة وجرّ ذلك إلى نقاش واختلاف في معناها . قال السبكي : « فاذا أراد انها مقدمة الكتاب فهي جزء منه ، وان اراد انها مقدمة العلوم فهي ذريعة اليها بدليل انه سيذكر هذه العلوم مستقلة ، ويجوز ان تكون جزءا لكل من الثلاثة فلذلك قدمها عليها . فالراجح انها جزء على التقديرين خلافاً لقول الخطيبي انها ذريعة »[1] . وجرّت هذه المقدمة شراح التلخيص إلى الخوض في معناها واشتقاقها وما إلى ذلك من أمور لا تهم الدارس ، وجاؤوا بكلام أبعد ما يكون عن فن البلاغة ودرسها . وهذا أمر لا نوافق القزويني عليه ، لأن الكلمة المفردة هي العنصر الاساسي في عمل فني أداته الكلمة ، وان البحث فيها ومعرفة خصائصها لمن أوائل ما يبدأ به الدارس في تفهم البلاغة ونقد الكلام . ان البحث في فصاحة الكلمة المفردة والكلام المركب وفصاحة المتكلم لأمر ضروري في دراسة البلاغة ، ولا يمكن تحسس مواطن الجمال في الكلام ما لم نُولِ الكلمة الاهتمام اللازم . وكان القدماء أحسن منهجاً وأصحّ تفكيرا وأكثر دقة حينما درسوا الفصاحة دراسة عميقة واهتموا بالكلمة اهتماماً كبيرا . ولو مضينا نتصفح كتب البلاغة والنقد لوجدنا الكلمة وفصاحتها تشغل النقاد والمفكرين ، فالجاحظ وهو من أقدم الذين بحثوا في

---

(١) عروس الافراح — شروح التلخيص ج ١ ص ٦٧ .

البلاغة أولاها عناية كبيرة وتكلم على تنافر الحروف والكلمات، واستحسن ما حقه الاستحسان واستهجن ما بدت فيه الهجنة واضحة للعيان . وعقد معظم البلاغيين فصولا فيها ، وادار ابن سنان كتابه « سر الفصاحة » على بحث اللفظة الواحدة والكلام في الالفاظ المؤلفة ووضع لها شروطا ، وقسم ابن الاثير « المثل السائر » إلى مقالتين : في الصناعة اللفظية والصناعة المعنوية ، وتكلم في الاولى على اللفظة المفردة ومتى تحسُن ومتى تقبح ، وعلى الالفاظ المركبة كالسجع والتصريع والتجنيس والترصيع ولزوم ما لا يلزم والموازنة واختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها والمعاظلة اللفظية والمنافرة بين الالفاظ في السبك . لقد بحث هؤلاء الفصاحة بحثاً مفصلا وأداروا عليها كتبهم البلاغية ولم ينظروا اليها هذه النظرة الضيقة ، ولم يجعلوها مقدمة للبلاغة ، لانها بحث مهم من بحوثها وعنصر أصيل من عناصرها .

ولعل الذي دعاه إلى جعل الفصاحة مقدمة أنه رأى السكاكي لم يهتم ببحثها وانما اشار إلى انقسامها إلى فصاحة لفظية وفصاحة معنوية بعد انتهائه من بحث البيان ، وبذلك قتل هذا الفن وأحاله رميما . وقد لا يكون السكاكي ملوماً لانه عاش في بيئة أعجمية لا تفقه أمر الفصاحة ولا تعرف لها مكانة ، ولانه كان يتبع خطا عبد القاهر الذي لم يعطِ اللفظة المفردة أهمية ، وانما تأتي أهميتها عندما تلتئم مع الكلمات مكونة جملاً وعبارات ، وقد دفعه إلى ذلك اعجابه بالنظم وارجاع كل مزية للكلام اليه . قد يكون السكاكي معذورا لهذه الاسباب أما القزويني الذي عاش في بيئة عربية وكان مطلعاً على ما كتب بلاغيو هذه البيئة ونقادها فلن نلتمس له العذر ما دام قد حاول ان يغير في بلاغة السكاكي بعض التغيير كما اشار اليه في مقدمة « التلخيص » و « الايضاح » . وكان السبكي أحد شراح تلخيصه أسلم منهجاً وأصفى ذوقا عندما اهتم بهذه المقدمة وبحث الفصاحة بحثاً يعتمد على كتب البلاغة المتقدمة كسر الفصاحة والمثل السائر والجامع الكبير وغيرها من الكتب التي أعطت الموضوع حقه وفصّلت فيه تفصيلا.

ان دراسة حسن اللفظة من حيث جرسها الصوتي ومن حيث أداؤها لمعناها

ودلالتها اللغوية وغير ذلك – ضرورية في دراسة البلاغة، وقد أولاها الغربيون في العصر الحديث أهمية بالغة ودرسوها دراسة عميقة . واستفاد المعاصرون مما كتب العرب فيها ومما نمقه الغرب فأولوا هذا البحث اهمية ، وقرر الاستاذ أمين الخولي ان أول ما ينبغي دراسته في بحوث البلاغة « الكلمة » ، وقد وضع منهج دراستها من حيث هي عنصر لغوي ومن حيث هي جزء الجملة [١] . واذا أردنا ان نبحث الكلمة على المنهج الذي وضعه الخولي فلن يكلفنا عناءاً كبيرا ، لأن العرب تكلموا عليها وليس لنا الا ان نعود إلى الكتب القديمة نستخلص منها ما يخص الكلمة باوضاعها المختلفة وننظر في الدراسات الحديثة لنضم القديم الى الجديد ونخرج منها بدراسة نقدية تكون ذات قيمة في الدراسات الحديثة .

ولأهمية دراسة الفصاحة والكلمة لا نرى لعمل القزويني معنى في جعلها مقدمة واخراجها من مقاصد البلاغة ، لان الكلمة المفردة عنصر أساسي في عمل فني أداته الكلمة ، ولانها من مقاصد الفن البياني لا من مقدماته . ولكننا مع ذلك نستطيع ان نستفيد مما كتبه عن الفصاحة وصفات الكلمة ونضمه إلى ما كتب غيره من النقاد .

أما موضوعات البلاغة فقد قسمها إلى ما يحترز به عن الخطأ وهو علم المعاني ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي وهو علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته وهو علم البديع . وقد عرف المعاني بقوله : « هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال » [٢] . وسار على منهج السكاكي في تقسيم بحوثه مع اختلاف يسير في بعض القضايا وحصره في ثمانية أبواب هي : احوال الاسناد الخبري، أحوال المسند اليه ، أحوال المسند ، أحوال متعلقات الفعل ، القصر ،الانشاء ، الفصل والوصل ، الايجاز والاطناب والمساواة . ووجه الحصر ان الكلام اما

(١) فن القول ص ٢١٧ .
(٢) الايضاح ص ١٢ .

خبر أو انشاء ، لانه اما ان يكون لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه ، او لا يكون لها خارج . الاول الخبر والثاني الانشاء ، ثم الخبر لا بد له من اسناد ومسند اليه ، وأحوال هذه الاضرب الثلاثة هي الابواب الثلاثة الاولى . ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلاً أو متصلا به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه وهذا هو الباب الرابع . ثم الاسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر وهذا هو الباب الخامس . والانشاء هو الباب السادس . ثم الجملة اذا قرنت باخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى أو غير معطوفة وهذا هو الباب السابع . ولفظ الكلام البليغ اما زائد على أصل المراد لفائدة او غير زائد عليه وهذا هو الباب الثامن .

بهذا الاسلوب حصر بحوث علم المعاني ، وهو حصر لا نرى فيه فائدة كبيرة لان الفن الادبي لا يحصر هذا الحصر ولا يحد بهذه الحدود العقلية . وان تقسيمه الكلام إلى خبر وانشاء لا نرى له قيمة في البلاغة لانه بحث فلسفي أخذه البلاغيون عن أهل المنطق ، وقد عرض أرسطو لاساليب الخبر والطلب في بحوثه المنطقية وذكر في كتاب « المقولات » ان الجمل الموجبة أو السالبة هي المحتملة للصدق والكذب ، أما الالفاظ غير المؤلفة فليس شيء منها صادقا ولا كاذبا كأبيض ويحضر ويظفر ، وذكر في كتاب « العبارة » انه ليس كل كلام بجازم وانما الجازم القول الذي وجد فيه الصدق أو الكذب وليس ذلك بموجود في الاقاويل كلها، ومثال ذلك الادعاء فانه قول ما. لكنه ليس بصادق ولا كاذب (١) .

وأخذ البلاغيون هذه القضايا مسلّـما بها مع ان أرسطو نفسه لم يـرَ في دراسة الامر والرجاء والاستفهام فائدة أو قيمة في فن الشعر وانما هي أمور تتعلق بالممثل والخطيب . ولأجل ذلك رأى انه لا قيمة حقيقية للنقد الذي يوجه إلى الشاعر بانه يعرف أو يجهل هذه الاساليب ، قال : « اذ كيف نسلم باللوم الذي

---

(١) منطق أرسطو ج ١ ص ٦ ، ٦٣ .

وجهه فروتاغوراس إلى هوميروس بانه ساق العبارة في صيغة الامر وهو يعتقد انه رجاء حين قال : « انشدي ايتها الربة في غضبة » اذ قال فروتاغوراس : « ان القول بفعل كذا أو عدم فعله هو أمر » ولهذا يجب ان نطرح هذه المسألة جانباً لانها من شأن علم آخر وليست من شأن فن الشعر »[١] .

وأحس القدماء أنفسهم بهذا فقالوا بعد هذا الحصر تعليقا على كلمة القزويني ان الخبر لا بدّ له من مسند اليه ومسند واسناد ، والمسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا أو في معناه ، وقالوا انه لا وجه لتخصيص هذا الكلام بالخبر لإن الانشاء لا بد له مما ذكر أيضا[٢] . وحاول الدسوقي ان يصحح عبارة القزويني فقال : « كان على المصنف ان يقول : وكل من الخبر والانشاء لا بد له من مسند »[٣] . ولا يفيد هذا التعليل في التخلص من اضطراب القزويني في هذا الحصر وتقسيم الكلام إلى خبر وانشاء .. لان القدماء انفسهم لم يتفقوا عليه فرأى بعضهم ان الكلام انواع كثيرة ، قال السبكي : « وذكر المصنف حصر الكلام في الخبر والانشاء وهو كذلك ، الا ان منهم من يخص الانشاء بما لا طلب فيه ويقسم الكلام إلى خبر وطلب وانشاء ، ومنهم من يجعله ثلاثة أقسام : خبر وانشاء وهو ما دل على الطلب دلالة أولية ، وتنبيه ويدخل فيه الاستفهام والتمني والترجي والقسم والنداء ، وهو اصطلاح الامام فخر الدين . قلت : ومنهم من يجعل الكلام خبراً وطلبا وهو ابن مالك في الكافية ، ومنهم من يربع الاقسام فيقول : خبر واستخبار ، وطلب وانشاء »[٤] .

وتقسيم القزويني للكلام إلى خبر وانشاء أقرب هذه الاقسام إلى الدقة كما نرى ولكننا مع ذلك لا نريد للمجددين أن يقسموه هذا التقسيم ، لانه عمل

---

(١) فن الشعر ص ٥٤ .
(٢) المختصر وحاشية الدسوقي – شروح التلخيص ج ١ ص ١٧٠ .
(٣) حاشية الدسوقي – شروح التلخيص ج ١ ص ١٧٠ .
(٤) عروس الافراح – شروح التلخيص ج ١ ص ١٧٢ .

فلسفي لا يجدي نفعاً وقد أخذه البلاغيون من أهل المنطق ، ونرى أن يلغى هذا التقسيم ، لان الانشاء فرع من الخبر وإلى ذلك أشار السبكي وهو يعلل تقديم الخبر عليه ، قال : « وانما قدم الخبر لانه أكثر بحثاً ولان كثيرا من الانشاء فرع عن الخبر كالجملة التي يدخل عليها « ليت » و « لعل » والاستفهام »[1] .
وقد أشار عبد القاهر إلى ان ما يحصل للانشاء يكون للخبر ، قال : « واعلم ان معك دستورا لك فيه ان تأملت غنى عن كل ما سواه ، وهو انه لا يجوز ان يكون لنظم الكلام وترتيب اجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر ، وذاك ان الاستفهام استخبار ، والاستخبار هو طلب من المخاطب ان يخبرك.. فاذا كان كذلك كان محالا ان يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى اذا قلت : « أزيد قام ؟ » غيره اذا قلت : « أقام زيد ؟ » ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر ، ويكون قولك : « زيد قام » و « قام زيد » سواء »[2] . وقال في موضع آخر : « واذاً قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه »[3] .

وأحسّ القزويني نفسه بان هذا التقسيم غير مجد لذلك تكلم على الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة بعد أن تكلم على الخبر والانشاء لانها لا تخص واحدا منهما وانما هي من صفاتهما معا ، ولكنه كان لا بد ان يتحدث عن الخبر والانشاء أولاً ثم يشرع في بحث ما يحدث لهما من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف ، وتعريف وتنكير ، وقصر ، وفصل ووصل ، وايجاز واطناب ومساواة وغيرها من الموضوعات التي أدخلها في علم المعاني ، وبذلك يسلم منهجه من الاضطراب .

واختلف القدماء في انحصار الخبر في الصادق والكاذب فذهب معظمهم

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٢ .
(٢) دلائل الاعجاز ص ١٠٨ .
(٣) دلائل الاعجاز ص ١٠٩ .

إلى انه منحصر فيهما ثم اختلفوا فقال الاكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه له . ولعل النظّام استاذ الجاحظ كان من أوائل الذين تحدثوا عن الخبر والطلب وحددوا معناهما وضبطوهما بمقياس الصدق والكذب ، قال : « ان صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، فقول القائل : « السماء تحتنا » معتقداً ذلك صدق ، وقوله : « السماء فوقنا » غير معتقد ، كذب » . واحتج لهذا الرأي بوجهين :

أحدهما : ان من اعتقد أمرا فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال : ما كذب ، ولكنه أخطأ ، كما روي عن عائشة — رضي الله عنها — انها قالت فيمن شأنه كذلك : « ما كذب ولكنه وهم » .

والثاني : قوله تعالى : « والله يَشْهَدُ أنَّ المنافقينَ لكاذبون » كذبهم في قولهم : « إنّك لرسول الله » وان كان مطابقاً للواقع لانهم لم يعتقدوه .

وأجاب القزويني عن هذا الكلام بوجوه :

أحدها : ان المعنى : نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يترجم عنه « ان » و « اللام » وكون الجملة اسمية في قولهم « انك لرسول الله » فالتكذيب في قولهم : « نشهد » وادعائهم فيه المواطأة لا في قولهم : « انك لرسول الله » .

وثانيها : ان التكذيب في تسمية إخبارهم شهادة لان الإخبار اذا خلا من المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة .

وثالثها : ان المعنى لكاذبون في قولهم : « انك لرسول الله » عند أنفسهم لاعتقادهم انه خبر على خلاف ما كان عليه حال المخبر عنه .

وأنكر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين وزعم أنه ثلاثة أقسام : صادق وكاذب وغير صادق ولا كاذب ، لان الحكم اما مطابق للواقع من اعتقاد

المخبر أو عدمه ، وأما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه . فالاول أي المطابق مع الاعتقاد هو الصادق ، والثالث أي غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب ، والثاني والرابع أي المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد وكل منهما ليس بصادق ولا كاذب ، فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده والكذب مع عدم اعتقاده ، وغيرهما ضربان : مطابقته مع عدم اعتقاده وعدم مطابقته مع اعتقاده، واحتج بقوله تعالى: «أفترى على الله كذبا أم به جنة» فانهم حصروا دعوى النبي – (ص) – الرسالة في الافتراء والاخبار حال الجنون بمعنى امتناع الخلو وليس اخباره حال الجنون كذبا لجعلهم الافتراء في مقابلته ، ولا صدقا لانهم لم يعتقدوا صدقه فثبت ان من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب [1] .

ولم يتحدث القزويني عن ذلك الا بسبب تقسيمه الكلام إلى خبر وانشاء وانحصار الخبر في الصدق والكذب أو في غيرهما . وبالغاء هذا التقسيم نخلص من هذه الامور الغريبة عن البلاغة ونخليها من كل ما يعيقها عن أداء مهمتها وهي نقد الكلام واظهار ما فيه من روعة وجمال أو اسفاف وابتذال . وليس من الصحيح أن نعتمد في بحث المعاني على ركني الجملة ، لان هذا يؤدي إلى توزيع موضوعاته في أبواب متفرقة ، فالتقديم مثلاً بحثه في المسند اليه مرة وفي المسند مرة أخرى ، وكان عليه أن يلمّ شتات الموضوع الواحد فيبحث التقديم والتأخير في فصل واحد ، والحذف والذكر في فصل آخر ، والتعريف والتنكير في فصل ثالث . ولا تخص هذه الموضوعات الخبر وحده ، وان بحثها في الاسناد الخبري غير دقيق مع انه اعترف بان ما في هذه الابواب ليس كله مختصا بالخبر بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الخبر [2] . قال التفتازاني : «ان الاسناد الانشائي أيضا اما مؤكد أو مجرد عن التأكيد ، وكذا المسند اليه : اما مذكور

---

(١) المطول ص ٣٩ ، والايضاح ص ١٤ – ١٥ .

(٢) الايضاح ص ١٤٧ .

أو محذوف ، مقدم أو مؤخر ، معرف أو منكر ، إلى غير ذلك ، وكذا المسند اسم أو فعل مطلق أو مقيد بمفعول أو بشرط أو بغيره ، والمتعلقات اما متقدمة أو متأخرة، مذكورة أو محذوفة، واسناده وتعلقه أيضا اما بقصر أو بغير قصر، والاعتبارات المناسبة في ذلك مثل ما مر في الخبر ، ولا يخفى عليه اعتباره بعد الاحاطة بما سبق »[1] . ولكن القزويني سُحر بالسكاكي مع ما في منهجه من اضطراب وسار عليه من غير أن يحاول اصلاحه الا «ما كان من ملاحظات لا تبعد البلاغة عن جوهر منهج السكاكي .

أما علم البيان فقد حصره بقوله : « هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »[2] . واستفاد من الدلالات العقلية في حصر مباحثه فقال بعد أن تكلم على دلالة اللفظ وأنواعها : « ثم ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية ، لان السامع ان كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض والالم يكن كل واحد منها دالا وانما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوما من بعض » . وقسمه على هذا الاساس إلى قسمين : المجاز والكناية، وأدخل التشبيه فيه وقدّمه لان الاستعارة مبنية عليه وقدّم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل.. وبذلك ضيق مباحث البيان كما ضيقها السكاكي . وكان من الممكن ادخال صور بيانية أخرى تكلم عليها المتأخرون في البديع كالتجريد والقلب واسلوب الحكيم والمبالغة والتورية والاستخدام وغيرها من صور التعبير التي ذكرها أمين الخولي في مباحث فن القول[3] . ان تحديد فنون البيان بهذه الصورة لا يفيدنا في دراساتنا الحديثة ، لان الفن أوسع من هذا التحديد وأبعد من هذه التمحلات العقلية .

---

(١) المطول ص ٢٤٦ .

(٢) الايضاح ص ٢١٢ .

(٣) فن القول ص ٢٢١ .

وقسّم كل فن من هذه الفنون إلى أنواع كثيرة يتيه فيها الدارس ، وأغلب هذه التقسيمات عقلية لا علاقة لها بالفن البلاغي ، وقد رأى عصام الدين صاحب الشرح « الأطول » ان تقسيم التشبيه للتمثيل وغيره من تقسيم الشيء إلى نفسه وإلى غيره ، لان التمثيل يرادف التشبيه كما يشهد لذلك كلام صاحب الكشاف الذي استعمله استعمال التشبيه [1] ، وكذلك فعل ابن الاثير . وحاول الدسوقي ان يدافع عن القزويني فقال : « واجيب بان التمثيل مشترك بين مطلق التشبيه وبين ما هو أخص منه ، فما هو مقسم المعنى الاعم ، والقسم هو المعنى الاخص وحينئذ فلا اشكال » [2] .

ومما يؤاخذ عليه القزويني إلى جانب هذه التقسيمات إخراجه المجاز العقلي من علم البيان ووضعه في المعاني على اعتبار ان الاسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي ، وهو رأي لا نوافقه عليه ، لان انواع المجاز الاخرى لا تخرج عن المسند والمسند اليه.. وكان لزاماً عليه ان يبحثها في علم المعاني. ونرى ان نضم المجاز العقلي إلى بحث المجاز اللغوي ليكون موضوعا واحدا ، ولن يجدي تعليل عصام الدين في عدوله عن تبويب السكاكي حين قال : « وقد عدل المصنف عن ترتيب المفتاح حيث قدم المجاز العقلي ، لانه المقصود بالبيان في فن البلاغة المشار اليه بالبنان ، لان تقديم المجاز العقلي يوجب فصلا كثيرا بين الحقيقة والمجاز لكثرة ما يتعلق به » [3] . نقول لن يجديه هذا التعليل ، لان أنواع المجاز الاخرى أهم من المجاز العقلي الذي نظمه السكاكي في سلك الاستعارة بالكناية ، ولكننا مع هذا كله نستطيع ان نستفيد من تقسيمات القزويني لمباحث علم البيان لانطباق كثير منها على الاساليب العربية ، وإن كنا لا نؤمن بكثير من توجيهات القزويني لأمثلة التشبيه والاستعارة والكناية وبتعليقاته على هذه الفنون .

---

(١) الاطول ج ٢ ص ٩٩ .

(٢) حاشية الدسوقي – شروح التلخيص ج ٣ ص ٤٣٢ .

(٣) الاطول ج ١ ص ٧١ .

اما البديع فقد قال عنه انه « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة »[1] ، وقسمه إلى ضربين : ضرب يرجع إلى المعنى وآخر إلى اللفظ ، وتكلم على سبعة واربعين فناً من هذين الضربين. ومبلغ تجديده فيه أن جعله علماً مستقلاً عن المعاني والبيان ، وسار البلاغيون على خطاه ولم ينظروا اليه نظرة صادقة لانه يأتي بعد مطابقة الكلام لمقتضى الحال وبعد ايراده بطرق مختلفة ، وبذلك كان البديع تابعا لهما . ومع ان السبكي سار على خطا القزويني في التقسيم غير انه نقده قائلا : « والحق الذي لا ينازع فيه منصف ان البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، وان كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الايراد بطرق مختلفة ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين . وأول برهان على ذلك انك لا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والايراد ، بل تجد كثيرا منها خاليا عن التشبيه والاستعارة والكناية التي هي طرق علم البيان . هذا هو الانصاف وان كان مخالفا لكلام الاكثرين »[2] . وبذلك يكون البديع فنا له أثره في التعبير وليس تابعا للفنون الاخرى .

وتقسيمه البديع إلى محسنات لفظية ومعنوية غير دقيق، لان اكثرها متداخل. وقد تنبه القدماء إلى ذلك فقال المغربي وهو يشرح كلام القزويني « ان المحسن المعنوي منسوب إلى المعنى بالذات بمعنى ان ذلك التحسين قصد ان يكون تحسيناً للمعنى وذلك بالقصد بكونه تحسينا للفظ فيكون ثانيا وبالعرض ، وانما قلنا هكذا لان هذه الاوجه قد يكون بعضها محسناً للفظ لكن القصد الاصلي منها انما هو إلى كونها محسنة للمعنى كما في المشاكلة إذ هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير كقوله :

قالوا : اقترح شيئا نُجِدْ لك طبخَه   قلتُ : اطبخوا لي جبةً وقميصــا

---

(١) الايضاح ص ٣٣٤ .

(٢) عروس الافراح – شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٨٤ .

فقد عبر عن الخياطة بالطبخ لوقوعها في صحبته ، فاللفظ حسن لما فيه من ابهام المجانسة اللفظية ، لان المعنى مختلف واللفظ متفق ، لكن الغرض الاصلي جعل الخياطة كطبخ المطبوخ في اقتراحها لوقوعها في صحبته ، فان تعلق الغرض بتحسينه اللفظي المشار اليه فهو بالعرض على وجه المرجوحية . وقيل : ان الحسن فيه لفظي لان منشأه اللفظ ، وكما في العكس في قولهم : « عادات السادات سادات العادات » فان في اللفظ شبه الجناس اللفظي لاختلاف المعنى ففيه التحسين اللفظي والغرض الاصلي الإخبار بعكس الاضافة مع وجود الصحة : واللفظي تحسين للفظ بالذات وان يتبع ذلك تحسين المعنى ،لأنه كلما عبر عن معنى بلفظ حسن استحسن معناه تبعا ، وان شئت قلت في التحسين المعنوي أيضا ان كونه بالذات معناه ان ذلك هو المقصود ويتبعه تحسين اللفظ دائما لانه كلما أفيد باللفظ معنى حسن تبعه اللفظ الدال عليه »[1] .

فالمعنوي راجع إلى تحسين المعنى أولاً وبالذات ولكنه يفيد تحسين اللفظ كما في مثال المشاكلة . واللفظي راجع إلى تحسين اللفظ أولاً وبالذات ولكنه يفيد تحسين المعنى ايضا . وما دام الأمر كذلك فأية فائدة في هذا التقسيم الثنائي للبديع أو التقسيم الثلاثي الذي ذكره ابن مالك في « المصباح » ؟ ان أي نوع من فنون البديع لا تكون له قيمة الا اذا كان المعنى يتطلبه ويستدعيه، قال عبد القاهر : « انك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده تجنيساً مقبولا لا تبتغي به بدلاً ولا تجد عنه حولا . ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد المتكلم إلى اجتلابه وتأهبه لطلبه أو ما هو لحسن ملاءمته وان كان مطلوبا بهذه المنزلة وفي هذه الصورة »[2] . وقال القزويني : « وأصل الحسن في جميع ذلك – أعني القسم اللفظي – كما قال الشيخ عبد القاهر ، هو

---

(١) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٨٥ .

(٢) أسرار البلاغة ص ١٥ .

فقد عبر عن الخياطة بالطبخ لوقوعها في صحبته ، فاللفظ حسن لما فيه من ايهام المجانسة اللفظية ، لان المعنى مختلف واللفظ متفق ، لكن الغرض الاصلي جعل الخياطة كطبخ المطبوخ في اقتراحها لوقوعها في صحبته ، فان تعلق الغرض بتحسينه اللفظي المشار اليه فهو بالعرض على وجه المرجوحية . وقيل : ان الحسن فيه لفظي لان منشأه اللفظ ، وكما في العكس في قولهم : « عادات السادات سادات العادات » فان في اللفظ شبه الجناس اللفظي لاختلاف المعنى ففيه التحسين اللفظي والغرض الاصلي الإخبار بعكس الاضافة مع وجود الصحة : واللفظي تحسين للفظ بالذات وان يتبع ذلك تحسين المعنى ،لأنه كلما عبر عن معنى بلفظ حسن استحسن معناه تبعا ، وان شئت قلت في التحسين المعنوي أيضا ان كونه بالذات معناه ان ذلك هو المقصود ويتبعه تحسين اللفظ دائما لانه كلما أفيد باللفظ معنى حسن تبعه اللفظ الدال عليه »[1] .

فالمعنوي راجع إلى تحسين المعنى أولاً وبالذات ولكنه يفيد تحسين اللفظ كما في مثال المشاكلة ، واللفظي راجع إلى تحسين اللفظ أولاً وبالذات ولكنه يفيد تحسين المعنى ايضا ، وما دام الأمر كذلك فأية فائدة في هذا التقسيم الثنائي للبديع أو التقسيم الثلاثي الذي ذكره ابن مالك في « المصباح » ؟ ان أي نوع من فنون البديع لا تكون له قيمة الا اذا كان المعنى يتطلبه ويستدعيه، قال عبد القاهر : « انك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده تجنيساً مقبولا لا تبتغي به بدلاً ولا تجد عنه حولا . ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه أو ما هو لحسن ملاءمته وان كان مطلوبا بهذه المنزلة وفي هذه الصورة »[2] . وقال القزويني : « وأصل الحسن في جميع ذلك – أعني القسم اللفظي – كما قال الشيخ عبد القاهر ، هو

(١) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٨٥ .
(٢) أسرار البلاغة ص ١٥ .

أن تكون الالفاظ تابعة للمعاني.. فان المعاني إذا ارسلت على سجيتها وتركت وما تريد طلبت لانفسها الالفاظ ولم تكتسِ – الا ما يليق بها ، فان كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تُشاهِدْ غير حسن شياتِهـــا وأعضائها ، فالحسنُ عنك مغيّبُ

وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع إلى ما له اسم في البديع على ان ينسى انه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه انه اذا جمع عدة من أقسام في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء »[1] .

وهذه التفاتة طيبة منه ، ولكنه لم يطبق ما دعا اليه وظلّ يدور في فلك السكاكي وما رسمه للبلاغة ، وانّنا لنرفض هذا التقسيم وندعو إلى ان تبحث موضوعات البديع كما تبحث فنون البلاغة الاخرى على ان تهمل الانواع التي ليس لها تأثير في التعبير ولا تبعث في الكلام رونقاً وطلاوة وتضفي عليه جمالا وبهاءً ، ويرتب ما يبقى منها ويهذب بحيث يكون مناسباً للاساليب العربية وكلام البلغاء . ولا نأتي بجديد اذا ما قررنا ذلك ، فابن المعتز – مثلا – بحث فنون البديع إلى جانب الاستعارة والتشبيه ، وأبو هلال وابن رشيق وابن سنان وابن الاثير بحثوا البديع كما بحثوا الاستعارة والكناية والتقديم والتأخير ولم يفرقوا بين محسن معنوي وآخر لفظي، فما كان له روعته أثبتوه وبحثوه، وما كان مجرداً عن ذلك كله تركوه . ولذلك نرى ان يعـــاد النظر في فنون البديع التي ذكرها القزويني وغيره من المتأخرين فيؤخذ منها ما له قيمة في التعبير ويترك ما كان لعبا بالالفاظ أو تعمية والغازا . يقول الدكتور أحمد أحمد بدوي : « ينبغي ان يؤسس البديع أولاً وقبل كل شيء على الدراسة النفسية التي تهدي إلى بيان السر في تأثير لون بديعي دون الدراسة الصورية وتلمس الاقسام العقلية التي لا تزيد

---

(١) الايضاح ص ٤٠٠ .

ثروة الاحساس والشعور ، وان نؤمن بان المعنى هو الذي يقود العبارة إلى صورتها ، وان كل محسن بديعي لا يكون له نصيب من الجمال الا اذا كـان المعنى هو الذي يتطلبه ويؤدي اليه ، أما التلاعب بالالفاظ وبذل الجهد للإغراب في الصناعة فمما لا يسعى اليه أديب فنان ، ولهذا نضرب صفحاً عن كل مثال صنع مجتلباً ليصوّر لوناً من الوان البديع دون أن ينبض بالحياة ويزخر بالعاطفة ومن غير أنْ تكون هذه الصناعة قد جاءت ، لان المعنى وحده هو الذي تطلبها من ناحية انها تصور الاحساس النفسي »[1] .

ولما كانت صور البديع مهمة في التعبير والأداء فليس من الصحيح تركه واهماله ، وان ما كتبه القزويني يمكن ان يعد نموذجا لدراسته مع التوسع في العرض والامثلة والتحليل ، اما الانواع الكثيرة التي ذكرها المتأخرون فنأخذ منها ما اتفق وذوق العربية ونترك ما كان عبثاً ولغواً على شرط ان لا نقسمها كما قسمها السكاكي والقزويني أو كما قسمها ابن مالك ، وتبحث اما في موضوع اللفظ والمعنى فنثبت في صفات الالفاظ ما كان قريباً اليها وشديد الصلة بها ، ونضع في صفات المعاني ما يخص المعنى قبل كل شيء . وتقسيم القزويني يسهل هذه الخطة ، فما كان من المحسنات اللفظية ادخل في بحث الالفاظ وما كان من صفات المعاني أدخل في بحث المعاني ، ولنا فيما كتبه قدامة أسوة حسنة ، وبذلك نخلص البديع من تمحلات القدماء ونقاشهم في الحسن العرضي والذاتي . أو أن نوزعه كما وزّعه الخولي فنذكر الجناس والسجع والترصيع ورد العجز على الصدر ولزوم ما لا يلزم في بحث تناسب الصوت والمعنى ، ونضع الطباق في بحث النظم أو تأليف الجمل وذلك حين تتقابل معاني اجزاء الجملة أو الجمل فيكون لذلك أثر في حسن الكلام ، ونضع القسم الآخر في صور التعبير وهي قسمان : صور الايضاح المعلن كالتشبيه والاستعارة والكناية والتجريد والقلب واسلوب الحكيم والمبالغة وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتدبيج والتهييج والالهاب

---

(١) مقدمة كتاب ابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ص : ز .

والتهكم بجملة والفكاهة في جملة والتجاهل ، وصور التعبير المظللة كالرمز والايماء والالغاز والتورية والاستخدام والاتساع [1] .

وختم القزويني كتابه بفصلين في السرقات وما يتصل بها ، والقول في الابتداء والتخلص والانتهاء . وقد حيّر شراح التلخيص بهذه الخاتمة فذهب بعضهم إلى أنّها خاتمة الكتاب كله فهي بذلك خارجة عن الفنون الثلاثة كالمقدمة ، وذهب آخرون إلى أنها خاتمة للفن الثالث معتمدين على قول القزويني في الايضاح : « هذا ما تيسر باذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين ، منها ما يتعين اهماله لعدم دخوله في فن البلاغة نحو ما يرجع في التحسين إلى الخط دون اللفظ مع انه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في الخط وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ونحو ذلك مما لا أثر له في التحسين كما يسمى الترديد ، أو لعدم جدواه نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه كما سماه الايضاح ، فانه في الحقيقة راجع إلى الاطناب أو خلط فيه كما سماه حسن البيان . ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة وهو شيئان :

أحدهما : القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها .

والثاني : القول في الابتداء والتخلص والانتهاء .

فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب » [2] .

وعلّل المغربي جعلها خاتمة لا باباً في البديع بقوله : « وانما جمع هذه الاشياء في الخاتمة ولم يجعلها بابا من البديع أو يجعل كل واحد منها بابا على حدة لوجهين :

أحدهما : ان كلاًّ منها ليس أمراً يعم كل كلام ويغلب مكان جريانه

---

(١) فن القول ص ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) الايضاح ص ٤٠١ .

في كل موطن ، أما في السرقات فظاهر لخروج النثر وكذا فيما يتصل بهـا لاختصاصها بالاخذ عن الغير ، وأما في الابتداء والانتهاء والتخلص فلخروج ما ليس في تلك المحال ، وهذا الوجه بعينه يمكن ان يجعل هو السر في جمعها لاشتراكها فيه .

والوجه الثاني : ان الحسن فيها دون الحسن في غيرها مع سهولة التناول فلم تجعل باباً لقلة الاهتمام بشأنها ويسرها باعتبار غيرها وان كان الناس يهتمون بأمورها . أما في السرقات فلما علم من ان الابتداع ارفع وأصعب من الاتباع وان كان فيه تغيير ما ، وكذا فيما يتصل بها ، وأما في الابتداء وما والاه فلما علم من ان رعاية تمام الحسن في جميع اجزاء الكلام اعلى وأصعب ، ويمكن جعل هذا ايضا هو السر في جمعها » (١) .

ومهما يكن من شيء فاننا لا نوافق القزويني في جعل السرقات خاتمة لعلم البديع أو للبلاغة كلها ، لانها فن واسع له أثره وقيمته في الدراسات النقدية ، وقد أولاها علماء البلاغة والنقد اهتماماً عظيماً وافردوا لها كتباً خاصة وعقدوا فصولا مطولة في كتبهم ، وانه لمن المفيد ان يفرد لهذا الموضوع باب واسع في الدراسات البلاغية والنقدية وان يستعان بما ذكر القزويني والنقاد ، ومثل هذا يقال في حسن الابتداء والتخلص والانتهاء ، لانها فنون قائمة بذاتها وقد أحسن الاقدمون بحثها ونظروا اليها نظرتهم إلى سائر الفنون .

واذا ما اتضح هذا جليا فاننا لن نستفيد كثيراً من منهج القزويني في البلاغة ، لاننا لا نؤمن بهذا التقسيم الثلاثي او الثنائي لاضطرابه وتداخل الموضوعات . ويتضح هذا الاضطراب والتداخل في عدم استقرار بعض الموضوعات ، فهي من المعاني عند بعضهم ومن البيان او البديع عند آخرين ، فالمجاز العقلي بحثه السكاكي في علم البيان وان انكره ، وتكلم عليه القزويني في علم المعاني وذكر ان الاسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي ، ورد على السكاكي لأنه نظـم

(١) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٧٥ .

المجاز العقلي في سلك الاستعارة بالكناية وعلل سبب ذكره في المعاني بقوله : « اننا لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي ومن تبعه لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف البيان »[1] .

ومنهج القزويني أسلم من منهج السكاكي لانه حاول ان يجمع الاشباه والنظائر وينسق الموضوعات فتحدث عن الايغال والتتميم والتكميل والاعتراض والالتفات في علم المعاني ولم يعدّها من علم البديع كما فعل السكاكي حيث ذكر الالتفات في المعاني مرة وفي البديع مرة أخرى ، ومع ذلك فقد جزأ موضوعات التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتعريف والتنكير ، وبحثها في اكثر من باب . وكان من الدقة المنهجية أن يلمّ شتاتها ويجمعها في فصول متناسقة فيعقد لكل منها فصلا ، وانه لحسن من القدماء ان يتنبهوا إلى انه لا حدّ بين المعاني والبيان ، وقد جعل السكاكي الثاني شعبة من الاول ، وقال : « ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد ، لا جرم آثرنا تأخيره »[2] .

فالسكاكي قرر ان البيان شعبة من المعاني ولا ينفصل عنه الا بزيادة اعتبار ، لكنه لم يوضح هذه الزيادة . وعلى كل حال فهذا اعتراف منه بان لا حاجة إلى فصل المعاني عن البيان لانهما مرتبطان أشد الارتباط ، متداخلان اعظم التداخل . وقد أشار السبكي إلى ذلك فقال : « ان علم البيان باب من ابواب المعاني وفصل من فصوله ، وانما افرد كما يفرد علم الفرائض عن الفقه »[3] . وقال متحدثا عن اتيان الكلام على خلاف مقتضى الظاهر : « لعلك تقول غالب ما سبق او كله من انواع المجاز ومحله علم البيان كما سيأتي . فالجواب ان الامر كذلك ولكن جرت عادة اكثرهم بذكر هذه الانواع في هذا العلم فتبعناهم ، وتداخل

---

(١) الايضاح ص ٣١ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

(٣) عروس الافراح – شروح التلخيص ج ١ ص ٢٦١ .

علم البيان وعلم المعاني كثير »[1] . ولن يفيدهم قولهم : « ان البيان جرى من المعاني مجرى المركب من المفرد » لأنهم اقروا بأنهما متداخلان ، وان علم البيان شعبة من علم المعاني ، وقد صرح القزويني بهذا واعترف أن كثيرا من الناس يسمي المعاني والبيان والبديع : « علم البيان » وبعضهم يسمى الاول : « علم المعاني » ، والثاني والثالث : « علم البيان » والثلاثة « علم البديع »[2] . وهذه عودة إلى منهج الاوائل الذين نظروا إلى البلاغة نظرة واسعة واعتبروها فنا واحدا ، ولكن القزويني أبى الا ان يتابع السكاكي في التقسيم ويغرق معه في التمحل والتأويل .

هذا ما نراه في منهج القزويني ، اما مادة بلاغته فمنها ما ينبغي تركه ومنها ما يمكن الاستفادة منه في بناء صرح البلاغة العربية الجديدة . فما الذي يجب ان نطرحه ، وما الذي ينبغي أن نأخذه ؟

* * *

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٩٣ .

(٢) الايضاح ص ١٢ ، والتلخيص ص ٣٧ .

الموضوعات :

أثرت الفلسفة وعلم الكلام في كل جانب من جوانب الحياة الفكرية ولم يسلم منها علم من علوم العربية ، واستفاد المؤلفون منها في مناهج بحثهم وأخذوا مصطلحاتها وعباراتها وأدخلوها في كتبهم . وهذا أمر طبيعي بعد ان استقر العرب وبنوا دولتهم واتصلوا بغيرهم من الاقوام والامم . وكان نصيب البلاغة منها واضحا ، وبدأ الاتصال بين البلاغة والفلسفة منذ عهد مبكر وازداد هذا الاتصال بمرور الايام حتى اصبح ارتباطاً وثيقاً لا انفصام له على يد علماء البلاغة المتأخرين ، وكان ثمرة هذا الاتصال والارتباط ان زخرت كتب البلاغة بمباحث الفلسفة والمنطق وعلم الكلام . ومع ان البلاغيين استفادوا من هذه العلوم في تحديد منهجهم ورسم مصطلحاتهم غير ان البلاغة لتأبى كل الإباء ان تكون خاضعة لعلوم غريبة عنها دخيلة عليها ، لانها فن من الفنون ، والفن حر يقبل التطور والتجديد وينطلق إلى أبعد الغايات . وكان هذا شأن البلاغة والنقد قبل ان يسيطر عليها منهج السكاكي. وقد زخرت الكتب بكل طريف عماده الذوق والتربية الفنية ، وذهب المؤلفون في بحوثهم مذاهب شتى وطوفوا في آفاق نقدية بعيدة المدى.. لكن المتأخرين أسرفوا في اقتباس العقليات وأغربوا في استخدام مصطلحات المناطقة واساليبهم فصارت البلاغة ألغازاً ومعميات يتسابق الدارسون إلى حل مشكلة من مشاكلها ويعدون تفهمها عملاً عظيماً يجيزون به العلماء ويقدرون الخريجين حين يستطيعون أخذ معنى من

عبارة ويبينون مرجع ضمير ومشاراً اليه في اشارة أو مضافا محذوفا . وما كان لهذه الكتب ان تبلغ هذا المبلغ لولا استخدام الاساليب الغريبة عن البلاغة واقحام مباحث بعيدة كل البعد عنهـا كتلك التي حشروهـا في بحث الخبر والانشاء، والوصل والفصل، وتقسيم مباحث علم البيان . ولم يكن من السهل اليسير أن ينجو القزويني من هذه السيطرة وقد عاش في فترة جنحت فيها الحياة الفكرية إلى الجمود وأصبح المؤلف لا يعيش الا على فتات الآخرين. وقد كان « مفتاح العلوم » ومنهجه مسيطراً على التفكير البلاغي وقتئذ فاتجه القزويني يتلمس البلاغة في ضوئه ويسلك في بحثها مسلكاً لا يكاد يختلف عن منهج السكاكي الا قليلا . ومع ان القزويني عاش في بيئة عربية هي بيئة مصر والشام التي قال السبكي فيها وهو يتحدث عن شروح التلخيص : « اما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم والاذهان التي هي أرق من النسيم وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم . أكسبهم النيل تلك الحلاوة وأشار اليهم باصبعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء ــ فضلا عن الاغمار ــ الأعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاستار » [1] ــ نقول مع انه عاش في هذه البيئة غير انها لم تؤثر فيه ولم تكسبه هذه الطلاوة فعكف على ما كتبه السكاكي يهذبه ويبوبه لعله يقدم للدارسين ما فيه النفع العميم .

ويجد الباحث في كتابي القزويني الفلسفة وأساليب المناطقة ومصطلحاتهم ماثلة امامه مما يعيق الانتفاع من بلاغته في صقل الاذواق وتربيتها ، وقد اعترف ان بعض مسائل البلاغة بأصول الفلاسفة أشبه . [2] واذا ما أردنا ان نستفيد مما كتب القزويني وشراح تلخيصه فما لنا الا ان نخليها مما لا فائدة

---

(١) عروس الافراح ــ شروح التلخيص ج ١ ص ٥ .
(٢) الايضاح ص ١٠٠ .

فيه ، ومن ذلك حديثه عن الملكة وهي « قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارّة لا تقتضي قسمة ولا نسبة ، وهو مختص بذوات الانفس راسخ في موضوعه »[1] . ولا تفسّر الملكة هذا التفسير الغامض وانّى لطالب الفن الادبي ان يفهم هذا التعريف او هذا الكلام ؟ وحاول شراح تلخيصه ان يفسروا هذا القول فاسرفوا في الاغراب وجاؤوا بكل ما يأباه الذوق الادبي وتنفر منه الطباع السليمة . وشرعوا في تفسير الكيف فقال عصام الدين : « واحسن ما رسم به الكيف عرض لا يتوقف على تصور غيره ولا يقتضي القسمة واللاقسمة في محله اقتضاءً أولياً »[2] . وأسرف الدسوقي في شرح هذا الكلام اسرافا عظيماً فقال ان المتكلمين حصروا الموجودات الحادثة في الجوهر والعرض وقسم الحكماء العرض إلى أقسام تسعة وهي : الكم والكيف والاضافة والمتى والأين والوضع والملك والفعل والانفعال ، وسموا هذه التسعة مع الجوهر المقولات العشر أي المحمولات العشرة وقسموها إلى نسبية وغير نسبية ، فغير النسبية الجوهر والكم والكيف وما عدا هذه الثلاثة فهو نسبة يتوقف تعلقها أي تصورها على تعقل الغير وتصوره[3] . ومضى في شرح هذه المصطلحات ناسياً انه يبحث في البلاغة وفن القول .

وأدخل القزويني من الفلسفة الادبية الكلام على الصدق والكذب ، قال : « اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب الجمهور إلى انه منحصر فيهما ثم اختلفوا فقال الاكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه له . هذا هو المشهور وعليه التعويل »[4] . وعرض رأي النظّام والجاحظ وناقشهما ، وكان هذا ميداناً رحباً لشرّاحه فصالوا وجالوا فيه وأفاضوا في شرح قوله : « ووجه الحصر ان الكلام اما خبر

(١) الايضاح ص ٩ .
(٢) الاطول ج ١ ص ٢٨ ، وينظر المطول للتفتازاني ص ٢٤ .
(٣) حاشية الدسوقي — شروح التلخيص ج ١ ص ١١٨ .
(٤) الايضاح ص ١٣ .

او انشاء ، لانه اما ان يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أوْ لا يكون لها خارج . الاول الخبر ، والثاني الانشاء » ، وحشروا مذهب الحكماء والفلاسفة فيه .

وخاض الدسوقي في بحث النسب وقسمها إلى ثلاثة : كلامية وذهنية وخارجية ، فالأولى تعلق أحد الطرفين بالآخر المفهوم من الكلام ، وتصورها وحضورها في ذهن المتكلم هو النسبة الذهنية ، وتعلق احد الطرفين بالآخر في الخارج خارجية . ومضى يضرب الامثلة ويشرحها شرحا بعيداً عن البلاغة ونقد الكلام [1] .

ودخلت الفلسفة الالهية في بحث المجاز العقلي ، وقد مضى القزويني وشراح تلخيصه في الكلام على الفاعل الحقيقي بالنسبة للمؤمن والدهري ، وجعل للمؤمن كلاما وللكافر كلاماً وللمعتزلي كلاماً وللجاهل كلاماً . ويتضح هذا الاتجاه في قوله حينما قسم الحقيقة إلى أربعة أضرب هي : ما يطابق الواقع واعتقاده كقول المؤمن ، « أنبتَ اللهُ البقْلَ » و « شفى اللهُ المريضَ » وما يطابق الواقع دون اعتقاده كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه : « خالق الافعال كلها هو الله تعالى » وما يطابق اعتقاده دون الواقع كقول الجاهل : « شفى الطبيبُ المريضَ » معتقداً شفاء المريض من الطبيب ، وما لا يطابق شيئاً منهما كالاقوال الكاذبة التي يكون القائل عالما بحالها دون المخاطب [2] . قال الدكتور بدوي طبانة معلقاً على هذا الكلام : « وكأنه نفذ إلى العقول ووصل إلى مكامن القلوب والشعور . وكل هذه العبارات كما ترى يقولها المؤمن كما يقولها غير المؤمن مدفوعاً في قولها بهذه العلائق الظاهرة وتلك الملابسات التي لا تنفصم بين الأثر والمؤثر » [3] .

---

(١) حاشية الدسوقي – شروح التلخيص ج ١ ص ١٦٤ .
(٢) الايضاح ص ٢١ – ٢٢ .
(٣) علم البيان ص ١٤٦ – ١٤٧ .

واشتد النقاش حين عرّضوا لمثل قولهم : « أنبت الربيعُ البقلَ » فان انبات البقل في الواقع لله تعالى وفي اعتقاد الجاهل للربيع ، وعرضوا لآراء المعتزلة .[1] ولم يدفعهم إلى هذا الا النظرة الدينية والا ايمانهم ان لكل معلول علة وان لكل مسبب سبباً ، ولذلك صرّح القزويني قائلا : « ان الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب ان يكون له فاعل في التقدير اذا اسند اليه صار الاسناد حقيقة »[2] . وقد يكون ظاهراً كما في قوله تعالى : « فما رَبِحَتْ تجارتُهم » أي فما ربحوا في تجارتهم وقد يكون خفياً لا يظهر الا بعد نظر وتأمل كما في : « سرّتني رؤيتك » أي : سرني الله وقت رؤيتك ، وقول الشاعر :

وَصَيّرنـي هـواكَ وبـي ... لِحَيْني يُضْرَبُ المَثَلُ

أي : وصيرني الله لهواك وحالي هذه ، أي : أهلكني الله ابتلاءاً بسبب هواك .

وكما في قول الآخر :

يَزيدك وَجْهُه حُسْنَـاً ... إذا ما زِدْتَه نَظَـرا

أي : يزيدك الله حسنا في وجهه . وهو في ذلك يتابع الرازي والسكاكي ، وكان عبد القاهر قد وجّه المجاز العقلي هذه الوجهة الدينية وان لم يوجب ان يكون للفعل فاعل في التقدير اذا نقل الفعل اليه عاد الى الحقيقة[3] .

وتكلم القزويني في بحث الفصل والوصل على الجامع وأنواعه ، وهو عقلي ووهمي وخيالي وقال في شرحها : « اما العقلي فهو ان يكون بينهما اتحاد في التصور أو تماثل ، فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص في الخارج يرفع

---

(١) المطول ص ٥٤ وما بعدها ، والاطول ج ١ ص ٦٩ ، وشروح التلخيص ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها .
(٢) الايضاح ص ٢٩ .
(٣) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

واشتد النقاش حين عرّضوا لمثل قولهم : « أنبت الربيعُ البقلَ » فان انبات البقل في الواقع لله تعالى وفي اعتقاد الجاهل للربيع ، وعرضوا لآراء المعتزلة .[1] ولم يدفعهم إلى هذا الا النظرة الدينية والا ايمانهم ان لكل معلول علة وان لكل مسبب سبباً ، ولذلك صرّح القزويني قائلا : « ان الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب ان يكون له فاعل في التقدير اذا اسند اليه صار الاسناد حقيقة »[2] . وقد يكون ظاهراً كما في قوله تعالى : « فما رَبِحَتْ تجارتُهم » أي فما ربحوا في تجارتهم وقد يكون خفياً لا يظهر الا بعد نظر وتأمل كما في : « سرّتني رؤيتك » أي : سرني الله وقت رؤيتك ، وقول الشاعر :

وَصَيّرنـــي هـــواكَ وبــي ... لِحَيْني يُضْرَبُ المَثَــلُ

أي : وصيرني الله لهواك وحالي هذه ، أي : أهلكني الله ابتلاءً بسبب هواك .

وكما في قول الآخر :

يَزيدك وَجْهُهُ حُسْنَـــــاً ... إذا ما زِدْتَه نَظَـــــرا

أي : يزيدك الله حسنا في وجهه . وهو في ذلك يتابع الرازي والسكاكي ، وكان عبد القاهر قد وجّه المجاز العقلي هذه الوجهة الدينية وان لم يوجب ان يكون للفعل فاعل في التقدير اذا نقل الفعل اليه عاد الى الحقيقة[3] .

وتكلم القزويني في بحث الفصل والوصل على الجامع وأنواعه ، وهو عقلي ووهمي وخيالي وقال في شرحها : « اما العقلي فهو ان يكون بينهما اتحاد في التصور أو تماثل ، فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص في الخارج يرفع

---

(1) المطول ص ٥٤ وما بعدها ، والاطول ج ١ ص ٦٩ ، وشروح التلخيص ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها .
(2) الايضاح ص ٢٩ .
(3) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

التعدد . أو تضايف كما بين العلة والمعلول والسبب والمسبب والسفل والعلو والاقل والاكثر ، فان العقل يأبى ان لا يجتمعا في الذهن . وأما الوهمي فهو ان يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلون بياض ولون صفرة ، فان الوهم يبرزهما في معرض المثلين ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة التي في قوله :

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدنيا ببهجتها   شَمْسُ الضُّحى وأبو إسحاق والقَمَرُ

أو تضاد كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن والحلاوة والحموضة والملاسة والخشونة ، وكالتحرك والسكون والقيام والقعود والذهاب والمجيء والاقرار والانكار والايمان والكفر ، وكالمتصفات بذلك كالأسود والابيض والمؤمن والكافر . أو شبه تضاد كالسماء والارض والسهل والجبل والأول والثاني، فان الوهم ينزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضايفين فيجمع بينهما في الذهن ، ولذلك تجد أن الضد أقرب خطوراً بالبال مع الضد . والخيالي ان يكون بين تصويريهما تقارن في الخيال سابق ، وأسبابه مختلفة ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتباً ووضوحا، فكم صورة تتعلق في خيال وهي في آخر لا تتراءى ، وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم »[1] . وانتهى القزويني الى ان لصاحب علم المعاني فضل احتياج الى التنبيه على انواع الجامع ولا سيما الخيالي . ومضى الشرّاح في هذا الاحتياج مستخدمين وسائلهم واساليبهم وقالوا ان التماثل في اصطلاح الكلامي الاتحاد في النوع ، والتجانس الاتحاد في الجنس ، والتشابه الاتحاد في العرض[2] ، وهذا كلام بعيد كل البعد عن مفهوم البلاغة وخارج عن الفن الادبي . وذهب ابن يعقوب المغربي الى مدى أبعد فقدم لهذا البحث بمقدمة فلسفية في القوى الباطنية المدركة وهي عند الحكماء أربعة : القوة العاقلة ، والقوة الوهمية ، وقوة الحس المشترك ، والقوة المفكرة . ومضى في شرح هذه القوى

---

(١) الايضاح ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) المطول ص ٢٦٨ ، والاطول ج ٢ ص ٢٠ ، وشروح التلخيص ج ٣ ص ٩٢ وما بعدها

قائلا : « فاما القوة العاقلة فزعموا انها قائمة بالنفس او بالقلب تدرك الكليات والجزئيات المجردة عن عوارض المادة المعروضة للصور والابعاد كالطول والعرض والعمق لانها مجردة ولا يقوم بها الا المجرد ، وزعموا ان لها خزانة هي العقل الفياض المدبر لفلك القمر . واما الوهمية فهي القوة المدركة لمعاني الجزئيات الموجودة في المحسوسات بشرط ان تكون تلك المدركات الجزئيات لا تتأدى الى مدركها من طرق الحواس ، وذلك كادراك الصداقة والعداوة وكادراك الشاة معنى هو الايذاء في الذئب مثلا ، ولذلك يقال ان البهائم لها وهم تدرك به كما ان لها حساً ، وتحكم تلك القوة بأحكام كاذبة . ثم تلك القوة أعني الوهمية قائمة بأول التجويف الآخر من الدماغ ، وذلك ان للدماغ تجاويف أي بطونا واحدها في مقدم الدماغ وآخر في مؤخره وآخر في وسطه .: فزعموا ان الوهم بأول التجويف الآخر وله خزانة تسمى الذاكرة ، والحافظة قائمة بمؤخر تجويف الوهم . وأما الحس المشترك وهو الذي تتأدى اليه الصور المحسوسة الجزئية من الحواس الظاهرة فهي قوة قائمة بأول التجويف الاول من الدماغ وتحكم بين الصور المتأدية اليها كالحكم بأن هذا الاصفر هو نفس هذا الحلو مثلا . ويعنون بالصورة ما يمكن ادراكه ببعض الحواس الظاهرة ولو كان مسموعا ، ويعنون بالمعاني الجزئية المدركة للوهم ما لا يمكن ادراكه بها وخزانته الخيال وهو قوة قائمة بآخر ذلك التجويف ، أعني تجويف الحس المشترك فتبقى فيه تلك الصور بعد غيبتها عن الحس المشترك . وأما المفكرة فهي قوة تتصرف في الصور الخيالية وفي المعاني الجزئية الوهمية وهي دائماً لا تسكن يقظة ولا مناما . واذا حكمت بين تلك الصور وتلك المعاني حكمها بواسطة العقل كان صوابا وان كان بواسطة الوهم والخيال كان غالبا كاذبا ، كالحكم بأن الرأس ثابت على جثة الانسان والعكس. ولا ينتظم تصرفها بل تتصرف بها النفس كيف اتفق وهي انما تسمى مفكرة في الحقيقة ان تصرفت بواسطة العقل وحده أو مع الوهم ، وان تصرفت بواسطة الوهم وحده أو بالخيال وحده أو بهما خصت باسم المتخيلة أو المتوهمة ، ولم يذكروا لها خزانة بل خزانتها خزائن القوى الأخر . وقد تقرر بهذا ان هناك

في الباطن سبعة أمور : القوة العاقلة وخزانتها ، والوهمية وخزانتها ، والحس المشترك وخزانته، والمفكرة ؛ وبها، أعني هذه السبعة، ينتظم أمر الادراك . وقد صرح بعض الحذاق من المحققين بأن النفس هي المدركة بواسطة هذه القوى ، وان نسبة الادراك اليها كنسبة القطع الى السكين في يد صاحبه ، وهكذا كله عند الحكماء »[1] .

لقد نقلنا هذا كله لنظهر خروجهم عن البلاغة ، والا فما علاقة هـذا الكلام بها وكيف يستفيد منه الاديب في نقد الادب واظهار جمالـه ؟

وادخلوا في علم البيان الدلالات وتكلموا عليها كلاماً طويلا وقسموها الى ثلاثة انواع ،دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له.. وقد سميت بذلك لتطابق اللفظ والمعنى أي توافقهما أو لتطابق الفهم والوضع بمعنى ان ما فهم هو ما وضع له اللفظ . ودلالة التضمن وهي دلالة اللفظ على جزء مـا وضع له أو جزء مسماه مع دخوله فيه.. وقد سميت بذلك لان الجزء المفهوم من اللفظ هو في ضمن المعنى الكلي فيفهم عند فهمه ، ودلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن مسماه لازم له.. وقد سميت بذلك لان المدلول فيها لازم للمعنى الموضوع له . وقد تسمى دلالة المطابقة عند علماء البيان دلالـة وضعية لأن السبب في حصولها عند سماع اللفظ أو تذكره هو معرفة الوضع دون حاجة الى شيء آخر ، أما دلالتا التضمين والالتزام فتسميان دلالتين عقليتين ، لان حصولهما بانتقال العقل من الكل الى الجزء في الاولى ومن الملزوم الى اللازم في الثانية بمعنى ان الواضع وضع اللفظ ليفيد جميع المعنى غير ان العقل اقتضى ان الشيء لا يوجد بلا جزئه ولازمه[2] .

---

(١) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ٣ ص ٨١ .

(٢) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٦ والطراز ج ١ ص ٣٤ – ٣٩، والايضاح ص ٢١٢، والمطول ص ٣٠٠ ، وشروح التلخيص ج ٣ ص ٢٥٦ ، والاطول ج ٢ ص ٥٠ وما بعدها ، وفن التشبيه ج ١ ص ٢٠ وما بعدها .

في الباطن سبعة أمور : القوة العاقلة وخزانتها ، والوهمية وخزانتها ، والحس المشترك وخزانته، والمفكرة » وبها ، أعني هذه السبعة، ينتظم أمر الادراك . وقد صرح بعض الحذاق من المحققين بأن النفس هي المدركة بواسطة هذه القوى ، وان نسبة الادراك اليها كنسبة القطع الى السكين في يد صاحبه ، وهكذا كله عند الحكماء »[1] .

لقد نقلنا هذا كله لنظهر خروجهم عن البلاغة ، والا فما علاقة هـــذا الكلام بها وكيف يستفيد منه الاديب في نقد الادب واظهار جمالـــه ؟

وادخلوا في علم البيان الدلالات وتكلموا عليها كلاماً طويلا وقسموها الى ثلاثة انواع ، دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له.. وقد سميت بذلك لتطابق اللفظ والمعنى أي توافقهما أو لتطابق الفهم والوضع بمعنى ان ما فهم هو ما وضع له اللفظ ، ودلالة التضمن وهي دلالة اللفظ على جزء مـــا وضع له أو جزء مسماه مع دخوله فيه.. وقد سميت بذلك لان الجزء المفهوم من اللفظ هو في ضمن المعنى الكلي فيفهم عند فهمه ، ودلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن مسماه لازم له.. وقد سميت بذلك لان المدلول فيها لازم للمعنى الموضوع له . وقد تسمى دلالة المطابقة عند علماء البيان دلالـــة وضعية لأن السبب في حصولها عند سماع اللفظ أو تذكره هو معرفة الوضع دون حاجة الى شيء آخر ، أما دلالتا التضمين والالتزام فتسميان دلالتين عقليتين ، لان حصولهما بانتقال العقل من الكل الى الجزء في الاولى ومن الملزوم الى اللازم في الثانية بمعنى ان الواضع وضع اللفظ ليفيد جميع المعنى غير ان العقل اقتضى ان الشيء لا يوجد بلا جزئه ولازمه[2] .

---

(١) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ٣ ص ٨١ .

(٢) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٦ والطراز ج ١ ص ٣٤ – ٣٩ ، والايضاح ص ٢١٢ ، والمطول ص ٣٠٠ ، وشروح التلخيص ج ٣ ص ٢٥٦ ، والاطول ج ٢ ص ٥٠ وما بعدها ، وفن التشبيه ج ١ ص ٢٠ وما بعدها .

وبنى البلاغيون المتأخرون تقسيم البيان على هذه الدلالات فأخرجوا التشبيه ، لأن دلالته وضعية والدلالة الوضعية لا يمكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة. قال القزويني : « ثم ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالات الوضعية لان السامع إنْ كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض وإلاّ لم يكن كل واحد منها دالاّ وانما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز ان يكون للشيء لوازم بعضها أصح لزوما من بعض »[1] . فانحصر علم البيان في المجاز والكناية ، ولما كانت الاستعارة تبنى على التشبيه جعله قسماً ثالثا للبيان، قال: «ثم المجاز منه الاستعارة وهي ما تبتنى على التشبيه فتعين التعرض له، فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية ، وقدم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه، وقدّم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل »[2] . وأسرف شراح التلخيص في بحث الدلالات مع ان القزويني أشار اليها اشارة عابرة ، وكانت هذه البحوث ثبوراً على البلاغة العربية ، لأنها أخرجتها عن هدفها الفني .

وكان بحث التشبيه مجالا لتسابق البلاغيين في ادخال البحوث الفلسفية وقد تكلموا في الالوان والطعوم والروائح والحركات والمحسوسات والكيفيات النفسية واللذة والالم والوهم والخيال والمفكرة والوجدان والماهية وحرارة الحروف وبرودتها ورطوبتها ويبوستها . وأسرف المغربي في الكلام على اللذة والالم والبصر وأقوال حكماء التشريح ، والكلام على الاشكال والحركة واختلاف المتكلمين والحكماء فيها وتفسير السمع والذوق والطعوم والصلابة واللين والخفة والثقل ، وأسرف في الحديث عن الكيفيات النفسية من الذكاء والعلم والغضب والحلم والغرائز[3] ، وهو في هذا كله يقارن بين اقوال

---

(١) الايضاح ص ٢١٢ .

(٢) الايضاح ص ٢١٣ .

(٣) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ٣ ص ٣٢٠ وما بعدها .

المتكلمين وآراء الحكماء . ونجد التفتازاني يقول عند حديثه عن وجه الشبه : « مما يدرك بالبصر ، وهو قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين تتلاقيان وتفترقان الى العينين ... والحركات وهي الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدريج وفي جعل المقادير والحركات من الكيفيات ... أو بالسمع ، والسمع قوة رتبت في العصب المفروش على سطح باطن الصماخين يدرك بها الاصوات من الاصوات القوية والضعيفة والتي بين بين . والصوت يحصل من التموج المعلول للقَرْع الذي هو احساس عنيف ، والقلع الذي هو تفريق عنيف بشرط مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقالع ، ويختلف الصوت قوة وضعفا بحسب قوة المقاومة وضعفها . أو بالذوق ، وهو قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان من الطعوم كالحراقة والمرارة والملوحة والحموضة وغير ذلك ، أو بالشم ، وهي قوة رتبت في زائدتي مقدم الدماغ المشبهتين بحلمتي الثدي من الروائح . أو باللمس ، وهي قوة سارية في البدن يدرك بها الملموسات » (١) . ونجد الخلاف على أشده بين المذاهب في المسائل المقحمة ، فهذا المغربي يقول في بحث وصف المسند اليه متكلماً على الجسم الطويل : « ثم ان تفسيره بما ذكر انما هو على المذهب الاعتزالي ، وأما عند الحكماء فالجسم هو المركب من الهيولى أي الجواهر المفردة ومن الصورة ، وعند اهل السنة هو ما تركب من جوهرين فأكثر ، والفرق بين المذهب السني ومذهب الحكماء ان الصورة عند الحكماء لها دخل في التركيب وهي جزء الجسم وعند اهل السنة ان التركيب للجواهر والصورة عرض اعتباري أو حقيقي ولا مدخل لها في جزئية الجسم » (٢) .

وكان القدماء انفسهم يشعرون بثقل هذه المادة على البلاغة وغرابتها ، ولكنهم جاروا المتقدمين وانغمسوا فيها ، قال المغربي بعد ان تحدث عن اللذة والالم والاشكال والسمع والذوق: « وقد أطنبت قليلا فيما يتعلق بهذه الكيفيات

(١) المختصر – شروح التلخيص ج ٣ ص ٣٢٢ وما بعدها .
(٢) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ١ ص ٣٦١ .

المتكلمين وآراء الحكماء . ونجد التفتازاني يقول عند حديثه عن وجه الشبه : « مما يدرك بالبصر ، وهو قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين تتلاقيان وتفترقان الى العينين ... والحركات وهي الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدريج وفي جعل المقادير والحركات من الكيفيات ... أو بالسمع ، والسمع قوة رتبت في العصب المفروش على سطح باطن الصماخين يدرك بها الاصوات من الاصوات القوية والضعيفة والتي بين بين . والصوت يحصل من التموج المعلول للقرْع الذي هو احساس عنيف ، والقلع الذي هو تفريق عنيف بشرط مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقالع ، ويختلف الصوت قوة وضعفا بحسب قوة المقاومة وضعفها . أو بالذوق ، وهو قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان من الطعوم كالحراقة والمرارة والملوحة والحموضة وغير ذلك ، أو بالشم ، وهي قوة رتبت في زائدتي مقدم الدماغ المشبهتين بحلمتي الثدي من الروائح . أو باللمس ، وهي قوة سارية في البدن يدرك بها الملموسات » [1] . ونجد الخلاف على أشده بين المذاهب في المسائل المقحمة ، فهذا المغربي يقول في بحث وصف المسند اليه متكلماً على الجسم الطويل : « ثم ان تفسيره بما ذكر انما هو على المذهب الاعتزالي ، وأما عند الحكماء فالجسم هو المركب من الهيولى أي الجواهر المفردة ومن الصورة ، وعند اهل السنة هو ما تركب من جوهرين فأكثر ، والفرق بين المذهب السني ومذهب الحكماء ان الصورة عند الحكماء لها دخل في التركيب وهي جزء الجسم وعند اهل السنة ان التركيب للجواهر والصورة عرض اعتباري أو حقيقي ولا مدخل لها في جزئية الجسم » [2] .

وكان القدماء انفسهم يشعرون بثقل هذه المادة على البلاغة وغرابتها ، ولكنهم جاروا المتقدمين وانغمسوا فيها ، قال المغربي بعد ان تحدث عن اللذة والالم والاشكال والسمع والذوق: « وقد أطنبت قليلا فيما يتعلق بهذه الكيفيات

---

(١) المختصر – شروح التلخيص ج ٣ ص ٣٣٢ وما بعدها .
(٢) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ١ ص ٣٦١ .

على حسب ما فسرها الشارح مما هو من تدقيقات الحكماء بعد تفسير بعضها بما هو أقرب الى الفهم قصد الايضاح وزيادة في الفائدة ، وان كان تفسيره كما قيل لا يناسب هذا الفن ولا يسهل على المتعلم بل يزيده حيرة ، ولكن حيث ارتكب ذلك وجب مجاراته مع زيادة ما يوضح الغرض من بيان اصطلاحهم ازالة للحيرة عن المتعلم » (1) . ونجد عصام الدين يقول بعد ان تكلم على الحواس والكيفيات والحركات : « واعلم انه لم يفِ المصنف بما وعد في ديباجة الكتاب من حذف الحشو والتطويل والتعقيد ونسي عنه في هذا المقام ، لأن هذه التقسيمات ما لا نفع له في هذا الفن بل يوجب تحير الافهام وايقاع المبتدئين في الظلام حتّى ان الشارح قال : كأنه ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين ، فهو من التطويلات المشكلة على المبتدىء فيجب حذفه لمن التزم تنقيح الكلام عن التطويل والتعقيد وكأنه منع المصنف حذفه لاتقائه من الاتهام بأنه لم يتعرف على اصطلاحات المتكلمين فحذفه لعدم فهمه مقاصد المفتاح في هذا المقام لكونه عارياً عن معرفة مصطلحات الكلام » (2) . وبذلك نرى القدماء انفسهم أحسوا بما في هذه البحوث من ثقل على الدراسات البلاغية ولكنهم يذكرونها خوفا من ان يتهموا بالجهل وعدم الادراك . وقد دفعهم هذا الاحساس الى البحث فيها واقحامها في البلاغة واتخاذها دليلاً على ثقافتهم الواسعة واطلاعهم على اساليب الفلاسفة والمتكلمين .

وكان لمصطلحات المنطق أثر في كتابي القزويني ، ففيهما التأسيس والموجبة والسالبة والمهملة والمعدولة والسالبة المهملة والسالبة الكلية والسالبة الجزئية والمسورة والتصديق والتصور (3) . ونجد في شروح التلخيص المصدوق والماصدق ومصطلحات الحكماء والاصوليين .

---

(1) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ٣ ص ٣٤٣ .

(2) الاطول ج ٢ ص ٧٧ .

(3) الايضاح ص ٦٤ – ٦٥ ، والتلخيص ص ٨٤ .

ولم يقف الامر عند هذا بل استفاد القزويني من اساليب الفلاسفة والمتكلمين في البحث والشرح والتعليل ، قال في تعريف فصاحة المتكلم : « واما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح ... وقيل « ملكة » ولم يقل « صفة » ليشعر بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة حتى لا يكون المعبر عن مقصوده بلفظ فصيح الا اذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ راسخة فيه . وقيل : « يقتدر بها » ولم يقل : « يعبر بها » ليشمل حالتي النطق وعدمه ، وقيل : « بلفظ فصيح » ليعم المفرد والمركب»(١) وقال بعد ان عرف علم المعاني : « وقيل «يعرف» دون « يعلم » رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات كما قال صاحب القانون في تعريف الطب : « الطب علم يعرف به أحوال بدن الانسان » . وكما قال الشيخ ابو عمر – رحمه الله – : « التصريف علم بأصول يعرف بها احوال أبنية الكلم » (٢) .

وهذا الاسلوب وان كان معروفا عند المتقدمين الا انهم لم يسرفوا فيه هذا الاسراف ولم يستعملوه في ميدان البحث البلاغي ، وقد غلا شراح التلخيص في هذا الاتجاه فقال عصام الدين شارحاً معنى « علم » في تعريف البيان : « وهو علم أي مسائل معلومة عن الادلة او تصديقات أعني كيفية راسخة يتمكن بها من التصديق بمسألة مسألة تفصيلا من غير حاجة الى تجشم كسب جديد . وانما قيدنا معاني العلم بالحصول على الدليل وان اطلقها الناظرون في هذا المقام لما حققت من ان من جمع مسائل العلم بالتقليد لا يسمى عالماً وتصديقا لها لا يسمى علما واستعمال لفظ العلم في التعريف مخل » (٣) .

واستعمل القزويني في اظهار الحسن البلاغي الاساليب الفقهية والفلسفية

---

(١) الايضاح ص ٩ .
(٢) الايضاح ص ١٢ .
(٣) الاطول ج ٢ ص ١٢ .

في التعليل فقال بعد ان انتهى من بحث موضوعات البيان : « اطبق البلغاء على ان المجاز ابلغ من الحقيقة ، وان الاستعارة ابلغ من التصريح بالتشبيه ، وان التمثيل على سبيل الاستعارة ابلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وان الكناية ابلغ من الافصاح بالذكر »[1] . ولكن لماذا ؟ لم يذكر القزويني وغيره من المتأخرين علة ذلك ووجهة النظر البلاغي وانما « السبب في ذلك ان الانتقال في الجميع من الملزوم الى اللازم فيكون اثبات المعنى به كدعوى الشيء ببينة ، ولا شك ان دعوى الشيء ببينة أبلغ من اثباته دعواه بلا بينة »[2] .

ولا يخرج تعليله في تأكيد المدح بما يشبه الذم عن هذا التعليل ، قال : « فالتأكيد فيه من وجهين :

أحدهما : انه كدعوى الشيء ببينة .

والثاني : ان الاصل في الاستثناء ان يكون متصلا ، فاذا نطق المتكلم بـ « إلاّ » او نحوها توهم السامع قبل ان ينطق بما بعدها ان ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتا ، وهذا ذم ، فاذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحاً على مدح وان كان فيه نوع من الخلابة »[3] . لقد أحس القزويني ان في هذا نوعا من الخلابة ولكن ما هي ؟ لم يستطع ان يشرح هذه الخلابة ويبين أهمية استعمال هذا الاسلوب وقيمته في التعبير الا ما كان من دعوى الشيء ببينة ، فالتعليلان الفقهي والنحوي لا يجديان في اظهار جمال هذا الاسلوب . وقد صرح المغربي بأن في هذا التعليل تمحلاً وان قال عن الثاني انه أبلغ وانه توجيه يتملح ويثلج به الصدر في افادة التأكيد حقيقة ، والاول انما أفاد التأكيد بأمر تخييلي[4] . ويرى الاستاذ أمين الخولي ان السر النفسي

---

(١) الايضاح ص ٣٢٨ .
(٢) الايضاح ص ٣٢٩ .
(٣) الايضاح ص ٣٧٣ .
(٤) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٨٩ .

لجمال هذا الاسلوب ما فيه من معنى المباغتة والمفاجأة التي تكسبه طرافة وتثير حوله تنبيها ، وسواء أكانت هذه الطرافة تقوم على اتصال الاستثناء ام يتحول معها منقطعا فان المباغتة هي الاصل لا ملاحظة الاستثناء وحالته [1] . ونحن لا نستطيع ان نأخذ هذه التعليلات دليلا على روعة الاساليب الادبية ، لانها لا تفيدنا كثيرا ولا تفتح الطريق امامنا لتلمس مواطن الجمال وتحسس ما تثيره في النفوس .

ونتهي من هذا كله الى ان النزعة الفلسفية والجدلية تسيطر على بلاغة القزويني ، وهذا واضح في المنهج والتبويب وبيان المعاني البلاغية واستخدام الاساليب والمصطلحات الكلامية والفلسفية . ومن هنا نرى ان لا فائدة في العكوف على بلاغة القزويني وشراح تلخيصه ، وانه لمن المفيد ان نجرد بلاغتنا الجديدة مما علق بها من غريب . وليس هذا وحده ما ينبغي تخليته من البلاغة ، فهناك موضوعات اقحمت فيها اقحاماً كالدراسات النحوية التي تظهر بأجلى صورها في فصول علم المعاني الذي أحاله السكاكي والقزويني ومن جاء بعدهما ميداناً للجدل في تقدير الفاعل او المفعول ، أو البحث في استعمال ادوات الشرط وأحوال التعريف وتقسيم القصر باعتبار المقصور الى قصر موصوف على صفة وقصر صفة على موصوف وباعتبار حال المخاطب به الى قصر افراد أو قصر قلب وقصر تعيين ، أو البحث في ادوات الاستفهام والتمني والنداء والامر والنهي ، والبحث في واو الحال وغيرها مما ذكره السبكي في شرحه الذي كان ميدانا لعرض الآراء النحوية ووجهات النظر المختلفة . ونرى أن نعيد هذه المباحث الى النحو ونضمها الى فصوله لتعود اليه الحياة بعد ان سلبوه كل شيء وجعلوه يتعلق بأواخر الكلمات من رفع ونصب او بناء او اعراب ، وقد أشار القدماء الى أن كثيرا من هذه الموضوعات ليست من علم المعاني ، قال عصام الدين عن الأمر : « ولا يخفى عليك ان مباحث الامر كالاستفهام ليس

(١) مناهج تجديد ص ١٩٧ .

من فن المعاني ، وليس فيه الا نكات العدول من الحقيقة الى التجوز بالامر »[1]
وانا اذ ندعو الى اخراج هذه الموضوعات من البلاغة نهدف الى أمرين .
الاول : تخليصها من كل غريب لا علاقة له بالفن الادبي وانما اقحم عليها اقحاما أفقدها قيمتها والغرض الذي من أجله درسها القدماء .

والثاني : تخليصها من هذا الاضطراب المنهجي والانتقال من اسلوب الى اسلوب، فهم يتخذون تارة أساليب الفلاسفة وأهل المنطق عندما يناقشون ، ويتخذون اساليب الفقهاء حينما يعللون ويظهرون روعة الاساليب تارة اخرى ، ويتخذون أسلوب النحاة حينما يعرضون لموضوعات علم المعاني ويفصلون القول فيها . وما أحوج البلاغة الى تجريدها من هذا كله لتبقى خالصة للفن ويظل اسلوبها متسقاً ليس فيه هذا الانتقال الذي يفرضه كل نوع من هذه الموضوعات المختلفة في الهدف والاسلوب .

ونحن حينما ندعو الى اخراج الغريب من البلاغة كالنحو والمباحث اللغوية لا نعني بذلك انها عديمة الفائدة بل نرى ان لها قيمة في فهم الادب وتذوقه ، ومن هنا نجد الاقدمين يعتبرونها من مكملات ثقافة الاديب والباحث البلاغي ، وقد ذكر ابن الاثير في « المثل السائر » و « الجامع الكبير » ان الأديب بحاجة اليها وانها المفتاح الذي يفتح ابواب البلاغة.. ولكن على شرط ان لا تمتزج بحوثها بفصول البلاغة بل تدرس على اساس انها علوم مستقلة تفيد في تنمية ثقافة الاديب اللغوية والنحوية، وتقوي مداركه وتعينه في نقد الكلام وتمييز حسنه من رديئه .

ما ينبغي خذ :

هذا ما ينبغي اخراجه من بلاغة القزويني وشروح تلخيصه ، أما ما يمكن

---

(١) الاطول ج ١ ص ٢٤٨ .

الاستفادة منه في البلاغة الحديثة فهو غير ما ذكرنا ، واننا لواجدون في بلاغتهم كثيرا من البحوث الصالحة للبقاء ، من ذلك مصطلحات البلاغة التي نشأت في أول عهدها نشأة ساذجة ثم أخذت تتطور بتعاقب الايام حتى استقرت وتحددت معانيها ومفاهيمها على يدي السكاكي والقزويني . واننا اذ ندعو الى الأخذ بمصطلحات القزويني البلاغية ، انما نريد التخلص من الفوضى التي دخلتها والاضطراب الذي أصابها ، ولو رجعنا الى أي مصطلح منها وتابعناه منذ أول نشأته حتى القزويني لوجدنا الاختلاف واضحا والتحديد غير متفق عليه ، وقد بدا ذلك جليا في فنون البديع التي تسابق البلاغيون في تفريعها وأوصلوها الى اكثر من مائة. وانه لمن اليسير ان يضم كثير منها الى انواع معينة ، ولكن غرامهم بالبديع وتفاخرهم بالسبق دعاهم الى هذا مع أن السكاكي الذي عاش في فترة متأخرة لم يذكر منه الا انواعا قليلة ، ولكن اصحاب البديعيات أوصلوها الى ما وصلت الينا . وقد بدأ الاهتمام بذلك مبكرا حتى ان ابن الاثير قال :

« اعلم انه قد اختلف أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان حتى ان أحدهم يضع لنوع واحد اسمين اعتقاداً منه ان ذلك النوع نوعان مختلفان ، وليس الأمر كما وقع له بل هما نوع واحد. فممن فعل ذلك الغانمي فانه ذكر في كتابه بابا من أبواب علم البيان وسماه التبليغ وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية فيما ذكر صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى في الجودة ... ثم انه ذكر بعد هذا الباب باباً آخر وسماه الاشباع فقال : هو ان يأتي الشاعر بالبيت معلقا بالقافية على آخر أجزائه ولا يكاد يفعل ذلك الا حذاق الشعراء وذلك ان الشاعر اذا كان بارعاً جلب بقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه ــ قافية متممة لأعاريضه ووزنه فجعلها نعتا للمذكور... هذا كلام الغانمي بعينه والبابان المذكوران سواء لا فرق بينهما بحال من الاحوال »[1] .

(١) الجامع الكبير ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

وقد جمع أبو هلال العسكري هذين النوعين في فن واحد أطلق عليه اسم الايغال وذكر أمثلتهما وبذلك قلل المصطلحات[1] ، وأيده ابن الاثير فقال : « وهذا أقرب أمراً من الغانمي ، لانه ذكره في باب واحد وسماه باسم واحد ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغانمي — رحمه الله — وليس الأخذ على الغانمي في ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة له على ان ينتصب لايراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحد الابواب التي ذكرها داخلاً في الآخر فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه ، وهو أشهر من فلق الصبح »[2] .

وأدّعى ابن ابي الاصبع المصري انه اخترع ثلاثين نوعا بديعيا ، والمتتبع لهذه الانواع يرى انها لم تسلم له كلها ، وانما كان مسبوقا اليها كالتخيير والتدبيج والاستقصاء والبسط والتشكيك والتهكم والتنذير والفرائد والالغاز والتعمية والنزاهة والمراجعة والسلب والايجاب والابهام والمقارنة والمناقضة وحسن الخاتمة. ولم يسلم له الا التخريج والهجاء في معرض المدح والعنوان والا يضاح والحيدة والانتقال والشماتة والاسجال بعد المغالطة والتصرف والتسليم والافتنان والقول بالموجب وحصر الجزئي والحاقه بالكلي والابداع والانفصال[3] . ولم يدفعه الى ذلك الا تفريعاته واطلاق المصطلحات الخاصة على فنون قد تكون نوعاً واحدا ، فالبسط عنده ليس الا الاطناب الذي عرفه البلاغيون ، وكذلك الامر في الفنون الاخرى .

ولكي نظهر اختلاف البلاغيين في المصطلحات واطلاقهم الاسماء المختلفة على فن واحد نذكر أمثلة ، منها تسميتهم التجنيس : الجناس والمجانس ، وأن بعض البغداديين يسمي تساوي اللفظتين في الصفة مع اختلاف المعنى : المتماثل[4]

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٣٨ وما بعدها .

(٢) الجامع الكبير ص ٢٤١ ، والمثل السائر ج ٢ ص ٣٥٠ — ٣٥١ .

(٣) تنظر هذه الفنون في كتابي « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » وينظر الفصل الرابع من كتاب ابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة .

(٤) سر الفصاحة ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ .

وتسميتهم التورية : الايهام والتوجيه والتخيير [1] ، ويرى ابن حجة الحموي ان التورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى ولأنها مصدر « وريت الخبر تورية » اذا سترته وأظهرت غيره [2] وتسمية التشبيه المقلوب : غلبة الفروع على الاصول أو الطرد والعكس [3] ، وتسمية المنصف الاستدراك لاستدراجه الخصم الى الاذعان والتسليم [4] ، والتوجيه : محتمل الضدين [5] ، وتسمية الارصاد : التسهيم والتوشيح . وقد نقد ابن الاثير أبا هلال فقال : « ورأيت أبا هلال العسكري قد سمى هذا النوع التوشيح ، وليس كذلك بل تسميته بالارصاد أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به ، وأما التوشيح ، فانه نوع آخر من علم البيان »[6] ، وتسمية لزوم ما لا يلزم : الالزام والتضمين والتشديد والاعنات والتضييق [7] ، والتشريع : التوشيح وذا القافيتين [8] ، وتسمية التكميل : الاحتراس ، وعللوا هذه التسمية فقالوا : « ويسمى هذا النوع من الاطناب الاحتراس أيضا أي زيادة على تسميته بالتكميل ، اما تسميته بالتكميل فلتكميله المعنى بدفع خلاف المقصود عنه ، واما تسميته بالاحتراس فهو من حرس الشيء حفظه وهذا فيه حفظ المعنى ووقايته من توهم خلاف المقصود ، لان ما أتى به فيه يحترز به عن خلاف المقصود[9] » .

---

(١) التلخيص ص ٣٦٠ ، والايضاح ص ٣٥٣ ، والمطول ص ٤٢٥ ، وشروح التلخيص ج ٤ ص ٣٢٢ .

(٢) خزانة الادب ص ٢٣٩ .

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٤٢١ ، والجامع الكبير ص ٩٧ ، والفوائد ص ٥٧ ، ٥٩ ، والخصائص ج/ص ٣٠٠ .

(٤) المطول ص ١٦٥ .

(٥) المطول ص ٤٤٣ ، وشروح التلخيص ج ٤ ص ٤٠٠ .

(٦) المثل السائر ح ٢ ص ٣٥٠ ، وينظر التلخيص ص ٣٥٦ ، والايضاح ص ٣٤٧ ، والمطول ص ٤٢٢ ، وشروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٥ .

(٧) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٦٣ ، والمطول ص ٤٥٨ ، والفوائد ص ٢٣٤ .

(٨) المطول ص ٤٥٨ ، والمختصر – شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٦١ .

(٩) مواهب الفتاح – شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣١ .

ورد العجز على الصدر : التصدير ، وكان الغانمي قد ذكر باباً باسم رد الاعجاز على الصدور خارجا عن باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جمله [1]. وتسمية المطابقة : الطباق والتضاد والتطبيق والتكافؤ [2] ، والتشريع : التوأم والتوشيح [3] ، وتجاهل العارف : سوق المعلوم مساق غيره ، وقد سماه السكاكي بالاسم الأخير وقال : « لا أحب تسميته بالتجاهل » ، [4] وتسمية مراعاة النظير : التناسب والتوفيق والائتلاف والتلفيق ، ورأى السبكي ان من الاحسن تسميته التأليف لموافقة التوفيق [5] ، والمذهب الكلامي : الاحتجاج النظري ، وقد اكثر أبو حيان النحوي الاندلسي من استعمال المصطلح الثاني في تفسيره للقرآن الكريم ، ولكن البلاغيين أطلقوا عليه الاول [6] .

هذه امثلة لاختلافهم في المصطلحات ، وهي دلالة واضحة على ان فنون البلاغة ومصطلحاتها بقيت تتطور على مدى العصور ، ومن هنا جاء هذا الاختلاف، ولكنها بقيت ثابتة بعد ان وضع القزويني كتابيه . ولو أردنا ان نستقصي تطور المصطلحات لطال بنا الكلام ولعل في العودة الى « المثل السائر » و « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » و « خزانة » الحموي ما يغني عن الكلام، لان هذه الكتب قد جمعت الآراء المختلفة وذكرت مصطلحات الفن الواحد .

ونحن في بلاغتنا الجديدة لا يمكن ان نبقى مضطربين في هذه المصطلحات ،

---

(١) الجامع الكبير ص ٢٥٨ ، والمثل السائر ج ١ ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٢) التلخيص ص ٣٤٨ ، والايضاح ص ٣٢٤ ، والمطول ص ٤١٧ ، وشروح التلخيص ج ٤ ص ٢٨٦ ، والفوائد ص ١٤٥ ، والمثل السائر ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٣) التلخيص ص ٤٠٥ ، والبلاغة الفنية ص ١٦٢ .

(٤) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ ، وينظر التلخيص ص ٣٨٥ والايضاح ص ٣٧٨ .

(٥) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠١ ، والتلخيص ص ٣٥٤ ، والايضاح ص ٣٤٣ ، والمطول ص ٤٢٠ .

(٦) ينظر البحر المحيط ج ٣ ص ٨٩ ، ٣٠٥ ، ج ٤ ص ٣٩٣ ، وج ٥ ص ٣٥٠ ، والتلخيص ص ٣٧٤ والايضاح ص ٣٦٦ ، والفوائد ص ١٣٦ وشروح التلخيص ج ٤ ص ٣٦٩ .

وانما ينبغي ان ننسقها ونوحدها ونضم بعضها الى بعض ونستعمل منها ما هو أكثر دلالة على الفن البلاغي الذي نبحث فيه . ونرى ان نستفيد مما ذكـــره القزويني لأنه جمع زبدتها في كتابيه ، وقد كان موفقاً الى حد كبير في بحث البديع فأدخل بعض فنونه في بعض وبذلك قلل مصطلحاته وأنواعه التي اسرف المتأخرون في تفريعها . ولكن لن نقف عند ما ذكره وانما ينبغي ان نستفيد من غيره فنأخذ ما هو أجدى من مصطلحاته واكثرها دلالة وأقربها الى الفهم والذوق السليم .

ومن الموضوعات التي ينبغي ان نستفيد منها مقدمته في الفصاحة ، وهي ليست مقدمة لدراسة البلاغة كما زعم وانما هي من صميم الدراسات النقدية . وقد اهتم بها القدماء كابن سنان وابن الاثير وغيرهما ورأوا ان الاديب يحتاج في تأليفه الى ثلاثة أشياء : اختيار الالفاظ المفردة ، وحكم ذلك حكم اللآلي المبددة فانها تتخير وتنتقى قبل النظم ، ونظم كل كلمة مع اختها المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقاً نابياً ونافراً عن موضعه ، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها ، والغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه ، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلاً على الرأس وتارة يجعل قلادة في العنق وتارة يجعل شنفا في الاذن — ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه . وانتهى ابن الاثير الى أن هذه الامور الثلاثة لا بدّ للخطيب والشاعر من العناية بها ، وهي الاصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر ، فالاول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجملتها هي المراد بالبلاغة . وذهب الى ان للالفاظ في الاذن نغمة لذيذة كنغمة أوتار وصوتاً منكرا كصوت حمار ، وان لها في الفم حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم [1] .

---

(١) المثل السائر ج ١ ص ١٤٢ ، ١٥٠ .

واهتم المعاصرون بالبحث في اللفظ الموحي واللفظ القوي واللفظ المؤنس والعذب في تألفه مع الجملة وكيف يعبر عن الانفعال أو الفكرة وكيف يحدث صورة .. واختيار الكلمة الواجبة المؤثرة هي أول خطوة للبناء الفني . وذهب بعض النقاد المحدثين الى ان اللفظ « عنصر على جانب كبير من الاهمية ، وقد يقوم به القصيد دون حاجة الى صورة خيالية أو موسيقى جياشة ، فان الالفاظ وصوتها ودلالتها وجوها وتآلفها كافية لابداع القصيد البديع »[1] .

ومنها بحث الايجاز والاطناب والمساواة ، فقد جمع القزويني فيه جودة التقسيم مع روعة العرض والتحليل ، ولم يضطرب كما اضطرب المتأخرون فجعلوا بعض اقسامه من البديع كالتكميل والتتميم والايغال . ويمكن ان نضم الى هذا البحث ما كتبه رجال المدرسة الادبية كابن رشيق وابن الاثير وبذلك تكون لنا مقاييس جديدة في النقد . ونرى ان هذا الفصل يكون بعد ذلك كله من خيرة بحوث الاسلوب التي يهتم بها المعاصرون .

ولن نهمل من بلاغة القزويني بحوثه في التشبيه والاستعارة والكناية والبديع فهي من البحوث الجيدة التي تشهد له بسعة الاطلاع ، ولكننا لن نأخذ تقسيماته الكثيرة وانما نقبل منها ما يفيدنا مع الاهتمام بتقليل الاقسام والابتعاد عن تعليلاته واعجابه بالتشبيهات الغريبة التي اكثر منها ابن المعتز وامثاله من الشعراء المترفين .

اما خاتمة كتابيه فهي ضرورية ونخص منها بالذكر السرقات التي تؤثر تأثيراً كبيراً في الاحكام النقدية ، وهي ليست خاتمة للبلاغة أو تابعة لاحد فنونها وانما هي فن له اهميته في الدراسات البلاغية ولذلك اعتنى العرب بها وأفردوا لها كتبا ، وعُني بها المحدثون وأولوها اهتماما عظيما — لانها تنير السبيل للناقد في دراسة ابداع الاديب أو اسفافه ومعرفة جديده ومقدار أخذه عن الآخرين .

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٥٧ وينظر النقد الادبي من خلال تجاربي ص ٨٠ وما بعدها .

وتقرونى التفاتات طيبة منها ايمانه بالتجديد ، فقد نقل عن الجاحظ قوله : « وكلام كثير جرى على ألسنة الناس وله مضرة شديدة وثمرة مرة ، فمن آخر ذلك قولهم : « لم يدَعِ الاول للآخر شيئا » فلو أن علماء كل عصر منذ جرت هذه الكلمة في اسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينتهِ اليهم عمن قبلهم لرأيت العلم مختلا » (١) .

وله التفاتات نقدية منبثة في بحوثه البلاغية الصرفة ، وتتجلى مظاهر النقد عنده فيما ورد في تضاعيف « الايضاح » من الدراسات والآراء التي عقب بها على النصوص الشعرية فأظهر محاسنها وعيوبها ، أو في معرض الدفاع عن اصحابها والرد على من نقدهم ، او في سبيل تقرير مبدأ يزول به الوهم عن أذهان المعترضين . ويتجه نقده في بعض الاحيان إلى اسلوب الموازنة بين شعر وشعر أو بين رأي وآخر ، وقد تجلى ذلك في بحث السرقات .

ولكن الشكلية تطغى في بعض الاحيان على نقده وتحليله ومقارناته ، وأوضح مثال لذلك مقارنته بين قوله تعالى : « ولكم في القِصاصِ حياةٌ » وقول العرب « القتل أنفى للقتل » . قال وهو يتكلم على ايجاز القصر : « ايجاز القصر وهو ما ليس بحذف كقوله تعالى : « ولكم في القِصاصِ حياةٌ » فانه لا حذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه . لأن المراد به ان الانسان اذا علم انه متى قَتَلَ قُتِلَ كان ذلك داعياً له قويا إلى ان لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو قِصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض فكان في ارتفاع القتل حياة لهم » (٢) . وهذا تعليق حسن فيه توضيح لمعنى الآية الكريمة ، ولكنه اسرف في الشكلية عند المقارنة ووضع النقاط الواحدة بعد الاخرى ، قال : « وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم « القتل أنفى للقتل »

---

(١) الايضاح ص ١٦ .
(٢) الايضاح ص ١٨٢ .

من وجوه : أحدها : ان عدة حروف ما يناظره منه وهو « في القصاص حياة » عشرة في التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر .

وثانيها : ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه ادعى إلى الاقتصاص .

وثالثها : ما يفيد تنكير « حياة » من التعظيم أو النوعية .

ورابعها: اطراده بخلاف قولهم ، فان القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

وخامسها : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم .

وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم ، فان تقديره : القتل أنفى للقتل من تركه .

وسابعها : ان القصاص ضد الحياة ، فالجمع بينهما طباق .

وثامنها : جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بادخال « في » عليه » .

ويمكن تطبيق ما تقدم على شروح التلخيص وكتب البلاغة فنرفض منها ما رفضناه من بلاغة القزويني ونقبل ما أخذناه منها ، وبذلك نبني بلاغتنا على اسس قديمة أبدع القدماء في ارسائها وعلى اسس حديثة تتطلبها حياتنا الجديدة .

تحلية :

ولن تكون البلاغة صالحة في النقد الا اذا استفدنا من كتب البلاغة القديمة كلها ومن الدراسات الحديثة ، ومن أهمها الدراسات النفسية التي اهتم بها المحدثون اهتماماً كبيراً واستخدموها في النقد . وكان العرب من أول عهدهم بالتأليف قد لمحوا الصلة بين النفس والادب ، وفي كتبنا اشارات تدل على هذه اللمحة كما في كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة الذي ذكر ان للشعر دواعي

تحث البطيء من المتكلف ، منها الشراب والطرب والطمع والغضب والشوق ، ووصف الاماكن والاوقات التي يسرع فيها أتيّ الشعر . وفي كتاب «الوساطة» للقاضي الجرجاني اشارات كثيرة من هذا ، ومما فطن له رجوع القارىء إلى نفسه عند انشاد الشعر الرقيق وتفقد سابق ذكرياتها اذا سمعت هذا الشعر . واهتم عبد القاهر بهذه الناحية حينما بحث صور الخيال من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية ، ولكن اهتمامه بالتقسيم والجدل المنطقي طمس كثيراً من ملامحها .

ويمكن ان نتلمس الاثر النفسي في بلاغة القزويني ، فقد تحدث عن الامزجة النفسية في الفضائل المختلفة وأثرها في صوغ العبارات ، وفرّق بين المولدين والعرب ، ورأى ان بناء الكلام للمزاج الاعرابي يخالف بناءه للمزاج الدخيل المستعرب. ومن امثلة ذلك ما ذكره في قصة بشار المشهورة فقد روى عن الاصمعي انه قال : كان ابو عمرو بن العلاء وخلف الاحمر يأتيان بشاراً فيسلمان عليه بغاية الاعظام ثم يقولان : يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان . فأتياه يوما فقالا : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما . قالا : بلغنا انك أكثرت فيها من الغريب . قال : نعم ، ان ابن قتيبة يتباصر بالغريب فأحببت ان اورد عليه ما لا يعرف . قالا : فأنشدناه يا أبا معاذ ، فانشدهما :

بَكِّرا صاحبيَّ قبلَ الهجيرِ إنَّ ذاكَ النجاحَ في التبكيرِ

حتى فرغ منها فقال له خلف : لو قلت يا ابا معاذ مكان « ان ذاك النجاح ». « بكرا فالنجاح » كان أحسن ، فقال بشار : انما بنيتها اعرابية وحشية فقلت : « ان ذاك النجاح » كما يقول الاعراب البدويون ، ولو قلت : « بكرا فالنجاح » كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة . قال : فقام خلف فقبّل بين عينيه . وختم القزويني هذه القصة بقوله : « فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من أبي عمرو وهم من

فحولة هذا الفن الا للطف المعنى في ذلك وخفائه »[1] .

واعترف القزويني بأن للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره ، قال وهو يتكلم على اسباب جمال التشبيه والتمثيل : « ومن الدليل على ان للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره انك اذا كنت انت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر وانت تريد ان تقرر له انه لا يحصل من سعيه على طائل فأدخلت يدك في المـاء ثم قلت له : انظر هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ فكيف أنت في أمرك ؟ كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على العقل المجرد »[2] . لقد أحس القزويني ان النفس تتأثر وتحركها الهواجس او الحواس ولكنه لم يوضح هذا التأثير في النفس وتمكينه في القلب لانشغاله بالبحث في التقسيم والتحديد . وسار على هذه السبيل شراح تلخيصه فملأوا كتبهم بالتصديقات والمقولات والدلالات العقلية والوضعية ، وكان الأولى بهم أن ينصرفوا عنها الى درس علاقة النفس بالانتاج الادبي ونقده .

ولما أطل فجر النهضة الحديثة اتجه النقاد الى الاستفادة من علم النفس في البلاغة والنقد . وقد بدأ النقد الحديث المعتمد على التحليل النفسي حين نشر فرويد كتابه « تفسير الاحلام » سنة ١٩٠٠ م . وكتب ثلاث دراسات طويلة هي : ليوناردو دافنشي ، وهي دراسة نفسية جنسية لذكريات طفوليـة ، ومقالة عن دوستويفسكي وجريمة قتل الاب ، ودراسة لقصة المانية مغمورة هي «غراديفا» لفلهلم ينسن ، وبهذه الدراسات الثلاث اقام فرويد منهجين مـن التحليـل :

---

(١) الايضاح ص ٢٠ ، وينظر الاغاني ج ٣ ص ١٩١ ، ودلائل الاعجاز ص ١٢٠ ، ومفتاح العلوم ص ٨٢ ، والبلاغة وعلم النفس ص ١٣٩ .

(٢) الايضاح ص ٢١٧ .

الاول : الباثوغرافيا او دراسة المريض عصبيا أو الشخص المريض نفسياً مع اتخاذ آثاره الفنية دليلا هاديا في هذه الدراسة .

الثاني : نقد أدبي متصل حقا بالتحليل النفسي او دراسة الاثر الادبي مع استعمال الآليات التي تستعمل في التحليل النفسي مفاتيح لهذه الدراسة (١) .

وسرت هذه النفحة الى العالم العربي فكتب المرحوم أمين الخولي بحثاً طريفا عن « البلاغة وعلم النفس » ، ورأى أن تقدم بين يدي الدرس البلاغي مقدمة نفسية هي أمسّ به وألزم له مما اقتبس من بحوث أصولية أو منطقية أو فلسفة طبيعية مما أقحم فيه وحفلت كتبه به ، وان ندرس في هذه المقدمة القـوى الانسانية بعامة وما له منها أثر فني بخاصة.. فنعرف غير قليل من الوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور الاخرى من ناحية عمله النفسي ، ونعرف مثل ذلك عن الخيال والذاكرة والاحساس والذوق ، كما ينبغي ان نعرف الكثير عن امهات الخوالج الانسانية من حب وبغض وحزن وفرح وغيرة وانتقام وما الى ذلك مما هو مادة المعاني الادبية الكبرى في الآداب الانسانية كلها ، وعلى الخبرة بحركات النفس فيه واتجاهاتها يقوم النقد الفني ذو الاساس ، بل ان البصر بذلك هو مادة النبوغ الفذ وسبيل خلود الاثار الادبية للمنشئين والناقدين (٢) .

وكان ذلك مدعاة الى صدور كتب في هذا الاتجاه منها كتاب « مـن الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده » للاستاذ محمد خلف الله احمد ، وقد أوضح فيه انتفاع الناقد الحديث بنتائج الدراسات النفسية بعد ان انتفع القدماء منها ، ومنها « دراسات في علم النفس الادبي » للاستاذ حامد عبد القادر ، و « علم النفس والادب » للدكتور سامي الدروبي .

---

(١) ينظر النقد الادبي ومدارسه الحديثة ج ١ ص ٢٦١ ، والمذاهب النقدية ص ١٤١ ، والنقد الادبي – أصوله ومناهجه ص ١٨١ وما بعدها والتفسير النفسي للادب ص ٢١٢ وما بعدها .

(٢) البلاغة وعلم النفس ص ١٤٧ ، ومناهج تجديد ص ١٩٣ .

واستفاد النقاد الآخرون من علم النفس في فهم كثير من القضايا الادبية كالدكتور طه حسين في كتابه « مع المتنبي » والدكتور شوقي ضيف في دراسته لعمر بن ابي ربيعة في كتابه « التطور والتجديد في الشعر الاموي » والعقاد في دراسته لابي نواس ، والدكتور محمد النويهي في كتابه « نفسية ابي نواس » . ووضع الدكتور مصطفى سويف كتابا في « الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة » وهو دراسة موفقة الى حد كبير ، وألف الدكتور عز الدين اسماعيل كتاب « التفسير النفسي للادب » وهو دراسة تلقي ضوءاً على هذا الاتجاه . ولا تزال هذه الخطوة في اولها مع اهتمام النقاد بالدراسات النفسية حديثا وحثهم على الالمام بعلم النفس والتحليل النفسي ليمدا الناقد بتفسير لماهية الشاعر أو الكاتب ويساعداه على تذوق الادب . ولكن الذي نخشاه ان يستبد علم النفس بالبلاغة والنقد فيحيلهما ميدانا لتطبيق افكاره وآرائه وادخال مصطلحاته ، وبذلك يضيع النقد وتذهب البلاغة ، كما ذهبت يوم غزتها بحوث المنطق والفلسفة وعلم الكلام فأخرجتها عن هدفها الذي درست لأجله . واننا حين ندعو الى الاستعانة بعلم النفس في الدراسات النقدية انما نريد ان يكون تناولنا له مساً رقيقا ، نأخذ منه ما يعيننا على تحليل النصوص الادبية وتذوقها لا أن نأخذ منه مصطلحاته وآراءه التي يتيه فيها علماء النفس انفسهم فضلا عن الناقد الاديب .

ونضيف الى ذلك كله الذوق الادبي وبغيره لا يمكن دراسة الادب ونقده ، وقد أولى القدماء الذوق اهتماما وارجعوا اليه تلك الروعة التي يحسونها في الآثار الادبية ، وكان النقد العربي في أول نشأته يعتمد على الذوق يسمع الرجل بيتا أو قصيدة فيهتز طربا وتأخذه نشوة عظيمة واذا ما سئل عن سر اعجابه لم يستطع ان يجد له تعليلا وانما هي النفس يستخفها الطرب فتنفعل وتظهر اعجابها وسرورها . وبقي النقاد يؤكدون عليه حتى في عهد سيطرة القواعد البلاغية والاهتمام بالتحديد . وقد عقد الجرجاني فصلا في الذوق ختم به كتابه « دلائل الاعجاز » وذهب الى ان العمدة في ادراك البلاغة الذوقُ والاحساس الروحاني مع ذكاء لماح يدرك الفروق الدقيقة بين العبارات والمعاني . وهذا يتفق مع

أحدث اتجاهات النقد الادبي فقد سئل أحدهم الشاعر والناقد « ت . س . اليوت » عن المنهج النقدي الذي يسير عليه فأجاب : « ان المنهج الوحيد هو أن تكون ذكيا جدا » (١) .

وذهب السكاكي الى أبعد من ذلك فرأى ان شأن اعجاز القرآن عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، قال : « ومدرك الاعجاز عندي هو الذوق ليس الا ، وطريق اكتساب الذوق خدمة هذين العلمين » (٢) ، وتابع القزويني عبد القاهر والسكاكي في انه لا بد من الطبع والذوق في البلاغة والنقد وردد ما قاله السكاكي من انه ليس من الواجب في صناعة أن يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها في استفادة الذوق منها فلا على الدخيل في صناعة البلاغة ان يقلد صاحبه في بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك الى ان يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق . ولخص كلام عبد القاهر في ان دارس البلاغة لا يمكن ان يفهمها ويستفيد منها حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما يومىء اليه من الحسن أصلا فيختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الاريحية تارة ويعرى منها أخرى ، واذا أعجبته تعجب ، واذا نبهته لموضع المزية انتبه ، فأما من كانت الحالات عنده على سواء وكان لا يتفقد من أمر النظم الا الصحة المطلقة والا اعرابا ظاهرا فليكن عندك بمنزلة من عدم الطبع الذي يدرك به وزن الشعر ويميز به مزاحفه من سالمه (٣) . وبذلك لم يغفل القزويني أثر الذوق الذي عليه العمدة في بلاغتنا الجديدة التي ينبغي ان نتخذ في دراستها المنهج الادبي الذي ليس فيه اضطراب القدماء وفلسفتهم وبعده عن روح البلاغة ومقاييس النقد الصحيح ، وان تكون أحكامها فنية خالصة ، لانها كما قال الخولي : « فن من الفنون ، وانها شقيقة الموسيقى وقسم من الفنون الصوتية ، فالحكم الذي يصدر في مثل هذه الدراسة هو الحكم

---

(١) النقد الادبي من خلال تجاربي ص ١٥٣ .
(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .
(٣) ينظر الايضاح ص ١٥ — ١٦ .

الفني الذي يثبت الحسن والجمال ، أو يثبت القبح والدمامة »[1] .

هذه هي مناهج البلاغة العربية واتجاهاتها ، ولعلنا ألقينا ضوءاً عليها ومهدنا السبيل لدراسة البلاغة من جديد وإقامتها على أسس صحيحة تعتمد أول ما تعتمد على تحكيم الذوق والمقاييس الفنية .

---

(١) فن القول ص ٨١ .

خاتمة

لقد صوّرت فصول الكتاب حياة البلاغة ومناهج البحث فيها ، وكانت نشأتها كنشأة غيرها من العلوم والفنون ، بدأت بملاحظات وأحكام عامة ثم أخذت تتطور حتى استقرت في القرن السابع للهجرة وما بعده وأصبحت مصطلحاتها وتعريفاتها وموضوعاتها واضحة المعالم والقسمات وأثرت في نشأتها وتطورها عوامل كثيرة وساهمت جماعات مختلفة في إرساء أصولها فكان للمفسرين والاصوليين والنحاة واللغويين والشعراء والكتّاب والفلاسفة والمتكلمين جهود لا تنكر ، وكان لكل طبقة من هؤلاء إتجاه في بحثها ومعالجة فنونها . فالمفسرون والاصوليون اتخذوها وسيلة في تفسير كتاب الله واستنباط الاحكام، والنحاة واللغويون استعانوا بها في كتبهم حينما كانوا يقفون على الشواهد موضحين أساليبها ومفسرين معانيها ، والشعراء والكتاب اتخذوها اساساً في دراسة الادب ونقده ، والفلاسفة والمتكلمون استفادوا منها في مباحثهم ومناقشاتهم . ومن هنا اختلفت مناهج البحث فيها وتعددت الكتب وتنوعت الدراسات ، وكان ذلك خيراً عظيماً .. ولو كُتب للادب التطور في عصوره المتأخرة لكانت على غير الصورة التي وصلت اليها .

إنّ الحديث عن حياة البلاغة في دور نشأتها ومراحل تطورها اقتضى

الفصول الخمسة الاولى ، وهي فصول عرضت للجهود المتظافرة خلال القرون المتعاقبة ، ولكن وقوف البلاغة وجمودها أحالها شروحاً وتلخيصات فكان الفصل السادس تتمة لما سبق وتحديداً للمنهج الذي سيطر على البحث بعد أن وضع السكاكي « مفتاح العلوم » . وكان الفصل السابع تصويراً لاتجاه آخر أخذ سبيله بعد ذلك ، وهو الاهتمام بالصنعة والوقوف على البديعيات .

وكأنّ هذه الفصول كانت مقدمة طويلة قبل الوصول الى البلاغة التي يريدها العصر ويقرّها تطور الادب ، ولذلك جاء الفصل الثامن خلاصة للدراسات المثمرة وصار أساس هذا الكتاب بعد أن تمت تخلية الكتب القديمة مما علق بها وتحلية البلاغة بكل طريف نافع . ولعل الوقوف على « النقد والتوجيه » في هذا الفصل يعطي فكرة واضحة عن الجهود التي بذلت للوصول الى ما سعى اليه كتاب « مناهج بلاغية » ووضع المنهج الجديد المستمد أصالته من التراث العريق والحاضر المتطور ، وبذلك كانت هذه الدراسة صادقة يحدوها الأمل في أن يتم الآخرون ما بدأته ويطبقوا ما دعت اليه ، وفي ذلك إحياء لتراث أمةً أنكره الجاهلون فأعرضوا عنه ، وخشي منه الكافرون فشوّهوه ، وفرّط به الضائعون فنسوه .

إنّ المناهج التي سار عليها القدماء لجديرة بالإكبار وإنْ لم تسلم من الاضطراب ، وإنّ المنهج الجديد لجدير بالتأمل وإنْ لم يبلغ الهدف ، ولعل هذه الفصول الثمانية تجد الواعي لينتفع بها ، وتحظى بالمنصف ليحكم عليها ، فما كتبت إلاّ من أجلهما ، وفي ذلك عزاء لمن آمن بالله وأخلص للامة والوطن .

الدكتور أحمد مطلوب

المصادر والمراجع

المؤلفون

ابراهيم سلامة (الدكتور)

١ ــ بلاغة أرسطو بين العرب واليونان . ط ٢ ، القاهرة ١٣٧١ هـ-١٩٥٢م.

ابراهيم مصطفى

٢ ــ احياء النحو . القاهرة ١٩٥٢ م .

ابن الاثير (ضياء الدين)

٣ ــ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية . ت . الدكتور حفني محمد شرف . القاهرة ١٩٥٨ م .

٤ ــ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور . ت . الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد . بغداد (مطبوعات المجمع العلمي العراقي) ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م .

٥ ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .ت.محمد محيي‌الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ ــ ١٩٣٩ م . وطبعة الدكتورين احمد الحوفي وبدوي طبانة . الطبعة الاولى ــ القاهرة .

أحمد ابراهيم موسى (الدكتور)

٦ ــ الصبغ البديعي في اللغة العربية . القاهرة ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٩ م .

احمد احمد بدوي (الدكتور)

٧ ــ أسس النقد الادبي عند العرب . ط ١ ، القاهرة ١٩٥٨ م .

٨ ـ عبد القاهر الجرجاني (اعلام العرب ٨) ، القاهرة ١٩٦٢ م .
٩ ـ القاضي الجرجاني (نوابغ الفكر العربي ٣٣) ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٤ م .
١٠ ـ من بلاغة القرآن . ط ٢ ، القاهرة .
أحمد أمين .
١١ ـ النقد الادبي . ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م .
احمد محمد عنبر
١٢ ـ جولة مع ضياء الدين بن الاثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. القاهرة ١٩٥٤ م .
احمد مطلوب (الدكتور)
١٣ ـ اتجاهات البلاغة العربية . بحث نشر في مجلة كلية الاداب العدد الخامس سنة ١٩٦٢ م .
١٤ ـ اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة . بيروت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .
١٥ ـ أثر الفلسفة في البلاغة العربية . بحث نشر في مجلة المعلم الجديد ، المجلد ٢٤ ، العدد الثاني ١٩٦١ م .
١٦ ـ أثر القرآن في نشأة البلاغة . بحث نشر في مجلة العلم الجديد . المجلد ٢١ ، العدد الثالث ١٩٥٨ م .
١٧ ـ أثر المعلمين في البلاغة . بحث نشر في مجلة المعلم الجديد . المجلد ٢٤ ، العدد الثالث ١٩٦١ م .
١٨ ـ البلاغة عند ابن الاثير . بحث نشر في مجلة المعلم الجديد . المجلد ٢٢ ، العدد الخامس ١٩٥٩ م .
١٩ ـ البلاغة عند السكاكي . ط ١ ، بغداد ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .
٢٠ ـ التفسير الادبي . بحث نشر في مجلة الرسالة الاسلامية ـ بغداد العدد ١٨ سنة ١٩٦٩ م .

٢١ – جنوح النقد . بحث نشر في مجلة الرسالة الاسلامية – بغداد العدد ٣٧ سنة ١٩٧١ م .
٢٢ – دفاع عن البلاغة . بحث نشر في مجلة الاقلام (العدد الثاني عشر – السنة الرابعة – آب ١٩٦٨ م) بغداد .
٢٣ – رأي في البلاغة العربية . بحث نشر في مجلة الكتاب التي تصدرها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين – العدد الاول – بغداد سنة ١٩٦٢ م .
٢٤ – الرصافي – آراؤه في اللغة والنقد . بحث نشر في مجلة معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة – العدد الاول سنة ١٩٦٩ م .
٢٥ – الرصافي – آراؤه اللغوية والنقدية . ط ١ ، القاهرة ١٩٧٠ م .
٢٦ – الرصافي اللغوي . بحث نشر في مجلة كلية الشريعة – العدد الخامس سنة ١٩٦٩ م .
٢٧ – الرصافي الناقد . بحث نشر في مجلة كلية الآداب – العدد الثاني عشر سنة ١٩٦٩ م .
٢٨ – عبد القاهر الجرجاني – بلاغته ونقده . بيروت (١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م).
٢٩ – القزويني والبلاغة الحديثة . بحث نشر في مجلة كلية الآداب – العدد السابع سنة ١٩٦٤ م .
٣٠ – القزويني وشروح التلخيص . ط ١ ، بغداد (١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م) .
٣١ – منهج السكاكي في البلاغة . بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد العاشر ، (بغداد ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م .)
٣٢ – النقد الادبي الحديث في العراق . ط ١ ، القاهرة ١٩٦٨ م .

أدور مرقص .

٣٣ – نظرة في قواعد علوم اللغة العربية وآدابها . بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد التاسع سنة ١٩٢٩ م .

أرسطوطاليس .

٣٤ – الخطابة (الترجمة العربية القديمة) . ت . الدكتور عبد الرحمن بدوي . القاهرة ١٩٥٩ م .

٣٥ ــ كتاب أرسطو في الشعر . حققه وترجمه ترجمة حديثة الدكتور شكري محمد عياد . القاهرة ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م .
٣٦ ــ فن الشعر (مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد) حققه وترجمه ترجمة حديثة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٥٣ م .
٣٧ ــ منطق أرسطو . ت . عبد الرحمن بدوي . القاهرة ١٩٤٨ م .
الأسد آبادي (القاضي أبو الحسن عبد الجبار) .
٣٨ ــ المغنى في أبواب التوحيد والعدل . الجزء السادس عشر في اعجاز القرآن ت . المرحوم أمين الخولي . القاهرة ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م .
الاسفراييني (ابراهيم بن محمد بن عربشاه) .
٣٩ ــ الاطول(الشرح الاطول على التلخيص).المطبعة السلطانية ــ تركية ١٢٨٤هـ.
الاشعري (أبو الحسن) .
٤٠ ــ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . ت ــ هـ . ريتر . مطبعة الدولة باستانبول ١٩٢٩ م .
ابن ابي الاصبع المصري .
٤١ ــ بديع القرآن . ت . الدكتور حفني محمد شرف . ط ١ ، القاهرة ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٧ م .
٤٢ ــ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن . ت . الدكتور حفني محمد شرف . ط ١ ، القاهرة ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٣ م .
الاصفهاني (أبو الفرج) .
٤٣ ــ الاغاني . ج ١٩ (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب . تحقيق عبد الكريم ابراهيم العزباوي القاهرة ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧٢ م .
الاصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب) .
٤٤ ــ فحولة الشعراء . ت . محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني .

ط ١ ، القاهرة ١٣٧٢ هـ – ١٩٥٣ م ، وبتحقيق ش . تورى . بيروت ١٣٨٩ هـ – ١٩٧١ م .

الآمدي (أبو الحسن علي سيف الدين) .

٤٥ – الإحكام في اصول الأحكام . القاهرة .

٤٦ – منتهى السول في علم الاصول . ط محمد علي صبيح ، القاهرة .

الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر) .

٤٧ – الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري . ت . السيد أحمد صقر . دار المعارف القاهرة ١٣٨٠ هـ – ١٩٦١ م .

الامين (عز الدين) .

٤٨ – نشأة النقد الادبي في مصر . القاهرة ١٣٨١ هـ – ١٩٦٢ م .

أمين سامي

٤٩ – التعليم في مصر في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ . القاهرة ١٩١٧ م .

ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد) .

٥٠ – نزهة الالباء في طبقات الادباء . ت . الدكتور ابراهيم السامرائي . بغداد ١٩٥٩ م .

الاندلسي (أبو حيان محمد بن يوسف بن علي أثير الدين)

٥١ – البحر المحيط . ط ١ ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .

الباعونية (عائشة) .

٥٢ – شرح بديعية الباعونية . مطبوعة على حاشية كتاب خزانة الادب لابن حجة الحموي . ط ١ ، القاهرة ١٣١٤ هـ .

الباقلاني (ابو بكر محمد بن الطيب) .

٥٣ – اعجاز القرآن . ت . السيد أحمد صقر . دار المعارف – القاهرة . بدر المتولي عبد الباسط .

٥٤ ــ محاضرات في أصول الفقه على مذاهب اهل السنة والامامية . ط ١ ، بغــداد .
بدوي طبانه (الدكتور) .
٥٥ ــ أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية . ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٩ هـ ــ ١٩٦٠ م .
٥٦ ــ البيان العربي . ط ٤ ، القاهرة ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م .
٥٧ ــ دراسات في نقد الادب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث . ط ٥ ، القاهرة ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٩ م .
٥٨ ــ السرقات الادبية . ط ١ ، القاهرة ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٦ م .
٥٩ ــ قدامة بن جعفر والنقد الادبي . ط ٢ القاهرة ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٨ م .
٦٠ ــ النقد الادبي عند اليونان . ط ١ . القاهرة ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م .
بروكلمان (كارل) .
٦١ ــ تاريخ الادب العربي . ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . دار المعارف ــ القاهرة .
البسيوني (محمــد) .
٦٢ ــ حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع . ط ١ ، القاهرة .
البصري (ابو الحسين محمد بن علي بن طيب المعتزلي) .
٦٣ ــ المعتمد في أصول الفقه . دمشق ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٤ م .
البغدادي (ابو طاهر محمد بن حيدر) .
٦٤ ــ قانون البلاغة . مطبوع في كتاب رسائل البلغاء للاستاذ محمد كرد علي .
البهبيتي (الدكتور نجيب محمد) .
٦٥ ــ أبو تمام ــ حياته وحياة شعره . ط ٢ ، بيروت ١٩٧٠ م .
التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر) .
٦٦ ــ المختصر (الشرح المختصر على التلخيص) مطبوع في كتاب شروح التلخيص ، وعليه كان اعتمادنا . وطبع مستقلاً في ايران .
٦٧ ــ المطول (الشرح المطول على التلخيص) . تركية ١٣٣٠ هـ .

التنوخي (محمد بن محمد بن عمرو) .
٦٨ – الاقصى القريب في علم البيان . ط ١ ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .
التوحيدي (أبو حيان) .
٦٩ – الامتاع والمؤانسة . ت . احمد امين واحمد الزين . القاهرة .
٧٠ – المقابسات . ت . محمد توفيق حسين . بغداد ١٩٧٠ م .
ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس) .
٧١ – كتاب الايمان . ط ١ ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .
الثعالبي (ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري) .
٧٢ – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . ت . محمد محيي الدين عبد الحميد .
ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م .
ثعلب (ابو العباس احمد بن يحيى) .
٧٣ – قواعد الشعر . ت . الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي . ط ١ ، القاهرة
١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .
الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) .
٧٤ – البيان والتبيين . ت . الاستاذ عبد السلام محمد هارون . القاهرة
١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .
٧٥ – الحيوان . ت . الاستاذ عبد السلام محمد هارون . ط ١ ، القاهرة
١٣٥٦ هـ – ١٩٣٨ م .
الجارم (علي الجارم ومصطفى أمين) .
٧٦ – البلاغة الواضحة . ط العاشرة ، القاهرة ١٣٧٠ هـ – ١٩٥١ م .
جبر ضومط .
٧٧ – الخواطر الحسان في المعاني والبيان . بيروت ١٩٣٠ م .
الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن ابو بكر النحوي) .
٧٨ – اسرار البلاغة . ت . احمد مصطفى المراغي . ط ١ ، القاهرة
١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .

٧٩ ــ دلائل الاعجاز . ت . محمد رشيد رضا . القاهرة ١٣٧٢ هـ .
٨٠ ــ الرسالة الشافية . (في كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) ت . الاستاذ محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام . دار المعارف ــ القاهرة .
الجرجاني (السيد الشريف علي بن محمد بن علي)
٨١ ــ حاشية السيد الشريف على المطول للتفتازاني . مطبوع على حاشية كتاب الشرح المطول على التلخيص : تركية ١٣٣٠ هـ .
الجرجاني (القاضي علي بن عبد العزيز) .
٨٢ ــ الوساطة بين المتنبي وخصومه . ت . محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي . ط ٣ ، القاهرة .
الجمحي (محمد بن سلام) .
٨٣ ــ طبقات فحول الشعراء . ت . محمود شاكر . دار المعارف ــ القاهرة .
جميل سعيد (الدكتور) .
٨٤ ــ دروس في البلاغة وتطورها . بغداد ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥١ م . الجندي (الدكتور درويش) .
٨٥ ــ علم المعاني . القاهرة .
٨٦ ــ نظرية عبد القاهر في النظم . القاهرة ١٩٦٠ .
٨٧ ــ النظم القرآني في كشاف الزمخشري . القاهرة ١٩٦٩ م .
الجندي (علي) .
٨٨ ــ البلاغة الفنية . ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٦ م .
٨٩ ــ فن التشبيه . ط ٢ ، القاهرة ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م .
٩٠ ــ فن الجناس . القاهرة ١٩٥٤ م .
ابن جني (ابو الفتح عثمان) .
٩١ ــ الخصائص . ت . محمد علي النجار . دار الكتب ــ القاهرة ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م .

جواد أحمد علوش (الدكتور) .
٩٢ — شعر صفي الدين الحلي . ط ١ ، بغداد ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .
الجوزية (ابن قيم شمس الدين أبو عبدالله محمد) .
٩٣ — كتاب الفوائد (المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) . ط ١ ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .
الجويني (الدكتور مصطفى الصاوي) .
٩٤ — منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه . دار المعارف — القاهرة ١٩٥٩ م .
الحاتمي (ابو علي الحسن بن المظفر) .
٩٥ — الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة . ت . فؤاد افرام البستاني . بيروت ١٩٣١ م .
٩٦ — الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره . ت . الدكتور محمد يوسف نجم بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .
الحاج خليفة (مصطفى بن عبدالله) .
٩٧ — كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . تركية ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١م .
الحاجري (الدكتور طه) .
٩٨ — في تاريخ النقد والمذاهب الادبية . الاسكندرية ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م .
حامد عبد القادر .
٩٩ — دراسات في علم النفس الادبي . القاهرة . لجنة البيان العربي ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٩ م .
الحاني (الدكتور ناصر) .
١٠٠ — النقد الادبي وأثره في الشعر العباسي . بغداد ١٩٥٥ م .
ابن ابي الحديد .
١٠١ — شرح نهج البلاغة . القاهرة .
١٠٢ — الفلك الدائر على المثل السائر . ت الدكتور أحمد الحوفي والدكتور

بدوي طبانه . وهو الجزء الرابع من المثل السائر لابن الاثير بتحقيقهما
ـ القاهرة . وطبعة سنة ١٣٠٩ هـ بنفقة محمد الشيرازي .
حسين نصار (الدكتور) .
١٠٣ ـ نشأة الكتابة الفنية في الادب العربي . ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٦ م .
الحصري (أبو اسحاق ابراهيم بن علي) .
١٠٤ ـ جمع الجواهر في الملح والنوادر . ت . علي محمد البجاوي . ط ١ ،
القاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م .
١٠٥ ـ زهر الاداب وثمر الالباب . ت . الدكتور زكي مبارك . ط ٣ ،
القاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م .
حفني محمد شرف (الدكتور) .
١٠٦ ـ ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة . ط ١ ، القاهرة .
١٠٧ ـ اعجاز القرآن بين النظرية والتطبيق . القاهرة . ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م .
١٠٨ ـ الصور البيانية بين النظرية والتطبيق . ط ١ ، القاهرة ١٣٨٥ هـ ـ
١٩٦٥ م .
حفني ناصف (وجماعته)
١٠٩ ـ قواعد اللغة العربية . ط العاشرة ، القاهرة ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م .
الحلبي (شهاب الدين محمود) .
١١٠ ـ حسن التوسل إلى صناعة الترسل . مخطوطة الاستاذ عبد المجيد الملا ،
وطبعة القاهرة الاولى .
الحلي (صفي الدين) .
١١١ ـ ديوان صفي الدين الحلي . صادر ـ بيروت ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .
الحمصي (نعيم) .
١١٢ ـ البلاغة بين اللفظ والمعنى من عصر الجاحظ إلى عصر ابن خلدون .
بحوث نشرت تباعا في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . المجلد
٢٤ سنة ١٩٤٩ م ، ج ٣ ، ٤ ، والمجلد ٢٥ سنة ١٩٥٠ ، ج ١ـ٣ .

١١٣ — تأريخ فكرة اعجاز القرآن . دمشق ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .
الحملاوي (أحمد) .
١١٤ — زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع . القاهرة ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .
الحموي (ابن حجة) .
١١٥ — خزانة الادب وغاية الارب . ط ١ ، القاهرة ١٣٠٤ هـ .
١١٦ — كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام . بيروت ١٣١٣ هـ .
الحموي (ياقوت) .
١١٧ — معجم الادباء . ت . مرجليوث . ط ٢ ، القاهرة ١٩٢٣ م .
الحوفي (الدكتور احمد محمد) .
١١٨ — الزمخشري . ط ١ ، القاهرة ١٩٦٦ م .
حويش (الدكتور عمر الملا حويش) .
١١٩ — اثر البلاغة في تفسير الكشاف . بغداد ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م .
الخضري (محمـــد) .
١٢٠ — أصول الفقه . ط ٣ ، القاهرة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٨ م .
الخطابي (ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم) .
١٢١ — بيان اعجاز القرآن . (طبع في كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)
بتحقيق الاستاذ محمد خلف الله احمد والدكتور محمد زغلول سلام .
دار المعارف — القاهرة .
الخطيب (عبد الكريم) .
١٢٢ — اعجاز القرآن في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعاييرها . ط ١
القاهرة ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ م .
خفاجة (الدكتور محمد صقر) .
١٢٣ — النقد الادبي عند اليونان (من هوميروس إلى افلاطون) . القاهرة
١٩٦٢ م .

الخفاجي (ابو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان) .
١٢٤ ــ سر الفصاحة . ت . عبد المتعال الصعيدي . القاهرة ١٣٧٢ هـ ــ ١٩٥٣ م .
خفاجي (الدكتور عبد المنعم) .
١٢٥ ــ دراسات في النقد الادبي . ط ١ ، القاهرة .
١٢٦ ــ عبد القاهر والبلاغة العربية . ط ١ ، القاهرة ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م .
١٢٧ ــ فصول في النقد . ط ١ ، القاهرة ١٩٥٣ م .
ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربي) .
١٢٨ ــ مقدمة ابن خلدون . دار الكشاف ــ بيروت .
ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد) .
١٢٩ ــ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان . ت . محمد محيي الدين عبد الحميد ط ١ ، القاهرة ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٨ م .
الخولي (أمين) .
١٣٠ ــ البلاغة (معالم حياتها ، خلاصة الفكرة في تجديدها) كتبت لدائرة المعارف الاسلامية حين ترجم ما كتب في الاصل وبدا انه ليس بذي غناء وقد نشرت فيها ثم في كتاب « مناهج تجديد » .
١٣١ ــ البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها . بحث نشر في صحيفة الجامعة المصرية العدد الخامس مايو (١٩٣١م) ، ونشر في كتاب « مناهج تجديد » .
١٣٢ ــ البلاغة وعلم النفس . بحث نشر في مجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة المجلد الرابع ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٣٦م، ونشر في كتاب « مناهج تجديــد » .
١٣٣ ــ علم النفس الادبي . بحث نشر في مجلة علم النفس (القاهرة) ، يونيو ١٩٤٢م ، ونشر في كتاب « مناهج تجديد » .
١٣٤ ــ فن القول . القاهرة ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧ م .
١٣٥ ــ مصر في تأريخ البلاغة . بحث نشر في مجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة مايو ١٩٣٤ م، ونشر في كتاب « مناهج تجديد » .

١٣٦ – مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب . ط ١ ، القاهرة ١٩٦١ م .
داود سلوم (الدكتور) .
١٣٧ – تأريخ النقد العربي من الجاهلية حتّى القرن الثالث . بغداد ١٩٦٩ م .
١٣٨ – النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف . وهو الطبعة الثانية من كتابه السابق . بيروت ١٩٧٠ م .
١٣٩ – النقد المنهجي عند الجاحظ . بغداد ١٩٦٠ م .
الداية (الدكتور محمد رضوان) .
١٤٠ – تأريخ النقد الادبي في الاندلس . ط ١ ، بيروت ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م
الدسوقي (محمد بن محمد بن عرفة) .
١٤١ – حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني . مطبوع في كتاب شروح التلخيص . القاهرة ١٩٣٧ م .
الدواليبي (محمد معروف) .
١٤٢ – المدخل إلى علم اصول الفقه . ط ٥ ، بيروت ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م .
الرازي (فخر الدين محمد بن عمر) .
١٤٣ – نهاية الايجاز في دراية الاعجاز . القاهرة ١٣١٧ هـ .
الرافعي (مصطفى صادق) .
١٤٤ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . ط ٢ ، القاهرة ١٣٥٩ هـ – ١٩٤٠ م .
الراوي (طه) .
١٤٥ – تأريخ علوم اللغة العربية . بغداد ١٣٦٩ هـ – ١٩٤٩ م .
الربداوي (الدكتور محمود) .
١٤٦ – الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام – تأريخها وتطورها وأثرها في النقد العربي (في القديم) . بيروت ١٩٦٩ م .
ابن رشد (ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد) .
١٤٧ – تلخيص الخطابة . ت . الدكتور عبد الرحمن بدوي . القاهرة

١٩٦٠ م . وطبعة الدكتور محمد سليم سالم . القاهرة ١٣٨٧ هـ ـ
١٩٦٧ م
الرعيني (ابو جعفر احمد بن يوسف بن مالك الغرناطي)
١٤٨ ـ طراز الحلة وشفاء الغلة (مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة في بغداد
رقـم ١٢١٤٢ .)
الرماني (ابو الحسن علي بن عيسى) .
١٤٩ ـ النكت في اعجاز القرآن . (في كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)
زكي مبارك (الدكتور) .
١٥٠ ـ المدائح النبوية في الادب العربي . القاهرة ١٩٦٧ م .
١٥١ ـ الموازنة بين الشعراء . القاهرة ١٩٦٨ م .
١٥٢ ـ النثر الفني في القرن الرابع . ط ٢ . القاهرة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م .
الزمخشري (جارالله محمود بن عمر) .
١٥٣ ـ اساس البلاغة . القاهرة ١٩٦٠ م .
١٥٤ ـ الدر الدائر المنتخب من كنايات واستعارات وتشبيهات العرب .
ت الدكتورة بهيجة الحسني . بغداد ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .
١٥٥ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ط ٢ .
القاهرة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م .
١٥٦ ـ مقامات الزمخشري طبعة ١٣١٢ هـ .
ابن الزملكاني (كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم السماكي) .
١٥٧ ـ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق الدكتور احمد مطلوب
والدكتورة خديجة الحديثي بغداد ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .
١٥٨ ـ التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن . ت . الدكتور أحمد
مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي . ط ١ . بغداد ١٣٨٣ هـ ـ
١٩٦٤ م .

١٩٦٠ م . وطبعة الدكتور محمد سليم سالم . القاهرة ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م .

الرعيني (ابو جعفر احمد بن يوسف بن مالك الغرناطي) .

١٤٨ ـــ طراز الحلة وشفاء الغلة . (مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة في بغداد رقـــم ١٢١٤٢ .)

الرماني (ابو الحسن علي بن عيسى) .

١٤٩ ـــ النكت في اعجاز القرآن . (في كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) .

زكي مبارك (الدكتور) .

١٥٠ ـــ المدائح النبوية في الادب العربي . القاهرة ١٩٦٧ م .

١٥١ ـــ الموازنة بين الشعراء . القاهرة ١٩٦٨ م .

١٥٢ ـــ النثر الفني في القرن الرابع . ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٧ م .

الزمخشري (جارالله محمود بن عمر) .

١٥٣ ـــ اساس البلاغة . القاهرة ١٩٦٠ م .

١٥٤ ـــ الدر الدائر المنتخب من كنايات واستعارات وتشبيهات العرب . ت الدكتورة بهيجة الحسني . بغداد ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م .

١٥٥ ـــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٣ م .

١٥٦ ـــ مقامات الزمخشري طبعة ١٣١٢ هـ .

ابن الزملكاني (كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم السماكي) .

١٥٧ ـــ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي بغداد ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م .

١٥٨ ـــ التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن . ت . الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي . ط ١ ، بغداد ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٤ م .

الزيات (أحمد حسن) .
١٥٩ ـ دفاع عن البلاغة . ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٧ م .
السباعي بيومي .
١٦٠ ـ تأريخ القصة والنقد في الادب العربي . ط ١ ، القاهرة ١٩٥٦ م .
السبكي (بهاء الدين) .
١٦١ ـ عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح . مطبوع في كتاب شروح التلخيص .
السحرتي (مصطفى عبد اللطيف)
١٦٢ ـ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث . القاهرة ١٩٤٨ م .
١٦٣ ـ النقد الادبي من خلال تجاربي . القاهرة (معهد البحوث والدراسات العربية) ١٩٦٢ م .
السكاكي (ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر)
١٦٤ ـ مفتاح العلوم . ط ١ ، القاهرة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م .
سلام (الدكتور محمد زغلول)
١٦٥ ـ ابن قتيبة (نوابغ الفكر العربي ١٩) . دار المعارف القاهرة ١٩٥٧ م.
١٦٦ ـ أثر القرآن في تطور النقد العربي الى آخر القرن الرابع الهجري . ط١، القاهرة ـ دار المعارف .
١٦٧ ـ تأريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري . دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٤ م .
١٦٨ ـ تأريخ النقد العربي من القرن الخامس الى العاشر الهجري . دارالمعارف ـ القاهــرة .
١٦٩ ـ ضياء الدين ابن الاثير (نوابغ الفكر العربي ٣٦) دار المعــارف ـ القاهــرة .
١٧٠ ـ ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد . القاهرة .
سلامة موسى .
١٧١ ـ البلاغة العصرية واللغة العربية . ط ٢ ، القاهرة .

السمرة (الدكتور محمود)
١٧٢ ـ القاضي الجرجاني ـ الأديب الناقد . ط ١ ، بيروت ١٩٦٦ م .
سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)
١٧٣ ـ كتاب سيبويه . ط ١ ، القاهرة ١٣١٦ هـ .
سيد قطب
١٧٤ ـ النقد الادبي ـ أصوله ومناهجه . ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٤ م .
سيد نوفل (الدكتور)
١٧٥ ـ البلاغة العربية في دور نشأتها . القاهرة ١٩٤٨ م .
ابن سينا
١٧٦ ـ الخطابة . ت . الدكتور محمد سليم سالم . القاهرة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م .
١٧٧ ـ الشعر . ت الدكتور عبد الرحمن بدوي . القاهرة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م .
١٧٨ ـ كتاب المجموع أو الحكمة العروضية في معاني الشعر . ت . الدكتور محمد سليم سالم . القاهرة ١٩٦٩ م .
السيوطي (جلال الدين)
١٧٩ ـ الاتقان في علوم القرآن . القاهرة ١٣٦٨ هـ .
١٨٠ ـ اتمام الدراية لقراء النقاية . مطبوع على حاشية مفتاح العلوم للسكاكي . ط ١ ، المطبعة الادبية ـ القاهرة .
١٨١ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . ت . محمد أبو الفضل ابراهيم . ط ١ ، القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .
١٨٢ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة . القاهرة ١٢٩٩ هـ .
١٨٣ ـ شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان . القاهرة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م .
١٨٤ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها . ت . محمد احمد جاد المولى وجماعته ط ٣ ، القاهرة .
١٨٥ ـ كتاب النقاية . مطبوع على حاشية مفتاح العلوم للسكاكي . ط ١ ، المطبعة الادبية القاهرة .

السمرة (الدكتور محمود)
١٧٢ ـ القاضي الجرجاني ـ الاديب الناقد . ط ١ ، بيروت ١٩٦٦ م .
سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)
١٧٣ ـ كتاب سيبويه . ط ١ ، القاهرة ١٣١٦ هـ .
سيد قطب
١٧٤ ـ النقد الادبي ـ أصوله ومناهجه . ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٤ م .
سيد نوفل (الدكتور)
١٧٥ ـ البلاغة العربية في دور نشأتها . القاهرة ١٩٤٨ م .
ابن سينا
١٧٦ ـ الخطابة . ت . الدكتور محمد سليم سالم . القاهرة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م .
١٧٧ ـ الشعر . ت الدكتور عبد الرحمن بدوي . القاهرة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م.
١٧٨ ـ كتاب المجموع أو الحكمة العروضية في معاني الشعر . ت . الدكتور محمد سليم سالم . القاهرة ١٩٦٩ م .
السيوطي (جلال الدين)
١٧٩ ـ الاتقان في علوم القرآن . القاهرة ١٣٦٨ هـ .
١٨٠ ـ اتمام الدراية لقراء النقاية . مطبوع على حاشية مفتاح العلوم للسكاكي . ط ١ ، المطبعة الادبية ـ القاهرة .
١٨١ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . ت . محمد أبو الفضل ابراهيم . ط ١ ، القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .
١٨٢ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة . القاهرة ١٢٩٩ هـ .
١٨٣ ـ شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان . القاهرة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م.
١٨٤ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها . ت . محمد احمد جاد المولى وجماعته ط ٣ ، القاهرة .
١٨٥ ـ كتاب النقاية . مطبوع على حاشية مفتاح العلوم للسكاكي . ط ١ ، المطبعة الادبية القاهرة .

الشافعي (الامام محمد بن ادريس)
١٨٦ ـ الرسالة . تحقيق احمد محمد شاكر . ط ١ ، القاهرة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٤٠م
الشايب (أحمد)
١٨٧ ـ الاسلوب . ط ٣ ، القاهرة .
١٨٨ ـ اصول النقد الادبي . ط ٤ ، القاهرة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م .
الشريف الرضي
١٨٩ ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن . بغداد ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م .
١٩٠ ـ المجازات النبوية . ت . محمود مصطفى . القاهرة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م.
شوقي ضيف (الدكتور)
١٩١ ـ البلاغة تطور وتأريخ . دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٥ م .
١٩٢ ـ تأريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ط ٤ ، دار المعارف ـ القاهرة .
١٩٣ ـ تأريخ الادب العربي (العصر الاسلامي) . دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٣ م .
١٩٤ ـ تأريخ الادب العربي (العصر العباسي) ط ٢ ، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٩ م .
١٩٥ ـ التطور والتجديد في الشعر الاموي . القاهرة ١٩٥٢ م .
١٩٦ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي . ط ٤ ، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٠م
١٩٧ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي . ط ٢ ، بيروت ١٩٥٦ م .
١٩٨ ـ في النقد الادبي . دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٢ م .
١٩٩ ـ النقد . دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٤ م .
الصعيدي (عبد المتعال)
٢٠٠ ـ أسرار التمثيل بين الطريقة الادبية والتقريرية . ط ١ ، القاهرة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .
٢٠١ ـ تأريخ الاصلاح في الازهر وصفحات من الجهاد في الاصلاح . ط ١ ، القاهرة ١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م .

الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)
٢٠٢ ــ نصرة الثائر على المثل السائر . ت . محمد علي سلطاني . (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م .
طاش كبرى زاده (احمد مصطفى)
٢٠٣ ــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة . ط ١ ، حيدر آباد .
طه أحمد ابراهيم .
٢٠٤ ــ تأريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ط ٢ ، بيروت .
طه حسين (الدكتور)
٢٠٥ ــ البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر . بحث نشر تمهيدا لكتاب « نقد النثر » ط ٤ ، القاهرة ١٩٣٨ م .
٢٠٦ ــ تجديد ذكرى ابي العلاء . ط ٥ ، القاهرة ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٨ م .
٢٠٧ ــ في الادب الجاهلي . ط ٤ ، القاهرة ١٩٤٧ م .
٢٠٨ ــ مستقبل الثقافة في مصر . القاهرة ١٩٤٤ م .
٢٠٩ ــ من حديث الشعر والنثر . دار المعارف ــ القاهرة .
الطبري (محمد بن جرير)
٢١٠ ــ جامع البيان في تفسير القرآن . القاهرة .
ابن عبد ربه
٢١١ ــ العقد الفريد . القاهرة ١٣٥٣ هـ ــ ١٩٣٥ م .
عبد الرحمن بدوي (الدكتور)
٢١٢ ــ الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين . (جمع وتقديم) . دار المعارف القاهرة ١٩٦٢ م .
٢١٣ ــ حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة . القاهرة ١٩٦١م .
عبد الرحمن ياغي (الدكتور)
٢١٤ ــ حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها . ط ١ ، بيروت ١٩٦١ م .

عبد الرؤوف مخلوف .
٢١٥ ــ ابن رشيق القيرواني (نوابغ الفكر العربي ٣٢) . دار المعارف ــ القاهرة ١٩٦٤ م .
٢١٦ ــ ابن رشيق الناقد الشاعر (اعلام العرب ٤٥) . القاهرة ١٩٦٥ م .
عبد العزيز عتيق (الدكتور)
٢١٧ ــ علم البديع . بيروت ١٩٧٠م .
٢١٨ ــ علم البيان . بيروت . ١٩٧٠ م .
٢١٩ ــ علم المعاني . بيروت ١٩٧٠م .
٢٢٠ ــ في تأريخ البلاغة العربية . بيروت ١٩٧٠ م .
عبد الكريم زيدان (الدكتور)
٢٢١ ــ الوجيز في أصول الفقه . ط ٢ ، بغداد ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٤ م .
أبو عبيدة (معمر بن المثنى)
٢٢٢ ــ مجاز القرآن . ت . الدكتور محمد فؤاد سزكين . ط ١ ، القاهرة ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م .
العبيدي (رشيد)
٢٢٣ ــ دراسات في النقد الادبي . بغداد ١٩٦٩ م .
العدل (عبد الهادي)
٢٢٤ ــ دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير . القاهرة ١٣٦٩ هـ ــ ١٩٥٠ م .
عرفان عبد الحميد (الدكتور)
٢٢٥ ــ دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية . بغداد ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م .
عز الدين اسماعيل (الدكتور)
٢٢٦ ــ الاسس الجمالية في النقد العربي . ط ١ ، القاهرة ١٩٥٥ م .
٢٢٧ ــ التفسير النفسي للأدب . دار المعارف ــ القاهرة ١٩٦٣ م .

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام
٢٢٨ ـ الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز . مطابع دار الفكر ـ دمشق .
العسكري (ابو احمد الحسن بن عبدالله بن سعيد) .
٢٢٩ ـ التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم . مطبوع في كتاب التحفة البهية والطرف الشهية . مطبعة الجوائب في القسطنطينية ١٣٠٢ هـ .
٢٣٠ ـ المصون في الادب . ت . عبد السلام محمد هارون . الكويت ١٩٦٠ م .
العسكري (ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل)
٢٣١ ـ كتاب الصناعتين . ت . علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم . ط ١ ، القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م .
العشماوي (الدكتور محمد زكي)
٢٣٢ ـ قضايا النقد الادبي والبلاغة . الاسكندرية ١٩٦٧ م .
العلايلي (عبدالله)
٢٣٣ ـ تهذيب المقدمة اللغوية . بقلم الدكتور أسعد علي . بيروت ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .
٢٣٤ ـ مقدمة لدرس لغة العرب . المطبعة العصرية القاهرة .
العلوي (محمد بن احمد بن طباطبا)
٢٣٥ ـ عيار الشعر . ت ، الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام . القاهرة ١٩٥٦ م .
العلوي (يحيى بن حمزة) .
٢٣٦ ـ الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز. القاهرة١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤ م
علي عبد الرازق
٢٣٧ ـ أمالي علي عبد الرازق في علم البيان وتأريخه . القاهرة ١٣٣٠ هـ .
ابن ابي عـون .
٢٣٨ ـ كتاب التشبيهات . ت . محمد عبد المعين خان . كمبردج ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م .

الغزالي (الامام ابو حامد محمد بن محمد)
٢٣٩ ـ المستصفى من علوم الأصول، المطبعة الأميرية ببولاق ـ مصر ١٣٣٢ هـ.
ابن فارس (ابو الحسين احمد بن فارس)
٢٤٠ ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . ت . الدكتور مصطفى الشويمي . بيروت ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م .
فاضل عبد الواحد عبد الرحمن (الدكتور)
٢٤١ ـ الانموذج في اصول الفقه . ط ١ ، بغداد ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .
الفراء (ابو زكرياء يحيى بن زياد)
٢٤٢ ـ معاني القرآن . ت . محمد علي النجار واحمد يوسف نجاتي . دار الكتب ـ القاهرة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .
ابن قتيبـــة .
٢٤٣ ـ ادب الكاتب . ت . محمد محيي الدين عبد الحميد . ط ٣ ، القاهرة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م .
٢٤٤ ـ تأويل مشكل القرآن . ت . السيد أحمد صقر . القاهرة ١٣٧٣ هـ . ١٩٥٤ م .
٢٤٥ ـ الشعر والشعراء . ت . احمد محمد شاكر . ط ٢ ، دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م .
٢٤٦ ـ عيون الاخبار . دار الكتب ـ القاهرة .
قدامة بن جعفر .
٢٤٧ ـ جواهر الالفاظ . ت . محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣٢ م .
٢٤٨ ـ الخراج وصناعة الكتابة (مخطوطة مصورة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد) .
٢٤٩ ـ نقد الشعر . ت . كمال مصطفى . ط ٢ ، القاهرة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣م.
٢٥٠ ـ نقد النثر (منسوب اليه) . ت . الدكتور طه حسين وعبد الحميد العبادي . ط ٤ ، القاهرة ١٩٣٨ م .

القرشي (أبو زيد)
٢٥١ ـ جمهرة أشعار العرب . دار صادر ـ بيروت ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م .
القرشي (عبد الرحيم بن علي بن شيث) .
٢٥٢ ـ معالم الكتابة ومغانم الاصابة . بيروت ١٩١٣ م .
القرطاجني (أبو الحسن حازم) .
٢٥٣ ـ منهاج البلغاء وسراج الادباء . ت . الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة . تونس ١٩٦٦ م .
القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن) .
٢٥٤ ـ الايضاح . ت . لجنة باشراف محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة .
٢٥٥ ـ التلخيص . ت . عبد الرحمن البرقوقي . ط ٢ ، القاهرة ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣٢ م .
القلقشندي (ابو العباس احمد بن علي)
٢٥٦ ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا . طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي في القاهرة (١٩٦٣م) عن الطبعة الاميرية .
القيرواني (ابو علي الحسن بن رشيق الازدي) .
٢٥٧ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ت . محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .
٢٥٨ ـ قراضة الذهب . ط ١ ، القاهرة ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م .
القيرواني (ابو عبدالله محمد بن ابي سعيد بن احمد بن شرف) .
٢٥٩ ـ اعلام الكلام . ط ١ ، القاهرة ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م .
الكتاني (محمد بن الكتاني الطبيب) .
٢٦٠ ـ كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس . ت . الدكتور احسان عباس . دار الثقافة ـ بيروت .
الكتبي (محمد بن شاكر بن احمد) .
٢٦١ ـ فوات الوفيات . ت . محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٥١ م .
كرمبي (لاسل آبر) .

٢٦٢ – قواعد النقد الادبي . ترجمة الدكتور محمد عوض محمد . القاهرة ١٩٥٤ م .
الكلاعي (محمد بن عبد الغفور) .
٢٦٣ – احكام صنعة الكلام . ت . الدكتور محمد رضوان الداية . بيروت ١٩٦٦ م .
لطفي عبد البديع (الدكتور) .
٢٦٤ – التركيب اللغوي للأدب – بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا . ط ١ ، القاهرة ١٩٧٠ م .
اللكنوي (محمد بن عبد الحي)
٢٦٥ – الفوائد البهية في تراجم الحنفية . ط ١ ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
ابن مالك (بدر الدين محمد بن جمال الدين) .
٢٦٦ – روض الاذهان في علم المعاني والبيان . (مخطوطة) .
٢٦٧ – المصباح في علم المعاني والبيان والبديع . ط ١ ، القاهرة ١٣٤١ هـ .
ماهر حسن (الدكتور) .
٢٦٨ – المذاهب النقدية . القاهرة .
المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) .
٢٦٩ – البلاغة . ت . الدكتور رمضان عبد التواب . ط ١ ، القاهرة ١٩٦٥م.
٢٧٠ – الفاضل . ت . عبد العزيز الميمني . القاهرة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م .
٢٧١ – الكامل . ت . الدكتور زكي مبارك . ط ١ ، القاهرة ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م .
٢٧٢ – المقتضب . تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية . القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ وما بعدها .
محمد بن تاويت
٢٧٣ – مقدمة في تاريخ البلاغة العربية . (وهي مقدمة لكتاب دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، طبعة المغرب) .

محمد الخضر حسين :
٢٧٤ ــ الخيال في الشعر العربي . الطبعة الثانية دمشق ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م .
محمد خلف الله احمد .
٢٧٥ ــ بحوث ودراسات في العروبة وآدابها . القاهرة ١٩٧٠ م .
٢٧٦ ــ دراسات في الادب الاسلامي . القاهرة ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧ م .
٢٧٧ ــ من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده . الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م
محمد عبد الرحمن شعيب (الدكتور)
٢٧٨ ــ المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث . دار المعارف ــ القاهرة ١٩٦٤م.
محمد غنيمي هلال (الدكتور)
٢٧٩ ــ النقد الادبي الحديث . ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٤ م .
محمد كرد علي .
٢٨٠ ــ رسائل البلغاء . ط ٤ ، القاهرة ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٤ م .
محمد مندور (الدكتور)
٢٨١ ــ في الادب والنقد . ط ٢ ، القاهرة ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م .
٢٨٢ ــ في الميزان الجديد . ط ٢ ، القاهرة .
٢٨٣ ــ النقد المنهجي عند العرب . ط ٢ ، القاهرة .
٢٨٤ ــ النقد والنقاد المعاصرون . القاهرة .
محمد نبيه حجاب (الدكتور)
٢٨٥ ــ بلاغة الكتاب في العصر العباسي ط ١ ، القاهرة ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥م .
محمود رزق سليم (الدكتور) .
٢٨٦ ــ تقي الدين ابن حجة الحموي (نوابغ الفكر العربي ٣٠) . دار المعارف ــ القاهرة ١٩٦٢ م .
٢٨٧ ــ عصر سلاطين المماليك . (ثمانية أجزاء) صدرت تباعاً بين ١٩٤٧ ــ ١٩٦٥ م القاهرة .

المدبر (ابو اليسر ابراهيم بن محمد)
٢٨٨ – الرسالة العذراء . دار الكتب – القاهرة . وطبعت في كتاب « رسائل البلغاء » لمحمد كرد علي .
المراغي (احمد مصطفى) .
٢٨٩ – بحوث وآراء في علوم البلاغة . القاهرة ١٣٥٩ هـ – ١٩٤٠ م .
٢٩٠ – تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها . ط ١ ، القاهرة ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ .
٢٩١ – علوم البلاغة . ط ٣ ، القاهرة .
المرزباني (ابو عبدالله محمد بن عمران)
٢٩٢ – الموشح . ت . علي محمد البجاوي . القاهرة ١٩٦٥ م .
ابن المزرع (مهلهل بن يموت)
٢٩٣ – سرقات ابي نواس . ت . الدكتور محمد مصطفى هدارة . القاهرة .
مسلم بن الوليد
٢٩٤ – شرح ديوان صريع الغواني . ت . الدكتور سامي الدهان . دار المعارف القاهـــرة .
مصطفى سويف (الدكتور) .
٢٩٥ – الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة . دار المعارف القاهرة ١٩٥١ م .
مصطفى ناصف (الدكتور) .
٢٩٦ – الصورة الادبية . القاهرة .
٢٩٧ – مشكلة المعنى في النقد الحديث . القاهرة ١٩٦٥ م .
٢٩٨ – نظرية المعنى في النقد العربي . القاهرة ١٩٦٥ م .
٢٩٩ – النظم في دلائل الاعجاز . بحث نشر في مجلة كلية الآداب بجامعة عين شمس – المجلد الثالث يناير ١٩٥٥ م .
المطرزي (ابو المظفر ناصر) .
٣٠٠ – الايضاح في شرح مقامات الحريري . ايران ١٢٧٢ .

ابن المعتز (عبدالله) .

٣٠١ ـ البديع طبعت كراتشكوفسكي . لندن ١٩٣٥ م .

٣٠٢ ـ طبقات الشعراء . ت . عبد الستار احمد فراج . دار المعارف ـ القاهـــرة .

ابن معصوم (علي صدر الدين المدني)

٣٠٣ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع . ت . شاكر هادي شكر . ط ١ ، النجف ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

المغربي (ابن يعقوب) .

٣٠٤ ـ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح . (مطبوع في شروح التلخيص).

المقدسي (انيس)

٣٠٥ ـ المسوغات العقلية للبلاغة. بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. المجلد الثلاثون سنة ١٩٥٥ م .

المقري (احمد بن محمد) .

٣٠٦ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب . ت . محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٤٩ م .

ابن المقفع (عبدالله) .

٣٠٧ ـ الادب الصغير . في كتاب آثار ابن المقفع ورسائل البلغاء .

٣٠٨ ـ الادب الكبير . في كتاب آثار ابن المقفع ورسائل البلغاء .

ابن منظور .

٣٠٩ ـ ابو نواس (أخبار ابي نواس) . ت . عمر ابو النصر . بيروت ١٩٦٩م

ابن منقذ (اسامة) .

٣١٠ ـ البديع في نقد الشعر . ت . الدكتور احمد احمد بدوي والدكتور حامد عبد المجيد . القاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م . أ

النابلسي (عبد الغني) .

٣١١ – نفحات الازهار . مطبعة نهج الصواب . دمشق الشام ١٢٩٩ هـ .

ابن ناقيا (ابو القاسم عبدالله بن محمد بن الحسين البغدادي) .

٣١٢ – الجمان في تشبيهات القرآن . ت . الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي . ط ١ ، بغداد ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٨ م .

ابن النديـــم .

٣١٣ – الفهرست . مطبعة الاستقامة – القاهرة .

النويهي (الدكتور محمد) .

٣١٤ – ثقافة الناقد الادبي . ط ١ ، القاهرة ١٩٤٩ م .

٣١٥ – نفسية أبي نواس . ط ٢ ، بيروت ١٩٧٠ م .

الهاشمي (أحمد) .

٣١٦ – جواهر البلاغة . ط العاشرة ، القاهرة ١٣٧٨ هـ – ١٩٦٠ م .

هايمان (ستانلي) .

٣١٧ – النقد الادبي ومدارسه الحديثة . ترجمة الدكتور احسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم . بيروت ١٩٥٨ م .

هداره (الدكتور محمد مصطفى) .

٣١٨ – مشكلة السرقات في النقد العربي . ط ١ ، القاهرة ١٩٥٨ م .

ابن هشام (ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري) .

٣١٩ – السيرة النبوية . ت. مصطفى السقا وجماعته . ط٢ ، القاهرة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م .

هوراس .

٣٢٠ – فن الشعر . ترجمة الدكتور لويس عوض . ط١ ، القاهرة ١٩٤٧م، و ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٠ م .

الوطواط (رشيد الدين) .
٣٢١ ـ حدائق السحر في دقائق الشعر . ترجمة الدكتور ابراهيم امين الشواربي .
القاهرة ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م .
ابن وهب (ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان الكاتب) .
٣٢٢ ـ البرهان في وجوه البيان . ت . الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي . ط ١ ، بغداد ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .

* * *

الكتب

١ – ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة . الدكتور حفني محمد شرف .
٢ – ابن رشيق القيرواني . عبد الرؤوف مخلوف .
٣ – ابن رشيق الناقد الشاعر . عبد الرؤوف مخلوف .
٤ – ابن قتيبة . الدكتور محمد زغلول سلام .
٥ – ابو تمام الطائي . الدكتور نجيب محمد البهبيتي .
٦ – ابو نواس (اخبار ابي نواس) . ابن منظور .
٧ – ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية . الدكتور بدوي طبانه .
٨ – اتجاهات البلاغة العربية . الدكتور احمد مطلوب .
٩ – اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة . الدكتور احمد مطلوب
١٠ – الاتقان في علوم القرآن . جلال الدين السيوطي .
١١ – اتمام الدراية لقراء النقاية . جلال الدين السيوطي .
١٢ – آثار ابن المقفع . ابن المقفع .
١٣ – أثر البلاغة في تفسير الكشاف . الدكتور عمر الملا حويش .
١٤ – اثر الفلسفة في البلاغة العربية . الدكتور احمد مطلوب.
١٥ – اثر القرآن في تطور النقد العربي . الدكتور محمد زغلول سلام .
١٦ – اثر القرآن في نشأة البلاغة . الدكتور احمد مطلوب .
١٧ – اثر المعلمين في البلاغة . الدكتور احمد مطلوب .

١٨ ــ احكام صنعة الكلام . محمد بن عبد الغفور الكلاعي .
١٩ ــ الاحكام في أصول الاحكام . ابو الحسن علي سيف الدين الآمدي .
٢٠ ــ احياء النحو . ابراهيم مصطفى .
٢١ ــ الادب الصغير . ابن المقفع .
٢٢ ــ الادب الكبير . ابن المقفع .
٢٣ ــ ادب الكاتب . ابن قتيبة .
٢٤ ــ اساس البلاغة . الزمخشري .
٢٥ ــ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان . ضياء الدين بن الاثير .
٢٦ ــ اسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجاني .
٢٧ ــ اسرار التمثيل بين الطريقة الادبية والتقريرية . عبد المتعال الصعيدي .
٢٨ ــ الاسس الجمالية في النقد العربي . الدكتور عز الدين اسماعيل .
٢٩ ــ الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة. الدكتور مصطفى سويف.
٣٠ ــ أسس النقد الادبي عند العرب . الدكتور احمد احمد بدوي .
٣١ ــ الاسلوب . احمد الشايب .
٣٢ ــ الاشارة إلى الايجاز في بعض انواع المجاز . عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام .
٣٢ ــ أصول الفقه . محمد الخضري .
٣٣ ــ أصول النقد الادبي . احمد الشايب .
٣٥ ــ الاطول (الشرح الاطول على التلخيص) . ابراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفراييني .
٣٦ ــ اعجاز القرآن . الباقلاني .
٣٧ ــ اعجاز القرآن بين النظرية والتطبيق . الدكتور حفني محمد شرف .
٣٨ ــ اعجاز القرآن في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعاييرها . عبد الكريم الخطيب .
٣٩ ــ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية . مصطفى صادق الرافعي .

٤٠ ــ أعلام الكلام . ابن شرف القيرواني .
٤١ ــ الاغاني . ابو الفرج الاصفهاني .
٤٢ ــ الاقصى القريب في علم البيان . محمد بن محمد بن عمرو التنوخي .
٤٣ ــ إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين . جمعه الدكتور عبد الرحمن بدوي .
٤٤ ــ امالي علي عبد الرازق في علم البيان وتأريخه . علي عبد الرازق .
٤٥ ــ الإمتاع والمؤانسة . أبو حيان التوحيدي .
٤٦ ــ الانموذج في اصول الفقه . الدكتور فاضل عبد الواحد عبد الرحمن .
٤٧ ــ انوار الربيع في انواع البديع . ابن معصوم المدني .
٤٨ ــ الايضاح في شرح مقامات الحريري . ابو المظفر ناصر المطرزي .
٤٩ ــ الايضاح في علوم البلاغة . الخطيب القزويني .
٥٠ ــ كتاب الايمان . ابن تيمية .
٥١ ــ البحر المحيط . ابو حيان الاندلسي .
٥٢ ــ بحوث وآراء في علوم البلاغة . احمد مصطفى المراغي .
٥٣ ــ بحوث ودراسات في العروبة وآدابها . محمد خلف الله احمد .
٥٤ ــ البديع . ابن المعتز .
٥٥ ــ البديع في نقد الشعر . اسامة بن منقذ .
٥٦ ــ بديع القرآن . ابن ابي الاصبع المصري .
٥٧ ــ البرهان في وجوه البيان . ابن وهب الكاتب .
٥٨ ــ البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن . ابن الزملكاني .
٥٩ ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . جلال الدين السيوطي .
٦٠ ــ البلاغة . المبرد .
٦١ ــ البلاغة . امين الخولي .
٦٢ ــ بلاغة ارسطو بين العرب واليونان . الدكتور ابراهيم سلامه .

٦٣ ـ البلاغة بين اللفظ والمعنى من عصر الجاحظ إلى عصر ابن خلدون . نعيم الحمصي .
٦٤ ـ البلاغة تطور وتأريخ . الدكتور شوقي ضيف .
٦٥ ـ البلاغة العربية في دور نشأتها . الدكتور سيد نوفل .
٦٦ ـ البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها . أمين الخولي .
٦٧ ـ البلاغة العصرية واللغة العربية . سلامه موسى .
٦٨ ـ البلاغة عند ابن الاثير . الدكتور احمد مطلوب .
٦٩ ـ البلاغة عند السكاكي . الدكتور احمد مطلوب .
٧٠ ـ البلاغة الغنية . علي الجندي .
٧١ ـ بلاغة الكتاب في العصر العباسي . الدكتور محمد نبيه حجاب .
٧٢ ـ البلاغة الواضحة . علي الجارم ومصطفى أمين .
٧٣ ـ البلاغة وعلم النفس . أمين الخولي .
٧٤ ـ بيان اعجاز القرآن . الخطابي .
٧٥ ـ البيان العربي . الدكتور بدوي طبانه .
٧٦ ـ البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر . الدكتور طه حسين .
٧٧ ـ البيان والتبيين . الجاحظ .
٧٨ ـ تأريخ الادب العربي (الترجمة العربية) كارل بروكلمان .
٧٩ ـ تأريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) . الدكتور شوقي ضيف .
٨٠ ـ تأريخ الادب العربي (العصر الاسلامي) . الدكتور شوقي ضيف .
٨١ ـ تأريخ الادب العربي (العصر العباسي الاول) . الدكتور شوقي ضيف .
٨٢ ـ تأريخ الاصلاح في الازهر وصفحات من الجهاد في الاصلاح . عبد المتعال الصعيدي .
٨٣ ـ تأريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها . احمد مصطفى المراغي .
٨٤ ـ تأريخ علوم اللغة العربية . طه الراوي .
٨٥ ـ تأريخ القصة والنقد في الادب العربي . السباعي بيومي .

٨٦ – تأريخ فكرة اعجاز القرآن . نعيم الحمصي .
٨٧ – تأريخ النقد الادبي عند العرب . طه احمد ابراهيم .
٨٨ – تأريخ النقد الادبي في الاندلس . الدكتور محمد رضوان الداية .
٨٩ – تأريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري . الدكتور محمد زغلول سلام .
٩٠ – تأريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري . الدكتور محمد زغلول سلام .
٩١ – تأريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث . الدكتور داود سلوم .
٩٢ – تأويل مشكل القرآن . ابن قتيبة .
٩٣ – التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن . ابن الزملكاني .
٩٤ – تجديد ذكرى ابي العلاء . الدكتور طه حسين .
٩٥ – تحرير التحبير – ابن ابي الاصبع المصري .
٩٦ – التركيب اللغوي للادب . الدكتور لطفي عبد البديع .
٩٧ – كتاب التشبيهات . ابن ابي عون .
٩٨ – كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس . محمد بن الكتاني الطبيب .
٩٩ – التطور والتجديد في الشعر الاموي . الدكتور شوقي ضيف .
١٠٠ – التعليم في مصر في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ . أمين سامي .
١٠١ – التفسير الادبي . الدكتور احمد مطلوب .
١٠٢ – التفسير النفسي للادب . الدكتور عز الدين اسماعيل .
١٠٣ – التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم . ابو احمد الحسن بن عبدالله العسكري .
١٠٤ – تقي الدين بن حجة الحموي . الدكتور محمود رزق سليم .
١٠٥ – تلخيص البيان في مجازات القرآن . الشريف الرضي .

١٠٦ ــ تلخيص الخطابة . ابن رشد . تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وطبعه الدكتور محمد سليم سالم .
١٠٧ ــ التلخيص في علوم البلاغة . الخطيب القزويني .
١٠٨ ــ تهذيب المقدمة اللغوية (بقلم الدكتور اسعد علي) : عبد الله العلايلي .
١٠٩ ــ ثقافة الناقد الادبي . الدكتور محمد النويهي .
١١٠ ــ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للخطابي والرماني والجرجاني .
١١١ ــ جامع البيان في تفسير القرآن . الطبري .
١١٢ ــ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور . ضياء الدين ابن الاثير .
١١٣ ــ الجمان في تشبيهات القرآن . ابن ناقيا البغدادي .
١١٤ ــ جمع الجواهر في الملح والنوادر . الحصري .
١١٥ ــ جمهرة أشعار العرب . ابو زيد القرشي .
١١٦ ــ جنوح النقد . الدكتور احمد مطلوب .
١١٧ ــ جواهر الالفاظ . قدامة بن جعفر .
١١٨ ــ جواهر البلاغة . احمد الهاشمي .
١١٩ ــ جولة مع ضياء الدين بن الاثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب ــ والشاعر احمد محمد عنبر .
١٢٠ ــ حازم القرطاجني ونظريات ارسطو في الشعر والبلاغة . الدكتور عبد الرحمن بدوي .
١٢١ ــ حاشية الدسوقي على شرح التفتازاني . محمد بن محمد عرفة الدسوقي .
١٢٢ ــ حاشية السيد الشريف على المطول للتفتازاني . السيد الشريف الجرجاني .
١٢٣ ــ حدائق السحر في دقائق الشعر . رشيد الدين الوطواط .
١٢٤ ــ الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام . الدكتور محمد الربداوي .
١٢٥ ــ حسن التوسل إلى صناعة الترسل . شهاب الدين محمود الحلبي .

١٢٦ ــ حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع . محمد البسيوني .
١٢٧ ــ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة . جلال الدين السيوطي .
١٢٨ ــ حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها . الدكتور عبد الرحمن ياغي .
١٢٩ ــ الحيوان . الجاحظ .
١٣٠ ــ الخراج وصناعة الكتابة . قدامة بن جعفر .
١٣١ ــ خزانة الادب وغاية الارب . ابن حجة الحموي.
١٣٢ ــ الخصائص . ابن جني .
١٣٣ ــ الخطابة (الترجمة العربية القديمة) . أرسطو .
١٣٤ ــ الخطابة (الشفاء ــ المنطق) . ابن سينا .
١٣٥ ــ الخواطر الحسان في المعاني والبيان . جبر ضومط .
١٣٦ ــ الخيال في الشعر العربي . محمد الخضر حسين .
١٣٧ ــ دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير . عبد الهادي العدل .
١٣٨ ــ دراسات في الادب الإسلامي . محمد خلف الله احمد .
١٣٩ ــ دراسات في علم النفس الادبي . حامد عبد القادر .
١٤٠ ــ دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية . الدكتور عرفان عبد الحميد .
١٤١ ــ دراسات في نقد الادب العربي . الدكتور بدوي طبانه .
١٤٢ ــ دراسات في النقد الادبي . رشيد العبيدي .
١٤٣ ــ دراسات في النقد الادبي . الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .
١٤٤ ــ الدر الدائر المنتخب من كنايات واستعارات وتشبيهات العرب . الزمخشري .
١٤٥ ــ دروس في البلاغة وتطورها . الدكتور جميل سعيد .
١٤٦ ــ دفاع عن البلاغة . احمد حسن الزيات .
١٤٧ ــ دفاع عن البلاغة . الدكتور احمد مطلوب .
١٤٨ ــ دلائل الاعجاز . عبد القاهر الجرجاني .

١٤٩ – ديوان صفي الدين الحلي .
١٥٠ – رأي في البلاغة العربية . الدكتور احمد مطلوب .
١٥١ – رسائل البلغاء . محمد كرد علي .
١٥٢ – الرسالة . الامام الشافعي .
١٥٣ – الرسالة الحاتمية . ابو علي بن الحسن بن المظفر الحاتمي .
١٥٤ – الرسالة الشافية . عبد القاهر الجرجاني .
١٥٥ – الرسالة العذراء . ابو اليسر ابراهيم بن محمد المدبر .
١٥٦ – الرسالة الموضحة . أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي .
١٥٧ – الرصافي – آراؤه في اللغة والنقد . الدكتور احمد مطلوب .
١٥٨ – الرصافي – آراؤه اللغوية والنقدية الدكتور احمد مطلوب .
١٥٩ – الرصافي اللغوي . الدكتور احمد مطلوب .
١٦٠ – الرصافي الناقد . الدكتور احمد مطلوب .
١٦١ – روض الاذهان في علم المعاني والبيان . بدر الدين بن مالك .
١٦٢ – الزمخشري . الدكتور احمد محمد الحوفي .
١٦٣ – زهر الآداب وثمر الالباب . الحصري .
١٦٤ – زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع . احمد الحملاوي .
١٦٥ – سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجي .
١٦٦ – السرقات الادبية . الدكتور بدوي طبانه .
١٦٧ – سرقات ابي نواس . مهلهل بن يموت بن المزرع .
١٦٨ – السيرة النبوية . ابن هشام .
١٦٩ – شرح بديعية الباعونية . عائشة الباعونية .
١٧٠ – شرح ديوان صريع الغواني . الدكتور سامي الدهان .
١٧١ – شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان . جلال الدين السيوطي .
١٧٢ – شرح نهج البلاغة . ابن ابي الحديد .
١٧٣ – شروح التلخيص .

١٧٤ – شعر صفي الدين الحلي . الدكتور جواد احمد علوش .
١٧٥ – الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث . مصطفى عبد اللطيف السحرتي .
١٧٦ – الشعر والشعراء . ابن قتيبة .
١٧٧ – الشفاء (الشعر) . ابن سينا .
١٧٨ – الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . احمد بن فارس .
١٧٩ – صبح الاعشى في صناعة الانشا . القلقشندي .
١٨٠ – الصيغ البديعي في اللغة العربية . الدكتور احمد ابراهيم موسى .
١٨١ – كتاب الصناعتين . ابو هلال العسكري .
١٨٢ – الصورة الادبية . الدكتور مصطفى ناصف .
١٨٣ – الصور البيانية بين النظرية والتطبيق . الدكتور حفني محمد شرف .
١٨٤ – ضياء الدين بن الاثير . الدكتور محمد زغلول سلام .
١٨٥ – ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد . الدكتور محمد زغلول سلام .
١٨٦ – طبقات الشعراء . ابن المعتز .
١٨٧ – طبقات فحول الشعراء . محمد بن سلام الجمحي .
١٨٨ – طراز الحلة وشفاء الغلة . ابو جعفر الرعيني .
١٨٩ – الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز . يحيى بن حمزة العلوي .
١٩٠ – عبد القاهر الجرجاني . الدكتور احمد احمد بدوي .
١٩١ – عبد القاهر الجرجاني – بلاغته ونقده . الدكتور احمد مطلوب .
١٩٢ – عبد القاهر والبلاغة العربية . الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .
١٩٣ – عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح . بهاء الدين السبكي .
١٩٤ – عصر سلاطين المماليك . الدكتور محمود رزق سليم .
١٩٥ – العقد الفريد . ابن عبد ربه .
١٩٦ – علم البديع . الدكتور عبد العزيز عتيق .
١٩٧ – علم البيان . الدكتور عبد العزيز عتيق .

١٩٨ – علم المعاني . الدكتور عبد العزيز عتيق .
١٩٩ – علم المعاني . الدكتور درويش الجندي .
٢٠٠ – علم النفس الادبي . امين الخولي .
٢٠١ – علوم البلاغة . احمد مصطفى المراغي .
٢٠٢ – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيرواني .
٢٠٣ – عيار الشعر . ابن طباطبا العلوي .
٢٠٤ – عيون الاخبار . ابن قتيبة .
٢٠٥ – الفاضل . المبرد .
٢٠٦ – فحولة الشعراء . الاصمعي .
٢٠٧ – فصول في النقد . الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .
٢٠٨ – الفلك الدائر على المثل السائر . ابن ابي الحديد .
٢٠٩ – فن التشبيه . علي الجندي .
٢١٠ – فن الجناس . علي الجندي .
٢١١ – فن الشعر . ارسطو .
٣١٢ – فن الشعر . هوراس .
٢١٣ – فن القول . امين الخولي .
٢١٤ – الفن ومذاهبه في الشعر العربي . الدكتور شوقي ضيف .
٢١٥ – الفن ومذاهبه في النثر العربي . الدكتور شوقي ضيف .
٢١٦ – الفهرس . ابن النديم .
٢١٧ – الفوائد البهية في تراجم الحنفية . محمد بن عبد الحي اللكنوي .
٢١٨ – الفوائد (المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) . ابن قيم الجوزية .
٢١٩ – فوات الوفيات . ابن شاكر الكتبي .
٢٢٠ – في الادب الجاهلي . الدكتور طه حسين .
٢٢١ – في الادب والنقد . الدكتور محمد مندور .
٢٢٢ – في تأريخ البلاغة العربية . الدكتور عبد العزيز عتيق .

٢٢٣ – في تأريخ النقد والمذاهب الادبية . الدكتور طه الحاجري .
٢٢٤ – في الميزان الجديد . الدكتور محمد مندور .
٢٢٥ – في النقد الادبي . الدكتور شوقي ضيف .
٢٢٦ – القاضي الجرجاني . الدكتور احمد احمد بدوي .
٢٢٧ – القاضي الجرجاني – الاديب الناقد . الدكتور محمود السمرة .
٢٢٨ – قانون البلاغة . ابو طاهر محمد بن حيدر البغدادي .
٢٢٩ – قدامة بن جعفر والنقد الادبي . الدكتور بدوي طبانه .
٢٣٠ – قراضة الذهب . ابن رشيق القيرواني .
٢٣١ – القزويني والبلاغة الحديثة . الدكتور احمد مطلوب .
٢٣٢ – القزويني وشروح التلخيص . الدكتور احمد مطلوب .
٢٣٣ – قضايا النقد الادبي والبلاغة . الدكتور محمد زكي العشماوي .
٢٣٤ – قواعد الشعر . ثعلب .
٢٣٥ – قواعد اللغة العربية . حفني ناصف وجماعته .
٢٣٦ – قواعد النقد الادبي . لاسل آبر كرمبي .
٢٣٧ – الكامل . المبرد .
٢٣٨ – كتاب ارسطوطاليس في الشعر . الدكتور شكري محمد عياد .
٢٣٩ – كتاب سيبويه . سيبويه .
٢٤٠ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل . الزمخشري .
٢٤١ – كشف الظنون . الحاج خليفة .
٢٤٢ – كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام . ابن حجة الحموي .
٢٤٣ – المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث . الدكتور محمد عبد الرحمن شعيب .
٢٤٤ – المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر . ضياء الدين بن الاثير .
٢٤٥ – المجازات النبوية . الشريف الرضي .

٢٤٦ – مجاز القرآن . ابو عبيدة .
٢٤٧ – كتاب المجموع او الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر . ابن سينا .
٢٤٨ – محاضرات في اصول الفقه على مذاهب اهل السنة الامامية . بدر المتولي عبد الباسط .
٢٤٩ – المختصر (الشرح المختصر على التلخيص) . التفتازاني .
٢٥٠ – المدائح النبوية في الادب العربي . الدكتور زكي مبارك .
٢٥١ – المدخل إلى علم اصول الفقه . محمد معروف الدواليبي .
٢٥٢ – المذاهب النقدية . الدكتور ماهر حسن .
٢٥٣ – المزهر في علوم اللغة وانواعها . جلال الدين السيوطي .
٢٥٤ – المستصفى من علوم الاصول . الامام أبو حامد الغزالي .
٢٥٥ – مستقبل الثقافة في مصر . الدكتور طه حسين .
٢٥٦ – المسوغات العقلية للبلاغة . انيس المقدسي .
٢٥٧ – مشكلة السرقات في النقد العربي . الدكتور محمد مصطفى هداره .
٢٥٨ – مشكلة المعنى في النقد الحديث . الدكتور مصطفى ناصف .
٢٥٩ – المصباح في علم المعاني والبيان والبديع . بدر الدين بن مالك .
٢٦٠ – مصر في تأريخ البلاغة . امين الخولي .
٢٦١ – المصون في الادب . ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري .
٢٦٢ – المطول (الشرح المطول على التلخيص) . التفتازاني .
٢٦٣ – معالم الكتابة ومغانم الاصابة . ابن شيث القرشي .
٢٦٤ – معاني القرآن . الفرّاء .
٢٦٥ – المعتمد في اصول الفقه . ابو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي .
٢٦٦ – معجم الادباء . ياقوت الحموي .
٢٦٧ – المغني في ابواب التوحيد والعدل (اعجاز القرآن) الأسدآبادي .

٢٦٨ – مفتاح السعادة ومصباح السيادة . طاش كبرى زاده .
٢٦٩ – مفتاح العلوم . السكاكي .
٢٧٠ – المقابسات . ابو حيان التوحيدي .
٢٧١ – مقالات الاسلاميين . الاشعري .
٢٧٢ – مقامات الزمخشري . الزمخشري .
٢٧٣ – المقتضب . المبرد .
٢٧٤ – مقدمة ابن خلدون . ابن خلدون .
٢٧٥ – مقدمة في تأريخ البلاغة العربية . محمد بن تاويت .
٢٧٦ – مقدمة لدرس لغة العرب . عبد الله العلايلي .
٢٧٧ – مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب . امين الخولي .
٢٧٨ – من بلاغة القرآن . الدكتور احمد احمد بدوي .
٢٧٩ – منتهى السول في علم الاصول . ابو الحسن علي الآمدي .
٢٨٠ – من حديث الشعر والنثر . الدكتور طه حسين .
٢٨١ – منطق ارسطو . ارسطو .
٢٨٢ – منهاج البلغاء وسراج الادباء . حازم القرطاجني .
٢٨٣ – منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه . الدكتور مصطفى الصاوي الجويني .
٢٨٤ – منهج السكاكي في البلاغة . الدكتور احمد مطلوب .
٢٨٥ – من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده . محمد خلف الله احمد .
٢٨٦ – الموازنة بين الشعراء . الدكتور زكي مبارك .
٢٨٧ – الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري . ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي .
٢٨٨ – مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح . ابن يعقوب المغربي .
٢٨٩ – الموشح . المرزباني .

٢٩٠ — النثر الفني في القرن الرابع . الدكتور زكي مبارك .
٢٩١ — نزهة الألباء . ابن الانباري .
٢٩٢ — نشأة الكتابة الفنية في الادب العربي . الدكتور حسين نصار .
٢٩٣ — نشأة النقد الادبي الحديث في مصر . عز الدين الأمين .
٢٩٤ — نصرة الثائر على المثل السائر . الصفدي .
٢٩٥ — نظرة في قواعد علوم العربية وآدابها . أدور مرقص .
٢٩٦ — نظرية عبد القاهر في النظم . الدكتور درويش الجندي .
٢٩٧ — نظرية المعنى في النقد العربي .. الدكتور مصطفى ناصف .
٢٩٨ — النظم في دلائل الاعجاز . الدكتور مصطفى ناصف .
٢٩٩ — النظم القرآني في كشاف الزمخشري . الدكتور درويش الجندي .
٣٠٠ — نفحات الازهار . عبد الغني النابلسي .
٣٠١ — نفح الطيب . المقري .
٣٠٢ — نفسية ابي نواس . الدكتور محمد النويهي .
٣٠٣ — كتاب النقاية . جلال الدين السيوطي .
٣٠٤ — النقد . الدكتور شوقي ضيف .
٣٠٥ — النقد الادبي . احمد امين .
٣٠٦ — النقد الادبي — اصوله ومناهجه . سيد قطب .
٣٠٧ — النقد الادبي الحديث . الدكتور محمد غنيمي هلال .
٣٠٨ — النقد الادبي عند اليونان . الدكتور بدوي طبانه .
٣٠٩ — النقد الادبي عند اليونان (من هوميروس إلى افلاطون) الدكتور محمد صقر خفاجه .
٣١٠ — النقد الادبي الحديث في العراق . الدكتور احمد مطلوب .
٣١١ — النقد الادبي من خلال تجاربي . مصطفى عبد اللطيف السحرتي .
٣١٢ — النقد الادبي وأثره في الشعر العباسي . الدكتور ناصر الحاني .
٣١٣ — النقد الادبي ومدارسه الحديثة . ستانلي هايمان .

٣١٤ — نقد الشعر . قدامة بن جعفر .
٣١٥ — النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف . الدكتور داود سلوم .
٣١٦ — النقد المنهجي عند الجاحظ . الدكتور داود سلوم .
٣١٧ — النقد المنهجي عند العرب . الدكتور محمد مندور .
٣١٨ — نقد النثر . المنسوب إلى قدامة بن جعفر .
٣١٩ — النقد والنقاد المعاصرون . الدكتور محمد مندور .
٣٢٠ — النكت في اعجار القرآن . الرماني .
٣٢١ — نهاية الايجاز في دراية الاعجاز . فخر الدين الرازي .
٣٢٢ — الوجيز في اصول الفقه . الدكتور عبد الكريم زيدان .
٣٢٣ — الوساطة بين المتنبي وخصومه . القاضي الجرجاني .
٣٢٤ — وفيات الاعيان . ابن خلكان .
٣٢٥ — يتيمة الدهر . الثعالبي .

* * *

الدوريات

١ — دائرة المعارف الاسلامية :

١ — ابن المعتز — تورى .

٢ — بديع مع تعليق عبد الوهاب حمودة .

٣ — بلاغة — شادة .

٤ — بلاغة — امين الخولي .

٥ — التفتازاني — تورى .

٦ — الجرجاني — بروكلمان .

٧ — السكاكي — كرنكوف .

٨ — السبكي — ايوار .

٢ — صحيفة الجامعة المصرية .

٣ — مجلة الرسالة الاسلامية (بغداد) .

٤ — مجلة علم النفس (القاهرة) .

٥ — مجلة الكتاب (بغداد) .

٦ — مجلة كلية الآداب (بغداد) .

٧ — مجلة كلية الآداب (جامعة عين شمس) .

٨ — مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة) .

٩ — مجلة كلية الشريعة (بغداد) .

١٠ — مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) .

١١ — مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) .

١٢ — مجلة المشرق (بيروت) .

١٣ — مجلة المعلم الجديد (بغداد) .

١٤ — مجلة معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة) .

١٥ — مجلة المقتطف (القاهرة) .

الموضوعات

الفصل الرابع
الشعراء والكتاب

الفصل الخامس

الفلاسفة والمتكلمون

الفصل السادس

الشراح والملخصون

الفصل السابع

الفصل الثامن

توزيع
دار العلم للملايين
بيروت